مؤلفة الكتب الأكثر مبيعاً طبقاً لمجلة «نيويورك تايمز»

ساندرا براون

نسخة منسقة
مجلة الابتسامة

«روائية محنّكة»
ـ نقلاً عن صحيفة
«يو آس إيه توداي»

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

لهيب الانتقام

www.ibtesama.com

مجلة الابتسامة

فريق العمل بقسم تحميل
كتب مجانية

شكرا لمن قام بسحب الكتاب
و جزاه الله خيرا

ريـاحيـن

^RAYAHEEN^

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

المركز الرئيسي (المملكة العربية السعودية)
ص.ب ٣١٩٦ تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+
الرياض ١١٤٧١ فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

المعارض الرياض (المملكة العربية السعودية)
شارع العليا تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+
شارع الأحساء تليفون ٤٧٧٣١٤٠ ١ ٩٦٦+
العمارة مول تليفون ٢٠٥٧٠١٠ ١ ٩٦٦+
طريق الملك عبدالله (حي النسيم) تليفون ٢٧٨٨٤١١ ١ ٩٦٦+
الدائري الشمالي (مخرج ٥/٦) تليفون ٢٧٥٤٧١٠ ١ ٩٦٦+

القصيم (المملكة العربية السعودية)
شارع عثمان بن عفان تليفون ٣٨١٠٠٢٦ ٦ ٩٦٦+

الخبر (المملكة العربية السعودية)
شارع الكورنيش تليفون ٨٩٤٣٣١١ ٣ ٩٦٦+
مجمع الراشد تليفون ٨٩٨٢٤٩١ ٣ ٩٦٦+

الدمام (المملكة العربية السعودية)
الشارع الأول تليفون ٨٠٩٠٤٤١ ٣ ٩٦٦+

الأحساء (المملكة العربية السعودية)
المبرز طريق الظهران تليفون ٥٢١١٥٠١ ٣ ٩٦٦+

جدة (المملكة العربية السعودية)
شارع حصاري تليفون ٦٨٢٧٦٦٦ ٢ ٩٦٦+
شارع فلسطين تليفون ٦٧٣٢٧٢٧ ٢ ٩٦٦+
شارع التحلية تليفون ٦٧١١١٦٧ ٢ ٩٦٦+
شارع الأمير سلطان تليفون ٢٣٨٢٠٥٥ ٢ ٩٦٦+
شارع عبدالله السليمان (جامعة بلارا) تليفون ٦٨٧٢٧٤٣ ٢ ٩٦٦+

مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)
أسواق العمار تليفون ٥٦٠٦١١٦ ٢ ٩٦٦+

المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية)
جوار مسجد القبلتين تليفون ٨٤٦٦٧٦١ ٤ ٩٦٦+

الدوحة (دولة قطر)
طريق سلوى - تقاطع رمادا تليفون ٤٤٤٠٢١٢ ٩٧٤+

أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)
مركز الحمراء تليفون ٦٧٣٣٩٩٩ ٢ ٩٧١+

الكويت (دولة الكويت)
السوق - شارع تونس تليفون ٢٦١٠١١١ ٩٦٥+

موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على
jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

By arrangement with Maria Carvainis Agency, Inc. and JARIR BOOKSTORE.Translated from the English WHITE HOT.
Copyright © 2004 by Sandra Brown Management, Ltd.
Published in the United States by Simon & Schuster, Inc., New York

ARABIC language edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2007. All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronical or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system without permission from JARIR BOOKSTORE.

#1 NEW YORK TIMES BESTSELLING AUTHOR OF CHILL FACTOR

SANDRA BROWN

WHITE HOT

"A masterful storyteller"
_ USA Today

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

المقدمة

هناك من يقول إنه لم يكن ليجد وقتاً أنسب من هذا الوقت حتى ينتحر .

فلم تكن الحياة فى ظهيرة ذلك الأحد تحديداً بتلك التى تستحق أن يعيشها أحد ، وجميع الكائنات أصابتها عدوى خمول ذلك اليوم . الجو ثقيل ساخن أشبه بوجبة إفطار ثقيلة ، يستنزف طاقة كل من يحيا فى ظله ، نباتاً كان أو حيواناً .

تبخرت السحب تحت وطأة الشمس . وكان الخروج من داخل المنزل أشبه بالتعوض لهبة ساخنة من تلك التى تهب من داخل الفرن بمسبك هويلز . وعند معسكر الصيد الذى تقيمه العائلة فى بايو بوسكوت ـ والذى سمى بهذا الاسم بسبب تلك الجزيرة المغطاة بأشجار السرو وسط ذلك الجدول ذى التيار الهادئ ـ قبع تمساح محنط ضخم بلغ الست أقدام طولاً تحت أشعة الشمس الحارقة ، تعكس عيناه الزجاجيتان وهج السماء . بينما علم ولاية لويزيانا ملتف حول ساريته فى سكون .

حتى حشرات الحصاد تكاسلت عن إصدار موسيقاها النشاز ، إلا أنك تجد بين آن وآخر حشرة دعوبا تصر على إصدار موسيقاها وسط هذا السكون الثقيل ، ولو بنصف حماس . وقبعت الأسماك

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بعيداً عن سطح الماء وغطائه الأخضر المعتم الذى صنعته الطحالب . وقد لازمت تلك الأسماك الأعماق المعتمة ، فلم يبد من دلائل على أنها حية سوى خفقات خياشيمها من آن لآخر . وهناك أفعى موكازين تقبع فى خمول على ضفة الجدول ، متحفزة ولكن من دون حراك .

كان المستنقع أشبه بقفص كبير ضم مختلف الحيوانات والطيور ، إلا أنها قررت اليوم أن تغفو فى أعشاشها ، فيما عدا صقر واحد حط على قمة شجرة ضربها البرق منذ عقود . فلم يبق منها سوى أغصان عارية لم تنبت عليها الأوراق أبداً .

لم تفارق عينا الطائر الصياد الكابينة أسفله . ربما كان يرقب ذلك الفأر الذى يمرق بين دعامات رصيف الصيد . فقد نبأته غريزته الحيوانية بأن هناك خطراً يحدق به فى الأعلى .

لم يكن لصوت انطلاق الرصاصة ذلك الصخب المتوقع . فالجو ـ الذى كان كثيفاً أشبه بوسادة من ريش الأوز ـ أكسب أمواج ذلك الصوت بعض السلاسة . وبالكاد صنعت الطلقة بعض التموجات فى المستنقع . فقد بقى العلم على انطوائه . ولم يحرك التمساح المحنط ساكناً . وانزلقت أفعى الموكازين داخل المياه فى هدوء شديد ، لا بسبب الجزع ولكن استياءً مما قطع عليها تكاسلها اللذيذ فى يوم الأحد هذا .

طار الصقر بشكل حلزونى عبر تيارات الهواء بأقل جهد ممكن ، بحثاً عن فريسة أكثر جاذبية من ذلك الفأر الصغير المندس بين الركام .

أما ذلك الرجل الميت داخل الكابينة ، فلم يخطر ببال الصقر على الإطلاق .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الأول

" هل تذكر سلاب واتكينز ؟ "

" من ؟ "

" ذلك الشاب الذى كان يثرثر فى الملهى " .

" هل يمكن أن تكون أكثر تحديدا ؟ أى ملهى ؟ ومتى ؟ "

" تلك الليلة التى أتيت فيها إلى البلدة " .

" كان هذا منذ ثلاث سنوات مضت " .

" أجل ، ولكن عليك أن تتذكره " . تقدم كريس هويل فى مقعده إلى الأمام محاولاً أن يستحث قدرات التذكر لدى صديقه .

" ذلك الثرثار الذى تسبب فى الشجار ؟ نو وجه قمىء وأذنين كبيرتين " .

" أوه ، ذلك الشاب . صحيح . نو الـ ... " ، وثبت بيك يديه على جانبى رأسه إشارة إلى أذنين كبيرتين .

فقال كريس : " لهذا السبب أسموه سلاب " (صوت ارتطام) .

رفع بيك حاجبيه فى عجب .

" كلما هبت الريح ، فإن أذنيه ... " .

فأكمل بيك العبارة : " تلطم وجهه " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فابتسم كريس ابتسامة عريضة وهو يمد زجاجة الشراب قائلاً : " مثل ضلفة نافذة فى عاصفة هوجاء " .

كانت ستائر النافذة فى تلك الخلوة بمنزل هويل منسدلة لكى تمنع سخونة شمس الظهيرة . كما أن تلك الستائر أعتمت المكان من أجل مشاهدة أفضل للتلفاز الذى كان يعرض مباراة لفريق بريفز الذى كان متقدماً على فريق أتلانتا بفارق يحتاج إلى معجزة لتعويضه . إلا أنه بغض النظر عن هذا الفارق الكبير ، فإن هناك طرقاً أسوأ لقضاء ظهيرة يوم الأحد الحار داخل خلوة مكيفة شبه معتمة ، وأنت ترتشف الشراب البارد .

أمضى كريس هويل وبيك ميرشانت ساعات عديدة فى هذه الحجرة . فقد كانت مكاناً مثالياً للهو الرجال بما فيها من شاشة عرض تليفزيونى مساحتها خمسون بوصة وبها سماعات مجسمة محيطة . أما الثلاجة فكانت مليئة بالعديد من الأشياء ، بآلة صنع الثلج ، والمشروبات الغازية ، وهناك أيضاً طاولة بلياردو ، ولوحة لعبة السهام ، وطاولة للعب الورق ذات ستة مقاعد جلدية ناعمة وثيرة كفتاة الغلاف تلك على صدر مجلة ماكسيم . كانت جدران الحجرة مغطاة بخشب الجوز ومجهزة بأثاث متين لا يتطلب الكثير من العناية . إلا أنها كانت معبقة بروائح التبغ وغيرها من الروائح الذكورية المشبعة بالتستوستيرون (هرمون الذكورة) .

فتح بيك زجاجة شراب أخرى قائلا : " ماذا إنن عن هذا الـ .. سلاب ؟ "

قاطعه كريس قائلاً : " لقد عاد " .

" إننى لم أعلم بأنه قد ذهب . بل لا أعتقد أنى قد رأيته منذ تلك الليلة ، ووقتها كنت أراه بعينين متورمتين " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ابتسم كريس وهو يتذكر وقال : " كانت تلك الشاجرة مثالاً لما تكون عليه الشاجرات داخل الملاهي . فقد سدد العديد من اللكمات المحكمة . وهو معتاد على هذه الشاجرات ، حيث إنه يثرثر طيلة الوقت " .

قال بيك : " ربما كان يفعل هذا رداً على تلك السخرية من أذنيه " .

قال كريس : " لا شك في أن فمه الثرثار هذا يدخله كثيراً في الشاجرات ؛ فبعد شاجرتنا معه ، دخل في شجار مع زوج أخته السابق . أتذكر أن الشجار كان حول جزازة العشب . فقد خطر له خاطر في تلك الليلة دفعه إلى أن يطارد زوج أخته السابق بالسكين " .

" وقتله ؟ "

" أصابه بجراح . إلا أنها كانت في بطن ذلك الشاب فأراقت الكثير من دمائه ، مما جعله يواجه تهمة إحداث إصابة بأداة مميتة ، بل وكان من الممكن أن تواجهه تهمة محاولة القتل . ولقد شهدت أخته ضده . لقد كان في أنجولا خلال السنوات الثلاث الماضية ، وهو الآن تحت إخلاء سبيل مشروط " .

" كم نحن محظوظون " .

تجهم وجه كريس وقال : " هذا غير حقيقي . فهو يكن ضغينة تجاهنا . أو على الأقل هذا ما قاله في تلك الليلة منذ ثلاث سنوات حينما ألقي القبض عليه . فلقد رأى أنه من الظلم أن يتم إلقاء القبض عليه ونبقى نحن مطلقي السراح . فأخذ يصرخ بالسباب والتهديدات التي جمدت الدم في عروقي " .

" إني لا أتذكر شيئاً من هذا " .

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

" ربما كان هذا عندما كنت فى الحمام تضمد جراحك . وعلى أية حال ، فإن سلاب شخص غير متزن وغير مؤتمن ، متأخر التفكير ولا يمتلك من المواهب سوى أن يكن الضغائن ، وهو متميز فى هذا . لقد أهناه فى تلك الليلة ، وعلى الرغم من أنه كان ثملاً للغاية ، إلا أننى أشك فى أن يكون قد نسى أو صفح عنا . فعلينا أن نَحْذره " .

قال بيك وهو ينظر ناحية المطبخ من خلف كتفه : " سأعتبر نفسى محتاطا لهذا ... هل أنا مدعو على العشاء ؟ "

قال كريس : " الدعوة قائمة " .

استرخى بيك أكثر على الأريكة الوثيرة التى كان يمدد جسده فوقها وقال : " هذا جيد . فأيا كان ما يتم طهيه هناك ، فإنه قد نجح فى إسالة لعابى " .

" إنها فطيرة بكريمة جوز الهند . إن سيلما أمهر من يجيد صنع الفطائر " .

" أنا أؤيدك فى هذا ، كريس " .

دخل والد كريس ـ هَف هويل ـ المكان بخطوات واسعة وهو يهوى بقبعة قش على وجهه المحتقن قائلا : " ناولنى إحدى تلك الزجاجات . إننى فى غاية العطش ، وعندما أعطش لا أفكر فى أى شىء " .

علق قبعته على الشماعة ، ثم ألقى بجسده الثقيل على مقعده الوثير ، وهو يمسح جبهته بكم قميصه وقال : " تبا ، إن الجو شديد الحرارة اليوم " ، ثم أطلق زفرة وهو يدخل بجسده أكثر فى الوسادات الجلدية للمقعد وقال : " أشكرك يا بنى " ، ثم تناول الزجاجة المثلجة التى فتح كريس غطاءها وهو يشير ناحية التلفاز وقال : " من الفائز ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال بيك : " ليس فريق بريفز . الحقيقة أن المباراة انتهت عملياً " . خفض بيك صوت التلفاز والمعلقان يتحدثان عن أحداث المباراة بعد انتهائها وهو يقول : " لسنا في حاجة لأن نعرف لماذا خسروا . فالفارق في النتيجة أبلغ من أى كلام " .

تمتم هَف موافقاً : " لقد أفسدوا موسمهم منذ أن أتاحوا المجال لهؤلاء اللاعبين الأجانب المتعالين مرتفعي الأجر أن يفرضوا شروطهم على مُلاك النادى . خطأ كبير . كان يمكنني أن أنبههم لهذا " . أخذ جرعة كبيرة من الزجاجة ، حتى كاد يفرغها تماما .

سأله كريس : " هل كنت تلعب الجولف طيلة الظهيرة ؟ "

قال هَف وهو يشعل سيجارة : " الجو شديد الحرارة . لقد لعبنا ثلاث جولات ، بعدها فقدنا الرغبة في المواصلة وعدنا إلى داخل النادى لنلعب الورق " .

" وكم نلت منهم هذا اليوم ؟ "

لم يكن فوز هَف أبداً بموضع سؤال . فهو دوماً يفوز .

" بضع مئات " .

علق كريس : " جميل " .

فقال الأب وهو يغمز لهما بعينيه : " أية لعبة لا تستحق اللعب ما لم تفز فيها " . أنهى بقية الزجاجة في جرعة واحدة ثم أردف : " هل سمعتما أية أخبار عن دانى اليوم ؟ "

رد كريس : " سوف يأتى بعد قليل . هذا إن وجد لنا وقتاً بين صلاة صباح الأحد وتعبدات ليله " .

امتعض هَف في غضب قائلاً : " لا تعكر مزاجي بالحديث عن هذا . فأنا لا أود أن أفسد شهيتي للعشاء " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فلم يكن هَف يرى فى طقوس الوعظ والصلاة والترانيم سوى أنها تليق فقط بالنساء أو بالرجال المخنثين . فقد كان هَف يستخف بالأديان وكل ما هو روحانى .

عمد كريس بذكاء إلى تحويل مجرى الحوار بعيداً عن أخيه الأصغر واهتماماته مؤخرا بالأمور الروحانية وقال : " كنت أتحدث للتو مع بيك عن خروج سلاب واتكينز من فترة المراقبة " .

زمجر هَف وهو يخلع حذاءه : " كلهم قمامة ، بدءا من جد سلاب الأكبر ، الذى كان أحقر من عاش على وجه الأرض . لقد وجدوه ميتا فى خندق على جانب الطريق وزجاجة شراب مستقرة فى عنقه . لابد أنه قد ضايق أحدهم بحقارته . والأمر متوارث فى هذه العائلة . حتى أصغر فرد فيهم أبشع من الإثم وأغبى من جذع شجرة " .

ضحك بيك معلقاً : " ربما . إلا أننى أدين لسلاب بجميل . فلولاه لما كنت هنا معكم الآن أشارككم عشاء الأحد " .

تطلعَ إليه هَف بقدر من العاطفة لا يقل عما يبديه لأبنائه : " كلا يا بيك ، فأنت تليق بأن تكون واحداً منا ، بأية وسيلة كانت . فما قمت به تجاه جين إيفيرسون كان موضع تقدير . فأنت الشىء الجيد الوحيد الذى استفدته من ذلك الموضوع " .

قال كريس : " هذا بالإضافة إلى أولئك المحلفين الاثنى عشر . فعلينا ألا ننسى أنه لولاهم لما كنت أنا هنا أشارككم عشاء الأحد . بل داخل زنزانة وسط أمثال سلاب واتكينز " .

كثيراً ما يذكر كريس أمر محاكمته بتهمة قتل جين إيفيرسون بتلميحات تنم عن استهانته بما حدث . إلا أن دعاباته هذه كانت دائما ما تتسبب فى إقلاق بيك . فلم يجد بداً من تغيير الموضوع : " إننى أكره أن أتحدث عن العمل فى يوم الإجازة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فقال هَف : " كل الأيام أيام عمل بالنسبة لي " .

زمجر كريس قائلاً : " ليس بالنسبة لى أبداً . هل الأمر سيئ يا بيك ؟ "

" من المفترض هذا " .

" ألا يمكن أن نؤجله إلى ما بعد العشاء ؟ "

" بالتأكيد ، إن وددتما هذا " .

فقال هَف : " كلا ، تعلمان رأيي عند مواجهة الأنباء السيئة . فأود أن أسمعها من دون تأجيل . وبالتأكيد لن أنتظر حتى انتهاء العشاء . فما الأمر يا بيك ؟ لا تقل لى إنه قد تم توقيع غرامة أخرى علينا من قبل هيئة المحافظة على البيئة بسبب برك التبريد تلك ... " .

" كلا ، ليس الأمر كذلك . بشكل مباشر على الأقل " .

" فمانا إذن ؟ "

قال كريس : " تمهل . سوف أصب لى شراباً أولاً . أنت تود أن تستمع سريعاً إلى الأنباء السيئة ، أما أنا فأميل إلى سماعها مع كأس من الشراب . أتريد شراباً ؟ "

قال هَف " مع الكثير من الثلج ، ومن دون ماء " .

" وأنت يا بيك ؟ "

" لا أريد ، شكراً " .

توجه كريس إلى المشرب وتناول قدحاً وكأسين . ثم استند إلى النافذة ونظر من خلال الأستار منحياً بعضها جانباً حتى يرى بوضوح : " ما هذا الذى لدينا هنا ؟ "

سأله هَف : " ما الأمر ؟ "

" لقد توقفت سيارة مأمور الشرطة أمام المنزل للتو " .

" ما ظنك أنه يريد إذن ؟ إنه يوم دفع المطلوب " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال كريس وهو لا يزال يتطلع عبر النافذة : " لا أعتقد هذا يا هَف . فهصحبته شخص ما " .

" من ؟ "

" لا أعرف . فلم أره من قبل " .

أنهى كريس صب المشروبات ، وجلب أحدها إلى والده ، إلا أن ثلاثتهم اكتفوا بالصمت وهم يستمعون إلى سيلما وهى تتجه من المطبخ بمؤخرة المنزل وحتى البوابة الأمامية لكى تفتحها بعد أن رن الجرس . حيث مديرة المنزل الداخلين ، إلا أن كلماتهم لم تكن مسموعة جيداً . اقتربوا من الخلوة تتقدمهم سيلما .

" سيدى هوبل ، المأمور هاربر هنا للقائك " .

أشار هَف إليها حتى تدخله .

لقد تم انتخاب المأمور ريد هاربر فى منصبه هذا منذ ثلاثين عاماً ، وقد لاقت حملته وفوزه تأييدا ودعماً مالياً من هَف . وقد بقى فى منصبه كل هذه الفترة بنفس الدعم والتأييد .

أصبح شعره ـ الذى كان نارى اللون فى شبابه ـ شاحباً كليلاً فوق رأسه . وطوله يتعدى الستة أقدام ، إلا أنه كان نحيفاً لدرجة أن حزام مسدسه الجلدى السميك والتجهيزات الأخرى التى يحملها عليه بدت أشبه بطوق مطاطى معلق على دعامة سور خشبى .

بدا ذابلاً ، ليس فقط بسبب الحرارة بالخارج . كان وجهه طويلاً هزيلاً ، وكأنما حملته ثلاثة عقود من الفساد بالكثير من الذنوب . كانت تصرفاته تنم عن شخص باع روحه للشيطان بثمن بخس . لم يكن الابتهاج أبدًا من بين صفاته ، فقد بدا كئيبًا بشكل مبالغ فيه وهو يدلف إلى الحجرة نازعًا قبعته .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

على النقيض من هذا بدا الضابط الشاب بصحبته - والذى كان غريباً عنهم - وكأنما قد خرج للتو من وعاء مملوء بالنشا . فقد كان حليق الوجه جداً ، وكانت وجنتاه محمرتين من آثار الشفرة . وكان شديد اليقظة والتوتر كمداء ينتظر طلقة بدء السباق .

حيا ريد هاربر بيك بإيماءة خفيفة . ثم نظر إلى كريس ، الذى كان يقف إلى جوار مقعد هَف . وفى النهاية وجه نظره الكئيب إلى هَف ، الذى ظل قابعاً فى مقعده .

" مساء الخير ، ريد " .

" مساء الخير ، هَف " . وبدلاً من أن ينظر إلى هَف مباشرةً ، أخذ يحدق إلى حواف قبعته ، والتى كان يقلبها بين أصابعه .

" أترغب فى شراب ؟ "

" كلا أشكرك " .

لم يكن من عادة هَف أن يقف لأحد . فهذا ما ينتظره هو من الآخرين ، وجميع من فى هذه الدائرة يعلم هذا . إلا أن جو التوتر الذى أحاط المكان دفعه إلى أن يستند على المقعد لكى ينهض واقفاً .

رمق هَف مرافق المأمور الأنيق بنظرة صارمة وهو يقول : " ما الذى يجرى ؟ من هذا ؟ "

تنحنح ريد . ونحى قبعته إلى جانبه وهو يربت بها فى عصبية على فخذه . وانتظر وقتاً طويلاً قبل أن ينظر فى عينى هَف . كل ما يحدث أنبأ بيك بأن مجىء المأمور يحمل ما هو أهم بكثير من تلقى إتاوته الشهرية .

بدأ كلامه قائلاً : " الأمر يتعلق بـ ... دانى ... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثانى

بالكاد كان الطريق السريع واضح المعالم . مرات لا تحصى قادت خلالها ساير لينش سيارتها عبر هذه المسافة من الطريق بين مطار نيو أورليانز الدولى وبيستينى . إلا أن هذه المرة بدت كأول مرة .

تحت مسمى تطوير الطريق ، تمت إزالة أو تعمية العلامات التى كانت تميز المنطقة . وغاب سحر لويزيانا الطبيعى ضحية لمحات تطوير تجارية بحتة . وقليل هو الذى بقى من لمحات جميلة . فلم تعد تجد أياً مما كان يميز المكان عن سائر الأماكن فى الولايات المتحدة .

فها هى مطاعم الوجبات السريعة تشغل البقاع التى كانت فيما سبق كافيتيريات عائلية . وتركت فطائر اللحم المنزلية وشطائر الموفاليتا مكانها لعبوات الدجاج المشوى والوجبات السريعة . وحلت لافتات النيون محل تلك التى كانت تكتب بخط اليد . وقوائم الوجبات التى كانت تكتب بالطبشور يومياً تحولت إلى أصوات آلية تصدر عبر نافذة تلقى الوجبات وأنت بداخل سيارتك .

خلال السنوات العشر التى غابت فيها عن المكان ، اقتُلعت الأشجار التى كانت مغطاة بالطحلب الأسبانى لتفسح المجال لتوسعة الطريق السريع . وتلك التوسعة هدمت معها ما كان يحيط

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بالبرك المجاورة للطريق من غموض وأسرار . فأحيطت أراضى الملاحات الآن بمنحدرات دخول وخروج مزدحمة بالسيارات الكبيرة والشاحنات الصغيرة .

لم تدرك ساير حتى الآن مدى عمق إحساسها بالحنين إلى بلدها الأم . إلا أن هذه التغييرات الجذرية فى المكان جعلتها أشد حنيناً إلى الشكل القديم للبلدة . لقد اشتاقت إلى الشذى الناتج عن امتزاج رائحة الفلفل الحار والفيليه . وكم تود أن تستمع مجدداً إلى لكنة من يقومون على تقديم أطباق الكاجون والتى يستغرق إعدادها أكثر من ثلاث دقائق .

مع أن الطرق فائقة السرعة تهدف إلى تقصير زمن الرحلات ، إلا أنها كانت تتوق إلى الطريق الذى عرفته من قبل ، ذلك الطريق المحفوف بالأشجار التى نمت على قرب شديد منه ، لدرجة أن الأغصان على الجانبين كانت تتداخل حتى تصنع مظلة طبيعية تلقى بظلالها المتفاوتة على الأسفلت .

تاقت إلى المرات التى كان بوسعها فيها أن تقود السيارة مفتوحة النوافذ ، وبدلاً من الاختناق بعوادم السيارات ، تستنشق الهواء البكر المعبق بروائح زهر العسل والماجنوليا وشذى برك المياه .

لقد كانت تغييرات العقد الماضى تزعزع حواسها وتسىء إلى ذكرياتها عن المكان الذى ترعرعت فيه . إلا أنها كانت ترى أن ما حل بنفسها من تغيرات كان لا يقل عما حل بهذا المكان ، على أنه لم يكن بادياً للعيان .

كانت آخر مرة قادت فيها السيارة عبر هذا الطريق حينما كانت تبتعد عن ديستينى . وقتها كانت تشعر بأنها تتخلص من أعبائها بشكل أكثر كلما زاد ابتعادها عن البلدة ، وكأنها تتخلص

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

من السلبية عبر الطريق . وها هى اليوم تعود ، وبداخلها خوف شديد .

إن حنينها للبلدة ـ مهما كانت شدة وطأته ـ لم يكن ليدفعها إلى العودة . إلا أن موت أخيها دانى هو ما أجبرها على هذه الخطوة . من الواضح أنه قد تحمل هَف وكريس لأطول وقت ممكن ولم يستطع الفكاك منهما إلا بالوسيلة الوحيدة التى شعر بأنها متاحة له .

وبدا من المفارقات أن تلك المداخن كانت أول ما رأته حينما اقتربت من ضواحى ديستينى ، حيث كانت بارزة فى عناد فوق البلدة ، كبيرة ، سوداء ، قبيحة . يهبط منها الدخان اليوم ، تماماً كما يحدث على امتداد أيام العام . كان غلق الأفران أمراً مكلفاً وسيعود بالخسارة ، حتى فى يوم جنازة دانى . إنها تعرف هَف ، وتعرف أنه حتى لم يخطر أمر كهذا بباله ، حتى ولو كان لأجل خاطر ابنه الأصغر .

كانت اللافتة على حدود البلدة تقول: " مرحباً بكم فى ديستينى ، موطن شركات هويل " . كانت تقول لنفسها : " وكأن هذا من دواعى الفخر " . فهى ترى أن سبك المواسير الحديدية قد أثرى هَف ، إلا أنه ثراء قام على إراقة الدماء .

اخترقت شوارع البلدة التى كانت تقطعها وهى صغيرة على دراجتها . وفيما بعد تعلمت القيادة . وكانت تقطعها بصحبة صديقات المراهقة بحثاً عن المتعة والفتيان وأى مما يثير لديهن روح الانطلاق والمرح .

سمعت موسيقى الأورجن ، وهى لا تزال على بعد مبنى من دار العبادة النظامية المتحدة الأولى . كانت تلك الآلة نحاسية اللون ، وكانت هدية لدار العبادة قدمتها والدتها ، لوريل لينش هويل . كانت تلك التحفة من دواعى سعادة وفخر دار العبادة الصغيرة

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تلك ، وذلك لكونها الآلة الوحيدة فى ديستينى . كانت هدية والدتها كريمة وتنم عن إخلاص ، إلا أنها كانت فى الوقت نفسه رمزاً للكيفية التى تسيدت بها عائلة هويل البلدة بكل من فيها .

كم كان من المؤلم أن الآلة تعزف مرثاة جنائزية لواحد من أولاد لوريل هويل ، والذى قتل نفسه منهيًا حياته القصيرة .

تلقت ساير النبأ ظهيرة الأحد عند عودتها إلى مكتبها بعد لقاء مع عميل . هى فى المعتاد لا تعمل أيام الآحاد ، إلا أن هذا العميل بالذات لم يكن متاحاً لقاؤه سوى يوم الأحد . وقد احتفلت جوليا ميللر بمرور خمس سنوات فى منصبها كمساعدة للسيدة ساير . ولم تكن لتدع ساير تعمل يوم الأحد وحدها . وفى أثناء ما كانت ساير فى لقاء مع العميل ، كانت جوليا تنهى بعض الأعمال المكتبية .

عند عودة ساير ، قدمت لها جوليا قصاصة ورقية وردية اللون قائلة : " لقد اتصل هذا السيد ثلاث مرات ، آنسة لينش . لم أعطه رقم هاتفك الخلوى على الرغم من إلحاحه على ذلك " .

ألقت ساير نظرة على كود المنطقة فى رقم الهاتف المدون ، ثم كورت القصاصة ملقية إياها فى سلة المهملات : " أنا لا أرغب فى الحديث مع أى فرد من عائلتى " .

" إنه لم يكن من العائلة . بل قال إنه يعمل مع العائلة . وكان مطلوباً منه أن يصل إليك فى أسرع وقت ممكن " .

" وأنا كذلك لن أتحدث مع أى ممن يعملون لأجل عائلتى . هل من رسائل أخرى ؟ هل اتصل السيد تايلور ؟ لقد وعد بأن يسلمنا ستائر الزينة بحلول الغد " .

عندها بادرتها جوليا فى حزن : " إنه أخوك . لقد مات " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

توقفت ساير فى مكانها على بعد خطوات من مكتبها . ظلت لدقيقة طويلة تحدق عبر نوافذ الجدار تجاه جسر جولدين جايت . لم يكن باديا منه سوى الدعامات البرتقالية من فوق طبقة كثيفة من الضباب . بدت مياه الخليج رمادية اللون ، باردة ، هائجة . يا له من نذير شؤم .

سألتها من دون أن تلتفت: " أيهما ؟ "

قالت جوليا " أى من ... " .

قاطعتها ساير : " الأخ " .

" دانى " .

دانى ، الذى هاتفها مرتين خلال الأيام الأخيرة . دانى ، الذى رفضت أن ترد على مكالماته تلك .

استدارت ساير لتواجه مساعدتها ، التى كانت تتطلع إليها فى تعاطف . قالت فى هدوء : " لقد توفى أخوك دانى فى وقت مبكر اليوم ، ساير . وكنت أرى ضرورة إبلاغك بهذا الأمر وجهاً لوجه ، لا عن طريق محادثة هاتفية " .

أطلقت ساير تنهيدة طويلة من أعماقها . " كيف ؟ "

" أرى أن تتصلى بذلك الذى يدعى السيد ميرشانت " .

" جوليا ، أرجوك ، أخبرينى كيف مات دانى ؟ "

قالت لها فى هدوء : " يبدو أنه قد انتحر . أنا آسفة " . وبعد لحظة أضافت : " هذه كل المعلومات التى أبلغنى بها السيد ميرشانت " .

بعدها توجهت ساير إلى مكتبها وأغلقت الباب . سمعت رنين الهاتف فى غرفة الانتظار عدة مرات ، لكن جوليا لم تجبه ، مدركة أنها بحاجة إلى بعض الوقت حتى تستوعب الخبر .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هل كان دانى يتصل بها لكى يودعها ؟ ولو كان الأمر كذلك ، فكيف لها أن تعيش بذنب أنها رفضت أن تتحدث إليه ؟

بعد قرابة الساعة ، سمعت دقات جوليا الخفيفة على الباب . سمحت لها بالدخول ، وحينما دلفت جوليا إلى الداخل ، قالت لها ساير : " لا جدوى من بقائك هنا ، جوليا . عودى إلى المنزل . سوف أكون على ما يرام " .

وضعت المساعدة على مكتبها ورقة وهى تقول : " مازال هناك ما يتوجب علىّ إنهاؤه من أعمال . اضغطى زر الاتصال عندما تحتاجين إلى . هل أحضر لكِ شيئاً ؟ "

هزت ساير رأسها بالنفى . فانسحبت جوليا من الغرفة مغلقة الباب خلفها . كانت قد دونت على تلك الورقة موعد ومكان الجنازة . صباح الثلاثاء ، فى الحادية عشرة صباحاً .

لم تندهش ساير من السرعة التى ستتم بها المراسم . فهكذا هو هَف ، يتصرف فى سرعة . فهو وكريس فى عجالة من أمرهما حتى يتخلصا من هذا الأمر ، ويدفنا دانى حتى يواصلا حياتهما بأسرع ما يمكن .

علاوة على أن موعد الجنازة قد جاء فى صالحها كذلك ، فقد كفاها مشقة الجدل مع نفسها حول جدوى أن تحضر . فلم يبقى سوى أن تتخذ القرار فى غاية السرعة .

لحقت فى صباح الأمس برحلة طيران إلى نيو أورليانز عبر دالاس ـ فورت ورث ووصلت مساءً . تمشت عبر الركن الفرنسى ، وتناولت العشاء فى أحد مطاعم تقديم الحساء ، ثم قضت الليلة فى فندق ويندسور كورت .

ومع كل ما توافر فى الفندق من راحة ورفاهية ، إلا أنها قضت ليلة بلا نوم . لم تكن ترغب فى العودة إلى ديستينى . لم تتمن هذا

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أبداً . ووجدت سخافة فيما انتابها من خوف من أن تدخل طواعية فى فخ يوقع بها هناك ، ويبقيها فى قبضة هَف إلى الأبد .

لم يقلل مطلع الفجر من خوفها هذا . نهضت وارتدت ملابسها لأجل حضور الجنازة ، وتأهبت للتوجه إلى ديستينى ، مخططة لأن تصل عند بدء المراسم وأن تغادر فور انتهائها .

كان موقف السيارات عند دار العبادة قد امتلأ بالسيارات ، حتى أصبح قادة السيارات يوقفونها فى الشوارع المحيطة . وكان عليها أن توقف السيارة على بعد عدة مبان من دار العبادة ذات النوافذ الزجاجية المزركشة والبرج الأبيض الطويل . وما أن خطت إلى مدخل دار العبادة ذى الأعمدة ، دقت الأجراس الساعة الحادية عشرة .

كان البهو بارداً مقارنةً بخارجه ، إلا أن ساير لاحظت أن العديدين فى دار العبادة يحركون مراوحهم الورقية فى سرعة لاستجلاب مزيد من الهواء الذى لم تنجح فى استجلابه مكيفات الهواء . وبينما دخلت بين الحشد ، كانت الجوقة قد أنهت إنشاد الافتتاحية وصعد الواعظ إلى المنصة .

بينما أحنى الجميع رؤوسهم للدعاء ، أخذت ساير تنظر إلى التابوت أمام الهيكل . كان بسيطا ، فضياً ، مغلقاً بإحكام . كانت راضية عن هذا . فقد كانت تعتقد أنها لن تتحمل أن تكون آخر صورة تنطبع فى ذاكرتها عن أخيها هى أن يكون مسجياً كدمية من الشمع فى تابوت مزخرف . ولكى تتفادى التفكير فى هذا ، ركزت تفكيرها فى نقاء وانتظام أزهار الزنابق البيضاء فوق التابوت .

لم يمكنها أن تلمح هَف أو كريس بين الحشد ، لكنها افترضت أنهما جالسان فى المقدمة ، ومعالم الأسى المصطنع بادية عليهما . كان هذا ما يجعلها تشعر بالغثيان .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نودى باسمها ضمن من بقى من أفراد هذه العائلة على قيد الحياة . " الأخت ، ساير هويل من سان فرانسيسكو " . هكذا قالها الواعظ منغمة .

رغبت فى الوقوف لتصيح بأن لقبها لم يعد هويل . فبعد طلاقها الثانى بدأت تستخدم اسمها الأوسط ، والذى كان اسم والدتها قبل زواجها . وغيرت اسمها وبشكل رسمى إلى لينش . فهذا هو اسمها فى الشهادة الجامعية ، وأوراق أعمالها ، ورخصة قيادتها الصادرة فى كاليفورنيا ، وفى جواز سفرها .

لم تعد هويل بعد الآن ، إلا أنها كانت متيقنة من أن من أعطى هذه المعلومة الخاطئة إلى الواعظ قد أعطاها إياه عن عمد .

كانت الموعظة تلقى مباشرة من كتاب ، وقام بذلك واعظ بدا صغير السن على هذه المهمة . كانت موعظته موجهة إلى الإنسانية عامة . لم يذكر سوى القليل عن دانى كشخص ، وهو الأمر الذى بدا محزناً خاصةً أن أخته رفضت أن تجيب آخر مكالماته الهاتفية .

ومع اختتام المراسم بأنشودة " الصفح " ، تعالت أصوات النحيب بين الجمع . أما حملة التابوت فكانوا كلاً من كريس ، ورجل ذى شعر أشقر لم تعرفه ، وأربعة آخرين تعرفت عليهم لكونهم من موظفى شركات هويل . حملوا التابوت عبر الممشى الأوسط بدار العبادة .

كانت المسيرة بطيئة ، منحتها وقتاً للتأمل فى أخيها كريس . كان على ما عهدته فيه من وسامة ، مع دماثة نجم من نجوم الثلاثينيات . إلا أنه كان هذه المرة من دون شاربه الخفيف . كان شعره لا يزال على سواده الفاحم ، إلا أنه كان أقصر مما كان عليه . وقد علا عند جبهته بشىء من دهان التصفيف ، لتبدو التصفيفة لشاب يقل عمره بكثير عن سنوات الثلاثينيات ، إلا أنها كانت

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تناسب كريس . لم تكن نظراته على أحد حيث إن الحضور لم يكونوا واضحين أمامه من موقعه ذاك .

تبع هَف التابوت . لم يتخل حتى فى هذه اللحظات عما يحيط به نفسه من روح التفوق على الآخرين . فكتفاه إلى الوراء ، ورأسه شامخ لأعلى . ولكل خطوة وقعها الراسخ على الأرض ، وكأنما هو أحد الفاتحين الذى يؤكد أحقيته فى كل شبر من هذه الأرض .

كانت شفتاه على وضعهما الحازم الذى لا تزال تذكره جيداً . عيناه تلمعان وكأنهما عينا دمية . واضحتان جامدتان ؛ فهو لم يبك أبداً على دانى . كان شعره فى آخر مرة رأته فيها يجمع بين السواد والشيب ، أما الآن فهو أبيض تماماً ، إلا أن التصفيفة العسكرية الصارمة لم تتغير . ظل محتفظاً بقوامه المشوق رغم بعض الوزن الزائد الذى لاحظته فى منطقة بطنه .

من حسن حظها أن كريس وهَف لم يرياها .

تنحت إلى باب جانبى حتى تتفادى الحشد وفرصة أن يتعرف عليها أحدهم . كانت قد أوقفت سيارتها على مسافة بعيدة من المكان المعد للدفن .

اتجه الجمع أفراداً وجماعات نحو تبة يرقبون من عندها مراسم الدفن . كانوا متأنقين فى معظمهم ، على الرغم من آثار العرق التى بدأت فى الظهور على القبعات وأكمام القمصان . مرتدين أحذية ضيقة بسبب قلة المرات التى ارتدوها فيها .

كانت ساير تعرف كثيرين منهم بالاسم . فهم من أهالى ديستينى الذين عاشوا بها طيلة حياتهم . بعضهم يمتلك مشروعات صغيرة ، إلا أن أغلبهم يعمل لدى آل هويل بطريقة أو بأخرى .

تعرفت على عدد من رجال التدريس . فقد كانت والدتها شغوفة بأن ترسل أولادها إلى المدارس الخاصة المتميزة فى

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الجنوب ، إلا أن هَف كان على النقيض . فقد أرادهم أن يكبروا معتادين على شدته وقسوته فى التربية . وكلما ثار الجدل بينهما حول هذا الموضوع كان يقول : " إن تلك المدارس الناعمة ليست بالمكان الأنسب لتعلم حقائق الحياة وكيفية خوض غمارها " ، وفى كل ما كان يدور بينهما من مناقشات ، لم تكن والدتها تملك سوى أن تطلق زفرة حارة فى نهاية أى مناقشة .

ظلت ساير داخل سيارتها مديرة محركها . ولحسن حظها كانت مراسم الدفن مختصرة . وما أن انتهت حتى عاد الجميع إلى سياراتهم ، مع حرصهم على أن يخفوا ما هم عليه من عجلة فى الانصراف .

كان هَف وكريس آخر من غادرا السرادق بعد أن صافحا الواعظ . راقبتهما ساير وهما يتجهان إلى السيارة الليموزين القابعة فى انتظارهما والتى خصصتها دار فير للمناسبات لهما . إنن فلا يزال العجوز فير يمارس نفس المهنة رغم ظنها أنه قد فارق الحياة منذ زمن .

كان قد فتح باب الليموزين لكل من كريس وهَف ، ثم وقف على مسافة بعيدة منهما وهما يلقيان بعض الكلمات على مسامع ذلك الأشقر الذى حمل التابوت معهما . ومع نهاية الحوار ، استقلا الليموزين ، والأشقر يودعهما ، بينما دلف فير خلف عجلة قيادة السيارة منطلقا بها . كانت ساير سعيدة لانصرافهما .

انتظرت لعشر دقائق أخرى حتى انصراف آخر المعزين . وعندها فقط أطفأت المحرك وغادرت السيارة .

" لقد طلبت منى العائلة أن أرافقك إلى استراحة المعزين " .

التفتت سريعا مندهشة حتى أن حذاءها أحدث صوتا فوق الحصباء .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان مرتكناً إلى مؤخرة سيارتها . وقد خلع عنه سترته طاوياً إياها على ذراعه . وقد خفف قليلاً من إحكام ربطة عنقه على رقبته ، وفكك أزرار كمّىْ قميصه ، مشمراً إياهما حتى المرفقين . مرتدياً نظارته الشمسية .

" اسمى بيك ميرشانت " .

" خمنت هذا " .

كانت قد تساءلت عندما قرأت اسمه على تلك الورقة عما إذا كان له ذلك المنطوق الفرنسى أم لا . إلا أنه لم يكن كذلك . كان مظهره أمريكيًا تمامًا ، بدءاً من شعره الأشقر الداكن ، وابتسامته المريحة وأسنانه المستوية ، وحتى حلته التى كانت من صنع رالف لورين .

" أسعدنى لقاؤك ، آنسة هويل " .

" لينش " .

" سأصحح هذا " . كانت نبرته تنم عن بالغ الاحترام ، إلا أن ابتسامته بدت ساخرة .

قالت له : " هل من مهام وظيفتك أن توصل الرسائل ؟ لقد كنت أظن أنك المحامى الخاص بهم " .

" أنا المحامى ، ورجل إنهاء المهام ... " .

" خادم إذن " .

وضع يده فوق قلبه مع ابتسامة زهو وهو يقول: " أنت تسبغين علىّ ما لا أستحق " .

" أشك فى هذا " . أغلقت باب سيارتها فى قوة . " لقد قدمت لى دعوتهما . فأخبرهما بأنى قد رفضتها . وأنا أستميحك الآن فى أن تتركنى حتى أودع أخى دانى " . وفارقته متوجهة إلى حيث المقبرة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" خذى وقتك . وسوف أنتظرك هنا " .

عادت إليه : " أنا لن أتوجه إلى ذلك التأبين . فما أن أنتهى من هنا حتى أعود إلى نيو أورليانز مستقلة الطائرة إلى سان فرانسيسكو " .

" بوسعك هذا . ويمكنك كذلك أن تفعلى ما هو أفضل بأن تحضرى تأبين أخيك ، وبعدها وفى نفس الليلة ستخصص لك شركات هويل طائرتها الخاصة لتوصلك إلى سان فرانسيسكو لتجنبك مشقة استقلال رحلة عادية " .

" بوسعى أن أستأجر طائرة " .

" هذا أفضل " .

أغاظتها تلك الإجابة وشعرت بالغضب لهذا الإحساس . لم يكن قد مر عليها فى نيويتينى سوى الساعة ، وها هى تعود إلى عاداتها القديمة . إلا أنها قد تعلمت أن تشعر بما ينصب لها من فخاخ وكيفية تفاديها .

" كلا . أشكرك . وداعاً سيد ميرشانت " . ثم توجهت من جديد صوب المقبرة .

" هل تعتقدين فعلاً أن دانى قد انتحر ؟ "

لم تكن تتوقع أبداً تلك الكلمات ، من بين كل ما توقعت أن يرد به عليها . فالتفتت إليه من جديد . لم يكن مستنداً إلى مؤخرة السيارة ، بل كان قد أخذ بضع خطوات تجاهها ، وكأنما لم يكن مكتفيا بانتظار إجابتها عن سؤاله ، بل يريد توجيه رد فعلها عليه .

سألته : " ألا تعتقد هذا ؟ "

" لا يهم ما أعتقده أنا ، بل ما يعتقده مكتب المأمور ، والذى يشكك فى هذا الانتحار " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثالث

قالت سيلما وهى تقدم صحناً من الطعام لكريس : " سيفتح هذا شهيتك ، يا سيد كريس " .

" أشكرك " .

" هل أحضر لك شيئاً يا سيد هويل ؟ " . مع أنه لم يكن من المفترض لمديرة المنزل أن تعمل اليوم ، إلا أنها ارتدت رداء المطبخ فوق ثوبها الأسود . ومع تناقض رداء المطبخ مع القبعة ، إلا أنها ظلت ترتديها منذ مراسم الدفن .

قال هَف " سوف أنتظر بعض الوقت ، يا سيلما " .

" ألست جائعا ؟ "

" الجو الحار ، وهذا يفقدنى شهيتى " .

كانت الشرفة فوق المجلس الخارجى هذا توفر ظلالاً عبر عرض المجلس ، إلا أن هذا لم يكن كافياً لمنع ذلك الحر الشديد . كانت هناك مراوح بالسقف ، إلا أنها لم تجد سوى فى تحريك الهواء الساخن . وكان هَف يمسح العرق من فوق وجهه بمنديل من آن لآخر . كان التكييف بالداخل فعالاً فى تبريد المنزل ، إلا أن هَف شعر بأنه من المناسب له ولكريس أن يستقبلا الضيوف عند وصولهم وأن يتلقيا العزاء شخصياً قبل أن يدخلا المنزل .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لو احتجت إلى أى شىء يا سيدى فأرجو أن تنادى علىّ وسأحضره لك " . جففت دموعها وهى تدلف إلى المنزل عبر البوابة الأمامية الواسعة ، والتى أسدلت عليها قطعة عريضة من الحرير الأسود .

لم تشأ أن تطلب خدمات أى من شركات الضيافة لأجل من جاءوا للعزاء ، لكونها تمقت أن يدخل شخص آخر مطبخها . إلا أن هَف أصر على هذا ، فهى لن تستطيع وحدها أن تخدم الجميع ، كما أنها منذ أن تلقت نبأ وفاة دانى وهى لم تتوقف عن البكاء ، والجثو على ركبتيها وهى تدعو الرب لأجل دانى .

كانت تعمل لدى آل هويل منذ أن تزوج هَف من لوريل ، منذ أربعين عاماً مضت . كان لدى لوريل ارتباطاتها الاجتماعية التى اعتادت عليها ، فكان من الطبيعى أن تلقى بعبء إدارة منزلها على سيلما . كانت هذه المرأة السمراء تبدو وقتها فى منتصف العمر ؛ أما عمرها الآن فيمكن لأى شخص أن يخمنه . وهى لا تزن أكثر من مائة رطل ، إلا أنها قوية وصلبة كشجرة صفصاف راسخة .

وعندما أنجبا أطفالا ، كانت سيلما مربيتهم . وحينما توفيت لوريل ، كان دانى أكثر طفل بحاجة إلى رعايتها . فكانت له بمثابة الأم ، وبالتالى كان بينهما رباط من نوع خاص . لذا فكان وقع وفاته عليها صادما .

علق كريس : " لقد رأيت المأدبة التى تم إعدادها فى حجرة الطعام " . ثم وضع الصحن الذى ناولته إياه سيلما على طاولة صغيرة إلى جواره من دون أن يمسه ثم أردف : " ألا ترى أن كم الطعام والشراب هنا مبالغ فيه ؟ "

قال هَف : " لست أنت من يعلق على كم الطعام الواجب توفيره ، كونك لم تذق الجوع يوما فى حياتك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أحس هَف بينه وبين نفسه أنه قد بالغ فى تدليل أبنائه ، إلا أنه بذل قصارى جهده لأجل أن يوفر لهم الأفضل فى هذه الحياة ، فلم يكن ليبخل بشىء فى مراسم تأبين أصغر أبنائه .

" هل ستعود إلى تذكيرى بقدر جحودى تجاه كل ما أمتلكه ، وكيف أننى لا أدرى بإحساس من لا تتوافر لديه أساسيات الحياة ، تماماً كما كنت أنت ؟ "

" إننى سعيد لكونى مررت بفترة ضيق اليد تلك . فهى ما جعلتنى أصمم على ألا يمر على مثل هذا الوقت أبداً بعدها . وقد جعلتنى أصل لما أنا عليه الآن . وما أنت عليه بفضلى أنا " .

" على رسلك ، هَف " . جلس كريس على كرسى هزاز : " إننى أحفظ دروسك عن ظهر قلب . وقد رضعتها وفطمت عليها . وليس علينا أن نعاودها من جديد اليوم " .

شعر هَف بأن ضغط دمه قد بدأ يعود إلى معدله الطبيعى وهو يقول :" كلا ، ليس علينا هذا . قف الآن ، فها هو جمع جديد قادم " .

وقف كريس إلى جواره من جديد ، وكان هناك زوجان يقتربان صاعدين عتبات المجلس . قال هَف : " كيف حالك يا جورج ؟ وأنت يا ليلى . أشكركما لحضوركما " .

صافحه جورج روبسون فى حرارة واضعاً كفه بين راحتيه . كانت راحتاه رطبتين ، ممتلئتين ، شاحبتين . فقال هَف لنفسه فى اشمئزاز خفى ، " هما كبقية جسدك " .

" كان دانى شاباً لطيفاً ، يا هَف . ألطف من عرفت " .

" أنت محق فى هذا ، يا جورج " . قالها وهو يسحب كفه ، مقاوماً رغبته فى أن يجففها فى سرواله . " كم أقدر كلامك هذا " .

" إنه لأمر مأساوى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" بالفعل " .

لم تعلق زوجة جورج الثانية ـ وكانت أصغر منه بكثير ـ بشيء ، إلا أن هَف لاحظ الطريقة التي ترمق بها كريس ، والذي ابتسم لها قائلاً : " من الأفضل أن تأخذ هذه السيدة الجميلة إلى الداخل بعيداً عن حرارة الجو ، يا جورج . إنها من العذوبة بقدر قد يجعلها تذوب في ظل هذه الحرارة . وأرجو أن تتناولا ما يطيب لكما من المأدبة " .

قال هَف : " هناك الكثير من الشراب ، جورج . اطلب من أحد السقاة أن يعد لك كأساً كبيرة " .

بدا الرجل سعيداً لكون هَف قد تذكر شرابه المفضل ، فسرعان ما أشار لزوجته أن تدلف معه إلى الداخل . وما أن ابتعدا بما فيه الكفاية ، حتى التفت هَف إلى كريس قائلاً : " كم من وقت مر على علاقتك بليلى هذه ؟ "

" منذ ظهيرة الأحد الماضي ، في أثناء ما كان جورج يصطحب ابنه من زوجته الأولى في رحلة صيد " ، ثم أضاف مبتسماً : " هذه ميزة الزوجة الثانية . فلدى أزواجهن أبناء سابقون مما يجعلهم منشغلين عنهن لعطلتين أسبوعيتين على الأقل في الشهر " .

عبس وجه هَف وهو يقول له : " بمناسبة الحديث عن الزوجات ، وبعيداً عن علاقتك بليلى روبسون ، هل تحدثت إلى مارى بيث ؟ "

" لقرابة الخمس ثوان " .

" هل أخبرتها بأمر داني ؟ "

" ما أن ألقت عليّ التحية ، حتى قلت لها لقد انتحر داني يا مارى بيث . فسارعت بقول : إذن فقد ازداد نصيبي " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ارتفع ضغط الدم لدى هَف من جديد . " نصيبها ؟ يالها من حمقاء . لن ترى تلك المرأة سنتاً من أموالى . ما لم تمنحك الطلاق . ولا أقصد بذلك أن تحدد هى الوقت المناسب . بل الآن . هل تابعت أمر أوراق الطلاق التى أرسلناها ؟ "

" ليس على وجه الدقة . لكنها لن توقع أية أوراق طلاق " .

" فعليك أن تعيدها إلى هنا إذن ، وأن تجعلها تحمل منك " .

" لا أستطيع " .

" أنت لا تجرؤ على هذا " .

" بل لا أستطيع " .

لاحظ نبرة رد كريس . فقال له مضيقاً عينيه : " وكيف هذا ؟ هل هناك ما لا تود أن تخبرنى به ؟ شىء لا أعرفه ؟ "

" لنتحدث عن هذا الأمر فيما بعد " .

" بل سنتحدث عنه الآن " .

" ليس هذا بالوقت المناسب ، يا هَف " . وأضاف وهو يضغط على كل كلمة : " كما أنك مجهد بالفعل ، وأنت تعلم ما يعنيه هذا بالنسبة لضغط دمك " . ثم توجه صوب البوابة الأمامية قائلاً : " سوف أجلب لك شراباً " .

قال هَف : " توقف . انظر إلى هذا " .

أشار هَف إلى المشى أمام المنزل ، حيث كان بيك يقترب من سيارة توقفت للتو . فتح بابها وهو يمد يده لقائدتها .

غادرت ساير السيارة ، ولكن من دون أية مساعدة منه . بل قد كانت مستعدة لأن توبخه لو أنه لمسها بيده .

قال كريس: " تباً لى " .

راقب هو وهَف الاثنين وهما يعبران الباحة الأمامية مقتربين . وعند منتصف المسافة ، أرجعت ساير رأسها إلى الوراء وهى تنظر

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

من أسفل حافة قبعتها . وحينما رأته هو وكريس عند المدخل ، غيرت من اتجاهها لتتجه إلى جانب المنزل ناحية الممر المؤدى إلى مؤخرته .

راقبها هَف حتى توارت وراء ركن المنزل . لم يكن يدرى ما الذى يتوقع أن يحدث حينما يرى ابنته لأول مرة بعد عشر سنوات ، إلا أنه كان فخوراً بما رآه . فقد كانت ساير هويل ـ أجل فهو لم يعترف أبداً بمسألة تغييرها لاسمها ـ امرأة جذابة ، بل شديدة الجاذبية ، أفضل مما كان يتخيلها عليه .

قفز بيك درجات السلم حتى لحق بهما .

قال كريس : " كم أنا مندهش لكونها وافقتك على المجىء ، لقد ظننت أنها ستوبخك وترفض المجىء " .

" كادت تفعلها " .

" ما الذى حدث ؟ "

" تماماً كما ظننت ، يا هَف ، فقد كانت تخطط للرحيل من دون أن تراك " .

" فكيف جئت بها إلى هنا إذن ؟ "

" لعبت على أوتار أحاسيس الولاء للعائلة وأصول اللياقة لديها " .

أصدر كريس صوتاً هازئاً .

سأله بيك : " هل كانت يوماً على هذا القدر من الكبر والاختيال ؟ "

كاد كريس يجيبه لولا أن قال له هَف فى نفس الوقت : " هى يوماً متوترة الأعصاب " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

علق كريس وهو يمسح الباحة أمامه بعينيه : " هذا تعبير مهذب عن كونها مصدر إزعاج دائم ... أعتقد أنه لن يأتى أحد بعد الآن . لندلف إلى الداخل حتى نكرم ذكرى دانى " .

كان المنزل قد امتلأ بالحضور ، وهو الأمر الذى لم يدهش بيك . فكل من له معرفة ولو بعيدة بآل هويل سيحضر ليشاركهم العزاء .

هناك كان موظفى الإدارات العليا والمتوسطة بالمصنع بصحبة زوجاتهم . كذلك بعض العمال ، ممن يعرف بيك أنهم قد أفنوا أعمارهم داخل المصنع . كانوا يقفون بعيدا عن الباقين ، مرتدين رابطات عنق رخيصة فوق قمصان قصيرة الأكمام ، وقد بدا الحرج عليهم لكونهم داخل منزل هَف هويل ، يمسكون بصحونهم فى حرص خشية أن يقع ما بها على الأرض .

هناك أيضا المتملقون وهم على استعداد دائم للوقوف إلى جانب آل هويل لكون حياتهم تعتمد على هذا . وهناك رجال السياسة المحليون ، والمصرفيون ، والمدرسون ، وموظفو البنوك ، والأطباء ، ممن يعملون جميعا تحت جناح هَف . فلو أن أحدهم اختلف معه ، فسرعان ما سيجد نفسه خارج العمل . لم يكن هناك قانون مكتوب لهذا ، إلا أنه كان عرفا سائدا مترسخا . كان الجميع حريصين على التوقيع فى دفتر التشريفات ، حتى إذا لم تسنح لهم فرصة الحديث شخصيا إلى هَف ، فسوف يعرف على الأقل بأنهم كانوا من بين من حضر .

قليلون هم من جاءوا حقا لأجل دانى ، تميزهم تعبيراتهم الصادقة عن العزاء والحزن . كانوا يجلسون إلى القرب من بعضهم البعض أغلب الوقت ، يتجاذبون فى حزن أحاديث خافتة ، وليس

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لديهم ما يتحدثون به إليه أو إلى كريس أو إلى هَف . وما إن جلسوا لبعض الوقت حتى غادروا المكان .

اختلط بيك بالجميع ، متلقياً العزاء كأى فرد من أفراد العائلة .

وكذلك اختلطت بهم ساير ، ولكن مع الضيوف فقط . تفادت أن تقف معه أو كريس أو هَف ، تجاهلتهم وكأنهم غير موجودين . لاحظ أن الناس لا يقتربون منها ما لم تفعل هى . فهم أناس بسطاء من البلدة . وهى ليست كذلك . لقد أبدت ترحيبها بهم ، إلا أن العديد منهم لم يجرؤوا على مجاراتها .

لم ينجح فى جعلها تنظر إليه سوى مرة واحدة . كانت تتأبط ذراع سيلما وهما تجتازان الردهة الوسطى . كانت ساير تطيب خاطر مديرة المنزل ، التى كانت تبكى على كتفها . رمقته وهو ينظر إليهما .

مرت ساعتان قبل أن يبدأ عدد الحضور فى التناقص . لحق بيك بكريس ، الذى كان يأكل بنهم وهم على المأدبة .

سأله بيك : " أين هَف ؟ "

أجابه كريس : " يدخن فى الخلوة . هذا اللحم طيب . هل تناولت طعاما ؟ "

" سوف آكل فيما بعد . هل هَف على ما يرام ؟ "

" أعتقد أنه متعب . فلقد كان اليومان الماضيان مبعث توتر له " .

" وماذا عنك أنت ؟ "

هز كريس كتفيه قائلاً : " كنت مختلفاً مع دانى كما تعلم . إلا أنه سيظل أخى " .

" سوف أذهب إلى هَف وعليك أنت أن تتولى أمر المعزين " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تمتم كريس : " حسناً ، وهو كذلك . على الرغم من أن ذلك لا يروق لى ، فلن أشكرك " .

" لا يمكن أن يكون الأمر على هذا السوء . فأنا أرى ليلى روبسون هناك " .

كان كريس قد أعلمه بآخر غزواته ، ليؤكد له ما كان بيك يشك فيه على الدوام ، وهو أن زوج ليلى رجل مغفل . " إنها تبدو بحاجة إلى الصحبة الآن " .

" بل هى حزينة " .

" وما سبب ذلك الحزن ؟ "

" تظن أن علاقتى بها لا تتعدى المتعة الجسدية " .

سأله بيك ساخراً : " وما الذى يدعوها إلى هذا الظن فى رأيك ؟ "

" لا أدرى . فقد بدأت تشكو من هذا فور أن انتهينا من لقاء عاطفى حميم فى الطابق العلوى " ، ثم نظر إلى ساعته متابعاً : " منذ عشر دقائق مضت " .

حدق إليه بيك قائلاً : " أنت تمزح بالتأكيد " .

هز كريس كتفيه من دون تأكيد أو نفى . " عليك بالذهاب إلى هَف . وسأعمل أنا على ألا يختلس أحد هؤلاء شيئاً من تحف العائلة " .

وجد بيك هَف راقداً فى مقعده الوثير ، يدخن . أغلق الباب خلفه وقال : " هل تمانع فى أن أجلس معك لبضع دقائق ؟ "

" من أرسلك إلى هنا ، كريس أم سيلما ؟ أعلم أنها ليست ساير ، فلن يقلقها أمرى أبداً " .

" لا يمكننى أن أتحدث نيابةً عنها " . جلس بيك على الأريكة . " إلا أننى قلق عليك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

- أنا بخير - . نفخ الدخان ناحية السقف .

- أنت تتظاهر بالصلابة . ولكنك فقدت ابنك ، وهو أمر ليس بالهين - .

اكتفى العجوز بالتدخين فى صمت لبضع دقائق ، ثم قال :

- أتعلم ، إننى أعتقد أن دانى كان سيصبح الأقرب إلى قلب لوريل - .

مال بيك إلى الأمام مستنداً بمرفقيه على ركبتيه وهو يقول :

- والسبب ... ؟ -

- لأنه كان أشبه بها - . رمق بيك متابعاً : - هل سبق وحدثتك عن لوريل ؟ -

- لقد عرفت معلومة من هنا ومن هناك - .

- لقد كانت هى كل ما أرغب فيه يا بيك . لم تكن فائقة الذكاء . ولكن من يهمه مثل هذا ؟ فقد كانت لوريل حنونة وعذبة ولطيفة - .

أومأ بيك برأسه . فقد كانت اللوحة الزيتية التى تغطى جدار السلم بالكامل بورتريه لسيدة حنون وعذبة ولطيفة . إلا أنه لم يسعه سوى التفكير فى أن جزءاً من جانبية لوريل ليفش يعود إلى مصنع سبك الأنابيب المعدنية الذى امتلكه والدها والذى كان يعمل به هَف .

- لقد كنت فظاً وخشن الكلام . وكانت هى سيدة مهذبة ذات أصل عريق - .

- فكيف أقنعتها بأن تتزوجك ؟ -

- لقد كنت فى غاية الصرامة معها - ، قالها وهو يجتر ساخراً تلك الذكريات ، - قلت لها : - لوريل سوف تكونين زوجتى - ،

فقالت هى لا بأس . لقد اعتادت على معاملة الرجال لها برقة ونوق ، فيبدو أن فظاظتى قد أعجبتها " .

تأمل الدخان المتصاعد من سيجارته ، قائلاً : " لن تصدقنى يا بيك ، إلا أننى كنت مخلصاً لها . لم أخنها ولو مرة واحدة . لم أقم علاقة مع امرأة أخرى إلا بعد أن توفيت بفترة كبيرة من الزمن . لقد رأيت أننى مدين لها بذلك " .

تابع كلامه بعد لحظات من التأمل : " كنت فى غاية الفخر حينما حملت منى . كنت أعلم أن المولود سيكون ولداً . كان لابد من هذا . وأصبح كريس ملكاً لى منذ اللحظة التى أخرجوه فيها من رحم أمه وناولونى إياه . وقتها كان من غير المسموح للأب أن يحضر عملية الولادة ، إلا أننى عرضت عليهم التبرع بقدر من المال فسرعان ما وافقوا على دخولى . أردت أن يكون وجهى هو أول ما يراه ابنى فى هذا العالم " .

" من وقتها لم أهتم سوى بكريس . وتركت ساير فى رعاية لوريل فى المقابل . فكانت دميتها التى تدللها وتلبسها أفضل الثياب ، وتقيم لها الحفلات ، وتخصص لها دروس الإنجليزية . فلو كانت لوريل لا تزال على قيد الحياة ، لكانت ستظل فى حالة شجار دائم مع ساير . فهى ليست من الطراز الذى يفضل الحفلات المملة بالتأكيد . أليس كذلك ؟ "

كان بيك يشك فى هذا .

" لم تكن ساير لتهتم بأى شىء يهم لوريل ... إلا أن دانى ليس كذلك . فقد كان رجلاً مهذباً . فهو مثل لوريل ، ولد متأخراً بقرن من الزمان . فكان من اللازم أن يولد فى ذلك الزمن الذى كان الجميع يرتدون فيه ملابس بيضاء ، ولاينقطعون عن

الحفلات ، وعن التأنق المفرط . ليجلس يشرب أصناف الشراب المختلفة في زمن كانت الرفاهية فيه سمة العصر " .

تطلع إلي بيك ، وقال وقد اختفت تعبيراته الرقيقة : " لم يكن داني مناسبا لممارسة أي عمل ، وخاصة نمط أعمالنا . فهي ليست نظيفة بما يكفي لتناسب أمثاله " .

" لقد كان يتقن وظيفته ، يا هَف . وقد أحبه العمال " .

" ليس من المفترض أن يحبونا . بل يجب أن يبقوا مرعوبين منا ، ترتعد فرائصهم لرؤيتنا " .

" أجل ، إلا أن داني كان إثباتاً لهم على إنسانيتنا ، إلى حد ما على الأقل " .

هز هَف رأسه وهو يقول : " لا ، لقد كان داني أرق من أن يكون رجل أعمال ناجحا . فهو متردد ، يوافق دوما على الرأي الأخير . وكان من السهل أن تؤثر عليه " .

ذكره بيك قائلاً : " تلك سمة لطالما اعتمدت أنت عليها " .

وافقه في حنق : " تباً ، إنني أعترف بهذا . لقد كان يريد أن يكون الجميع سعيداً . كنت أعلم هذه الصفة فيه ، واستغللتها لصلحتي . إلا أن ما لم يدركه داني أبداً هو أنه من المحال على المرء أن يسعد الجميع . فيستفشل في ذلك قبل حتى أن تبدأ فيه .

أردف هَف قائلاً : " من المؤسف أنني لم أكن الشخص الوحيد الذي يستمع إليه . أمقت أن أتحدث عنه بسوء ، لكنني صريح . وأنا أكثر شخص يعرف طبائع أولادي . وأقولها لك إن داني كان ضعيفاً " .

مع أنه لم يجادله في هذا ، إلا أن بيك لم يكن ليستخدم وصف " الضعيف " كتلخيص لشخصية داني . إنه بالتأكيد لم يصل إلى ما وصل إليه أبوه أو أخوه ـ أو حتى بيك نفسه ـ من قسوة وفظاظة . إلا

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أن للأدب والاحترام مزاياهما أيضاً . كما أن هذا لا يعنى بالضرورة أن المرء ضعيف . والحقيقة أن دانى كان مخلصاً فى رأيه حول ما يتوجب على المرء أن يحدده من خط فاصل بين الصواب والخطأ .

تساءل بيك فى نفسه عما إذا كان هذا هو السبب فى حتمية وفاة دانى .

سحب هَف نفساً أخيراً من سيجارته قبل أن يطفئها قائلاً : " على أن أعود إلى ذلك الجمع " .

سأله بيك وهما يهمان بالنهوض : " لقد وضعت ملفاً على مكتب حجرة نومك فى الليلة الماضية . ربما لم تتح لك فرصة الاطلاع عليه " .

" بالفعل . ما الذى حواه ذلك الملف ؟ "

" وددت فقط أن أنبهك إليه . ويمكننا أن نتحدث عنه فيما بعد " .

" أوجز لى أمره " .

عرف بيك أن عقل هَف لم يكن أبداً لينشغل عن أمور عمله ، حتى فى اليوم الذى دفن فيه ابنه . " هل سمعت من قبل عن شخص يدعى تشارلز نيلسون ؟ "

" لا أعتقد هذا . من هو ؟ "

" إنه من دعاة حقوق العمال " .

" وغد إذن " .

جاوبه بيك بابتسامة خفيفة : " قد يكون هذا مرادفاً مناسباً بالتأكيد . لقد كتب إلينا خطاباً . هناك نسخة منه بالملف . وددت أن أعلم ما تريد منى أن أقوم به تجاه ذلك . إنه ليس بالأمر العاجل ، إلا أن من المهم التعامل معه ، فعليك ألا تنتظر طويلاً قبل أن تلقى نظرة عليه " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

اتجها معاً ناحية الباب وقال هَف : " هل نيلسون هذا نو شأن ؟ "

تردد بيك ، وحينما وجد إصراراً من هَف لوح بيده قائلاً : " إنه يكتسب شهرة في أجزاء مختلفة من البلاد ... إلا أن بوسعنا التعامل معه " .

ربت هَف ظهره قائلاً : " إنني أثق بك تمام الثقة . فأى وغد يظن أن بوسعه أن يكون شيئاً أمامنا ، وسرعان ما يعرف قدر نفسه ما أن تتعامل أنت معه " .

فتح باب الخلوة . رأى من مكانه وعبر الردهة العريضة صالة الجلوس التى صممتها لوريل بحيث يغطى الزجاج معظم جدرانها . ملأتها بنباتات السرخس ، والأوركيد ، والبنفسج ، وغيرها من النباتات الاستوائية . لقد كانت تفتخر وتسعد برؤية هذه الغرفة ، وكانت ذات مكانة لدى أعضاء نادى الحدائق فى ديستينى ، والذى كانت تترأسه لوريل لسنوات طويلة .

وقد استأجر هَف بعد وفاتها أحد متخصصى النباتات فى نيو أورليانز كى يأتى إلى ديستينى مرة كل أسبوع ليرعى النباتات . وكان يدفع له الكثير من المال ، كما أنه هدد بمقاضاته إن حدث وماتت النباتات . وبقيت الغرفة أجمل غرف المنزل ، كما أنها أقل غرف المنزل التى يتردد عليها الزائرون أو أصحاب المنزل .

كانت ساير مشغولة الآن ، حيث كانت تجلس إلى البيانو الصغير ، وظهرها لهما ، ورأسها محنى إلى أصابع البيانو .

قال هَف : " هل يمكنك أن تقنعها بأن تتحدث إلىّ يا بيك ؟ "

" لقد نجحت بالكاد فى أن أقنعها بالحديث إلىّ أنا "

دفعه هَف إلى الأمام دفعاً وهو يقول : " استغل ما لديك من قدرات على الإقناع إذن " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الرابع

" هل تجيدين العزف ؟ "

التفتت ساير إليه . كان بيك ميرشانت قد دلف إلى الغرفة ويداه فى جيبى سرواله . وحينما وصل إلى نهاية طاولة البيانو ، تصرف كما لو أنه كان يتوقع منها أن تفسح مكاناً له بجانبها . لكنها لم تتجاوب مع تصرفه هذا ، بل ظلت فى مكانها .

" إنك تثير فضولى ، يا سيد ميرشانت " .

" نقص الشىء بالنسبة لى ، فأنا أتساءل عن السبب الذى يمنعك عن مناداتى باسم بيك " .

" كيف علم هَف بأنى قد حضرت الجنازة ؟ هل أعلمه أحد مسبقاً بمجيئى ؟ " .

" لقد كان يأمل فى أن تحضرى ، إلا أنه لم يكن يضمن هذا . وجميعنا كنا نترقب حضورك " .

" لم يبدر منه أو من كريس أى شىء يدل على أنهما قد لاحظا وجودى فى دار العبادة " .

" لقد عرفا أنك هناك " .

" هل كان حضورى بهذه القوة التى تجعلهما ينتظرانه ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أعتقد أنه شيء أشبه بهذا ، رباط الدم " . توقف عن الكلام وكأنما ينتظر منها أن تضحك . وحينما لم تضحك ، قال : " هل كنت تظنين أن النظارة الداكنة والقبعة ستخفي هويتك ؟ "

" كنت أعلم أنه سوف يكون هناك حشد كبير سيحضر الجنازة . وكنت آملة أن أختفي وسط الزحام " .

توقف مرة أخرى قبل أن يقول : " لا أظن أن مثلك يمكن أن تختفي في الزحام ، يا ساير " .

كانت مجاملة خبيثة ، مليئة بالإيحاءات . ولكنها لم ترحب بهذه المجاملة ، لذا فقد خاب أمله إن كان يتوقع منها شكراً عليها .

قال : " لو لم ترتدي القبعة ، لكان هَف وكريس قد تعرفا عليكِ على الفور . بل كنت أنا نفسي سأتعرف عليكِ ، حتى لو لم أكن قد رأيتكِ من قبل " .

بدأت قبعتها تسبب لها صداعاً ، فأزاحتها عن رأسها . ثم نزعت مشبك شعرها وتركته ينسدل في حرية . ساعدت الرطوبة على إظهار تموجه الطبيعي الذي تصفقه كل صباح بمجفف الشعر وأداة فرده . كانت قد لمحت انعكاسها على إحدى المرايا منذ قليل ، ولاحظت أن شعرها قد عاد إلى حالته التي كان عليها في شبابها .

كانت أشعة الشمس تجتاز النوافذ الطويلة التي صممتها والدتها بحيث يلتقط زجاجها كل شعاع ويحوله إلى ضياء ملتهب . والطريقة التي كان بيك ميرشانت يراقب بها تلاعب أشعة الشمس بشعرها كانت تجعلها تتمنى أن تجلس في الظل .

كما أنها لم تود أن ترجع برأسها إلى الوراء حتى تتطلع إليه . وكان نظرها واقعاً على حلية حزامه . وكانت تشعر في كلتا

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الحالتين بانعدام الحيلة . فانزلقت بجسدها ناحية طرف المقعد تنوى الانصراف وقالت : " أرجو المعذرة " .

" اسم لافت للنظر " .

توقفت والتفتت إليه من فوق كتفها : " ماذا قلت ؟ "

" ساير . من اختار هذا الاسم ؟ "

" والدتى " .

" هل كان اسماً فى العائلة ؟ "

" كان اسم جدتها " .

" يعجبنى الاسم " .

" أشكرك . وهو يعجبنى كذلك " .

" ظللت لفترة طويلة ، منذ أن أتيت للعمل مع العائلة ، أتساءل عن كيفية نطقه " .

" تماما كما تتهجاه " .

" س ا ى ر ؟ "

" هل يهمك الأمر إلى هذا الحد ؟ "

" من الواضح أن الإجابة هى لا " .

همت بالانصراف من جديد ، إلا أنه قطع عليها الطريق :

" لماذا لم تجيبى عن سؤالى الأصلى ؟ "

استدارت هذه المرة تماماً لكى تواجهه . " هل تحاول أن تهدو خفيف الدم ؟ "

" كلا ، بل أتحاور معكِ قليلاً . إلا أنه من الواضح أنك تتضايقين من كل كلمة أتفوه بها . فما السبب يا ترى ؟ "

أطلقت تنهيدة مسموعة وعقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت :

" وما سؤالك الأصلى ؟ "

أومأ ناحية البيانو وهو يقول: " هل تجيدين العزف ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كلا ، للأسف . لقد ألحقتني أمي بدروس البيانو حينما كنت في الثامنة وخصصت لي ساعة مرانا كل يوم . كانت تقول إنه يجب على كل شابة أن تتقن العزف على آلة موسيقية " .

ابتسمت ساير وهي تتذكر ما كانت تلقاه من توبيخ لفشلها في المران ثم أردفت : " لقد حاولت أمي أن تكبح جماح رغباتي إلا أنها فقدت الأمل في ذلك ، واعتبرتني قضية خسرتها . فالبيانو يتطلب موهبة موسيقية وانضباطاً ، وأنا لم أكن أمتلك أياً منهما " .

" حقا ؟ " جلس إلى جوارها ، مزاحماً إياها ، وظهره للوحة المفاتيح ، فكانا يجلسان وجها لوجه . " أنت تفتقدين إلى الانضباط ؟ "

قالت بنبرة هشة : " كنت كذلك وأنا في الثامنة ... وقد اكتسبت البعض منه منذئذ " .

" أرجو ألا يكون ذلك على حساب جموحك . فالانضباط في شخصية امرأة حمراء الشعر سيكون إهداراً للاندفاعات الطبيعية " .

لم تمنحه ما توقعه من رد فعل ، بل قالت: " أنت لم تخيب ظني فيك . فقد توقعت أن تكون فظاً في كلامك بالفعل " .

" فظاً ؟ لقد كنت أحاول أن أجاملك " .

" ربما كان عليك أن ترجع إلى القاموس إذن " .

" والسبب ؟ "

" لكي تتعرف على تعريف كلمة مجاملة " .

أسرعت الخطى عبر الغرفة ، حتى وصلت إلى ستار الباب الفاصل بين الغرفة والممر المفضي إليها ، والذي كان يعج بمجموعة من الضيوف على وشك الانصراف . توقف بعضهم ليتمتم لها ببعض عبارات العزاء .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان فى وسط هذه المجموعة المأمور ريد هاربر . كان وجهه قد صار أطول وأنحف بعد هذه السنوات العشر . إلا أنها لم تكن لتخطئ التعرف عليه . رأته قبل أن يغادر وهو يصافح هَف وكريس ويهمس إليهما ببعض الكلمات . حينما شاهدت هذه المحادثة الهامسة تذكرت السبب الذى دفعها إلى العودة إلى هذا المنزل الذى أقسمت بألا تدخله أبداً من جديد .

اقترب بيك ميرشانت من خلفها . أحست بوجوده بالقرب منها . تحدثت إليه بنعومة ، ولكن بصوت يسمعه : " هل يشك ريد هاربر فى كون موت دانى انتحاراً ؟ "

قال : " لنذهب إلى الخارج " .

أمسك بمرفقها ، ولكنها التفتت لتواجهه مبعدة ذراعها عنه : " هل لنبق هنا " .

بدا منزعجاً من خشونتها معه إلا أنه أجابها بصوت خفيض : " هل أنتِ متأكدة من رغبتك فى الحديث عن هذا الأمر فى مكان يمكن أن يسمعنا فيه أحدهم ؟ "

تبادلا نظرة بدت تعبيراً عن صراع إرادتين ، إلا أنها فى النهاية غادرت الغرفة متوجهة إلى مؤخرة المنزل ، واثقة من أنه سوف يتبعها . وبينما كانا يجتازان المطبخ سألتهما سيلما ـ التى كانت تشغل غسالة الأطباق ـ عما إذا كانا قد تناولا شيئاً من الطعام .

أجابتها ساير : " سوف أتناول شيئاً فيما بعد " .

وقال بيك : " وأنا كذلك " .

وبينما عبرا الباب الخلفى ، نادت عليهما : " من الضرورى أن تتناولا شيئاً ، فأنتما بحاجة إلى بعض الطاقة " .

عبرت ساير ـ ومن دون أن تفكر ـ العشب الأخضر متوجهة إلى البركة . فقد كانت الحافة الطينية خلف المنزل مكانها المفضل

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

حينما كانت تريد أن تختلى بنفسها وهى طفلة . كانت تأتى إلى هنا كى تفرغ ما فى داخلها حينما لا تسير رياح حياتها كما تشتهى ، أو لكى تهرب من جو المنزل خاصة حينما يسوء مزاج هَف ، أو هربا من كريس ، الذى كان يجد المتعة فى إغاظتها .

كانت تستلقى بالساعات أسفل أغصان شجرة السرو وأشجار البلوط ، لتجتر أى عواطف كانت تحكم حياتها فى وقت خلوتها تلك . كم وضعت هنا من خطط كبرى طموحة للمستقبل ! وأحيانا ما كانت تخطط للنيل ممن كان يضايقها . بل لقد جرؤت على أن تحلم بحياة أسرية يضحك فيها أفرادها كثيرا ويتفاخرون قليلا ، عائلة يحتضن أفرادها بعضهم البعض ، ولا يتبادلون العداء والضغينة ، عائلة يتبادل فيها الآباء والأبناء حبا حقيقيا لا خداع فيه .

والآن ، وهى تقترب من مكانها الأثير ، أحزنها أن تكتشف أن الشجيرات الكثيفة التى اعتادت أن تختبئ تحتها قد اختفت لتحل محلها نباتات البيجونيا . كانت جميلة المنظر ، إلا أنها لا يمكن أن تمثل ملجأ لطفلة صغيرة تبحث عن خلوة .

كانت الأرجوحة الخشبية لا تزال فى مكانها ، متدلية من أحد الأغصان القوية لشجرة بلوط . كانت حبالها تقارب فى سمكها محيط رسغها . كانت قد صارت قديمة ، إلا أنها لم تبارح مكانها لحسن حظ ساير .

مررت أصابعها على حبل الأرجوحة : " لا أصدق أنها لا تزال فى مكانها " .

قال بيك : " أكانت هذه أرجوحتك ؟ " وكان يقف فى مواجهتها .

" لم أكن أسميه سوى ميتشيل العجوز ... ذلك كان بستانى هذه الحديقة . لقد صنع هذه الأرجوحة من أجلى . وأخبرنى بأن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

حبالها قد أتت من سفينة أشباح غرقت قبالة ساحل تيريبون باريش . لقد كانت سفينة قراصنة ، غرقت ضحية أعتى العواصف البحرية في التاريخ . وقد هلك كل من كانوا علي متنها " .

" لكن أرواح القراصنة أحبت لويزيانا كثيرا لدرجة أنها فضلت البقاء هنا على العودة إلى السماء . وهم على أية حال لم يكونوا سيلقون سوى الجحيم بسبب أفعالهم الشريرة في الأرض ، هذا ما قاله ميتشيل العجوز . لذا اختاروا البقاء هنا . وعندما يكتمل البدر مرة كل شهر ، تأتى الأشباح لكى تتعاون مع أى شجاع مستعد لأن يساعدهم على القيام ببعض الأعمال " .

" وكان ميتشيل العجوز من بين هؤلاء ؟ "

ابتسمت وهى تقول : " كان عليك أن تستمع إليه وهو يحكي .... كيف أنهم أعطوه فى مقابل رشفة من الشراب عقدا ذهبيا قام بصهره ليدعم به أسنانه " . ضحكت وهى تتابع : " كنت أحسده على أسنانه الذهبية لدرجة أننى كنت أرغب فى بعضها لى . وكم كنت أغضب حينما يسخر هَف وكريس من طلبى هذا . بينما كانت والدتى تنزعج " .

" لحسن الحظ أنهم لم يطاوعوك فى طلبك هذا " .

" لحسن الحظ . وعلى كل حال فقد حصل ميتشيل فى مقابل الشراب على العقد وحزمة حبال . قال إنه قد أخبر قبطان السفينة ، أشرس قرصان على الإطلاق ، بأنه سيستخدم الحبل فى صنع أرجوحة للآنسة ساير . ولكونها كانت لأجلى ، فقد ألقى له القرصان بقطعة من أخشاب السفينة كى تكون مقعداً لهذه الأرجوحة " ، قالتها وهى تدفع الأرجوحة دفعة بسيطة .

" يالها من حكاية " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كنت أصدق كل كلمة فيها . لقد أقنعنى بقدراته السحرية . قال إنه قد تعلمها من ساحرة فودو عوراء تعيش مع أحد الفهود داخل المستنقع . ارتدى جرابا جلديا حول عنقه كان يضع فيه تميمة . لم يرنى إياها أبدا ، وهددته سيلما بأن تفقده وعيه لو أنه حاول ذلك معى .

كان يغضب منى أثناء ممارسته الصيد . كان يطلب منى الهدوء وإلا اختفت الأسماك . وذات مرة وجدنى فوق تلك الشجرة .... طلب منى أن أهبط قبل أن أهوى وتنكسر عنقى وأقضى بقية حياتى فوق كرسى متحرك .

وبخلاف تلك التوبيخات كنت أراه أفضل أصدقائى ، وهو ما أرعب والدتى وأساء إلى سيلما . وحينما كان ينتهى من أعماله اليومية أحيانا كان يدعنى أستقل عربة اليد وهو يدفعها عائدا إلى مخزن الأدوات . كم كان هذا غريبا " تابعت بصوت متأمل : " ولم أر ميتشيل العجوز فى الجنازة .... ظننت أنى سأجده هناك " .

قال بيك : " اجلسى . سوف أدفع أنا الأرجوحة " .

أيقظتها كلمات بيك ميرشانت من ذكريات الحنين تلك وجعلتها تبدو بلهاء لاستغراقها فيها ، وقالت : " كلا ، أشكرك " .

" حسنا ، بوسعك أن تدفعينى أنت إذن " .

جلس على مقعد الأرجوحة متشبثا بحبليها . ابتسم فى وجهها ، وعيناه تلمعان تحت الشمس . لاحظت أنهما خضراوان . وخلاف كونهما جذابتين ، كانتا تنمان عن ذكاء وسرعة بديهة ، ولم تكن تدرى أيا من تلك الصفات مبعث ضيقها .

حاولت أن تكبح نظرات عينيه الباسمتين ، فسارت بعيدا عن الأرجوحة ناحية مجرى المياه التى تجرى ببطء ولكن بلا انقطاع

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تجاه الخليج . كانت رائحة الملح تنبعث من هذا المجرى الطينى . بينما نهض طائر بجع على الناحية الأخرى خافقاً جناحيه .

حركت نسمات خفيفة أغصان السرو وأحدثت تموجات فيما علق بها من طحالب أسبانية ، إلا أنها لم تكن قوية بما يكفى لأن تحرك ساكناً فى أشجار البلوط .

غاص كعبا حذائها فى الأرض الرخوة ، لذا خلعته وحملته بيدها . شعرت ببرودة الطمى فى راحة قدميها . ولولا وجوده معها لتمددت على هذا الطمى بكامل جسدها .

" هل ضايقك شىء فى كلامى ؟ "

التفتت إليه قائلة : " توقف عن كلامك المعسول هذا ، اتفقنا ؟ فأنت بهذا تهدر مواهبك معى . فلقد اعتدت هذا من الرجال . وأعلم من أول وهلة مدى زيف تلك الكلمات . وعلى أية حال فقد راح تأثير هذه الكلمات علىّ منذ زمن ، يا سيد ميرشانت " .

" بيك من فضلك . ما هو تحديداً ما لا يعجبك ، الكلام المعسول أم الرجال ؟ "

لم تكن الأرجوحة تتحرك حركة واسعة ، إلا أنه كان يتأرجح ، وهو ما أثار بداخلها ضيقاً لا حد له ، فقالت : " أنت لا تعجبنى " .

" وأنت لا تعرفيننى " .

ردت بضحكة مريرة : " بل أعرفك . أعرفك لأنك مثلهم تماماً " . كانت تسير باتجاه المنزل .

" وكيف هذا ؟ " .

" أنت متكبر . لا أخلاق لديك ، وطماع ، ومختال ... هل تود أن أزيد ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لا أعتقد أن كبريائى ستسمح بسماع المزيد " ، ثم قال بجفوة : " ما أود أن أعرفه هو الكيفية التى كونتِ بها رأياً سيئاً عنى بهذه السرعة . فنحن قد التقينا للتو " .

" لقد كونته عبر الوقت . كنت أقرأ تقارير الشركة التى ظلت تُرسَل إلى بالرغم من تكرار طلبى ألا يتم هذا " .

" فلماذا كنت تقرئينها إذن ؟ "

" لأنى كنت مندهشة للحد الذى وصلت إليه العائلة فى جمع المال من أجل شركات هويل " .

" أنتِ شريكة فى تلك الشركات " .

قالت بحدة : " أنا لا أرغب فى هذا . لقد أمضيت عاماً وأنفقت آلاف الدولارات فى أتعاب المحاماة محاولة أن أخرج من هذه الشراكة . إلا أن مكائدكم منعت حدوث هذا " .

" كان هذا بالقانون " .

" إلى حد ما " .

" إلا أنها قانونية فى النهاية " .

فارق الأرجوحة واقترب منها . " إننى أعمل لدى هَف . وهو يرغب منكِ أن تبقى شريكة فى أعمال العائلة وأخبرنى بأن أزيل جميع العقبات التى تمنعك من هذا . فأنا لم أفعل سوى ما أتلقى راتبى عليه " .

" إذن ، فكلانا يعلم مصدر دوافعك ، أليس كذلك ؟ "

قال هامساً : " أنت بهذا تسبيننى ... ولا أعتقد أنك سترتاحين لهذا ، يا ساير ، أليس كذلك ؟ "

كانت عبارته أشبه باللدغة ، إلا أنها كانت غاضبة لا متأذية . لم تعد تسمح لأحد أن يجرحها . " أنت تمارس نفس الاعيبهم القذرة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أقاتل لأفوز " .

" بالتأكيد " .

" وأنت ما الذى تقاتلين لأجله ؟ "

بادرته قائلاً : " البقاء " .

بعد أن استعادت السيطرة على أعصابها ، أطلقت زفرة حارة . لاحظت أن يديها منقبضتان إلى جانبيها ، فأرختهما . وأزاحت شعرها إلى الخلف مبللة شفتيها .

وبعد أن استجمعت قواها ، قالت : " لقد قاتلت للنجاة منهم ، ونجحت . وكان الشرط الوحيد القادر على إعادتى إلى هنا هو أن أدفن دانى . مع أنى حزينة لوفاته ، وسأظل كذلك على الدوام ... " ، توقفت قبل أن تبوح له بأنها ستظل أسيرة إحساس بالذنب لعدم إجابتها على المكالمتين اللتين أجراهما ثم أردفت : " أنا ممتنة لأنه على الأقل قد أفلت منهم فى نهاية الأمر . وآمل أن يكون قد وصل إلى سلامه النفسى . إلا أننى أود أن أعرف ... " .

توقفت فجأة حينما مد يده إلى خدها ماسحاً إياه بظهر أصابعه . اندهشت فى صمت ، ونظرت إليه فى ذهول .

" إنها بعوضة " .

لامست خدها فى المكان الذى لمسته أصابعه : " أوه ... أشكرك " .

" على الرحب والسعة " .

مرت ثوان قبل أن تستجمع أفكارها حول الموضوع : " أود أن أعلم الكيفية التى مات بها دانى . أعطنى التفاصيل " .

" كنت سأبلغك بكل شىء فى يوم الأحد . لقد اتصلت بمكتبك عدة مرات . إلا أنك لم تودى أن تتحدثى معى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قالت له : " لم أكن مستعدة لسماع أى شىء حول هذا الأمر عندها " .

لم يكن هذا هو السبب وراء رفضها محادثته وكان هو يعلم هذا . إلا أنه لم يجادلها . بدلاً من ذلك قال فى هدوء : " لقد مات بطلقة مسدس فى الرأس . لم يكن هناك ... فى الحقيقة لم يشعر بشىء . فقد كان الموت فوريا " .

كان يكفيها أن تعرف ذلك من دون مثل هذه التفصيلات . فقد كان الأمر سيئاً بما فيه الكفاية . " ومن وجد جثته ؟ "

" الصيادون لدى البحيرة . كان هناك عطل بمحرك قاربهم . فتوقفوا عند معسكر الصيد لكى يتزودوا بزيت للمحرك . كانت سيارة دانى متوقفة هناك ، فافترضوا أن هناك شخصاً بالكابينة . وحينما دخلوا إلى الكابينة ، وجدوا جثته " .

حاولت ألا تفكر فى المشهد الذى رآه الصيادون . " لقد بدا الأمر انتحاراً " .

" فى البداية " .

" إلا أن ريد هاربر كانت لديه أفكار أخرى ؟ "

" لم يكن صاحبها هو ريد . فهناك مفتش جديد بالإدارة ، شاب يدعى واين سكوت . لقد أولى ريد إليه عملية تفتيش مكان الحادث . ظن أن الأمر روتينى ، مجرد شكليات لإنهاء المحضر ، مجرد قضية يمثل دانى فيها رقماً . إلا أن سكوت عاد من معسكر الصيد بالأسئلة لا بالإجابات " .

" من قبيل ماذا ؟ هل اعتقد أنه حادث ؟ "

" لم يكن متيقناً . وكما قلت ، فقد كان لديه العديد من الأسئلة .... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أنت تخفي شيئاً ، يا سيد مهرشانت " ، وأضافت في فروغ صبر : " إنني ناضجة بما يكفي لأن تتحدث معي من دون مراوغة " .

" لم يكشف لي المفتش سكوت عما لديه . أقسم لك " ، قالها حينما نظرت إليه في شك . " ولكن لدي إحساس بأنه ليس مقتنعاً تماماً بأن تقرير أسباب الوفاة كان سليماً " .

استند إلى جذع الشجرة خلفه ، ثانياً إحدى ركبتيه ومستنداً بقدمه على الحافة . ابتعد بوجهه عنها ناظراً عبر القناة بينما جفف عرقاً تصبب على جبهته .

قال : " قبل أن أدرك أن القانون الجنائي ليس مستقبلي ، عملت لبعض الوقت لدى مكتب محام . واكتسبت من هذا معرفتي بطريقة تفكير رجال الشرطة . فأول ما يفكرون فيه هو وجود خدعة ما . فيعملون على التأكد من ذلك أولاً " .

ثم أردف : " أنا لا أعرف واين سكوت أو السبب الذي جعله يشك في الأمر . كما لا أعرف مدى براعته في البحث الجنائي ، أو خبرته والتدريب الذي تلقاه . فلم ألتق به سوى مساء يوم الأحد حينما أتى هو ورينيد إلى المنزل ليبلغانا بالخبر . كان يشعر بالحرج ، إلا أنه أدهشني بما بدا عليه من تصميم وصرامة .

ربما كان يحاول أن يثير إعجاب رئيسه . وربما كان يبحث عن أدلة تدعم نظريته حول أن داني لم ينتحر لأن هذا سيجعل قضيته هذه ذات قيمة وأهمية " .

استمعت ساير إليه في عناية ، حريصة على تتبع لغة جسده ، وأدركت ما تحمله كلماته من معان . كما فهمت السبب في تردده عن مصارحتها بذلك مباشرة ، لأن البديل عن الانتحار هو القتل أو القتل الخطأ ، وهو أمر لا يمكن التفكير فيه .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قالت : " هل تعنى أن المحقق يعتقد أن دانى قد قتل ؟ "

عادت نظراته إليها وهو يقول : " هو لم يقل هذا صراحةً " .

" وهل هناك سبب آخر يدعوه إلى البحث عن أدلة وطرح الأسئلة ؟ "

هز كتفيه قائلاً : " إنه جديد فى البلدة . ولم يمر عليه فى منصبه سوى بضعة أسابيع . ولا يعرف أن ... " .

" لا يعرف أن رئيسه يتلقى أموالاً من عائلتى حتى يتعامى عن أى ممارسات غير قانونية ؟ "

" إن هَف يدعم راتب ريد الذى لا يكفيه " .

" بل يرشوه " .

" دَعم هَف ينتج عنه التغاضى عن المزيد من الضرائب " .

" معك حق ، فمن مصلحة دافعى الضرائب أن يرشو هَف القائمين على القانون " .

" الكل مستفيد من كرمه ، يا ساير " .

" بمن فيهم أنت " .

" وأنتِ " . ابتعد عن جذع الشجرة متجهاً نحوها .

" أخبرينى . هل كنت تفضلين أن تقضى ليالى فى السجن فى المرات التى كان ريد يلقى فيها القبض عليك لقيادة السيارة مخمورة ؟ أو لسباحتك عارية فى الملن ؟ أو للأفعال الفاضحة فى المتنزهات العامة ؟ أو لقيادة السيارة بسرعة شديدة فى شارع إيفينجلاين ؟

ألم تكونى سعيدة فى تلك المناسبات - وهو غيض من الفيض الذى سمعته عن مغامراتك فى سن المراهقة - لأن هَف كان يدفع بعض المال للمأمور كل شهر حتى يغض النظر عن أفعالك ؟ أنا لا أنتظر منكِ إجابة . فالإجابة واضحة . جربى أن تنظرى إلى الصورة بأكملها ولسوف ترين ... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ما أراه ، يا سيد ميرشانت ، هو هذا الأسلوب العقلانى الذى تتبعه فى تبرير فسادكم . هل هكذا تستطيع النوم مرتاحاً ؟ "

اقترب منها بما يكفي لأن يلامس قماش سرواله ساقيها . كان يضيق النطاق عليها تماما كما فعل لدى البيانو . فلم يكن أمامها سوى أن ترجع برأسها إلى الوراء حتى ترى وجهه أو أن تتراجع عدة خطوات ، وهو الأمر الذى لم تكن لتفعله . لم تكن لتترك له بوصة واحدة من الأرض التى تقف عليها .

تحدث إليها فى همس خشن : " أطلب منكِ للمرة الأخيرة يا ساير أن تنادينى بيك . وإذا ما كنتِ تريدين أن تتعرفى على الطريقة التى أنام بها ، فإنى أوجه إليكِ دعوة لتتعرفى عيانا على هذا . فى أى وقت تشائين " .

قبل أن تلكمه ، وهو الأمر الذى همت أن تفعله ، استدارت وهمت فى الابتعاد تجاه المنزل .

" لقد مات " .

توقفتْ ، والتفتت إليه .

قال : " ميتشيل العجوز ... منذ سنتين ، وجدوه ميتاً بمنزله . كان قد مر عليه بضعة أيام وهو ميت " .

بعد انصراف آخر الضيوف ، صعد هَف إلى غرفة نومه بالطابق العلوى ، حتى يبدل حلته السوداء ويرتدى ملابس أكثر راحة .

عندما اقترب فى الردهة من غرفة دانى ، توقف ، إلا أنه لم يفتح الباب . كانت سيلما قد أغلقت الغرفة ، تاركةً إياها كما كانت عندما غادرها دانى صباح الأحد متوجهاً إلى دار العبادة . ربما كانت تنتظر منه أمرا بإعادة فتح الغرفة ، وترتيب متعلقات دانى ، وتحديد ما سيتم الاحتفاظ به وما سيتم التبرع به . وهذه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هى مهمتها . لم يكن متأكداً من قدرته على رؤية أو ملامسة أى من متعلقات داني مرة أخرى .

كان نادما ، إلا أن ما حدث قد حدث . والتفكير فيه مضيعة للوقت والجهد ، ولم يعتد هَف أن يهدر أياً منهما .

ألقى نظرة فى طريق عودته للطابق الأرضى على الباب المروحى المفضى إلى بورتريه لوريل عند مهبط السلم . كان الباب يفضى إلى شرفة الطابق الثانى . رأى من هناك ساير وبيك واقفين عند ضفة البركة أسفل صف من الأشجار .

بس سيجارته بين شفتيه مندهشاً ، ووضع يديه على جانبيه واقفاً يراقبهما . كان بيك يقوم بما كلفه به بالدقة التى اعتادها منه . ربما لاقت ساير أخيرا الشخص الذى يليق بها .

لم يكن ينقصها العناد ، والصبر النافد ، والصراحة ، إلا أن بيك يتصف بعناد ثور . لم يرفع الراية البيضاء بعد على ما يبدو ، على الرغم من أن هذا ما يمكن أن يسلم به أى رجل تحبطه ساير من المرة الأولى .

لم تقم تلك الفتاة طيلة حياتها بأى شىء من دون أن يسبقه جدل ونقاش حوله . بل إن ولادتها نفسها كانت معركة كبرى . فقد عانت لوريل خلالها لمدة اثنتى عشرة ساعة ، وهى مدة تفوق ضعف مدة ولادتها للصبيين الآخرين .

لقد خرجت ساير ـ التى لا تختلف طباعها عن لون شعرها الأحمر ـ من رحم أمها حمراء الوجه غاضبة تصرخ فى تمرد بسبب مشقة ولادتها . ومنذئذٍ لم يكن التعامل معها هينًا أبدًا .

لا شك فى أنها تسبب الكثير من المتاعب لـ " بيك " الآن ، على الرغم من أن هَف كان يتساءل عما كان بيك يقوله لها بحيث يبقيها فى مكانها هذا طيلة هذا الوقت . فلم تكن ساير بالفتاة التى تقف

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لتستمع حينما يكون ما يقال أمراً لا تود الاستماع إليه . ولكن ها هما يقفان وجها لوجه مستغرقين تماما فى حوارهما أو ....

مستغرقين تماما فى سبر أغوار بعضهما البعض .

توقف عند هذه الفكرة . وبدأ ينظر إلى الاثنين من منظور جديد ، يتأمل فى صلاحيتهما كحبيبين أو زوجين .

كانت ساير تتمتع باللباقة . ولم تتناول أى موضوع لا تتحمس له . إلا أن هَف افترض أن حماسها لموضوعات بعينها سيصل بها إلى مجالات تسعد أى رجل ، يكون قد ارتضى التكيف مع خصالها العنيدة .

أما بالنسبة لـ " بيك " ... فما هو الشىء الذى لن يعجب أى امرأة فى بيك ؟

راقبهما هَف عبر الباب المروحى وبيك يقترب أكثر من ساير . كانت أطول من الطول المعتاد للمرأة حتى وهى حافية القدمين ، إلا أن بيك لا يزال أطول منها بكثير . كانا يقتربان إلى بعضهما بأكثر من المتوقع ، حتى أن هَف ظن للحظة أن بيك سيجتذبها إليه ليلثم شفتيها .

إلا أن ساير ابتعدت عنه متجهةً إلى المنزل . على أنها لم تبتعد كثيراً قبل أن يقول بيك شيئاً دفعها إلى أن تلتفت إليه . لقد أثارها ما قاله أيا كان ، فعندما التفتت باتجاه المنزل من جديد كانت تسير بخطوات أسرع وأسرع .

قال لنفسه فى سخرية : " لابد أن الحوار كان مسلياً " ، وتابع هابطاً الدرج ليقابل ساير عند الردهة الوسطى وهى تدفع باب المطبخ فى غضب . كانت سيلما خلفها تماما ، وهى تستحثها على أن تجلس لتتناول طعاماً .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

إلا أن ساير لم تكن ترد على إلحاح سيلما ، وتراجعت حينما رأت هَف . وهنا توارت سيلما ـ التى كانت على دراية بخبايا ما يجرى بين أفراد العائلة ـ فى المطبخ .

رسم هَف على وجهه ملامح التجهم الصارم وهو ينظر إليها ملياً ، حيث يبدو من ارتدائها هذا الثوب الأسود أن السنوات العشر لم تغير منها كثيراً . إلا أن النضج قد نال بعض الشىء من امتلاء وجهها . وبدت الآن امرأة أكثر منها فتاة .

لقد بدت أثناء الجنازة ـ مرتدية قبعتها العريضة ونظارتها الداكنة ـ كنجمة سينمائية حزينة أو أرملة أحد كبار رجال الدولة . لقد ورثت المستوى الرفيع الذى طالما تمنت لوريل أن تتحلى به اجتماعياً ، إلا أنها بقيت على جموحها الذى ولدت به . وهو ما أغاظه بقدر ما أدهشه .

" مرحباً ساير " .

" هَف " .

" كنت تصرين يوماً على مناداتى باسمى مجرداً ، أليس كذلك ؟ "

" وأسوأ من هذا أيضاً " .

أبعد السيجارة عن فمه وهو يضحك . " أتذكرين أنك كنت تبتكرين المسميات لى ؟ هل كنتِ ستغادرين من دون حتى أن تتحدثى إلىّ ؟ "

" ما يمكن أن أقوله لك الآن ، قلته من قبل أن أغادر فى السابق . لم تغير عشر سنوات من تفكيرى فى شىء " .

" قد يدفعك احترام دانى أن تسألى عن أحوالى على الأقل ، وعن حالى وسط هذا الحزن " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أنا لست مدينة لك بأى تقدير . كما أنى لا أحترمك . أما عن حزنك ، فإنى أرى أنك حتى لم تغلق المصنع اليوم . لقد كانت وفاة دانى مأساة ، إلا أنها لم تكف لتغيير شخصية هذه العائلة " .

" هذه هى عائلتك " .

" لقد نبذت عائلتى . ولا أريد أى شىء يتعلق بك أو بـ " كريس " أو بمسبك الحديد . لقد أتيت إلى ديستينى لأودع دانى قبره بصفتى الشخصية . وقد منعتمونى من القيام بهذا حينما أرسلتم خادمكم خلفى " .

" إن بيك لم يختطفك ويجبرك على الحضور إلى هنا " .

" كلا ، إلا أنه أغرانى بشىء يعلم أننى لن أتجاهله . وقد أفلحت خدعته . وأتيت . إلا أننى قد أديت واجبى الآن . وسأعود إلى المقبرة ، ومنها إلى منزلى " .

" أنت فى منزلك ، يا سايرِ " .

ضحكت بمرارة وقالت : " إنك لا تيأس أبداً يا هَف ، أليس كذلك ؟ "

" كلا ، أبداً " .

تابعت بقولها : " وأرجو أن تسدى إلى نفسك معروفاً . وأن تواجه حقيقة أنك لا تستطيع أن تؤثر فى " . وصمتت بإبهامها وسبابتها دائرة وهى تتابع : " تأثيرك صفر . ولن أهتم بأى كلمة تقولها لى . ولا تتعب نفسك بتهديداتك لى . فلن يمكنك أن تلحق بى شيئاً أسوأ مما قد ألحقته بى بالفعل . فلم أعد أخشاك " .

" وهل هذه هى الحقيقة ؟ "

" هى الحقيقة " .

فاتجه صوب الخلوة وفتح بابها ، وهو يقول : " أثبتيها إذن " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الخامس

لقد وجه إليها تحدياً لن يمكنها أن تهرب منه ، تماماً كما فعل بيك ميرشانت قبله . وهي من طبعها لا تتهرب من أى تحدٍ . فلقد ورثت بعض الخصال عن أبيها ، تلك هى الحقيقة .

تبعته إلى الخلوة وهى تدرك أنها تلعب فى ملعبه . كما أنها قد قالت له إنها لم تعد تخشاه . ربما لم يصدقها ، إلا أن هذا لا يهم . المهم أنها تصدق هذا . وهى لا تحتاج إلى أن تثبت له أنها لا تخشاه . إنما هى أرادت أن تثبت هذا لنفسها .

كان من السهل وهى على بعد ألفى ميل من هنا أن تتظاهر بالشجاعة واللامبالاة . لكن الاختبار الحقيقى الوحيد لشجاعة المرء هو أن يكون وجهاً لوجه مع العدو الذى يوجه إليه ضربات مميتة . فمن خلال هذا فقط ستقتنع تماماً بأن خوفها من هف قد راح ولم يعد يسكن روحها .

هكذا تبعته إلى الخلوة . لم تبد مختلفة عما تتذكره عنها بخلاف شاشة التلفاز الكبيرة . وبينما أخذت تتطلع حولها حاولت أن تتذكر أية ذكرى حلوة ترتبط بهذه الغرفة . إلا أنها فشلت . لم تجد سوى الذكريات المؤلمة .

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

كانت ممنوعة من دخولها حينما كانت طفلة صغيرة تتنافس لتلفت أنظار هف . أما كريس ودانى فكان مسموحاً لهما دخولها ، بل كانا يلاقيان تشجيعاً على هذا ، أما هى فنادراً ما دخلتها ، فمنعها كان لكونها بنتاً .

فى هذه الغرفة جمعهم أبواهم ليشرح لهم مدى سوء صحة والدتهم . كأنما كان يلقى خطبة ، سألته إن كانت لوريل ستموت . وحينما أخبرهم بهذا ، بدأت هى ودانى فى البكاء . أما هَف فلم يكن لديه صبر على الدموع . أخبرهم بأن يتوقفا ، ويتصرفا كناضجين ، كما هو المتوقع من أفراد عائلة هويل . فهم لا يبكون أبداً ، هكذا قال لهما ، وضرب المثل بكريس . أتريانه يبكى ؟

إلا أنها بكت فى هذه الغرفة فى مناسبة أخرى . بكت بغزارة ، وهيستيرية ، وهى تتوسل إلى هَف ألا يفعل ما أصر على فعله . تلك هى الليلة التى لم تستطع أن تغفرها له أبداً . تلك كانت الليلة التى كرهته فيها .

كان وقع خطواته ثقيلاً على الأرضية الخشبية وهو يتجه صوب منضدة المشروبات ليقدم لها شراباً .

" كلا ، أشكرك " .

صب لنفسه كأساً من الشراب وقال : " هل تريدين أن أطلب من سيلما أن تحضر لك شيئاً تتناولينه ؟ فهى تلح على أن تتناولى طعاماً " .

" لست جائعة " .

" حتى لو كنت تتضورين جوعاً ، فلن تأكلى طعاماً دفعت ثمنه شركات هويل . أليس هذا صحيحاً ؟ " جلس فى مقعده الوثير ونظر إليها من فوق حافة كأسه وهو يتناول رشفة من الشراب .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل هذه هي ضربتك الأولى ، يا هف ؟ هل تود أن ترى من فينا سوف يسجل نقاطاً أكثر من الآخر ، نهاجم بعضنا البعض بالكلمات حتى ينتصر واحد منا ؟ فلو كان هذا ما تنتويه ، فلن أشاركك اللعب . فلن ألعب أياً من لعبك اللعينة من جديد " .

" لم تكن والدتك لتوافق على لفتك هذه معي " .

جاوبته بنظرة تدينه : " لم تكن والدتي لتوافق على الكثير من الأشياء . أتود أن نتحدث عن بعض من تلك الأشياء ؟ "

" أرى أنكِ مازلت تصرين على لهجتك العدائية . حسناً ، لا يمكن أن أدعي أنني مندهش لهذا . بل الحق أقول إني كنت سأصاب بخيبة أمل لو كنتِ قد فقدت تلك اللهجة " . مال في مقعده ليتناول علبة كبريت من فوق الطاولة الجانبية ، وأشعل سيجارة وقال : " اجلسي ، وحدثيني عن أعمالك " .

جلست على إحدى الأريكتين التي تواجه بعضها البعض ، وتفصل بينهما طاولة القهوة ، وقالت : " العمل يسير على ما يرام " .

" الشيء الوحيد الذي لا يمكنني أن أستوعبه ، يا ساير ، هو التواضع الخادع ؛ فلو كنت ناجحة فلماذا لا تعبري بفخر عن نجاحك ؟ لقد قرأت تلك المقالة عنك في جريدة كرونيكل . كان تحقيقاً مهماً ، بالصور وكل شيء ، علمت منه أنك أصبحت صاحبة مكتب الديكور المفضل للطبقة الثرية في سان فرانسيسكو " .

لم تسأله عن كيفية معرفته بذلك التحقيق المنشور في الجريدة . فهو قادر على أي شيء ، حتى التجسس على الغير . ربما كان يعرف عن حياتها في كاليفورنيا أكثر مما تظن . وربما جمع له بيك هذه المعلومات .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كم دفعت لذلك العجوز لأجل أن تشترى شركته ؟ أراهن أنك قد دفعت الكثير " .

" لقد كان مرشداً لى فى هذا المجال وصديقاً عزيزاً " .

لقد تتلمذت على يد مهندس الديكور المشهور أثناء دراستها الجامعية . وعند تخرجها وظفها لديه مع كل الصلاحيات . إلا أنها كانت أكثر من مجرد شخص يتقاضى عمولته على أى شىء يبيعه من تصميمات المكتب . لقد هيأها منذ البداية لكى تخلفه فى مجاله .

لقد أرسلها إلى معارض تسوق للمنسوجات فى هونج كونج والتحف فى فرنسا ، مما ينم عن ثقته فى ذوقها ، وبراعتها فى مجال الأعمال ، وكذلك حسها الفنى . كانت لديه سنوات من الخبرة تبلغ الأربعين ، إضافة إلى قائمة كبيرة من العملاء المهمين ، وأسهمت ساير كذلك بأفكار جديدة مبتكرة . فكونا فريقاً رائعاً ناجحاً .

تابعت كلامها قائلةً : " حينما قرر التقاعد سهل على شروط الشراء " . فقد نمت الأعمال تحت إدارتها . وسددت ديونها فى غضون ثلاث سنوات ، وكان هذا نصف الوقت الذى توقعت فيه الخلاص من ديونها . إلا أنها لم تشأ أن تخبر هف بهذا ، حيث إن شئونها المالية ليست من شأنه .

" إن تعليق الستائر على النوافذ لا يدر دخلاً كبيراً " .

كان يتعمد أن يقلل من أهمية عملها ، إلا أنها لم تساير .

" إننى أحب عملى . وعلى استعداد للقيام به من دون مقابل . ولحسن الحظ أنه عمل مربح وممتع فى آن واحد " .

" لقد عوضت استثمارك فيه عدة مرات " . كان يقلب مكعبات الثلج فى كأسه . " أرى أن زيجاتك لم تكن سيئة إلى هذا الحد

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

إنن ، أليس كذلك ؟ فلولا التسويات المالية التى كنت أصر عليها أثناء إجراءات الطلاق لما كنتِ قادرة على الدخول فى هذا المجال وأن تحصلين على العمل الذى تحبينه " .

لكى ترد كان عليها أن ترخى فكها المتوتر . " كنت أستحق تلك التسويات المالية ، يا هف " .

" وهناك سبل أسوأ لكسب العيش " ، نبهها كريس إلى هذا وهو يدلف إلى الغرفة . " فاعتياد الطلاق من الأثرياء له مكاسبه " . جلس على الأريكة المقابلة وابتسم فى وجهها قائلا : " ليس بالمسار المهنى السيئ على الإطلاق " .

كانت تهم بالنهوض والخروج مسرعة من المكان ، إلا أنها كانت تدرك أن هذا لن يثير فيه سوى السخرية . ومنحه هذه الفرصة أسوأ من تحمل ابتسامته الساخرة تلك ، قالت له : " أنت كما أنت يا كريس ، لا تحتمل أية معاناة . لكنك محق فيما قلته عن مكاسب الطلاق من الأثرياء . فمن المؤكد أن طليقتك توافقنى على هذا الرأى " .

بهتت ابتسامته قليلاً ، إلا أنه قال فى نعومة : " معلوماتك خاطئة ، يا ساير . فلقد رفضت مارى بيث الطلاق منى " .

كانت قد افترضت أن غياب زوجة كريس عن منزل العائلة يعنى أن معاناة أخيها من زيجة فاشلة قد انتهت . " فلماذا لم تكن هى هنا إذن ؟ "

" هى فى المكسيك الآن . تعيش فى منزل بطل ـ أمتلكه ـ على المحيط الهادى ، وكنا نقضى فيه الإجازة الصيفية . اعتدت أن أشرب الكثير من الشراب على الشاطئ هناك فى فترات الظهيرة . ومارى بيث اعتادت على استغلال ما يتاح أمامها من فرص ـ فى ذلك اليوم استيقظت مصابًا بصداع من فرط الشراب ، وبدأت هى

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أولاً فى استجلاب الخدم إلى المنزل ، ثم أعلنت رغبتها فى الانفصال عنى " . قالها وهو يرمق هف .

لم تتعرف ساير على زوجة أخيها لأنه تزوجها بعد أن غادرت المنزل ، إلا أنها رأت أن صبر تلك الزوجة على تصرفاته يجعلها تستحق ذلك المنزل على الشاطئ . فهى تشك فى أن يكون الزواج قد وضع حداً لعلاقاته الغرامية المتعددة .

ظل هف مسترخياً فى مقعده يدخن سيجارته طيلة تفسير كريس لغياب زوجته . إلا أنه لم يحس بالاسترخاء . بل كان مستاءً . حتى أن ساير لاحظت أنه يقبض على كأسه فى قوة شديدة لدرجة أن أصابعه تحولت إلى اللون الأبيض . كان هف غير راض عن وضع كريس الاجتماعى ، وهكذا أدركت ساير السبب فى حالة عدم الرضا التى تطغى عليه .

" ألم تنجب لك أولاداً ؟ "

حرك هَف رأسه كالبومة ، وهو يقلب ناظريه بينها وبين كريس . " إلى الآن ، لا . إلا أن الفرصة قائمة " .

انقلب محيا كريس إلى ابتسامة وهو ينظر إلى ما وراءها قائلاً : " تعال يا بيك " .

قال من وراء ساير بالقرب من الباب : " لا أريد أن أقطع حديثكم " . ولم تلتفت إليه ساير .

قال كريس : " أرجو أن تجلس . فانا أرحب بتأجيل هذا الحديث . فلم يحدث أن تجمعت هذه العائلة تجمعاً إلا وكان يخلف تشوش العقل لدى أى منا " .

سمعت ساير خطوات بيك وهى تقترب . دار حول الأريكة وهو يقول : " ريد هنا يا هَف " .

" لقد غادر منذ ساعة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لكنه عاد ، وهذه المرة بصفة رسمية ، فمعه واين سكوت . ويودان الحديث معنا " .

قال هَف : " الحديث في ماذا ؟ "

نظر إليه بيك نظرة تقول ... خمن أنت ما يريدان .

قال كريس : " كم ستستغرق المقابلة ؟ فأنا متعب من جو الجنازة وكنت أود الخروج قليلاً " .

أصيبت ساير بالحنق تجاه انغماسه في ذاته ، مع أنه كان من المفترض ألا يفاجئها هذا . فلقد كان دوما ما يهتم بـ " كريس " أولاً . ولا يهتم بشيء إلا إذا كان سيؤثر عليه ، وعلى خططه ، وآماله . لم تكن لأنانيته ـ التي نماها هف فيه ـ حدود ، لدرجة أنها تطغى لديه حتى في اليوم الذي دُفِن فيه أخوه .

نهضت بعد أن لم تعد تطيق الجلوس بصحبته أكثر من هذا . قالت وهي تنظر إلى هف : " سأغادر الآن لأتركك للقائك مع ريد ... لا جدال أن داني كان أفضل شخص بيننا . وكم أنا آسف على خسارته " .

ثم قالت وهي تنظر إلى أخيها الآخر : " كريس ... " ، لم تجد ما تقوله سوى هذا من كلمات المجاملة . " وداعاً " . أما بيك ميرشانت فلم تودعه سوى بالتفاتة .

ولكن حينما همت بالالتفاف من حوله ، لامس ذراعها قائلاً : " يود ريد أن تكوني حاضرة " .

قبل أن تستفيق من أثر الدهشة تساءل كريس : " لماذا هي ؟ "

" لم يخبرني بالسبب " .

هزت كتفيها قائلة : " لابد أنه قال شيئاً ما " .

نظر بيك إليها في فظاظة : " لم يقل سوى ما أخبرتكم به . يود أن تبقى هنا . هل أدخلهما يا هف ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال هَف : " يا للملل ، لقد سئمت ـ مثل كريس ـ التفكير والحديث عن الموت . لقد سئمت . لكن علينا ان ننتهى من هذا الأمر . أدخلهما يا بيك " .

لم تكن ساير تنتوى البقاء ، وكانت ستخبر ريد بذلك . لم يغب بيك سوى برهة من الوقت قبل أن يعود بصحبة المأمور المخضرم والشاب إلى الغرفة .

وهنا بادرتهما بالهجوم : " أيها المأمور هاربر ، إننى أحاول اللحاق بالرحلة المتأخرة إلى نيو أورليانز . وليس لدى الوقت الكافى للبقاء " .

كان ريد هاربر لا يزال مرتدياً حلته السوداء اللامعة التى حضر بها الجنازة . أما رفيقه فكان فى زيه الرسمى ، ولكن من دون القبعة . كان ينظر فى أرجاء المكان من حوله ، متأملاً تفصيلاته ، متحفزاً كفرس سباق ، وبنفس الحماس الذى وصفه بيك .

رد المأمور : " أكره أن أعطلك ، يا ساير ، إلا أن الضابط سكوت يود أن يطرح عليك بعض الأسئلة " .

قالت موجهة حديثها إلى الضابط الشاب : " أقدر لك إتقانك لعملك وإحساسك بالمسئولية . إلا أننى لا أملك من المعلومات ما يفيدك . فأنا لا أعيش هنا ولم أتواصل مع دانى على مدار عقد من الزمان " .

" أجل سيدتى ، لكنك تعرفين من المعلومات أكثر مما تظنين " . كانت لهجته أقرب إلى أهل تكساس منها إلى لويزيانا . " هل تمانعين فى البقاء لفترة قليلة ؟ أعدك أن الأمر لن يستغرق وقتاً " .

عادت مضطرة إلى مكانها على الأريكة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال هف موجهاً تعليماته من مكانه على المقعد : " بيك ، اجلب كرسيين من عند طاولة اللعب لرجلى القانون . وبوسعك أن تجلس هناك بجانب ساير " .

جلس المأمور ومساعده على الكرسيين اللذين أحضرهما بيك . بينما جلس بيك إلى جانب ساير . أما هى ، فنظرت إلى هف ، حيث رأت لمعة شيطانية فى عينيه وهو يشعل عود ثقاب آخر قبل أن يلقيه فى مطفأة السجائر .

قال : " حسناً يا ريد ، أنت من طلب هذا الاجتماع . وها نحن مصغون إليك . فما الذي يدور فى عقلك ؟ "

تنحنح المأمور قائلاً : " كما تعلم فقد أوكلت إلى واين مهمة التحقيق فيما يحدث فى دائرتنا من جرائم " . قالها بنبرة اعتذار واضحة .

" إذن ؟ "

" وقد كان يقوم بمهام التحقيق عند معسكر الصيد خاصتكم ، يا هف ، وهناك حقائق تتعلق بانتحار دانى لم يرتح إلى منطقيتها " .

نظر هف إلى الضابط الشاب وقال : " من قبيل ماذا ؟ "

تقدم واين سكوت للأمام فى كرسيه حتى أصبح يجلس على حافته ، وكأنما كان يتلهف على هذه الفرصة كى يتحدث ، قال : " طلقة البندقية التى قتلته ... " .

علقت ساير مندهشة : " طلقة بندقية ؟ "

حينما أخبرها بيك بأن دانى قد مات بطلقة فى الرأس اعتقدت أنها من مسدس . فهى لم تكن ذات معرفة كبيرة بأنواع الأسلحة ، إلا أن من المؤكد أنها ستعرف الفارق بين المسدس والبندقية ، بالإضافة إلى الأثر الذى تخلفه طلقة كل منهما .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تبعاً لقطر الفوهة ومسار المقذوف ، فإن الطلقة التى تم إطلاقها من مسدس إلى الرأس تكون مميتة وذات أثر ناسف . إلا أنها لا تقارن بما يحدثه خرطوش البندقية .

قال المحقق برزانة : " أجل سيدتى . لم تكن هناك فرصة ليبقى على قيد الحياة " .

قال بيك فى اقتضاب : " ربما كان من الأفضل أن تتحدث إلينا بصراحة " .

" فى الحقيقة يا سيد ميرشانت إن ما أود قوله هو إن القتيل كان لا يزال مرتديا حذاءه " .

ظلوا يحدقون إليه بعدم فهم لبرهة من الوقت . وكان هف أول من علق قائلا : " أنا لا أدرى ما الذى تود التلميح إليه بحق السماء ، ولكن ... " .

أسكته بيك بإشارة من يده وهو لا يزال ينظر إلى سكوت : " صبراً . أعتقد أنى قد فهمت ما يرمى إليه الضابط يا سكوت " .

أومأ كريس وهو يعض على شفته السفلى : " إنه يتساءل عن الكيفية التى ضغط بها دانى على الزناد " .

هز سكوت رأسه موافقاً : " هذا صحيح . فلقد حققت فى جريمة انتحار بطلقة بندقية ذات مرة هناك فى كرثاج . أعتقد أنها فى شرقى تكساس ؟ على كل ، كان الرجل قد ضغط الزناد بإصبع قدمه الكبير " . رمق ساير آسفاً وهو يتابع : " اعذرينى ، يا آنسة هويل ، لحديثى الصريح عن ... " .

" لا تخف فلن يغمى على . وبالمناسبة ، لقبى هو لينش " .

" أوه ، متأسف . فلقد ظننت أن ... " .

" لا عليك . واصل كلامك لو سمحت " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

جالت عيناه في دائرة الوجوه من حوله . " حسناً ، لقد كنت على وشك أن أقول لكم إن كل ما يتعلق بجريمة الانتحار الظاهرية للسيد هويل تتوافق مع تفاصيل تلك الجريمة الأخرى . فيما عدا عدم تأكدى من الطريقة التى ضغط بها على الزناد .

فيبدو الأمر صعباً ، بالنظر إلى طول الماسورة و .... آه ، كما أن هناك شيئاً آخر أصابنى بالحيرة . فهذا السلاح نو ماسورة مزدوجة ، وكلتا الماسورتين كانت محشوة بالذخيرة . فلو كنت تنتوى أن تطلق النار على رأسك بالبندقية ، فلماذا تحشو كلتا الماسورتين ؟ فأنت لن تحتاج إلى تلك الطلقة الأخرى " .

لم ينبس أحد بتعليق أو رد . بينما تنحنح ريد هاربر قائلاً : " هل تتذكر آخر مرة شاهدت فيها تلك البندقية ، يا هف ؟ أنا لم ألاحظ مكاناً فارغاً فى دولاب أسلحتك هناك " .

كان يومئ إلى الكابينة الركنية ذات الأبواب الزجاجية . كان هف يمتلك أنواعاً متعددة من الأسلحة ، بما فيها العديد من المسدسات وبنادق الصيد ، وبندقية مخصصة لصيد الطير . كان يعرضها جميعاً .

قال هف : " كانت بندقية قديمة . لم يستخدمها أى منا . فأهملناها ، وإن صح التعبير ، فقد أبقيناها فى معسكر الصيد فى حال الطوارئ . وأنا لا أعلم آخر مرة تم استخدامها فيها " .

" أنا أعلم " .

تحول انتباه الجميع إلى كريس صاحب العبارة . فما يعرفونه عن شخصيته اللامبالية ، جعلهم يعتقدون أنه لا يهتم بهذا الحوار وكأنما يبحث عن قفاز مفقود أو عن حالة الطقس ، لا عن بندقية قتلت أخاه .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال كريس : " ذات أسبوع ـ منذ ثلاثة أشهر مضت ، أليس كذلك بيك ؟ " . أومأ بيك برأسه بالإيجاب بينما تابع هو : " كنا قد قضينا الليلة معا هناك . وفي وقت متأخر من تلك الليلة ، أخذ فريتو ينبح في جنون . فخرجنا لنتبين السبب في توتره هذا فوجدنا قطا بريًا . فأطلق بيك نيران البندقية في الهواء مرتين لكي يطرده من المكان . وسرعان ما فر القط إلى الغابة " .

التقط بيك خيط الحكي متابعا : " وفي الصباح التالي نظفت البندقية وزيتها وأعدتها إلى الرف فوق الباب " .

سأله المأمور هاربر : " هل أعدت حشوها بالذخيرة ؟ "

" كلا " .

فقال سكوت : " فعلها أحدهم إذن " .

قالت ساير : " هل فحصت البصمات ؟ "

أجاب المحقق سؤال ساير في أدب : " نعم ، سيدتي . كانت بصمات أخيك داني في كل مكان ، إضافة إلى بصمات آخرين . ويبدو أن أحدها سيكون لك " ، قالها لبيك .

قالت ساير : " إذن فأنت تعلم أن داني قد أمسك بالبندقية " .

" أجل سيدتي . لكني لا أعرف متى تحديدا " .

" هل بصماته على الزناد ؟ "

قال ريد هاربر : " لم نجد أية بصمة مميزة على الزناد ... وهو أمر محير . أعني أنه لو كان داني آخر من لمسه .... " ، وترك الفكرة من دون أن يكملها .

بدا أن صبر هَف قد نفد . فنهض عن مقعده ، ودار من حوله ، متجها إلى واين سكوت . ولكنه كان يوجه كلامه إلى ريد هاربر وهو يقول : " لماذا بحق السماء تسمح لضابطك الصغير هذا أن يحيرنا معه كل هذه الحيرة ؟ ألكي يثبت ذاته ؟ هل هذا هو

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

السبب ؟ لو كان هذا هو السبب ، فدعنى أشغله بشىء أفضل ، كأن يحرس لى أرض المسبك ، ويوقف كل من يهم بالحديث عن الحقوق النقابية عند حده . هكذا تكون هناك منفعة من وظيفته .

وإلا فإنه يضيع وقتى ويجعلنى أفكر فى أشياء لم أعد أود التفكير فيها بعد الآن . دانى مات . ودفناه . انتهى الأمر " . قالها وأخرج سيجارة جديدة من علبته .

" المعذرة يا سيد هف ، ولكن الأمر لم ينته " .

حدق هف إلى سكوت بغضب وهو يشعل سيجارته .

تابع الشاب كلامه فى شجاعة : " فالشكوك لا تتعلق فقط بوضعية البندقية بالنسبة لجسم السيد هويل . أو فى صعوبة أن يطلق الزناد بإصبع يده بينما طرف الماسورة فى فمه . فهناك ما هو أكثر غموضا من هذا " .

احمر وجه المحقق الشاب ، ولم تعرف ساير هل هى حمرة الحرج أو التوتر . إلا أنه كان يدافع عن كبريائه أمام سطوة هف هويل ، وقد أعجبها هذا ، حتى مع علمها بأن أيامه فى وظيفته قد أصبحت معدودة بعد هذه الليلة .

قال له هف : " عرفنا إنن ما أصابك بكل هذه الحيرة " .

" السبب هو المعتقدات الدينية التى اعتنقها دانى مؤخرا " .

يبدو أن المفاجآت لن تنتهى . رمقت ساير وجه كريس ثم هف لكى ترى رد فعلهما على هذا التصور الغريب لفرد متدين من آل هويل . إلا أن كليهما ظل بلا انفعال . إلا أن حنق هف قد زاد .

التفتت إلى بيك ، الذى كان يشعر بحيرتها . فقال : " لقد التحق دانى مؤخرا بطائفة الـ ... " .

زمجر هف مكملا : " أنصار الكتاب " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تابع بيك : " لقد اعتنق معتقداتهم وأصبح واحداً من مخلصى تلك الطائفة " .

" متى التحق بهم ؟ "

" منذ قرابة العام . لم تفته أبداً صلوات يوم الأحد أو ليلة الأربعاء " .

أضاف كريس : " لقد أصبح مملاً حقاً . فقد توقف عن تناول الشراب . ويغضب منا لو سخرنا من الدين . فلقد أصبح متديناً متطرفاً " .

" وما الذى دفعه إلى هذا ؟ "

هز كريس كتفيه من دون أن يرد .

قالت ساير : " ألم تسألوه ؟ "

أجابها ساخراً : " بلى ، يا ساير ، لقد سألناه . إلا أنه كان يرفض مناقشتنا فى الأمر " .

قال بيك : " لا نستطيع أن نرجعه إلى حادثة بعينها ، مثل تجربة أوشك فيها على الموت ، أو أى شىء من هذا القبيل . يكفى أن نقول إنه قد أصبح شخصاً مختلفاً فى الأشهر الأخيرة من حياته . لقد تغير كلية " .

قالت ساير : " للأفضل أم للأسوأ ؟ "

أجابها هف : " تلك مسألة رأى " . قالها بتجهم عكس رأيه فى التحول الدينى الذى حل بـ " دانى " .

التفتت إلى المحقق الشاب وقالت : " كيف ترى أن لهذا الأمر صلة بانتحاره ؟ "

قال المحقق : " لقد استجوبت الواعظ ورفاقه فى الطائفة من الذين تحدثوا مع دانى صباح الأحد . وجميعهم من دون استثناء أجمعوا على أنه كان متفائلاً وسعيداً . وقد غادر الصلاة

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

متحمساً وهو يقول للجميع إنه سيلتقيهم تلك الليلة فى صلوات المساء " . وجه نظره إلى جميع من بالغرفة قبل أن يضيف : " فيبدو من العجيب أن يقدم رجل فى مزاج كهذا - وروح عالية إن صح القول - على الانتحار " .

سألته ساير : " هل تقول إن الأمر قد خطط له كى يبدو انتحاراً ؟ "

بادر ريد هاربر وهو يلقى بنظرة مضطربة إلى هَف : " أرجو ألا تحملى كلمات واين ما لا تحتمله ، يا ساير ، فكل ما قاله هو أن .... " .

" ما أقوله هو أن الظروف المحيطة بوفاة دانى هويل تتطلب المزيد من التحقيقات " .

قال بيك : " لقد كان الطبيب الشرعى واضحاً حينما قرر أنه انتحار " .

قال المحقق سكوت : " هذا صحيح ، يا سيد ميرشانت ، إلا أن سبب الوفاة كان واضحاً " . ونظر إلى ساير وهو يقول : " سأوفر عليكم التوصيف المفصل الوارد فى تقرير الطبيب الشرعى . فأسلوب الوفاة هو الذى لم يتم تحديده بعد فى رأيى " .

كرر بيك العبارة وهو يضيق ناظريه تجاه المحقق : " أسلوب الوفاة .... لقد كانت ماسورة البندقية لا تزال فى فم دانى . وهو ما يدل على أنه لم يضغط الزناد " .

قال سكوت : " أجل . وإلا فإن البندقية كانت لترد بعيداً عن الجسد بفعل الارتداد . يمكننا أن نفرض فرضاً ابتدائياً ونقول إن هناك شخصاً قد ثبت فوهة الماسورة فى فم دانى . وبالتالى فهى جريمة قتل " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هنا قال ريد هاربر فى ألم : " وهو ما يعيدنى إلى السؤال الذى أتيت لكى أطرحه . هل يعرف أحد منكم شخصاً يكن العداء لـ " دانى " ويرغب فى موته ؟ "

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

الفصل السادس

كانت حرارة الظهيرة قد خلفت أثرها على باقات الزهور التى غطت القبر . فقد ذبلت البراعم ، واسودت البتلات ، متجمدة منكمشة حول نفسها فى انهزام .

لم تكن هناك رياح تبدد تلك الغمامة الرمادية التى شكلتها أفران المسبك فوق منطقة المدافن . فعلقت فى مكانها ، كأنما هى غطاء قبيح لها .

رأت ساير فيها كفناً لـ " دانى " . لقد ذهبت إلى المقبرة أملاً فى أن تجد لديها بعضًا من سكينة النفس ، إلا أنها رأت بعد تلك الجلسة مع الضابط سكوت أن من المحال أن يتم نسيان موت دانى بهذه السهولة .

كان دانى أقل أولاد هف الثلاثة تشبهاً به . فقد كان هادئ الطباع ، حلو الحديث ، ولم تعرف عنه أنه ارتكب أى فعل أخرق أو أنه يكن ضغينة لأى إنسان .

كان دانى دوماً ما ينقاد لها ولـ " كريس " حينما كانوا صبية ، يبدى أمارات المقاومة لو أسآ إليه ، إلا أنه لا يلبث أن يسلم بالأمر الواقع ، خاصة مع كريس الذى كان أشرس الثلاثة وأجرأهم . فقد كان كريس ذا طبيعة ملتوية ، يعرف كيف يتحكم فى شقيقه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الأصغر . وقد كان دانى ضحية ألاعيب كريس ، والتى كانت لا تعرف الرحمة فى كثير من الأحيان .

أما هى فتمتلك مزاجاً حاداً . كلما عصفت فى وجه دانى حول إهانة حقيقية أو غير حقيقية ، فإنه يصمد فى مواجهة عنفوانها ولكن من دون أن يكن ضغينة فيما بعد تجاه كل ما فعلته معه .

ذات مرة ، وأثناء إحدى ثورات غضبها ، ألقت بقاطرته ـ اللعبة المفضلة ـ فى البركة . أخذ يبكى ، ويسبها ، وأمرها أن تلقى نفسها فى الماء كى تستعيدها . وقد رفضت بالطبع ، وبدلاً من هذا أخذت تشرح له تفصيلاً كيف أن قاطرته الجديدة تلك ستتعفن وتتحلل قبل حتى أن تصل إلى خليج المكسيك .

أخذ ينوح لساعات ، قبل أن يصيبه الفزع لأيام . وحينما أصرت لوريل على أن تعرف السبب فيما انتابه ، رفض أن يشى بما فعلته ساير . لم يخبرها بما فعلته به . ولو فعل ، لوجدت مبرراً لهذا بسبب ما فعلته به . إلا أنه تركها تفلت بفعلتها ، وهو الأمر الذى جعلها تندم لما اقترفته فى حقه .

لقد ارتبطت أمهم بـ " دانى " لكونه الطفل المدلل بالعائلة . تذكرت ساير ما كان يقوله هف حول أن لوريل ستفسده بالتدليل الذى تبالغ به تجاهه . إلا أنه بصرف النظر عما هو واضح من تفضيل أمهم له ، فإن من المفارقات أن دانى كان يتوق أكثر إلى كسب رضا هَف .

وقد نال كريس هذا الرضا بمجرد أن أصبح أول مولود بالعائلة . كما أنه كان يشبه هف بكل مزاجه واهتماماته . وكان هف يجد الرضا فى تقريب كريس منه كونه الصورة المصغرة منه .

أما ساير فكان ينظر لها على أنها أميرة العائلة ، لا نفع منها ولكن لابد من وجودها فى الصورة ، ومن هذا المنطلق كان يتم

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

التعامل معها . كانت المتمردة التي تصبو باستمرار إلى فرض إرادتها ، وحينما لا يتسنى لها هذا ، كانت تثور في غضب . وفي حين كانت أمها تلاحظ ما يبدر منها وتراه سلوكاً غير ملائم لفتاة مجتمع ، إلا أن والدها كان يرى سلوكها مثيراً للتسلية . فكلما ازداد غضبها ازداد ضحكه .

ولأن داني كان حسن السلوك ومهذباً ، فلم يثر أبداً انتباه أبيه .

ومع كبرها في السن ، أدركت ساير ديناميكية العائلة ، إلا أنها افتقدت العقلية والفكر اللازم لتحليل تلك الديناميكية . أما الآن ، فقد أدركت مدى ما تأثر به داني سلباً لكونه آخر من يفكر فيه هف ، وكونه الابن الثاني البعيد جداً عن قلبه .

كانت العائلة تخضع لنفس الديناميكية حينما مات داني . فكان كريس هو الوريث المتحذلق المنغمس في ذاته ، والذي لا يخطئ أبداً ، في نظر والده بالطبع . أما ساير فهي الشوكة في جانبه ، الابنة التي نبذته . فلم يجد داني سوى أن يلعب دور الولد المطيع ، الذي يفعل ما يأمره به والده ولا يجرئ على التصريح برأي معارض ، كان شخصاً يمكن الاعتماد عليه ، ولكن من النادر أن يحصل على التقدير الذي يستحقه .

أيكون هذا الإحساس بانعدام الذات هو الذي دفع داني إلى الانتحار ؟

هذا إن كان قد انتحر .

سحبت وردة تحتضر من بين إحدى الباقات ومررتها على شفتيها ، فرت دمعة لتنساب فوق خدها . لقد كان من الظلم أن يموت شاب وبكل هذا العنف ، كان ألطفهم وأكثرهم مسالمة . ولو كانت شكوك واين سكوت في محلها ، فإنه لم يمت طواعية .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" آنسة لينش ؟ "

التفتت ساير في عنف لتجد سيدة شابة تقف على بعد ياردتين منها .

قالت بنبرة اعتذار : " لم أرغب في أن أفزعك ... فلقد ظننت أنك سمعت صوت خطواتي " .

هزت ساير رأسها . وحينما استعادت صوتها قالت : " لقد كنت مستغرقة في أفكاري " .

" لا أود إزعاجك . بوسعي أن آتي فيما بعد . لقد أردت القدوم كي ... كي أودعه " . كانت المرأة في مثل سنها تقريباً ، وربما كانت أصغر منها بقليل ، كانت تبلغ قصارى جهدها كي لا تبكي . وتذكرت ساير أنها قد رأتها خلال حفل العزاء ، إلا أنها لم تجد فرصة للوقوف معها .

مدت لها يدها مصافحةً : " اسمي ساير ليـنش " ، صافحتها الفتاة .

قالت الفتاة : " أنا أعرفك . لقد رأيتك أثناء العزاء . عرفني عليك أحدهم ، إلا أنني كنت أعرفك بالفعل من خلال الصور " .

" جميع الصور بالمنزل قديمة . فلقد تغيرت " .

" أجل ، إلا أن شعرك لم يطرأ عليه شيء . كما أن داني قد أراني تحقيقاً صحفياً حديثاً عنك . لقد كان فخوراً جداً بنجاحاتك " . ضحكت ، فأعجبت ساير بموسيقية صوتها العذبة . " وحينما علقت على مدى ما تتحلين به من نوق ، عندها قال داني إن المظاهر خداعة وإنكِ في الحقيقة شيطانة . إلا أنه قالها في ود " .

" ما اسمك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" متأسفة . أنا جيسيكا دى بلانس . أنا . . . كنت صديقة دانى " .

أشارت ساير تجاه مقعد أسمنتى أسفل شجرة غير بعيد من المقبرة وقالت : " تفضلى " .

سارتا تجاهه معاً . كانت جيسيكا ترتدى رداءً أنيق التصميم من الكتان وكان شعرها منسدلاً فى موجات ناعمة إلى كتفيها . كانت ضئيلة الجسد شديدة الجمال .

جلستا على المقعد . ظلتا ، ومن دون اتفاق ، طيلة دقيقة طويلة تنظران ناحية المقبرة فى صمت . كانت جيسيكا تكفكف دموعها فى منديل . أما ساير فدفعتها غريزتها إلى وضع ذراعها حول كتفى جيسيكا الضئيلتين . وما أن لامستها حتى انهارت جيسيكا فى البكاء العنيف .

عشرات الأسئلة دارت فى عقل ساير ورغبت فى أن تطرحها عليها ، إلا أنها تحرجت من النطق بأى شىء حتى هدأت جيسيكا وهى تتمتم فى اعتذار .

قالت ساير : " لا تعتذرى ، فأنا سعيدة لأن أخى الصغير كان لديه من يهتم به لدرجة أن يبكى عليه أمام شخص غريب عنه . من الواضح أنكما كنتما صديقين عزيزين " .

قالت لها جيسيكا : " لقد كنا على وشك أن نتزوج " . مدت لها يدها اليسرى ، فحدقت ساير صامتة إلى الخاتم البلاتينى الصغير المزدان بالماس .

" كم هو جميل " .

كان الخاتم تجسيداً لتصريح عن الحب ، يليق بما يمكن لـ " دانى " أن يعبر به ، لذا غمرها تعاطف شديد تجاهها . كما

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

انتابها غضب بالغ تجاه كريس وهف . فكان من اللازم أن تشارك العائلة خطيبة داني في حزنها .

" أنا آسفة لكوني لم أتحدث إليك بالمنزل ، جيسيكا . لم أكن أعرف أن داني كان خاطبا . لم يخبرني أحد بهذا " . ربما كان داني يحاول أن يخبرها بهذا ، وربما كان هذا هو السبب في محاولته الاتصال بها .

قالت جيسيكا : " لم يكن أحد يعرف بخطبتنا . لا أحد في عائلتك . فلم يشأ داني أن يعرف أباك أو أخاك شيئا عني حتى يتم الزواج " .

ومع أنها شعرت بأنها تعرف الإجابة بالفعل ، إلا أن ساير سألتها السؤال المنطقي : " والسبب ؟ "

" لم يكن يريد لهما أن يتدخلا في علاقتنا . فلقد عرف بأنهما لن يوافقا على هذه الزيجة " .

" هذا سخف . ما الذي يدعوهما إلى الرفض ؟ "

ضحكت المرأة مرة أخرى ، ولكن بمذاق حزين ، وواصلت : " إن أصولي فقيرة ، يا آنسة لينش " .

" أرجو أن تدعيني ساير " .

" كان والدي يعمل في مصنع تاباسكو في نيو إيبيريا ، كما كانت والدتي ربة منزل . جمعا ما يكفي من المال ليلحقاني أنا وأختي بالجامعة . لقد كنا مصدر فخرهما وسعادتهما حيث أصبحنا معلمتين بالمرحلة الابتدائية " .

" لهما أن يفخرا ، وأنا لا أقصد من هذا أن أبدو متلاطفة . كيف تعرفت على داني ؟ "

" أنا أدرس للصف الثالث ، كما أعمل متطوعة بالمكتبة العامة . أتى ذات ليلة لكي يتصفح الكتب حتى وقع بين يديه كتاب

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

اهتم به . كان على أن أغلق المكتبة . فاقتربت منه ورجوته أن يغادر المكتبة . فنظر إلى ، وظل ينظر إلى لفترة طويلة . ثم قال : " سوف أمضى فى هدوء ، ولكن إن رافقتنى لتناول قدح من القهوة " ، لامست خدها بظهر يدها كما لو أن ذكرى لقائهما أخجلتها .

" وهل رافقته ؟ "

قالت فى نعومة : " إلى تناول القهوة ؟ أجل ... لم يكن على أن أوافق . فلم يكن من طباعى أن أذهب إلى أى مكان مع رجل التقيته للتو ، إلا أننى وافقت " . عادت تنظر إلى المقبرة المزدانة بالزهور ، وهى تتابع : " تجاذبنا الحديث لساعات . وسألنى قبل أن نودع بعضنا البعض أن يلتقينى الأسبوع التالى . وما أن حل يوم السبت التالى ، حتى كنت قد عرفت أنه ابن هف هويل . وقد أفزعنى هذا . فبدأت أحاول التراجع عن هذه العلاقة ، إلا أننى كنت قد أعجبت بـ " دانى " إعجاباً دفعنى إلى لقائه فى الميعاد " .

ذهبنا للعشاء إلى مكان يقع بين هذا المكان ونيو أورليانز . قال دانى : " إنه أراد أن يصحبنى إلى هناك لكونه مطعماً ممتازاً ، وبالفعل كان كذلك . إلا أننى كنت قد تفهمت السبب وراء هذه السرية ، ولكننى لم أهتم . فلم أكن أود أن أختلط بعائلتكم " . التفتت إليها سريعاً وهى تضيف : " آمل ألا يكون قد أغضبك هذا " .

" على الإطلاق . فأنا نفسى أمقت علاقتى بهم . فأنا أعلم منك بمدى فسادهم " .

ابتسمت جيسيكا فى حزن : " لم يكن دانى فاسداً " .

" لم أعنه هو " .

" كان يعمل فى المسبك ويتقن عمله ، إلا أنه لم يكن يحب المكان . لقد اختلف مع والدك وأخيك حول أسلوب إدارتهما

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

للأعمال . كما كان على خلاف معهما حول العديد من الأشياء . وكان من الصعب عليه أن يقف وحده في مواجهتهما ، فما اعتادا عليه أرسخ من أن يغيره هو . مع أنه كان يزداد شجاعة مع الوقت " .

استوعبت ساير تلك الجملة الأخيرة حتى تفكر فيها فيما بعد . كانت تتساءل عن الكيفية التي عبر بها داني عن تلك الشجاعة المتزايدة .

" كم مر عليكما وأنتما مخطوبان ؟ "

" أسبوعان " .

ردت ساير في اندهاش: " أسبوعان ؟ "

قالت جيسيكا في عناد : " أجل .... إنهم يقولون إن داني انتحر . إلا أن هذا ليس صحيحاً . أنا متيقنة من أنه لم ينتحر . فقد كنا نخطط للمكان الذي سوف نعيش فيه وما سوف نفعله معاً . بل لقد اخترنا أسماءً لأطفالنا . إن داني لم ينتحر . كان يرى هذا إثماً كبيراً " .

كانت كلمة إثم هي ما دفعت ساير إلى أن تسألها : " هل كنتِ تحضرين الصلوات في دار العبادة مع داني ؟ "

أجابتها : " بالفعل . بعد لقائنا الثاني ، دعوته أن يأتي معي . كنت أردد أنشودة فردية خلال الصلوات " .

إذن فقد كانت منشدة ، لهذا اكتسبت تلك العذوبة في ضحكتها .

" كان داني متردداً في الذهاب . قال إن هف ـ هكذا عادةً تنادون أباكم ـ يستخف بالدين . إلا أنني أخبرت داني بأني لا يمكن أن أواصل هذه العلاقة ما لم يكن على قدر إيماني . وكنت صادقة العزم على هذا " .

ابتسمت في خجل وهي تتابع : " كان متعلقاً بي لدرجة أنه وافق أن يرافقني إلى هناك يوم الأحد . وبعد تلك المرة الأولى ، أدرك أنه كان يفتقد في حياته إلى حب الله . وما أن اكتشف هذا حتى أصبح شخصاً آخر " .

وجدت ساير أن هف وكريس وبيك ميرشانت يوافقونها على هذا الرأى ، مع أنهم يرجعون هذا التغير في شخصية داني إلى سبب مجهول وليس إلى هذا التحول الديني . فقد كانوا يرون فيه تغيراً للأسوأ ، وليس للأفضل .

" أعتقد أنكِ كنت تهتمين جداً بأخي ، يا جيسيكا . كم أنا سعيدة لتعرفه عليكِ . وممتنة لمحبتكِ له " .

" لا أرى سبباً لهذا الامتنان " . تغير صوتها ، فقربت المنديل إلى عينيها مع بوادر الدموع فيهما . " لقد أحببته من كل قلبي . كيف سأحتمل هذا الفراق ؟ "

احتضنتها ساير إلى صدرها اثناء بكائها . إغرورقت عيناها هي الأخرى بالدموع حزناً على جيسيكا وداني . فلقد انفطر قلب تلك الفتاة ولن يكون هناك من سلوى لها سوى مرور الزمن .

هناك في حياتك من الأحداث ما تظن أنك لن تتجاوزها ... بل ولا تكون متأكداً من قدرتك على هذا . أشياء شديدة الإيلام ، حتى أنك تود أن تموت على أن تحيا بآلامها . ولقد مرت ساير بمثل هذا . تذكرت شعورها حينما تحطم قلبها بقسوة جعلتها ترغب في الموت . فلا شيء سوى الموت يمكن أن ينهي الألم . إلا أن غريزة البقاء شيء معجز . فقلب المرء يستمر في نبضاته حتى مع انعدام إرادة الحياة . نتنفس حتى ولو كانت الأنفاس مكبوتة ، وتستمر الحياة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم تلم خطيبة دانى على حزنها المرير . ولم تحاول أن تعزيها بكلمات لا معنى لها . اكتفت باحتضانها بقوة ، وكان بوسعها أن تستمر فى هذا طيلة الليل لو اقتضى الأمر ، فهى حينما مرت بشىء مشابه تاقت لأن تجد من يحتضنها ولكنها لم تجد حولها أحدًا .

توقفت جيسيكا عن البكاء . " لم يكن دانى ليرغب فى أن أبكى " . قالتها بعد أن كفكفت دموعها وجففت أنفها . وبعد أن استجمعت زمام نفسها ، قالت : " إننى لست مقتنعة بتقرير الطبيب الشرعى " .

" قد يرضيك أن تعلمى أنكِ لست وحدك فى ذلك . فالشكوك مطروحة بالفعل " ، ثم قصت عليها ساير تفاصيل اللقاء مع المأمور هاربر وواين سكوت . حكت لها كل ما تتذكره من تفاصيل .

حينما انتهت ، تأملت جيسيكا فى كلامها ، ثم قالت : " هل يعمل هذا المحقق مع ريد هاربر ؟ "

قالت ساير : " أعلم ما تفكرين فيه ، وأن ريد هاربر أحد مرتشى هف . ولكن هذا الضابط سكوت يبدو مصمما على مواصلة التحقيق " .

عضت الفتاة على شفتها السفلى وقالت : " لقد كان هناك ما يقلق دانى مؤخرا . وكلما سألته عن ذلك ، داعبنى قائلا إنه قلق على من عدم قدرته على إعالتى ، أو ما سيفعله لو أننى صرت بدينة ومترهلة بعد الزواج ، أو لو أننى سأظل أحبه لو فقد كل شعره . أشياء من هذا القبيل . بدأت أشك فى أنى أتخيل وجود ما يقلقه ، إلا أننى كنت متيقنة . فأنا أعرفه جيدا " .

" ألم يلمح لكِ بما يقلقه ؟ " .

" كلا . إلا أنه كان من الواضح أن هناك سببا ما " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

سألتها ساير فى رفق : " أكان السبب له من الوطأة ما يدفعه إلى الانتحار ؟! "

ردت فى عناد : " لم يكن ليؤذينى بهذه الطريقة . لم يكن ليتركنى بسؤال أطرحه على نفسى مدى الحياة حول السبب الذى دفعه إلى هذا أو ما كان يمكننى أن أفعله أو أقوله لمنع ما حدث . لم يكن ليلقى على كاهلى بهذا الحمل من الشك فى الذات . كلا ، يا ساير . لن أصدق أبدا أنه انتحر " .

ثم قالت بعد صمت : " إلا أننى أقر بأن البديل لهذا أمر لا يمكننى أن أفكر فيه . فقد كان دانى شديد الصراحة . بل إن عمال المسبك الماقتين لعائلة هويل كانوا يحبونه " .

" لم يكن الأمر على هذه الصورة ، جيسيكا . فقد كان مدير شئون العاملين ، ومسئولا عن توظيف وفصل العاملين ، وعن طلبات التأمين ، وعن المرتبات . وكلها أسباب تشجع النفوس المريضة " .

" كان دانى ينفذ سياسات هف ، والتى كانت شديدة القسوة ، وأعتقد أن العمال كانوا على وعى بهذه النقطة " .

قد تكونين على حق ، هكذا قالت ساير لنفسها . إلا أن من يبحث عن الانتقام قد لا ينظر للأمر بهذا المنظور . ثم قالت لـ " جيسيكا " : " حينما سألنا المحقق سكوت حول من قد يكون القاتل ، رد عليه بيك ميرشانت ... أنا متأكدة من أن دانى قد ذكر اسمه لك " .

" أنا أعرف عنه ما يعرفه الجميع . فهو الذراع اليمنى لـ " هَف " فى المسبك . وهو مع كريس أشبه بالعصابة " .

" هل هما على هذه الصلة القوية ؟ "

" لا يفارقان بعضهما البعض أبدا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

اختزنت ساير تلك المعلومة أيضاً لتفكر فيها فيما بعد . فكل ما يقال لـ " بيك " يذهب مباشرة إلى كريس .

قالت لـ " جيسيكا " : " حينما سأل المأمور هاربر عما إذا كنا نعرف أحداً يمكنه أن يخطط لقتل دانى ، كان السيد ميرشانت هو أول من أجابه بكلمات أعتقد أنها دارت فى أذهاننا جميعاً . فلقد صنع آل هويل الكثير من الأعداء على مر السنين ، وكان دانى هدفاً سهلاً لكونه الأقل صيتاً وأضعفهم " .

فكرت جيسيكا فى كلامها قبل أن تقول فى رقة : " أعتقد هذا ، إلا أنه من المؤلم أن أفكر فى أنه قد فقد حياته لأن هناك من يكن الضغينة للعائلة حول أمر لا صلة له بـ " دانى " " .

" أوافقك على هذا " . ترددت ساير ثم قالت : " هل تنتوين أن تخبرى هف وكريس عن خطبتكما ؟ "

" كلا . كلا بالتأكيد . إن والدىّ يعلمان منذ أن طلب دانى يدى من أبى . هما وأختى الوحيدون الذين يعلمون بخطبتنا . بل إن زملائى بالمدرسة لا يعلمون . فكنا نلتقى دوما بعيداً عن البلدة . وحتى فى دار العبادة ، كنا نحرص على أن نكون وسط مجموعة من الناس ، ولسنا وحدنا .

إننى لا أجد سبباً يدفعنى لإعلان الأمر الآن . فلن يسبب هذا سوى صخب لا داعى له ، ومواجهة مع والدك وأخيك ، مواجهة لا أجد الرغبة أو القوة على الدخول فيها . فأنا أود أن أركز بكل تفكيرى فى دانى ، وليس معهما هما . وقد يقولان أو يفعلان شيئاً يفسد نبل علاقتى به " .

أجابتها ساير : " من المؤسف أننى أوافقك الرأى . وأرى أن هذا هو القرار الحكيم . فلا تعطيهما الفرصة كى يؤذيانك بأكثر مما تعانين منه بالفعل . على أنهما سيخسران كثيرا بعدم معرفتهما

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بكِ " . مدت ساير يدها ليد جيسيكا وشدت عليها في قوةٍ ، وقالت : " أسعدني أني تعرفت عليكِ . فقد هون هذا عليَّ كثيراً ، بعد أن عرفت أن داني كان سعيداً خلال آخر سنة في حياته " .

قررت أن تترك المكان حتى تترك الفرصة لـ " جيسيكا " كي تبقى وحدها أمام المقبرة . تبادلا أرقام الهاتف قبل كلمات الوداع . وعدتها ساير أن تمدها بآخر التطورات في مسار التحقيق .

أجابتها جيسيكا في عناد يتماشى مع مظهرها الهش : " إنني متيقنة من أن داني لم ينتحر ، أيا كانت النتائج التي سيتوصل إليها الضابط سكوت . ما كان ليتركني وحدي . لقد قتله شخص ما " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل السابع

جرت إصلاحات كثيرة فى نادى ديستينى داينر غيرت من هيئته التى عرفته عليها ساير قبل أن ترحل . فلقد تحولت مقاعد المنضدة الحمراء المصنوعة من الكروم إلى أخرى من الفينيل الفيروزى اللون . ووضعت أسطح الطاولات المصنوعة من خشب الفورميكا عبر المكان . كانت كذلك فيروزية اللون ، ربما لكى تتماشى مع مقاعدها وردية اللون .

ربما ارتأى أصحاب المكان أن هذا التصميم اللونى سيكون محاكاة لما كانت عليه تلك الأمكنة فى الخمسينيات ، إلا أنهم لم ينجحوا سوى فى أن يحولوا ذلك الشىء الأصيل إلى قالب هزلى لما كان .

لقد حلت الأسطوانات المضغوطة محل تلك الأسطوانات العتيقة فى مشغل الأغانى الذى ظل على شكله القديم . ومع أن الديكور قد تغير ، إلا أن قائمة الأطعمة والمشروبات الدسمة لم تتغير عن الأصل القديم .

حددت ساير طلبها ، ثم استرخت على ظهر المقعد وهى ترتشف الكوكا بالفانيليا وتتساءل للمرة الألف عما تفعله فى هذه البلدة ، وعما منعها من العودة إلى نيو أورليانز هذه الليلة حتى

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تتمكن من استقلال أول رحلة تعود بها إلى سان فرانسيسكو صبيحة الغد .

إلا أنها قررت ـ بعد مفارقة المقبرة ـ أن تتجه إلى أحد الفنادق الصغيرة فى ديستينى ، والتى لم تكن ذات مستوى عال إلا أنها الأفضل فى البلدة ، وحجزت لها غرفة . ثم غادرت متجهة إلى النادى بدافع من الجوع ، أو ربما التوتر .

تكاد تكون وحدها فى المكان ، فى هذه الليلة وبعد ساعة العشاء الرئيسية بكثير ، وهو ما كان متلائما مع ما هى عليه من انشغال بال . فقد احتاجت إلى وقت كاف كى تتأمل فى كل ما حدث هذا اليوم .

كان ذهابها إلى المقبرة فى ذلك الوقت بالذات قدرياً . فلو أنها تأخرت أو تقدمت لنصف ساعة فقط ، لما كانت قد عرفت أصلاً جيسيكا دى بلانس ، أو عن سعادة دانى وهو معها . فالحديث مع المرأة التى أحبته كان أشبه بهدية عزاء بالنسبة لها .

إلا أن الأهم هو ما تحصلت عليه من معلومات حول موضوع الانتحار . فبعد أن امتلكت هذه المعلومة ، أصبحت تتساءل عما بوسعها أن تفعله بها .

كما أصبح السبب فى اتصال دانى بها بعد عشر سنوات من الصمت أكثر غموضا من ذى قبل . فهل كان يود أن يشركها معه فى نبأ خطبته ، أو أن يتقرب إليها أكثر قبيل انتحاره ، أو ليطلب نصيحتها حول المشكلة التى كان يواجهها ؟ فسيعنيها الجهل بالسبب للأبد .

" مرحبا ، يا ريد " .

انقطع خيط أفكارها ، وهى تنظر حولها ، متوقعةً أن ترى شخصاً يحيى المأمور ريد هاربر . إلا أن الرجل الذى كان يقف عند

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نهاية المقعد العريض الذى كانت تجلس عليه كان يبتسم إليها ، ومن الواضح أنه قد ناداها " ريد " تلميحاً إلى لون شعرها الأحمر . فهل كان يظن أنه يتمتع بروح الفكاهة ؟ هذا واضح ، لأن ابتسامته كانت ابتسامة إعجاب بالنفس .

أومأ إلى كأس المياه الغازية فى يدها قائلاً : " تشربين وحدكِ ؟ "

قابلت نظرته وقالت وهى تأمل أن يبتلع الرد ويمضى لحاله : " وأود أن أستكمله وحدى " . إلا أنه لم يفعل .

" وكيف لكِ أن تعرفى ؟ فأنتِ لم تحاولى الشرب بصحبتى من قبل " .

" ولست على استعداد لهذا " .

كرر عبارتها : " ولست على استعداد لهذا ... من المؤكد أنكِ قد اكتسبتى هذه العادات العدائية من سان فرانسيسكو " .

نظرت إليه فى حدة .

" ها !! أتتساءلين عن كيفية معرفتى بهذا ؟ إنى أعرفك ، يا آنسة ساير هويل . فلم يمكننى أن أنسى هذا الشعر ، أو ... " . مسح بعينيه أنحاء جسدها فى جرأة . " لقد اكتسبتى بعض العادات السيئة أثناء وجودك فى كاليفورنيا . فمخالطة أولئك الشواذ هناك كفيل بهذا فيما أرى ، فأنا لا ألومك " .

و اقترب منها ، وهو يهمس : " إلا أننى أراهن على أن جسدك لا يزال على تلك الليونة التى عرفتها عنه حينما كنت فى السادسة عشرة تتقافزين عبر أرجاء ملعب الكرة وسط فريق المشجعات . كنت أتشوق ليلة كل جمعة لأن أراكِ تؤدين كل تلك الحركات المثيرة . وأتطلع إلى ذلك طوال الأسبوع " .

قالت وهى توجه له نظرة صارمة : " جميل ... هلا ابتعدت عن المكان الآن لو سمحت ؟ "

ولكنه بدلاً من هذا ، تسلل جالساً على المقعد إلى جوارها . فمدت يدها ناحية حقيبتها تهم بالمغادرة ، ولكن قبل أن تفعل هذا ، أمسك رسغها بيده . حاولت أن تتملص منه ، وهى تقول : " دعنى " .

قال بصوت متملق : " كل ما أريده هو أن أتبادل الحديث معك . فنحن لسنا غرباء ، ألا تتذكرينني ؟ "

لم تكن تريد أن تتبادل الكلام ، سواءً بود أو بغير ود ، مع هذا الشخص القميء ذى الأسنان الطويلة الصفراء ، والذقن المفتولة الصفراء ، والأذنين الكبيرتين . لكنها لم ترد كذلك أن تدخل فى عراك معه فتلفت نظر القليلين الموجودين بالنادى .

وهى لا تود أن تلفت النظر إليها ، فهى تريد أن تدفع هف وكريس إلى الاعتقاد بأنها قد غادرت نيو أورليانز الليلة . فهى تعرف أن أى شجار هنا سيعرفان عنه سريعًا ، مما سيجعلها أضحوكة فى نظرهما .

لذا ، وجهت له أشد النظرات صرامة وهى تقول : " أنا لا أعرفك ، ولا يهمنى أن أعرفك . ولو لم تترك يدى الآن ، فسوف ... " .

" ماذا ؟ " قالها فى عنف ، وهو يزيد من ضغطه على رسغها ، وبإبهامه فى باطنه . " ما الذى ستفعلينه لو أنى لم أترك يدك ؟ "

" سوف تحطم عنقك . ولو لم تفعل ، فسأفعلها أنا " .

ففر فاه وهو ينظر فيما وراءها . والتفتت هى لترى بيك ميرشانت مرتكنًا فى استخفاف على ظهر المقعد خلفها ، بنفس الطريقة التى كان يرتكن بها على مؤخرة سيارتها هذا الصباح .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان يبتسم نفس ابتسامته المتهكمة ، ولكن بفمه فقط . فقد كانت عيناه تعكسان قوة التهديد الذى يوجهه إلى الرجل .

هنا تبددت ثقة الرجل ، مع أنه حاول أن يبدو قوياً وهو يسأله : " من أنت حتى تتدخل ؟ "

قال بيك : " أنا الشخص الذى سوف يحطم عنقك " .

" لقد نلت منك من قبل ، وأنت تعلم هذا . ولكن يبدو أنك تتناسى هذا . إلا أن بوسعى أن أنعش ذاكرتك " .

لم يكن من الصعب على ساير أن تدرك أنه كاذب ، مع أنها لم تكن على خبرة بمثل تلك الأمور .

رد عليه بيك وهو يركز على كل حرف من كلماته : " دعها ... الآن " .

تردد الرجل لدقيقة ، بعدها تركها وابتعد عن المقعد . وهو يصيح فى ساير : " لا فرق بينك وبين بقية آل هويل ، دائما متكبرون " .

لم تهتم بالرد عليه واكتفت بمراقبته وهو يلجأ إلى مقعد عند الطرف الآخر من القاعة ، بينما يسخر منه رفاقه . ثم التفتت إلى بيك قائلة : " كان بوسعى التعامل مع الموقف وحدى " .

قال بيك : " احتفظى بأفكارك لنفسك " .

قبل أن ترد عليه ، اتجه إلى باب النادى ، ودفعه ، وأطلق صفيرا ذا نغم . هنا هرول إليه كلب كبير يقفز من صندوق العربة قال : " ادخل إلى هناك ودعهم يطعموك " .

هرول كلب الصيد ذو اللون الذهبى ناحية البابين المتحركين المؤديين إلى المطبخ وهو يتشمم طريقه بينهما . سمعت ساير صيحات الترحيب به من العاملين بالداخل . عاد إليها بيك ، ليجلس إلى جوارها على المقعد .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

سألته : " فريتو ؟ "

" كيف عرفتِ ؟ "

" لقد ذكر كريس اسمه " .

" آه . صحيح . تلك الليلة في كابينة الصيد . القط البري " .

" لقد افترضت أن كريس يعني بالاسم كلباً " ونظرت ناحية المطبخ وهي تضيف : " يبدو أن فريتو معتاداً على المكان " .

" وكذلك أنا ، إلا أنني لم أرك هنا من قبل ، ولقد فوجئت في الواقع . فلقد كنت تؤكدين في المنزل بأنكِ في الطريق إلى كاليفورنيا " .

" لقد ذهبت إلى المقبرة . وتأخر الوقت . فقررت أن أبقى هنا الليلة على أن أغادر مبكراً في الغد " .

استمع إليها من دون تعليق ، ثم سألها : " هل طلبت شيئاً ؟ "

" شطيرة لحم بالجبن " .

نادى على الطاهي الذي كان يراه عبر الفتحة خلف منضدة تلقى الطلبات : " جرادي ، ضاعف الطلب لو سمحت " .

" على الرحب " .

رجع بظهره في المقعد وقال : " والآن ، ما الذي كنتِ تقولينه عن التعامل مع سلاب واتكينز ؟ "

قالت في دهشة مفاجئة : " واتكينز ، لقد تذكرت الآن . إنه ذلك المشاغب في المدرسة ، كان يسبقني بعدة سنوات . لقد رسب لعدة سنوات فيما أتذكر . وقد تم فصله ذات مرة لتلصصه على غرفة خلع الملابس الخاصة بالفتيات من خلال النافذة " .

" ما زال مشاغباً . لقد سمعت من كريس أنه قد أُطْلِق سراحه مؤخراً من السجن وأنه تحت المراقبة . لقد رأيتك عبر النافذة وأنا أوقف العربة ، وبدا لي أنكِ بحاجة إلى المساعدة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل تود أن تسمع عبارة " أشكرك لأنك أنقذتنى " ؟ "

ابتسم ، ثم نظر إلى المضيفة التى تقترب وغمز لها وهى تضع كأس المياه الغازية أمامه وقال : " أرى أنكِ تذكرت شريحة الليمون من دون حتى أن أطلبها . أشكرك " .

ردت عليه بابتسامة لعوب : " على الرحب " .

قال للمضيفة : " هل تعرفين ساير لينش ؟ "

تبادلا ابتسامة محايدة . وقالت لهما المضيفة فى صوت هامس : " لقد أساء سلاب واتكينز إلى سمعة المكان . أتود أن أمسح لكما الطاولة ، يا بيك ؟ "

" هى على ما يرام ، أشكرك " .

" كان من اللازم أن يبقوه فى السجن " .

" سرعان ما سيعود بعد قليل من الوقت " .

" أتمنى أن يجد هو وأوغاده مكاناً غير هذا حتى يحين ذلك الوقت . شطائر اللحم ستكون جاهزة سريعاً . أسعدنى لقاؤك " ، قالت هذه العبارة الأخيرة لـ " ساير " قبل أن تبتعد . إلا أن ساير أحست عدم الصدق فى نبرتها . فقد بدا لها أنها قد تركتها مع بيك ميرشانت على مضض .

يبدو أن تلك المضيفة لم تكن القلب الوحيد الذى يعلقه بيك فى بلدة ديستينى ، وكانت ساير تتفهم سبب هذا . فهو نو جاذبية لا تقاوم ـ العينان الخضراوان ، الشعر الأشقر الجريء ، الابتسامة التى توحى بأنه قادر على إغواء أى امرأة . كما بدا متأنقاً فى سروال الجينز وقميصه الخفيف ، فلم يقل تأنقاً عما كان عليه هذا الصباح . شخصية جذابة بالفعل .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ولكنه مثل كريس فى أناقته . وهو أيضاً وسيم كنجوم السينما . إلا أن الحرباء كذلك جميلة وجذابة ، ولكنها سامة . فقد كان كريس ثعباناً يلدغ من يعجب به .

لم تكن تثق فى بيك ميرشانت بأكثر مما تثق فى كريس ، بل ربما أقل درجة . فقد كان كريس وغداً بطبعه ، بينما بيك وغد مدفوع الأجر .

قال بيك : " ستحزن سيلما لو علمت بأننا قد حضرنا هنا لتناول الطعام بعد كل محاولاتها معنا طيلة اليوم " .

" إنها تحبنا . دوماً ما كانت كذلك . بأكثر مما نستحق " .

أسند ذراعيه على الطاولة ، ومال بجسده إلى الأمام قائلاً : " ما الذى يدعوكِ إلى الظن بأنك لا تستحقين هذا الحب ؟ "

" أنت محام ، يا سيد ميرشانت ، ولست طبيباً نفسياً " .

" أود أن أفتح معكِ حواراً . هذا كل شىء " .

" لقد استخدم سلاب واتكينز نفس هذه العبارة " .

ضحك بصوت عالٍ : " فأنا بحاجة إلى تحسين أسلوبى إذن " ، أخذ يقلب الماصة فى كأسه لبضع دقائق ، ثم قال فى نبرة بطيئة : " أنا أعتذر لكِ ، يا ساير " . تطلع إليها ، ليقابل نظراتها : " أعتذر عما قلته لكِ عن ميتشيل العجوز . فلم تكن العبارة مناسبة . حتى ولو كنت غاضباً فأنا عادة ما أنأى عن مثل هذا الأسلوب " .

كانت تمقت ما أحست به من عدم تصديق لما بدا أنه اعتذار صادق ، فلم ترد بشىء ، واكتفت بأن هزت كتفيها فى تقدير .

عادت المضيفة ومعها طعامهما . كانت الشطائر والبطاطس المحمرة على النحو الذى أراداه ، شهية ، وساخنة ، ومشبعة . ظلا يأكلان فى صمت لعدة دقائق ، إلا أنها كانت على دراية بأنه يراقبها . وفى النهاية تكلمت : " ما الأمر ، يا سيد ميرشانت ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ماذا ؟ "

" أنت تحدق إلىّ " .

" هممم ، آسف . فلقد كنت أفكر . أكان من الصعب عليكِ أن تشكريني ؟ "

" على ماذا ؟ "

" لإنقاذك من واتكينز " .

أومأ إلى ما وراء النافذة . فالتفتت لترى الرجل وهو يستقل دراجته البخارية . كان يشير إليهما بإصبعه فى عداء ، قبيل أن يندفع بها عبر الطريق السريع .

" إشارته هذه تلخص ما يكنه لنا ، أليس كذلك ؟ " قالت وهى تنظر عبر المكان ثم أضافت : " كان بوسعى أن أتعامل مع الموقف ، ولكننى كنت سألفت الأنظار وأصبح حديث البلدة فى اليوم التالى . لذا ، أشكرك " .

" أنا ممتن لذلك " .

" لقد ذكر بأنه قد لقنك درساً من قبل . أهذا صحيح ؟ "

" هذه هى رؤيته الخاصة " . أنهى شطيرته وسحب منديلين ليمسح يده : " لقد كان سلاب واتكينز السبب فى عودة المياه إلى مجاريها بينى وبين كريس " . ثم أخبر المضيفة ، التى عادت لرفع الأطباق : " أحضرى قدحى قهوة من فضلك . ولو لاقيت فريتو فأرجو أن ترسليه إلى هنا " . أخبرته بأن الكلب نائم ثم ذهبت لإحضار قهوتهما . ارتاحت ساير لكونه قد طلب لها القهوة . فهى أفضل شىء بعد هذه الوجبة الدسمة .

" لقد التقيت كريس فى الجامعة ، حينما انضممت إلى نفس الجماعة الطلابية . كان يكبرنى سناً . تصادقنا قبل أن يتخرج هو . ولم نلتق ثانية إلا بعد ثلاث سنوات " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قابل قدوم القهوة بابتسامة للمضيفة ، ثم حذر سايبر وهي تهم برفع قدح القهوة إلى فمها قائلاً : " إنها قهوة مرة المذاق غنية بالكافيين " .

" إني أتناولها منذ نعومة أظافري ، كما أنني ما زلت أطلب شحن كميات منها إليّ في سان فرانسيسكو " . ارتشفت القهوة ، ثم قالت : " ما الذي حدث منذ ثلاث سنوات ، فأدى إلى عودتك إلى كريس ؟ "

" قضية جين إيفيرسون . كان الأمر غير مباشر . ما مدى علمك عن هذه القضية ؟ "

" ما قرأته فقط في نشرات الشركة " .

" تلك التي طلبت عدم إرسالها إليكِ ، إلا أنكِ في نفس الوقت تطالعينها ؟ "

نال منها في هذه النقطة ، إلا أنها لم تكن لتعترف بهذا . لقد كانت تواظب على قراءة النشرات ، لا لكونها اهتمت بنشاط هَف وكريس ، ولكنها كانت مهتمة بمن يعمل لديهما من رجال ونساء ، وبمستقبل هذه البلدة . فمن دون شركات هويل ، ينهار اقتصاد البلدة . ستبقى مئات الأسر من دون دخل . ومع أنها لم تود أن تتربح من المسبك ، إلا أنها شعرت بمسئولية أخلاقية تدفعها إلى متابعة أموره ، بكل تفاصيلها .

قالت : " إن المعلومات التي تحتويها النشرات تمر على هَف وكريس ويحذفان منها ما يشاءان . بمعنى أن مصدري بخصوص قضية إيفيرسون لم يكن مصدرًا محايدا يعتد به . ما الذي يمكنك أن تقوله عنها لي ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

عاد بظهره إلى الوراء وتأملها للحظات . " لقد اتهم أخاك بجريمة قتل ، إلا أنكِ لم تهتمي بمعرفة حقائق القضية . ألا يبدو هذا الاهتمام متأخراً ؟ "

" أنا لست مهتمة ، ولكن هو الفضول . فلا يهمني كريس في شيء . ونفس الأمر بالنسبة لـ " هَف " . فلقد هجرتهما منذ عشر سنوات ، ولا يهمني أن يبدو لك هذا قاسياً وصادماً " .

" وماذا عن داني ؟ "

عادت نبرتها الحزينة مرة أخرى وهي تتذكره : " داني ... لم يكن أمامه من بد سوى أن يخضع لهما . وأنا متيقنة من أنك كنت شاهداً على هذا في كل يوم . لم يكن داني يجيد الدفاع عن حقه " .

" أما أنتِ ، فلا " .

قالت لنفسها ، ليس سوى خلال العشر سنوات الماضية ، بعد أن كانت قد وصلت إلى الحضيض . ليس إلا بعد أن وجدت أن نجاتها لن تتحقق إلا بهجر العائلة والبلدة بلا عودة .

قالت : " لقد كنت محظوظة . فلقد وجدت في النهاية القدرة على تحدي هَف والرحيل . وهو ما لم يستطعه داني " .

تردد بيك ، قبل أن يقول : " ربما قرر الرحيل هو الآخر ، ولكن بأسلوبه هو ، يا ساير " .

" ربما " .

" ولكنك كنت ترين فيه ، عند رحيلك من هنا قبل عشر سنوات ، أنه لين العريكة " .

" نعم ، لقد رأيت فيه هذا " .

فالحقيقة هي أنها فارقتهم وهي تكرههم جميعاً . إلا أن مشاعرها حنت إلى داني بعد سنوات العلاج النفسي ـ ولكنها لم تكن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بالدرجة التى تدفعها إلى أن ترد على مكالماته الهاتفية التى أتت فجأة .

ارتشفت قهوتها وهى تفكر ، ولكنها عندما أعادت القدح فوق صحنه أدركت أن بيك ميرشانت كان ينظر إليها فى اهتمام مشوش . وبُخت نفسها لحديثها معه حول أمور شخصية لم تبح بها من قبل سوى لطبيبها .

قالت له : " كنا نتحدث عن قضية جين إيفيرسون " .

" هذا صحيح " . قالها وهو يعتدل فى جلسته متنحنحاً : " ما الذى تودين أن تعرفيه ؟ "

" هل قتله كريس ؟ "

ارتفع حاجبه الأيسر فى دهشة : " إن كلماتك صادمة " .

" هل قتله ؟ "

" لقد كان الدليل ضد كريس ضعيفاً " .

قالت : " هذه ليست بإجابة . لنقل إنها إجابة محام " .

" كانت أدلة الادعاء من الضعف الكافى لعدم إقناع هيئة المحلفين " .

" ولم يتم استئناف القضية " .

" لم يكن من المفترض أن تكون هناك قضية من الأصل " .

" لا جثة ، لا جريمة قتل ؟ " . كانت تلك هى العبارة التى قرأتها من قبل . فلم يتم اكتشاف جثة جين إيفيرسون أبداً . فلقد اختفى من دون أى أثر .

قال : " لو كنت فى موضع محامى الادعاء لما كنت قد وافقت على النظر فى قضية تتعلق بجريمة قتل من دون وجود جثة ، مهما كانت قوة الأدلة الأخرى " .

" وكيف كان لك دور فى هذه القضية ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد قرأت عن المحاكمة . ورأيت أنه لا طائل من ورائها للأسباب التى ذكرتها . فأتيت إلى هنا كى أدعم صديقى القديم ، وأقدم له أية مساعدة . ولكن ما أن وصلت إلى هنا حتى كانت القضية قد انتهت . ووجدت كريس وداني يحتفلان داخل تلك الحانة على الطريق السريع . تعرفين ذلك المكان ؟ "

" رازورباك ؟ "

" هذا هو . كان الكل يشرب على حساب كريس احتفالاً منه بالحكم فى القضية . وكان سلاب واتكينز هناك . وأخذ يثرثر حول أن المال يشترى العدالة ، وأن الأغنياء لا يسجنون أبداً ، وأشياء من هذا القبيل . وهو ما لم يرق لـ " كريس " أو لـ " دانى " . بل إنه كان أول من لكمه دفاعاً عن أخيه الأكبر . وهنا اندلعت الفوضى . فاندفعت لأواجهه ، وعلى خلاف ما يزعمه ، فقد قلبت الكفة لصالح الأخوين . لقد سحنا به الأرض " .

" إذن ، فلقد أنقذت ثلاثتنا من قبضة سلاب واتكينز القبيحة " .

ابتسم قائلاً : " هكذا يبدو الأمر . فأنا شخص من المفيد أن تبقيه إلى الجوار " .

" من المؤكد أن هذا هو رأى هَف وكريس " .

أسند مرفقاه إلى الطاولة ومال إلى الأمام : " أنا مهتم الآن برأيك أنت " .

كانت الجملة بسيطة لدرجة خداعة . فقد أحست بمعنى آخر أشد تعقيداً قالت : " أعتقد أنه قد حان أوان الرحيل " .

وحينما فتحت حقيبتها ، قال : " سوف أدفع حساب عشائك . فلى حساب مفتوح هنا " .

" أشكرك على أى حال " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل تخشين أن تكوني مدينة لى ؟ "

وضعت عشرين دولاراً أسفل السكرية ، ثم نظرت مباشرةً إلى عينيه الجريئتين : " أنا لا أخشى شيئاً ، يا سيد ميرشانت " .

فارق مقعده حينما فارقته وتبعها تجاه الباب . وكان قد نادى على كلبه .

" ماذا ؟ "

أطلق صفيراً حاداً : " هل تخشين الكلاب ؟ "

قبل حتى أن يكمل سؤاله كان فريتو يندفع عبر باب المطبخ المتحرك . كان حيواناً جميلاً ذا فرو ذهبى مع وبر أبيض عند بطنه . أخذ يهز ذيله فى حماس فائق لدرجة أن ساير أسرعت بالابتعاد عنه قبل أن يسقطها أرضاً .

حيا صاحبه بحماس شديد وكأنما لم يره منذ أشهر وليس دقائق . ثم استدار بنفس الحماس تجاه ساير . وأخذ يتراقص حول قدميها ويلعق يديها فى سعادة ، ولم يهدأ إلا حينما قال له بيك : " كن لطيفاً ! " سرعان ما أطاع الأمر وقبع فى مكانه ولكن مع حماس شديد وبقى ينظر إلى ساير فى توسل بعينيه البنيتين حتى تداعبه .

وهو ما فعلته ، وقالت : " كم هو رائع . كم مضى من وقت وهو معك ؟ "

" سنتان . منذ أن كان عمره سبعة أسابيع . أحد العمال أحضره جرواً إلى المسبك . ألقيت نظرة واحدة على الصندوق الذى كان فيه فقررت أن أصحبه معى إلى المنزل " . كان يداعب رأسه بأصابعه . " فى البداية كان يسبب لى الكثير من المتاعب ، إلا أننى لا أستطيع أن أستغنى عنه " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بينما كانت تراقبه وهو يغمر كلبه بإعجابه ، تأكدت سابر من أنه يمتلك عينين جذابتين ، وابتسامة آسرة ، وكلباً لطيفاً . من السهل على أى أحد أن ينخدع فيه . إلا أنها رفضت فكرة أنه شخص لطيف . فهو فى نهاية الأمر المستشار القانونى لـ " هَف " هويل ، قادر على تنفيذ ما هو معتاد من حيل فى عالم الشركات وما خفى كان أعظم . لم تكن لتستغرب من أى شىء منه ، حتى أنه ربما كان يتظاهر بحبه لكلبه محاولة منه لنيل إعجابها .

دلفا إلى الخارج ، حيث كان الجو أشبه بالفرن مقارنة بالهواء المكيف بالداخل . احتضنها الهواء الرطب ، وكاد يخنقها للحظة . بدأت تشعر بدوار ، وطنين فى أذنيها .

لمس مرفقها قائلاً : " هل أنتِ على ما يرام ؟ "

ضغطت بيدها على صدرها وأخذت تتنفس عبر أنفها بعمق وتزفر الهواء من فمها . انحسر الدوار . وأدركت أن ذلك الطنين فى أذنها لم يكن سوى صوت مصابيح النيون فى النافذة والتى تُبَيِّن أسعار الطلبات بالنادى . " لم أتكيف بشكل جيد مع الجو هنا " .

" يتطلب الأمر وقتاً " . ثم اضاف وهو ينظر إليها : " إلا أنكِ لن تمكثى هنا وقتاً يكفى لتتكيفى مع الجو ، أليس كذلك ؟ "

" كلا . ليس وقتاً طويلاً " .

أومأ برأسه ، إلا أنه لم يتركها وبقى يركز نظراته على وجهها .

قالت : " قبل أن أنهب ، أردت أن أسألك .... آه ! " .

" ماذا ؟ "

" لقد داس فريتو فوق قدمى " .

كان الكلب يحاول أن يقحم جسده بينهما عندما وقعت مخالبه على مقدمة قدمها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أنا آسف " . فتح الباب الخلفى لعربته وأشار إلى فريتو كى يدخل . قفز كلب الصيد إلى الداخل بطريقة تبين أنه اعتاد هذا آلاف المرات ، ثم أخرج رأسه عبر النافذة ، ولسانه يتدلى من جانب فمه ، ينظر إليهما فى عاطفة صادقة .

اتجهت ساير إلى جسم العربة بقدم واحدة وارتكنت عليها كى تفحص قدمها .

" هل جرحتِ ؟ "

" كلا . لا بأس " .

" أنا فى غاية الأسف . فهو يظن أنه كلب صغير " .

و مع أن قدمها كانت تدمى ، قالت : " لقد فاجأنى ولم يؤذنى " .

" ما السؤال الذى كنتِ على وشك أن توجهيه إلىّ ؟ "

أخذت لحظة لتتذكر . ثم قالت: " كيف لمجرد أنك ساعدت أخواى فى مشاجرة أصبحت كبير مستشارى شركات هويل ؟ كم مضى على تلك الليلة فى رازورباك قبل أن يلحقك هويل بالعمل معه ؟ "

قال ساخراً : " ما إن أفقت ... فى الحقيقة إن كريس كان قد دعانى لأن أبقى لمدة أيام ، لأصحبه فى رحلات الصيد ، وأبقى إلى جواره . وخلال تلك الزيارة ، كان قد عرف بأنى غير راض عن المؤسسة القانونية التى كنت أعمل لها . ومع نهاية زيارتى قدم هَف عرضاً لى لم يسعنى أن أرفضه . ولم يكن الانتقال إلى هنا يمثل لى مشكلة . فلم آت إلى ديستينى قاصداً البقاء ، إلا أن الموافقة على العرض كانت تتطلب تفكيراً منى " .

أدخل أصابعه فى طوق فريتو وهو يداعب مؤخرة رقبته . كانت عينا الكلب مغمضتين . وكأنما أسكرته المتعة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

سألته ساير وهي تعود بتركيزه إلى الموضوع عما حدث لـ " كالفين ماكجرو " . فلقد كان محامي هَف لفترة طويلة . وقد حل بيك ميرشانت محله .

" لقد تقاعد السيد ماكجرو " .

بادرته قائلة : " أم أن هَف قد أحاله إلى التقاعد " .

" لم أعرف بما اتفقا عليه معاً . وأنا متأكد من أن هف قد عرض عليه تسوية مميزة للتقاعد " .

" وأنا واثقة من ذلك بالطبع . فشراء صمت ماكجرو يتطلب ثمناً باهظاً " .

" صمته ؟ "

" صمته على رشوة هيئة المحلفين خلال محاكمة كريس بتهمة القتل " .

توقفت أصابع بيك عن الحركة ، وسحب يده تدريجياً من رقبة فريتو . عوى الكلب في شكوى ، إلا أن صاحبه لم يكن منتبهاً له . فقد كان تركيزه على ساير . فاقترب منها ولم يتوقف حتى وقف أمام وجهها مباشرة ، ليحتجزها بين جسده والعربة من خلفها .

قالت وهي تتراجع : " ابتعد " .

" ليس بعد " .

" ما الذي تفعله ؟ "

" أعترف لكِ . فلقد كذبت عليكِ " .

" كنت أتوقع هذا . فأرجو أن تكون أكثر تحديداً " .

" بشأن البعوضة " .

حدقت إليه وهي لا تفهم ما يرمي إليه .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أتذكرين ظهيرة هذا اليوم عند البركة ، حينما أبعدت البعوضة عن خدك ؟ لم تكن هناك أية بعوضة ، يا ساير . كنت أود فقط أن ألمس وجهك " .

لم يكن يلمسها الآن ، إلا بعينيه ، وكانت لمستهما أقوى من لمسات الأصابع . لم يكن من اللائق أن يقترب منها إلى هذه الدرجة . فقد كانت مسافة غير مناسبة بين الغرباء . كما أنها مسافة غير مريحة . المسافة قريبة لدرجة أن كلا منهما كان يشعر بحرارة جسد الآخر ، ويشتركان فى الهواء الرطب نفسه .

" أنا لا أذكر ذلك الموقف " ، كانت تكذب . نحته جانباً ، واتجهت إلى سيارتها ، التى كانت تقف بالقرب من المكان . وما أن وصلتها ، حتى لحق بها . جذبها من مرفقها ، لكى يجبرها على أن تلتفت إليه .

" اولاً لا يهمنى أنكِ لا تتذكرين هذا . ثانياً ، لقد ألقيت بالكثير من التهم هذه الليلة . تقولين إن كريس قد أفلت بفعلته ، ثم اتهمت أباك برشوة المحلفين . هذه فى حد ذاتها جرائم خطيرة " .

" وكذلك التلاعب بالأدلة "

رفع كتفيه وهو يجيبها : " لا أفهم " .

أشارت ناحية العربة وهى تقول : " طمى أصفر " . ثم أضافت : " إطارات العربة مغطاة به . وكذلك حذاؤك " . تحولا بأنظارهما بشكل عفوى إلى الحذاء الثقيل الملطخ بالطمى أسفل سرواله الجينز . قالت وهى تعاود النظر إلى وجهه : " لا يوجد سوى مكان واحد به هذه التربة المصفرة . بركة بوسكوت . حيث معسكر الصيد " .

تقلص فكه وهو يسألها : " ما الذى تلمحين إليه ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد ذهبت إلى هناك الليلة ، أليس كذلك ؟ لا تحاول الكذب . فأنا أعرف أنك فعلت . ولكنى أتساءل عما فعلته أثناء وجودك هناك " .

قال: " أتعرفين أنك تصلحين للعمل مع المباحث الفيدرالية ، إن حدث وفشل عملك فى مجال التصميمات ؟ "

" لقد أخبرنا الضابط سكوت بأن تلك الكابينة بالمعسكر تعد مسرح جريمة حتى إشعار آخر . وقال إنه قد تم إغلاق المكان " .

" بشريط فوسفورى أصفر " .

" والذى تخطيته أنت " .

" أتعلمين أن الكلاب مصابة بعمى الألوان ؟ لم يدرك فريتو أنه شريط يحيط بمسرح الجريمة . فمرق عبره . وكان علىّ أن أتبعه لأستعيده " .

" مع أنه يستجيب فوراً لكل إشارة وصافرة ، ولفظة منك ؟ "

هنا حل بينهما صمت ثقيل . وأدرك أنه قد زل فى نهاية الأمر .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثامن

كان قصيراً ، سميناً ، وردى اللون .

لا جدال فى هذا ، هكذا قال جورج روبسون لنفسه .

كانت المرآة الطويلة المنيرة ، ذات الثلاث أوجه فى حمامه تكشف له فى صراحة فجة عن كل ما فى جسده من عيوب . لم يعجبه ما رآه . فمع كل يوم يتبين له أن شعر رأسه يتضاءل بينما يتكاثر فوق ظهره . وقد تهدل صدره ، وترهلت بطنه . ولم يكن الحال أسفل بطنه بأفضل مما هو فوقها .

من الممكن أن يساعد قضاء وقت أطول فى صالة الألعاب ـ على حساب ذلك الوقت الذى يقضيه فى ملعب الجولف ـ على تحسين حال عضلات كتفيه وبطنه . ولكنه يقف عاجزاً أمام بقية أجزاء جسمه . هذا ما كان يقلقه . إن له زوجة جميلة شابة ، وعليه أن يرضى رغباتها ، ومن المؤسف أن أداة إرضاء هذه الرغبات كانت فى أسوأ حال .

ارتدى سرواله الداخلى فى خجل ، قبل أن يلتحق بـ " ليلى " فى حجرة النوم . كانت راقدة فى الفراش تطالع إحدى مجلات الموضة . اندس فى الفراش إلى جوارها قائلاً : " أنتِ أجمل من أية

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

عارضة في هذه المجلة " . لم يكن يقول هذا مجاملةً ، فهذا ما كان يعتقده . فقد كانت ليلى أجمل امرأة رآها .

" هممم " .

" إني أعني هذا بكل صدق " . كانت ترتدي قميص نوم من أحد التصميمات التي يحبها . فهو يتخذ شكل أشرطة قصيرة دقيقة . انسدل أحدها عن كتفها . فمد يده ليزيد من انسدالها ثم داعب جسدها .

أبعدت يده وهي تقول : " الجو حار جداً الليلة " .

" ليس هنا يا حلوتي . فلقد ضبطت جهاز التكييف عند ثمان وستين درجة ، تماما كما تريدين " .

" أشعر بأن الجو حار " .

هنا تمدد في الفراش في صمت ولم يقاطعها بعد هذا وهي تطالع مجلتها . كان يحدق إلى وجهها ، وشعرها الجميل ، وذلك الجسد الرائع ، وحاول أن يبدد مخاوفه . هل ما سيقوم به مضمون ؟ لم يكن يريد أن يعرف الإجابة ، لكنه كان مضطراً لأن يعرف ، لأن عدم المعرفة يقوده إلى الجنون .

فقال بنبرة حاول جاهداً أن تبدو لا مبالية : " كانت جنازة لطيفة اليوم " .

لم تغير من نبرتها وهي تجيبه : " كانت مملة . كدت أنام أثناء تلك الطقوس في دار العبادة " .

" لقد أقام هَف استقبالاً أنيقاً للمعزين " .

" كان جيداً " .

" وأين اختفيت هناك ؟ "

ردت وهي تقلب الصفحة : " أين اختفيت ؟ ... متى هذا ؟ "

" ظللت أبحث عنك في ذلك المنزل لفترة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تطلعت إليه وهى تقول : " ذهبت إلى الحمام " .

" لقد بحثت عنكِ هناك " .

" كان هناك زحام على الحمام بأسفل . فصعدت للطابق العلوى . هل يريحك هذا ؟ أم كان على ألا أذهب إلى الحمام إلى أن نعود لمنزلنا ؟ "

" لا تغضبى ، حلوتى ، فقط كنت ... " .

" أوه ، انسى الأمر " قالتها ، ثم ألقت المجلة على الأرض وأضافت : " الجو حار لدرجة تمنعنى من المجادلة حول أمر غبى مثل الذهاب إلى الحمام " .

بدأت تعدل من وضع الوسائد أسفل رأسها . كانت قد اشترت أغطية الوسائد الحريرية المطرزة من متجر متخصص فى نيو أورليانز . كانت باهظة الثمن . ولقد جن جنونه حينما اكتشف الثمن من خلال إيصال البطاقة الائتمانية .

قال لها فى ذلك الوقت وهو فى غاية الغيظ : " هل أنفقت هذا المبلغ على أغطية وسائد ؟ "

أخبرته بأنها ستعيدها إلى المتجر ، إلا أنها بقيت حزينة لمدة أيام حتى استسلم وطلب منها أن تحتفظ بها . شكرته والدموع فى عينيها واصفة إياه بأنه أفضل الأزواج . فأسلم نفسه لعواطفها .

قال لها وهو يضع يده على خصرها : " أشكرك لمرافقتك إياى اليوم ... كان من المهم أن نذهب " .

" كان علينا طبعا أن نذهب . فأنت تعمل لديهم " .

" منصب مدير الأمان منصب مهم ، كما تعلمين . فلدى العديد من المسئوليات ، ليلى . ومن دونى فإن آل هويل ... " .

قاطعته : " هل أطعمت القطة ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد خلطت الطعام الجاف مع المعلب تماماً كما طلبتِ منى . على كل ، فإن عملى بالمصنع لا يقل أهمية عن عمل كريس . بل ربما يفوقه أهمية " .

توقفت عن مداعبة سطح الوسادة ونظرت إليه : " لا أحد يشكك فى أنك من بين كبار موظفى المسبك ، يا جورج . فأنا أول من يعلم بتلك الساعات الطوال التى تبذلها لأجل ذلك المكان " ، ثم قالت وهى تمط شفتيها : " أنا أحس بهذا ، لأن كل ساعة تقضيها هناك تعنى أنى هنا وحيدة من دونك " .

ابتسمت إليه فى دلال وقالت له بصوت مغرٍ : " هل لديك شىء لى الليلة ، يا جورج ؟ "

مررت يدها فوق سرواله ، كانت تعرف كيف تمتعه بطريقتها هى . وحينما بدا يعانقها ويداعبها أخذت تضحك فى دلال وكأنما تستمتع بالفعل كما يستمتع هو .

ربما كان مخطئاً . ربما أصابه الشك المرضى وأصبح يتخيل أشياء لا وجود لها ، ويرى ما لاوجود له فى الواقع . فقد كان قصيراً ، بديناً ، وردى البشرة ؛ بينما كان كريس هويل طويلاً ، وأسمر ، ووسيماً . كما أن شهرته قد ذاعت كزير نساء .

لقد كان جورج على دراية بعدد من الرجال فى المصنع ممن فسدت أو انتهت علاقاتهم الزوجية بسبب وقوع زوجاتهم فى هوى كريس . فمن الطبيعى أن يشعر الرجل بالقلق كلما كانت زوجته على مقربة من زير النساء هذا .

لقد عمل لدى آل هويل طيلة عشرين عاماً . وبذل من أجلهم الكثير ـ الوقت ، الذمة ، الكرامة . ولكن كلما زاد عطاؤه ، زاد نهمهم للمزيد . فهم يقتاتون على البشر ، وعلى حياة الناس ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وأرواحهم . تقبل هو هذا منذ زمن طويل . وكان على استعداد للعب دور الرجل الذى لا يقول لا .

و لكن للصبر حدود ، ولكل شيء خط أحمر . وهذا الخط الأحمر بالنسبة لـ " جورج " كان ... زوجته .

هبط هَف الدرج العريض ، وهو لا يرتدى سوى سروال قصير وقميص داخلى عتيق من القطن . كان يحاول أن يهبط من دون أن يحدث صوتاً ، على أن بعض خطواته كانت تصدر صريراً ، فما أن وصل إلى الطابق الأرضى ، حتى كانت سيلما فى انتظاره وهى ترتدى رداء النوم الذى كان ثقيلا لا يتناسب مع حرارة الجو .

" أتحتاج شيئاً ، يا سيد هويل ؟ "

" سيكون من الجيد لو أننى تمتعت ببعض الخصوصية فى منزل اللعين هذا . هل تنصتين إلى كل خطوة فى هذا المكان ؟ "

" أرجو أن تعذرنى إننى لقلقى عليك " .

" أخبرتك ألف مرة فى هذا اليوم بأنى بخير " .

" أنت لست على ما يرام ، عليك فقط أن تستسلم للراحة " .

" هل يمكن أن نؤجل هذا الحوار لوقت آخر ؟ إننى أرتدى ملابسى الداخلية " .

" على أن أغسل هذه الملابس الداخلية إنن . أتعتقد أن رؤيتى لك وأنت ترتديها سيصيبنى بإغماءة ؟ كما أن منظرك ليس باللطيف على الإطلاق " .

" عودى إلى فراشك قبل أن أطردك من هنا إنن " .

دارت ـ فى شموخ راقصة باليه محترفة ـ حول نفسها على عقبيها وانسحبت إلى تلك الظلمة فى مؤخرة المنزل .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان هَف قد رقد في فراشه لبرهة من الوقت ، مجهدًا ، ولكنه متوتر . فمخه ـ حتى أثناء نومه ـ لا يهدأ أبدًا . تمامًا كتلك الأفران في مسبكه ، يحترق عقله في سخونة طيلة الليل تمامًا كأثناء النهار . فبعض أعقد المشكلات كانت تجد طريقها إلى الحل أثناء نومه . فكان يأوى إلى فراشه وفي عقله مشكلة ، ليستيقظ في الصباح التالي وعقله الباطن قد أوجد لها حلاً .

إلا أن مشكلات الليلة كانت مقلقة بالفعل ، فلم يأته النوم . في كل مرة يغلق فيها عينيه ، يرى صورًا لمقبرة داني . فما المقبرة إلا حفرة في الأرض ، حتى ولو غطتها الزهور ، فلا مدعاة للفخر بهذا .

بدت له جدران غرفة نومه وكأنما تنطبق عليه ، تمامًا كجدران الأرض داخل مقبرة داني ، ومثل كفن تابوته الحريري . لم يكن هَف ممن يخافون من الأماكن المغلقة ، وخاصةً داخل منزله . ومع أن تيار الهواء المكيف كان موجهًا إلى فراشه ، إلا أن غطاء الفراش كان رطبًا بعرقه ، يضايقه لدرجة أنه لو حاول أن يدفع قدمه ليلقى بالأغطية لما استطاع .

كان يعاني من الحموضة في معدته . فبدلاً من أن يرقد ليجتر تلك الأفكار الحزينة حتى الفجر ، قرر أن ينهض ليخرج . ربما أسهم سكون الريف في الليل في تهدئة أعصابه وجلب النعاس إليه .

جذب البوابة الأمامية . لم يكن هناك نظام إنذار في المنزل ، ونادرًا ما كانت الأبواب تغلق . فمن هذا الذي يجرؤ على أن يحلم بسرقة شيء من هَف هويل ؟ فهذا السارق إما أن يكون جسورًا لدرجة غير عادية أو أن يكون مطبق الجنون .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان هَف يمقت أى عِرق أو جنسية تختلف عنه ، إلا أنه كان معجبا بتلك العدالة السريعة التى تطبق فى البلدان الإسلامية . فلو أنه ألقى القبض على شخص يسرقه ، لأمكنه أن يقطع يده وبعدها يمكنه أن يسلمه لهذا النظام القانونى الواخم ، الذى أصبح اليوم أشد اهتماما بالحقوق المدنية اللعينة للمجرم بأكثر من عقابه على جرمه .

مجرد التفكير فى هذه الأمور زاد من الحموضة التى يشعر بوطأتها ؛ فتجشأ فى ألم .

أراح هَف نفسه على كرسيه الهزاز المفضل وأشعل سيجارة . نفث الدخان وهو ينظر للخارج فرأى الأفق يضوى بأنوار المسبك . صنعت أعمدة الدخان طبقة خفيفة من الغمام فوق البلدة . قد يكون هو فى راحة مؤقتة ، إلا أن العمل لا يمكن أن يتوقف أبدا .

تبقى مراوح السقف فى هذا المجلس تدور طيلة الصيف ، فهى توفر غالبا النسمات التى يحتاج إليها ، تماما فى جو كجو هذه الليلة . استرخى هَف فى كرسيه مستمتعا بمداعبة الهواء اللطيف لجسده المتعرق . أغلق عينيه ، وأفكاره تعود إلى الوراء عند المرة الأولى التى رأى فيها مروحة سقف . لقد تذكرها وكأنها حدثت بالأمس .

كان قد ذهب إلى صيدلية بصحبة والده ، الذى كان يبحث عن عمل . كان الصيدلانى يرتدى رابطة عنق معقودة وحمالة سروال . عرض والد هَف ـ والقبعة فى يده ورأسه محنى ـ بوداعة أن يقوم بمسح أرضية المكان بالمكنسة ، أو أن يحرق القمامة فى البراميل الضخمة فى الخارج ، أو أن يقوم بأى عمل حقير متعب آخر ينأى غيره عن القيام به . فقد لاحظ مثلا بعض اللطخ أسفل إفريز السطح ، فسأل صاحب المكان عما إذا كان يريد منه أن يزيلها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بينما كان الرجلان يتفاوضان حول شروط العمل المؤقت لوالده ، كان هَف الصغير واقفاً يراقب ريشات المروحة بالسقف أعلاه ، وهو منبهر بتلك الآلة الرائعة التي تبعث الهواء البارد ليداعب شعره ويجفف العرق عن وجهه الذى لفحته الشمس .

ظل والده طيلة ذلك اليوم يرص الأرفف ويمسح الأرضية ويغسل النوافذ . وأحرق القمامة تحت الشمس الحارقة وطلب من هَف أن يساعده بالبحث عن الشرارات الشاردة فيطفئها . سلبت ألسنة اللهب وموجات السخونة عقله وهو يراها تتلاعب خارج البراميل .

أخذ والده يجر ويسحب ويحمل لأجل صاحب الصيدلية حتى انحنى ظهره وبدا الإرهاق على وجهه . ومع هذا فقد وجد هَف ما يأكله فى هذه الليلة ، وكانت شطيرة من الجبن بالفلفل الحلو وشراب الصودا ، كان هذا الطعام قد تبقى من صاحب الصيدلية . وكان هذا أطيب طعم تذوقه ، مع أنه شعر بالذنب لأنه كان يأكل أمام والده ، الذى قال إنه ليس جائعاً .

كان هَف يتمنى أن يقدم له صاحب الصيدلية الآيس كريم ، تماماً كما كان يراقبه وهو يعده للناس طوال اليوم ، ويرص كراته فوق بعضها لدرجة أنه كان يندهش لأنها لم تكن تسقط .

إلا أن صاحب المتجر لم يعرض عليه واحدة ، وما أن تناول هَف شطيرته ـ وكان يحاول أن يجعلها تدوم لأطول فترة ممكنة ـ حتى قال له الرجل إن الوقت قد حان كى يرحل هو وأبوه ، وهى عبارة كانا يسمعانها كثيرًا .

ألقت الأضواء الكاشفة بقوس من الضوء على العشب أمام المنزل . أبعد ظهره عن كرسيه ومسح بيديه على وجهه كما لو أنه يغسل الذكريات والحرج الذى يمكن أن يشعر به لو أن أحداً عرف بها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

اقتربت سيارة كريس البورش كاريرا حتى توقفت ، وغادرها . سار بخطى متسارعة عبر المشى وكاد يتجاوز المدخل إلى أن رأى هَف .

قال لوالده : " ما الذى تفعله هنا فى هذا الوقت من الليل ؟ "

" ما الذى ترى أنى أفعله ؟ "

" رداء أنيق " ، علق كريس فى دهشة وهو يجلس إلى الكرسى المهزاز الآخر ويمد ذراعيه إلى ما فوق رأسه : " إننى فى غاية التعب ، يمكننى أن أنام طيلة النهار فى الغد " .

" لديك عمل فى الغد " .

" سوف أبلغهم بإجازة مرضية . فمن هذا الذى سيفصلنى ؟ "

غمغم هَف فى حنق : " ما الذى أخرك إلى هذا الوقت ؟ "

" لقد أتت والدة جورج مصابة بفيروس فى المعدة . اتصلت فى وقت غير مناسب على الإطلاق . فما أن أدرك جورج المسكين الخبر حتى أصبح لزاما عليه أن يذهب ليطمئن على والدته ، تاركا ليلى وحدها " .

" هذه البنت مشكلة " .

" بالفعل . وهذا هو المثير فيها " .

نفخ هَف الدخان وهو يقول : " هل ستضيع أفضل سنواتك فى إغواء الزوجات البائسات ؟ أم أنك ستعيد زوجتك إلى فراشك وتعمل على أن تصبح حاملا منك ؟ "

ضغط كريس براحتيه على عينيه كما لو أنهما آلمتاه فجأة : " أنا لن أتحدث فى هذا الأمر الليلة " .

قال هَف : " سنتحدث فى الأمر فى الوقت الذى أحدده أنا ... لقد كنت تتهرب من موضوع مارى بيث طيلة أسابيع . وأنا أريد أن أعرف ماذا يجرى بينكما " .

" حسناً " . أسند كريس رأسه على ظهر كرسيه وهو يتنهد : " لقد رفضت أن توقع على وثيقة الطلاق . لقد استشار بيك أفضل محام متخصص فى قضايا الطلاق فى نيو أورليانز . وهو يقف فى صف الرجال وليس الشاكيات اللاتى يمتصصن أموالنا . فهو صارم معهن .

لقد أعد الوثيقة ، وراجع بيك كل كلمة فيها . وفى رأيه أنها كانت أفضل اتفاق ممكن لى كما أنه لم يبخس حق مارى بيث " . توقف عن هز كرسيه ومال عبر المسافة التى تفصل بينهما ، ليقترب بوجهه إلى وجه هَف : " ولكنها لن توقع " .

" فهناك أمل فى المصالحة إذن " .

ضحك كريس ضحكة مقتضبة وهو يعود إلى جلسته السابقة . " مارى بيث لا ترفض الطلاق لأنها تود البقاء معى . بل هى لا تفكر فى هذا ؛ فهى تمقتنى ، وتكرهك ، وتكره البلدة ، والمسبك . إنها تحتقر أى شىء يخصنا " .

" ماذا دهاك يا ولد ؟ إنها مجرد امرأة . عليك أن تنهى علاقتك مع ليلى وتذهب إلى المكسيك . أعد زوجتك إلى صوابها . قم بما عليك أن تفعله لتخلب لبها . . . أزهار ، مجوهرات ، سيارة جديدة ، حتى لو أرادت عمليات تجميل فافعلها لها .

عليك أن تكسب ودها من جديد بالهدايا . قليل من التنازل لن يقتل كبرياءك . حتى تنجح فى أن تعيدها وتجعلها حاملاً منك ، ثم أغلق الباب عليها حتى تلد . وما أن ننال منها الولد ، يمكننا أن ندعى بأنها أم غير مناسبة ، وعندها تطرد من دون سنت واحد " .

هز كريس رأسه : " هذا لن يحدث ، يا هَف " . ومد يده لكى يوقف هَف عن مجادلته ، قبل أن يضيف : " فحتى لو كنت مضطرًا

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لإغواء تلك الماهرة حتى تعود إلى من جديد ، وهو أمر لن أفعله ، وحتى لو عاشرتها آلاف المرات كما تريد ، فلن يجدى الأمر " .

" لن يجدى الأمر ؟ ما الذى تتحدث عنه بحق الجحيم ؟ "

" لقد أصبحت عقيماً " .

شعر هَف بأن مستوى ضغط دمه يتقافز فى جنون . وخلال ثوان زادت الحموضة التى يعانى منها لتصبح نيراناً يتصاعد لهيبها عبر حجابه الحاجز وحتى المرىء .

قال كريس : " لقد سخرت منى فى آخر مرة حاولت فيها أن أصالحها . قالت بأنها عرفت بأن هدفى الوحيد من هذه المصالحة هو أن تلد لى ولك وريثاً . هل كنت أظن أنها غبية ؟ " ، نظر إلى هَف وهو يضيف : " قد تكون ذات عيوب كثيرة ، إلا أن الغباء لم يكن واحدا منها .

ثم حطمت آمالنا للأبد عندما أخبرتنى بأنها قد أجرت عملية تعقيم . قالت إن حبوب منع الحمل تجعلها بدينة . وهذا صحيح - فقد أصبحت أردافها فى حجم صومعة الغلال . أما الآن فقد أصبح فى وسعها أن ترتدى البيكينى ، لذا فلا يمكنها الآن أن تسمح لنفسها بأن تعود من جديد إلى ما كانت عليه . كانت هذه صراحة منها ولذلك أجرت تلك العملية .

بوسعها الآن أن تفعل ما يحلو لها فى المكسيك ، أو أن تعود إلى هنا لتلعب دور حبيبتى ، والزوجة المخلصة ، أو أن تصبح راهبة ، إلا أن الشىء الوحيد الذى لن يمكنها أن تفعله هو أن تلد لى طفلاً " . وتنهد وهو يقول : " هذا هو ما كنت أتوق لأن أفضى بك إليه ، وأنا سعيد الآن لأنى أزحت هذا العبء عن عاتقى " .

أخذ هَف يدخن سيجارته وهو يتأمل فى هذه الأنباء . فهذه البلهاء الحمقاء زوجة ابنه - وهو لقب يسمو على أن توصف به

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

مثلها ـ جعلت من نفسها أرضاً بوراً . حسناً . وهو الأمر الذى لم يترك لـ " كريس " سوى خيار واحد : هو أن يحصل منها على الطلاق وأن يتزوج امرأة تلد له أطفالاً .

استرخت أعصاب هَف من جديد . فعلى الأقل لن يكون عليهم أن يستمروا فى التفكير فيما يتوجب أن يفعلوه مع مارى بيث . فلقد أخرجت نفسها إذن من لعبة اتخاذ القرار ، وهو أمر يجد هَف نفسه ممتناً له . فقد تجسد الهدف الجديد أمامه الآن ، ولن يقف شىء أمامه هو وكريس من أجل تحقيقه .

قال له : " هل أخبرت بيك بذلك ؟ "

رد كريس : " لم أخبر أحداً . لم أخبره سوى بأنى أود أن أنهى هذه الزيجة فى أسرع وقت ممكن " .

" هل يرى أن محامى نيو أورليانز هذا هو الأفضل ؟ "

" إنه يتقاضى أتعابًا باهظة ، إلا أن عملاءه لا يغادرون قاعة المحكمة إلا وهم راضون ، ويشعرون بأنهم قد دفعوا ثمناً معقولاً " .

" كان على أن أستمع إلى نصيحتك وأن أجعل مارى تحمل منى ما أن تزوجنا . ولكننى طاوعتها فى منع الحمل إلى أن " تعتاد كونها فرداً من العائلة " كما ادعت " .

لم يكن كريس يعلم أن هَف لم يكن ليترك الخيار لهما ، فقد ذهب إلى الدكتور كارو وأخبره بأن يستبدل أقراص منع الحمل التى تتناولها مارى بيث بأقراص إرضائية مصنوعة من السكر لا تمنع الحمل . وقد فعل الطبيب هذا ... مقابل مبلغ من المال بالطبع .

إلا أنه لم يستفد من هذا بشىء . فقد مرت الشهور من دون أن تحمل مارى بيث بطفل . فحتى فى تلك الأشهر الأولى من الزواج

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كانت شجاراتهما أكثر بكثير من ممارستهما للعلاقة الزوجية الحميمة .

قال : " إنني فهذه مجرد زوبعة في فنجان يا بني . فلا معنى لأن نتلف أعصابنا ندماً على ما حدث . علينا أن نركز في أن تحصل على الطلاق في أسرع وقت ممكن . فبوسعنا أن نقاضيها بتهمة الخيانة الزوجية ، لو أنها تخونك هناك بالفعل " .

" ستواجه هذا بقائمة من خياناتي لها ، فمعظمها كان مع أفضل صديقاتها . عليكم أن تفكروا في وسيلة أخرى " .

ربت هَف ركبة ابنه ، ثم نهض قائلاً : " يبدو لي أن محامي نهو أورليانز هذا هو الشخص المناسب لكي يكون إلى جانبنا ، وحتى لو لم يمكننا أن نعتمد عليه في إتمام هذه المهمة ، فما زال بوسعنا أن نعتمد على بيك . هيا لننام الآن " .

علق كريس وهما يدلفان إلى المنزل الساكن : " كان يوماً طويلاً ... يبدو لي الآن وكأنما قد مرت دهور منذ أن خرجنا من هنا صباحاً إلى الجنازة ، أليس كذلك ؟ "

اكتفى هَف بالتمتمة وهو يفرك على صدره محاولاً أن يطرد تلك الحرقة .

قال كريس : " ما رأيك في ساير ؟ لم نجد الفرصة لأن نتحدث عنها " .

" لا تزال صعبة الإرضاء " .

رد كريس في اعتراض وهما يصعدان السلم : " صعبة الارضاء ؟ ... هذا كأن تقول إن هتلر مجرد شقي مثير للمتاعب " .

" إنها لم تغادر البلدة كما كانت تقول . فلقد هاتفني مدير فندق ذا لودج . حيث حجزت هناك غرفة لليلة " .

" لماذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ربما هى متعبة مثلنا ، أو أنها لم ترد أن تقود سيارتها إلى نيو أورليانز ليلاً " .

نظر كريس إليه فى شك . " لو أنها كانت بالفعل متعجلة للرحيل ، لكانت قد غادرت البلدة ولو زحفاً . فهى مثل مارى بيث فى كراهيتها لنا ولـ " ديستينى " . بل ربما كانت أكثر كراهية منها " .

" تباً للنساء . لا يمكن للمرء أن يتنبأ بما قد يقمن به " . ثم أضاف فى سخط : " على الأقل كان بيك معها لبعض الوقت هذه الليلة " .

" هل لا يزال يؤدى مهمته التى أوكلته بها " .

" فى الحقيقة لا . بل أنقذها من قبضة سلاب واتكينز " .

توقف كريس عن الصعود وهو يقول : " هل عاد ثانية ؟ "

التفت إليه هَف وهو يبتسم ويهز رأسه : " هذا ما قلته . لقد ذهب بيك إلى النادى لتناول شطيرة لحم ، ورأى ساير بالداخل ، وهو ما أدهشه . إلا أنه رأى سلاب ، بأذنيه الكبيرتين ، وهو يحاول أن يجبرها على الجلوس معه بالقوة " .

حكى هَف لكريس ما أخبره به بيك . وحينما انتهى من كلامه ، كان كريس يهز رأسه بمزيج من الدهشة والعجب . " ما الذى يريد سلاب واتكينز أن يقوله لساير بحق السماء ؟ "

ثم أضاف هَف فى غضب : " فقد كانت آخر كلماته عنا سباباً فى العائلة . وأنا سعيد لأن بيك كان موجوداً هناك . لقد هاتفنى بيك ما أن فارق ساير ، وهو لا يدرى ما الذى كان ينتويه ذلك القمىء . لقد تبعها حتى وصلت إلى الفندق . راقبها حتى دلفت إلى داخل حجرتها . كانت تعلم أنه يتبعها وربما علمت بأنه كان

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

يتحدث معى طيلة ذلك الوقت . قال لى بأنها كادت تقتله بنظراتها " .

" معه حق " .

" لقد أخبرت بيك بأنها باتت الليلة هنا حتى تستقل الطائرة صباح الغد ، إلا أننى لست مقتنعاً بأن هذا هو سببها الوحيد . أرى أنها نادمة على كونها لم تكن إلى جوار العائلة وقت أن احتاجت إليها " .

قال كريس : " إنك تعطيها أكثر من حقها . فأنا لا أعتقد أنها تهتم أبداً بأمورنا " .

" لا تبالغ فى ثقتك هذه . فلقد قال لى بيك إنها قد سألته عن قضية إيفيرسون " .

قال كريس : " كم هو جميل منها أن تسأل " .

ابتسم لسخرية كريس : " أظن أن أختك تشعر بالذنب لعدم تواجدها هنا لتقف بجانبك وقت احتياجك إليها ، وربما لكونها لم تكن إلى جوار دانى أيضاً " .

" وما الذى كان فى وسع سائر العزيزة أن تفعله لأجله ولم نستطع نحن فعله ؟ "

كان هَف يقف الآن وسط الردهة المعتمة ، ونظر ناحية غرفة دانى : " لا شىء فى الحقيقة . تباً ، لم يمكننى أبداً أن أتحقق من مكنون قلب ذلك الولد . أعتقد أن فقدانه لأمه فى تلك السن المبكرة قد أخذ من طبيعته شيئاً لم يستطع أبداً أن يستعيده " .

وضع كريس يده على كتف هَف : " آمل أن يكون قد استرده الآن ، يا هَف . آمل فى أن يكون قد وجد سلامه " .

عندها تبادلا التحية واتجه كل منهما إلى فراشه . فلقد كان هَف ـ الذى نادراً ما يتعب ـ مجهداً هذه الليلة . إلا أنه لم يأو إلى

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فراشه . بل جلس على مقعده فى مواجهة النوافذ العريضة التى تطل على الحديقة الخلفية والبركة خلفها .

لقد عاودته أفكاره المقلقة التى كان يأمل فى أن يكون قد تركها فى الجلسة بالخارج ، وقد أسهم كريس فى زيادتها بما أخبره به عن موقف مارى بيث . ثم ساير التى تفيض بالضغينة تجاهه هو . أبيها !!

لم يلم لوريل على موتها ، إلا أنها قد تركت له ثلاثة أولاد عليه أن يربيهم . وقد فعل ما ظن أنه الأفضل من أجلهم ، إلا أن كريس كان الوحيد الذى يرى نفسه فيه .

الحياة بالغة التعقيد . فلا تأتى الرياح بما تشتهى سفن أحد .

لم يكن هَف يؤمن بوجود الحياة الآخرة . فبوسع الوعاظ أن يقولوا ما يحلو لهم عن فعل الخير طلباً للجنة ، إلا أنه يرى أن الموت هو نهاية المطاف . فمن مات . . . مات . لم يشأ أن يعبر عن عدم تصديقه لتلك الكلمات التى ألقاها كريس فى توديع أخيه ، إلا أنه لم يكن يصدق أية كلمة فيها .

فلا دانى وجد سكينته ولا هو لاقى الملائكة ذوى الأجنحة عند البوابات اللؤلؤية للجنة . بل ابتلعه الخواء . العدم الأبدى المظلم . هذا هو الموت بالنسبة له .

لهذا كان يرى أن على المرء أن يتمتع بالحياة قدر استطاعته . فجائزته الوحيدة هى كل ما يناله ويحوزه فى هذه الدنيا . لهذا كان هو نوما فى حالة حلم وتخطيط وتنفيذ لكل ما هو أفضل وأكبر ، بل وأسوأ . واللعنة على كل من يدين أساليبه هذه . هَف هويل لا يهمه أحد .

لا بأس إن كانت حياته لم تشهد الكثير من راحة البال ؛ فهذا أفضل من أن يحيا المرء بما هو أسوأ .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل التاسع

دلفت ساير إلى مكتب المأمور واقتربت من مكتب الاستقبال . ألقت تحية الصباح على المساعد الجالس خلف المكتب فرد بتمتمة غير مفهومة . لم يرفع قدميه عن ركن المكتب أو حتى يتحرك من مكانه ، بل ظل يقلم أظفاره بقصافة .

" أنا هنا لمقابلة الضابط واين سكوت " .

ظل على لامبالاته ، ولو كان من بين واجباته تجاه من يقصد المكان أن يرفع قدميه عن المكتب ، ويعتدل في جلسته ، ويؤجل مسألة النظافة الشخصية هذه لوقت آخر ، فإنه لم يكن يروق له أن يقوم بهذه الواجبات قال : " سكوت بالخارج " .

" والمأمور هاربر " .

" جدوله مشغول اليوم " .

" هل هو هنا أم بالخارج ؟ "

" إنه هنا ، ولكنك ... " .

عندها اجتازت مكتبه تجاه الردهة القصيرة . فتحرك متثاقلاً خلفها وهو يصيح بها : " يا أنت ! " تجاهلته ومن دون أن تطرق الباب دفعته متجهة إلى مكتب ريد هاربر .

كان جالساً خلف مكتبه ، يدرس كومة من الأوراق أمامه .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال المساعد من خلفها : " آسف ، يا ريد . فلقد اقتحمت المكان وكأنها شخص مهم ذو شأن " .

" هي بالفعل شخص مهم ، يا بات . لا بأس . سأناديك إذا ما احتجت إليك " .

" أتريد أن أغلق الباب ؟ "

كان يوجه السؤال إلى ريد ، إلا أن ساير هي التي ردت قائلةً : " أجل " .

نظر بات إليها نظرة ضيق وهو يرتد على عقبيه مغلقاً الباب خلفه . التفتت إلى المأمور وهي تسأله : " هل هذا أفضل شخص لديكم ؟ "

" أحياناً ما يكون بات متقلب المزاج " .

" هذا ليس عذراً لوقاحته " .

قال لها وهو يدعوها إلى الجلوس على المقعد المواجه للمكتب : " معكِ حق . هذا ليس عذراً . هل تودين أن أطلب لكِ قهوة أو شيئاً آخر ؟ "

" كلا ، أشكرك " .

أخذ يتأملها للحظات : " يبدو أن جو كاليفورنيا قد راق لكِ . فأنت في أحسن حال " .

" أشكرك " . لم يسعها أن ترد مجاملةً للأسف . فقد بدا لها ريد هذا الصباح أسوأ مظهراً مما كان بالأمس ، وكأنما لم ينل سوى القليل من الراحة حتى الآن .

تراجع مسترخياً في مقعده وهو يقول : " جميل أن أراك ، إلا أنني لم أكن أود أن يكون مجيئك إلى هنا لهذا السبب المحزن . فكم كنت أحب داني " .

" كثيرون أحبوه " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كان شاباً محبوباً " . سكت لمدة لحظات ، كما لو أنه يعطى للراحل حقه من الاحترام . وفى النهاية سألها : " ما الذى يوسعنى أن أقدمه لكِ هذا الصباح ؟ "

" أنا التى لدى ما أقدمه لك . فمجمعتى معلومات يمكن أن تفيد تحقيقات المساعد سكوت " .

أشار لها أن تتابع كلامها ، وهو يبدى دهشةً شديدة .

" تصادف أن كنت مع بيك ميرشانت بالنادى فى الليلة الماضية ، فى حوالى الساعة العاشرة مساءً " .

قال ريد ، وهو لا يدرى إلى أين ينتهى هذا الحديث : " أمم ... حقاً " .

" وحينما غادرنا المكان ، لاحظت أن إطارات عربته ، وكذلك حذاءه ، ملطخة بالطمى الأصفر . من نفس نوع التربة المحيطة بمعسكر الصيد . فاتهمته بالذهاب إلى هناك للتلاعب بشىء فى مسرح الجريمة ، ربما ليخفى بعض الأدلة . وقد اعترف بأنه كان هناك . فقد ذهب بعد ذلك اللقاء إلى المنزل ، حيث قيل لنا إن الكابينة قد أصبحت مسرح جريمة وأن من المحظور الدخول إلى منطقة المعسكر بالكامل " .

" هذا صحيح " .

" صحيح ؟ "

" لقد ذهب بيك إلى هناك الليلة الماضية بطلب منى أنا " .

بهذه العبارة سحب سجادة الثقة التى كانت تقف فوقها . فقالت : " طلبك ؟ "

" لقد طلبت منه أن يلتقينى والضابط سكوت هناك " .

هنا لم يبق أى طرف للسجادة يمكن لها أن تقف عليه .

تابع ريد كلامه : " كنت أريد لشخص من العائلة أن ... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" إنه ليس فرداً من العائلة " .

" هذا هو السبب الذى دفعنى إلى أن أطلب منه المجىء ، يا ساير . فقد رغبت أنا وسكوت فى أن يصحبنا شخص من العائلة فى تفقدنا للكابينة ، ليتبين ما إذا كان هناك شىء ما لا ينتمى إليها ، أى شىء غير مألوف أو فى غير مكانه . أو حتى مفقود .

لم تكن لدىّ الجرأة على أن أطلب من كريس أو هَف أن يقوما بهذه المهمة . فما زال المكان ... مازال على دمويته ، بصراحة . هناك شركات متخصصة فى هذه النوعية من التنظيف . ولكن بما أننا لا نزال فى مرحلة جمع الأدلة فـ ... " .

قالت بنبرة بطيئة : " أعتقد أننى فهمت الآن " .

" لم أكن أرغب فى أن يقوم هَف أو كريس بهذه المهمة القاسية . إلا أننا كنا بحاجة إلى شخص على دراية بالكابينة ليصحبنا داخلها ، وليتأكد من عدم وجود شىء غير معتاد أو فى غير مكانه " .

غمغمت وهى تشعر بأنها قد وضعت نفسها فى موقف سخيف : " اتضح الأمر الآن " .

فهى لم تنم ليلة الأمس من شدة تلهّفها إلى أن تبلّغ عما قام به بيك ميرشانت . والذى بدا لها مثيراً للشكوك ، وربما كان فعلاً مجرما . وبدلاً من هذا وجدت أنه قد قام بعمل شاق نيابة عن العائلة ، ويفترض أن تكون الآن ممتنة له .

على أن خداعه لها كان مسألة أخرى . فحينما باغتته بملاحظتها حول الطمى الذى يغطى إطارات عربته وحذاءه ، كان بوسعه أن يفسر لها الأمر ببساطة . وأن يخبرها بأنه قد ساعد المأمور فى مهمته . إلا أنه تعمد أن يسخر منها لتبدو الآن كالبلهاء .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" وهل فعل ؟ "

" المذرة ؟ "

" هل وجد السيد ميرشانت شيئاً غير عادى ، شيئاً فى غير مكانه ، أو مفقوداً ؟ "

" لا يعنى أن أناقش خبايا التحقيق الجنائى قبل أن ينتهى ، يا ساير . أرجو أن تتفهمى هذا " .

كانت تتفهم هذا تماماً . فلقد كان يعدها بوضوح . " لقد أسميته تحقيقاً جنائياً . فهل يعنى هذا أنكم لم تعودوا مقتنعين بأن موت دانى كان انتحاراً ؟ "

" الانتحار أيضاً جريمة ، وبالتالى فلابد من التحقيق فيها " ، ثم مال إلى الأمام وهو يقول فى هدوء : " نحن نتوخى الدقة ، هذا كل شىء . فنريد أن نكون متيقنين مائة بالمائة من أن دانى قد قرر فى لحظة معينة ، وأثناء ممارسته الصيد فى بركة بوسكوت ، ولأى سبب كان ، أن ينتحر . ومن المحتمل ألا نتوصل إلى إجابة عن كل الأسئلة رغم هذا " .

" هل ترك رسالة ؟ "

" لم نجد شيئاً كهذا " .

ربما تبين لدانى أن كونه ليس بالأهمية التى تستدعى أن تتلقى أخته مكالمته ، فإنه ليس من الضرورى أن يترك رسالة وداع لأى شخص كان . إلا أنها قالت : " ألا ترى أن من الغريب أنه لم يترك رسالة ؟ "

قال لها وهو ينظر إليها فى شفقة : " إن نصف جرائم الانتحار التى حققت فيها لم يترك أصحابها أية رسائل .... فالحقيقة أن شخصاً فى حالته العقلية تلك لن يسعه أن يفسر حتى لنفسه سبب

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فعلته هذه . وفى مثل تلك الحالات يتركنا القتيل فى حال من الحيرة ، متوقعين أياً مما هو غير متوقع " .

كانت عبارة بليغة ، إلا أنها بدت تطييباً لخاطرها لا أكثر . فيبدو أنه قد وجد من واجبه كأى رجل شهم أن يعمل على الرفق بها وتهدئتها ، فحتى وهى من آل هويل ، إلا أنها أنثى فى نهاية الأمر .

" وماذا عن الصيادين الذين وجدوا الجثة ؟ "

" لو كنتِ تلمحين إلى تلاعب قد تم ، فإنى أقول إنهم خارج نطاق الشبهات . حيث كانت زوجاتهم معهم ، وقد انهرن لما رأوه داخل الكابينة ، صدقينى . ليس لدينا ما يدعو إلى الشك فيهم ، بل إنى أشفق عليهم لكونهم قد مروا بهذا الموقف " .

" حدثنى عن جين إيفيرسون " .

" نعم ؟ "

كانت قد تعمدت أن تغير الموضوع فجأة . فقد رغبت فى أن ترى رد فعله عندما تذكر له هذا الاسم ، وقد نالت ما أرادت ، فقد شحب وجه المأمور .

قالت : " لقد ذهبت إلى المكتبة عندما فتحت أبوابها اليوم ودخلت إلى قسم الميكروفيلم... ووجدت أن تغطية الصحف المحلية منقوصة ومتواضعة ، لذا قرأت تغطية تايمز بايكين لقضية اختفاء إيفيرسون ، والقبض على كريس ، والمحاكمة " .

كانت قد تحصلت الآن على معلومات أكثر عن تلك التهمة التى وجهت لأخيها . فلقد كان جين إيفيرسون موظفاً فى شركات هويل . ومنذ أول أيامه فى وظيفته ، عمل على تكوين تحالف بين العمال لأجل إنشاء فرع لنقابة عمال صناعة الحديد هنا . ومع أنه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان يؤدى عمله على أكمل وجه ، إلا أنه قد أقلق الإدارة بالعمل على تكوين تحالف بين العمال غير الراضين .

وفى النهاية هددهم بتنظيم إضراب ما لم يتم تحسين وضع العمال وتطبيق قواعد الأمان التى وضعتها إدارة الصحة والسلامة المهنية وطالبت بتنفيذها .

أسهم تهديده هذا فى إثارة مشاعر العمال الموالين لآل هويل ، أو الخائفين منهم . لم يرحب الكثير من العاملين بهذا التدخل النقابى ورفضوا العضوية الجبرية فيها . وأحدث هذا الخلاف انشقاقا فى أرجاء المسبك مما عطل الإنتاج .

ولأن هَف لم يكن يرغب فى لفت انتباه الإعلام وإدارة الصحة والسلامة المهنية ، والنقابات ، فقد دعا إلى اجتماع بين إيفيرسون والإدارة العليا لمناقشة الوصول إلى اتفاق يرضى الطرفين .

وخلال هذا الاجتماع رفض إيفيرسون ما قدمه له هَف من عروض . قال إنه من المحال شراء نمته بزيادة فى الراتب وبعض الوعود الفارغة بتحسين الأوضاع . وأصر على مواصلة جهوده حتى تخضع شركات هويل للنقابة وطلباتها .

ومنذ أن غادر إيفيرسون الاجتماع لم يره أحد .

قالت ساير : " بعد أن خرج إيفيرسون من الاجتماع غاضباً ، علق أخى بأن من الضرورى أن يمسكت مصدر القلق هذا إلى الأبد " .

" لقد شهد بذلك فى المحكمة من سمعه يقول هذا . وبعد المواجهة المباشرة التى طلبها ماكجرو ، شهدوا أيضا بأن كريس قد قالها ساخرا " . ابتسم ريد فى إرهاق وهو يتابع : " وقد قيل أيضا إن من يخطط لقتل أحد ، فلن يعمل على التصريح بذلك وسط غرفة تعج بالبشر " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" قد تفعل هذا لو كنت من عائلة هويل " .

وجه لها المأمور هاربر نظرة زاجرة .

إلا أن ساير واصلت فى إصرار : " لقد كان إيفيرسون يحاول أن يضع عائلتى أمام مسئولياتها تجاه جميع إصابات العمل التى تحدث داخل المنجم " .

" لقد كانوا يقومون بمسئولياتهم " .

هنا جاء دور ساير كى توجه له نظرة زاجرة ، وهى تقول : " هذه مزحة . فلو أن أحدا اكتشف تلاعبهم بنظم الأمان مما نتج عنه حوادث كارثية ـ موت اثنين من العمال ـ فلم تكن شركات هويل تقوم سوى بدفع غرامة وتعتبرها من بين تكاليف الإنتاج . أى مجرد لسعة خفيفة على اليد وينسى كل شىء حتى الحادثة التالية " .

وأضافت : " وحين قدوم مفتشى إدارة الأمن والسلامة ، يعملون على الظهور بالصورة المثالية حتى انتهاء تلك المهمة التفتيشية ، ثم يعود الأمر إلى ماكان عليه ثانية . إن ذلك المنجم مصدر خطر على الصحة العامة ، وأنت تعلم هذا ، يا ريد هاربر " .

تابعت كلامها : " لقد كان إيفيرسون مصدر قلق لهم . ربما كان أمقت شخص على ظهر هذا الكوكب . فأنا لا أعرفه ، وربما لم أكن أرتاح إليه لو أنى عرفته ، إلا اننى أعجبت بما كان يحاول أن يفعله . أما هَف وكريس فلم تكن لهما نفس هذه النظرة " .

" لم يكن مئات العمال يروق لهم ما كان يقوم به ، يا ساير . فقد كان يهدد مصدر رزقهم . فلو لم يعملوا فلن تجد عائلاتهم ما يقتاتون به . ربما كان فى مقدور إيفيرسون تحمل تبعات الإضراب ، أما هم فلا . كثير منهم كان يرغب فى رؤيته مقتولاً " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" إلا أن أحداً منهم لم يره ميتاً . وهكذا أفلت كريس بفعلته " .

" لقد برئت ساحته لأن هيئة المحلفين وجدت أنه برىء " .

قالت : " نصفهم فقط " .

كانت عبارة مباغتة ، إلا أنها لم تؤثر فى المأمور . وهى لم تتوقع أن يفاجأ بها . فبوسعها أن تظل طيلة اليوم تباغته بمثل تلك العبارات ، ولن تجنى شيئاً سوى تضييع الوقت . فسوف يستميت ريد هاربر دفاعاً عن آل هويل ... فقد باع لهم جسده وروحه .

كانت تشك فى أن ولاءه المستتر هذا يعود إلى عاطفة ما أو وفاء أو حتى طمعه فيما يتقاضاه منهم من أموال . بل لقد أصبحت عادة تأصلت فى نفسه ، ولن يسعه أن يتخلص منها . لقد أصبح أشبه بمدمن للتدخين لا يدرك حتى أنه يشعل سيجارة من بقايا الأخرى . فلقد كذب ريد لأجل عائلتها لمدة طويلة لدرجة أن الأمر أصبح رد فعل طبيعياً لا إرادياً ، من دون وعى أو اختيار .

ربما لا يكون متسترًا عليهم هذه المرة . وربما يكون كريس قد واجه تهمة ظالمة من شخص يدعى الطموح يحاول أن يصنع اسماً لنفسه عن طريق اتهام شخص مرموق ذى ثراء يحسد عليه . والحقيقة أنها قد وجدت هذه الفكرة محوراً لمقالة بصحيفة قرأتها هذا الصباح . فقد تكون شهرة أخيها قد اتخذت كبش فداء للغز لم يجد حلا .

فلو كان بريئاً من الجرم الذى حوكم لأجله ، فسيكون من الظلم أن توجه إليه شكوكها . أما لو كان قد أفلت بفعلته ، فإن هذا أمر لن تعرفه بالتأكيد من ريد هاربر .

التقطت حقيبتها وهى تنهض قائلة : " أشكرك لمقابلتك إياى من دون موعد مسبق " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" مرحباً بكِ في أى وقت ، يا ساير " . نهض وخرج عن مكتبه مرافقاً إياها إلى الباب : " هل ستبقين في البلدة لبعض الوقت ؟ "

" بل سأغادر بعد ظهر هذا اليوم " .

" انتبهي لنفسك إنن . فأنا أسمع أن هناك الكثير من المجرمين هناك في سان فرانسيسكو " . مط شفتيه فيما يشبه الابتسامة وهو يضيف : " لقد حصل الضابط سكوت على جميع أرقام هواتفك . وأعتقد أنه سوف ينهي التحقيقات بحلول الغد على الأكثر . وسوف أعمل على أن يتصل بكِ عندما ينتهي من تقريره الرسمي " .

" سوف أكون شاكرة " . وبينما كانت تغادر المكان تذكرت جيسيكا دى بلانس ، وهو ما جعلها تتردد قليلاً . فيمكن أن يكون لخطبة دانى السرية هذه دور في التحقيقات الجارية . إلا أن ريد يتقاضى الرشوة من هَف . وأى شيء ستقوله له سيصل مباشرة إلى هَف ، وقد قالت لها جيسيكا إنها غير راغبة في أن يعرف هَف شيئاً عن هذا الأمر .

كما أن ساير لم تكن متيقنة من إمكانية أن تثق في وابن سكوت لتفضي إليه بهذه المعلومات ، فسوف يجد نفسه مضطراً لأن يبلغ بها رئيسه الجديد . فقررت ألا تخبر أحداً ، حتى تتشاور مع جيسيكا .

كان هناك شيء آخر يقلقها ، إلا أنها لم تستطع تحديده . ومع وصولها إلى نهاية الردهة ، أدركت ماهية هذا الشيء وقالت : " سيادة المأمور هاربر ؟ "

كان قد عاد إلى مكتبه . إلا أنه أخرج رأسه من خلف الباب وهو ينظر إليها في تساؤل .

" لقد قلت سابقاً إن دانى قد قرر في لحظة ما أثناء ممارسته الصيد أن ينتحر " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هذا تخمينى " .

" وأنا أجد صعوبة فى الاقتناع به " .

" لقد ناقشنا هذا الأمر ، يا سايمر " .

" أنا لا أقصد الانتحار . بل مسألة أنه كان يصطاد . فقد كان دانى يشمئز من الصيد " .

ما أن دلف بيك إلى مكتب هَف ، حتى أدرك أن العجوز غاضب ؛ فقبل حتى أن يلقى عليه تحية الصباح ، كان هَف يلتقط ما بدا أنها بطاقة داخل مظروف من وسط رزمة من بطاقات مشابهة فوق مكتبه ويلوح بها فى وجه بيك . " لقد أثارت هذه غضبى " .

قد يجد البعض صعوبة فى تصديق أنه قد عاد هو وكريس إلى العمل فى اليوم التالى لجنازة دانى . فقد كان من المتعارف عليه أنهما سوف ينقطعان عن العمل لبقية الأسبوع . إلا أن هَف لم يكن يلقى لهذا بالاً ، وفى عرفه أن كل يوم هو يوم عمل .

قال بيك : " ما الأمر ؟ "

ناوله البطاقة . فجلس إلى الأريكة الصغيرة الملحقة بمكتب هَف . كانت هناك نافذة فى الطرف الآخر من المكتب تطل على أرضية المكان ، والمنظر ليس بالجميل سوى لمن يتربح من تلك المواسير الحديدية قميئة المنظر .

كان لدى هَف مكتب مشابه بالأسفل ، وكذلك كريس ودانى . وقد حضر كريس منذ فترة قصيرة ، بينما ظل مكتب دانى مغلقاً هذا الصباح .

نظر بيك إلى البطاقة التى أعطاها إياه هَف والمكتوب عليها : " أعمق التعازى ، تشارلز نيلسون " ، ثم نظر إلى هَف وهو يضحك ضحكة قصيرة : " هل أرسل زهوراً إلى جنازة دانى ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال وهو يلمح إلى مساعدته التنفيذية : " هل تصدق غطرسة هذا الوغد ؟ سوف تتولى سالى إرسال الشكر نيابة عنى ... كنت أود أن أطالع هذه البطاقات قبل أن أحولها إليها ، إلى أن وقعت فى يدى هذه البطاقة ، لا أصدق أنه قد استغل موت ابنى فرصة للسخرية منى " .

قال بيك : " هذا الرجل جريء . هل اطلعت على الملف الذى تركته لك ؟ "

" قرأت منه ما يكفى لأن أعلم أن نيلسون يحاول أن يصنع لنفسه اسماً . فتلك الصحف تعلق على النشرات التى أصدرها " .

قال بيك : " أميل إلى موافقتك . إلا أنها قد نشرت . وهو مجرد باحث عن الصيت ، ولم ينجح حتى الآن سوى مع الشركات الصغيرة ، فقد كان ناجحًا تماما فى جلب النقابة إلى تلك الشركات أو فى كسب مزايا غير عادية من إداراتها . وهو الآن مغرور بهذا النجاح . ما أخشاه هو أن يبحث عن طريدة كبرى يمكن أن تزيد من تسليط أضواء الإعلام عليه " .

" وتخشى أن تكون هذه الطريدة هى شركات هويل " .

" هذا طبيعى ، هَف . فنحن لا نقوم بأعمال الحديد هذه لغيرنا من المصنعين ، بل نحن من يصنع وينتج ويبيع . فلو تأثر جانب من جوانب أعمال الصهر أو السبك سلبًا فـ ... " .

" سيتأثر الإنتاج ، ولن نلبى الطلبات وسيلحق الضرر بأعمالنا " .

" وأنا متأكد من أن نيلسون يدرك هذا . ومن المؤسف أن لدينا بالفعل بعض حالات الإصابة والوفاة بسبب العمل " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نهض هَف عن مقعده وهو يصيح في سخط : " تباً ! " واتجه صوب النافذة . أخذ يتطلع لأسفل عبرها وهو يضيف في غضب : " أتعلم كم عدد من عملوا هنا من دون أن يصابوا بأذى ؟ "

التفت إليه وهو يضيف : " المئات . فهل تناولوا هذا الأمر ؟ هل كلفوا أنفسهم عناء عمل إحصائية ؟ تباً . ولكن إذا نزف أحد العاملين القليل من الدم فإن هذا يصبح خبراً يتصدر الصفحات الأولى من الصحف " .

كانت عبارة " ينزف قليلاً " هذه بالنسبة له هي الوصف غير المنصف لعامل تحطمت ساقه تحت المواسير التي انزلقت عن ناقل يهتز من دون سياج يحتجزها ، أو فقدان إصبع انحشر في آلة غير مؤمنة ، أو حرق أناب اللحم عن العظم . إلا أن بيك بقي صامتاً . فقد كان هَف غاضباً لدرجة تمنع مناقشة هذه الأمور معه .

أخذ هَف يقول في تبجح : " ظهر الأمر في الصحف كما لو أن هناك في نيويورك أو واشنطن من يعرف بما نقوم به هنا . قد يكونون حفنة من الليبراليين ضعاف القلوب ، أو حتى الشيوعيين " .

أردف قائلاً : " مجرد حادث في أرض المتجر كفيل بأن يتحول إلى خبر ، فلا يكون أمامي سوى التعامل مع مفتشي الحكومة . يهرعون إلى هنا بأوراقهم ليستمعوا وهم يرسمون الشفقة على وجوههم ، ليسجلوا كل حرف يدعي به هؤلاء " . كان يلوح بيده التي تمسك بالسيجار تجاه العمال بأسفل .

" أتعلم كم كنت أحلم وأنا طفل بأن أحوز عملاً كهذا الذي يمارسونه ؟ أتعلم بشعور أبي لو أنه نجح في أن يحصل على عمل يوفر له أجراً منتظماً ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

رد بيك فى تعاطف : " أنت تجهد أعصابك ، يا هَف . اجلس واهدأ " .

غمغم هَف وهو يعود إلى مكتبه : " تباً لكل هذا " . ألقى بجسده على مقعده . وقد ارتفع ضغط دمه ، وأخذ يتنفس فى صعوبة .

قال بيك : " هل تناولت دواء ضغط الدم ؟ "

" كلا . فهو يؤثر على القدرات الجنسية " .

لم يكن خافياً على أحد أنه يقوم مرة فى كل أسبوع بزيارة امرأة تعيش فى ضواحى البلدة . وكما يعلم بيك ، فإن هَف كان زبونها الوحيد ، وكان يعوضها عن موافقتها على هذا الوضع بما يكفيها .

أردف هَف : " ولو خيرتنى بين الإصابة بضغط الدم المرتفع وضعف القدرة الجنسية فسوف أختار الأولى ، شكراً لك " .

" انتظرا أود أن أسمع " ، قالها كريس وهو يدلف سريعاً .

كان ـ كعادته ـ أنيقاً حليق الوجه ، بتصفيفة شعر شديدة الإتقان ، حتى أن بيك كان يندهش من محافظته على مظهره هذا فى ظل حرارة تصل إلى التسعين صباحاً .

" يبدو لى أنه قد فاتنى حوار مشوق هنا . ما الأمر ؟ "

بينما كان هَف يصب لنفسه كأساً من الماء من دورق زجاجى على مكتبه ، لخص بيك لـ " كريس " نقاشهما حول تشارلز نيلسون .

سخر كريس من تلك التهديدات قائلاً : " نحن نعرف أمثاله . فهم يبدأون فى غاية الحماسة ، ثم سرعان ما يذهبون من حيث جاءوا . فعلينا أن نرى ما هو فاعله " .

" هذا الشخص يسعى إلى أن يكون ذا شأن . ولا أظن أنه سوف يختفى بهذه السرعة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أنت متشائم يوماً ، يا بيك " .

تدخل هَف في حدة : " هذا هو عمله هنا . فهو يتولى هذه المشكلات الصغيرة قبل أن تكبر " .

قال بيك : " أقدر لك ثقتك هذه . كيف تريد مني أن أتصرف حيال نيلسون ؟ "

قال هَف : " ما رأيك ؟ "

قال بيك : " أن نتجاهله " .

اندهش كلاهما من اقتراحه المقتضب هذا . أمهلهم بيك وقتاً للتعليق ، ولكن حينما لم يجده ، فضل أن يشرح الأمر بنفسه : " لقد كان إرساله للزهور في الجنازة اختباراً لنا . فهو يعلم أنها لعبة مكشوفة فعلها ليتبين ردود أفعالنا . إنه شخص بلا أهمية . وهذه هي أقوى رسالة يمكن أن نرد عليه بها " .

عض هَف على شفته وهو يفكر . ثم قال : " كريس ؟ "

" كنت سأقترح عليكما أن نحرق منزله . إلا أن رأى بيك هو الأذكى " . تبادلا الضحك ، ثم سأل كريس : " ما موطنه بالمناسبة ؟ "

" إنه يتنقل بين عدة مكاتب عبر البلاد . أحدها في نيو أورليانز . ومن هنا كان اهتمامه بنا " .

فكروا في الأمر لبضع دقائق . وفي النهاية قال بيك : " بوسعي أن أكتب إليه خطاباً قصيراً . أقول فيه .... " .

قاطعه هَف في حسم : " كلا . أنا أميل إلى الرأى الأول " . ثم أشعل عود ثقاب ونهض وهو يشعل به سيجارة : " دعونا نجلس وننتظر ، ونرى خطوته التالية ، وندع هذا الوغد يعصر ذهنه بالتفكير فيما نخطط له ، وليس العكس " .

قال بيك : " هذا جيد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

رن جرس الهاتف على مكتب هَف : " هلا رددت على هذا ، يا كريس ؟ فأنا ذاهب إلى الحمام " ، قالها وهو يتجه صوب حمامه الخاص فى نهاية الغرفة .

اتجه كريس إلى المكتب ، وضغط زر تلقى المكالمة : " سالى ، أنا كريس ، هل تريدين التحدث إلى هَف ؟ "

كان صوت مساعِدة هَف المُجهَدَة مسموعاً عبر السماعة وهى تقول : " أعلم أنكم فى اجتماع ، لكن رأيت أن أبلغكم بشىء يهمكم " .

" وما هو ؟ "

" أختك بأسفل ، وهى فى غاية الغضب " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل العاشر

سألها كريس مدهوشاً : " ساير هنا ؟ "

ما أن سمع هف هذا حتى استدار عائداً .

نهض بيك عن الأريكة وهو يتجه صوب النافذة . لم ير شيئاً غير عادى بأسفل . كان الجميع منشغلاً بعمله .

كانت سالى تقول : " لقد اجتازت المدخل المخصص للعاملين ، وليس مدخل الزوار . ولأن الحارس هناك جديد فلم يتعرف عليها . استوقفها ، ولكنها أصرت على الدخول " .

سألها هف : " ألم تذكر سبب مجيئها ؟ "

ترددت قبل أن ترد : " تقول إنها صاحبة المكان . إلا أنه كان خائفاً من أن يدعها تدخل من دون تصريح " .

قال كريس : " أخبرى الحارس بأن يستبقيها هناك . وسوف نتصل نحن به " .

قالت سالى : " يقول إنها لم تتوقف عن توبيخه " .

قال كريس قبل أن يقطع الاتصال : " أخبريه بأنى أنا الذى سأتولى أمره لو أنه لم يقم بعمله على أكمل وجه " .

ضحك هف وهو ينفث دخانه . " يبدو لى يا أولاد أن شريكتنا الغائبة قد اهتمت فجأة بأعمالنا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم يجد كريس فى ظهور ساير سبباً للمزاح ، قال فى عجب : " وأنا أتساءل عن سبب اهتمامها هذا " .

رد هَف : " كما قالت ، فهى تمتلك المكان ... ولها الحق فى أن تكون هنا " .

قال بيك : " هذا صحيح ... فهى شريكة من الناحية القانونية . ولكن هل تفكر فى أن تسمح لها بالدخول إلى المكان ؟ "

قال كريس : " مطلقاً " .

سأله هَف : " لماذا ؟ "

" فى هذا خطورة " .

جاوبه هَف بضحكة ماكرة : " لقد ظللنا ننكر لسنوات ما يمكن أن يشكله مفتشو هيئة السلامة والأمان من خطورة . ولو أنى أبقيت ابنتى بالخارج ، فعلى أن أكون واثقاً أن هذا ليس فيه خطورة . صحيح ؟ "

يجد هَف فى كل موقف ميزة ما ، وهو يستغل أية ورطة بما يناسب أغراضه . فـ " بيك " يعترف بأنه سيستفيد من هذا الموقف . إلا أن الريبة لا تزال تسيطر على عقله ، ومن الواضح أنها تسيطر على عقل كريس أيضاً .

قال كريس بينما كان يتوجه نحو الباب : " هذه فكرة سيئة ، ولا يهمنى أن أخبرها بذلك . فأنا فى نهاية المطاف مدير العمليات والتشغيل . فلو أننى قلت إنه ليس بوسعها الدخول ، فلن يكون بوسعها الدخول " .

رفع هف يده قائلاً : " انتظر لحظة ، يا كريس .. فلو أنك تعاملت معها بهذه الطريقة ، فستعتقد أن لدينا ما نخفيه عنها " .

كان بيك يرى تروس عقل هف وهى تبدأ فى الدوران مع نقله للسيجارة من جانب فمه إلى الجانب الآخر . وجد هَف ينظر إليه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وهو يقول : " إذهب إليها أنت . هدئها . واستمع إلى ما لديها . فأنا أثق في حدسك . فلو كنت تظن أن من الأفضل أن تصطحبها إلى الخارج ، فافعل هذا وأغلق الباب خلفها . أما لو كنت ترى أن من الأفضل لنا أن ندعها تدخل ، فاصطحبها في جولة عبر المكان " .

نظر بيك إلى كريس . فلقد كانت العمليات والتشغيل هي الإدارة الخاصة بـ " كريس " ، وكان كريس يرفض أن يتدخل أحد في اختصاصه . فلم يبد مرتاحاً ، إلا أنه لم يجادل هف . وربما لم يرغب في أن يواجه ساير .

كما أن بيك نفسه لم يكن متلهفاً على هذا .

لدى شركات هويل قرابة الستمائة عامل ، إلا أن قليلاً منهم فقط من النساء . يعملن في وظائف مكتبية . وفيما عدا مساعدات المدراء مثل سالي ، فإن منطقة الإنتاج في المصنع كانت مقتصرة دوماً على الرجال .

يقوم العمال بالحضور في مواعيدهم إلى العمل وتسجيل بطاقات الحضور في الماكينة الخاصة لدى ما يعرف باسم " المركز " داخل المصنع . كان عبارة عن غرفة رئيسية في حجم مركز اجتماعات متواضع ، ولم تكن أبداً جذابة المنظر . كانت الأرضية خرسانية ، والسقف عبارة عن شبكة مكشوفة من أنابيب الهواء ، والأسلاك الكهربائية ، ومواسير المياه .

كانت هناك صفوف من الخزائن المعدنية زيتية اللون تشغل قرابة نصف المساحة . وكان لكل عامل خزانة بمفتاحها ليتمكن من أن يضع فيها خوذته ونظارة الحماية والقفاز وصندوق الغداء ، وغيرها من المتعلقات الشخصية . وهناك لافتات تنبه العمال إلى أن شركات هويل ليست مسئولة عن أية سرقة أو فقد لهذه الأشياء ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وهو ما كان كثير الحدوث حيث إن من بين العمال من كان نصاباً أو سارقاً محترفاً لايزال تحت المراقبة التحق بالعمل حتى يرضى أفراد المراقبة من رجال الشرطة .

أما الحمامات فكانت تقع خلف الخزائن . وعبر المساحة الباقية تناثرت طاولات ومقاعد بشكل غير متناسق لتشكل قاعة الغداء . كان أحد الجدران مغطى بماكينات المشروبات والأطعمة الخفيفة وأفران الميكروويف الملطخة بآثار آلاف الوجبات .

أما وحدة الإسعافات الأولية فقد يتم تسليمها بواسطة مجموعة من الجدران المتحركة . لم يكن بها الكثير من وسائل الإسعاف ، والأمر متروك للعامل المصاب أن يعالج نفسه بما هو متاح من أدوية وأربطة قليلة .

هذا المركز هو مكان راحة العمل ، وتبادل الدعابات ، والحديث عن الرياضة والنساء . كان هناك خمسون من العمال الآن يقضون راحتهم الصباحية . قليلون منهم من صادف امرأة من طراز ساير لينش ، أما الأغلبية فكان ظهور كائن خرافى داخل المصنع سيصبح بالنسبة لهم أخف وطأة من ظهور امرأة مثل ساير .

حينما اقترب بيك منها كانت تحاول أن تتحاور مع مجموعة من خمسة عمال جالسين حول طاولة . كان من الواضح أن حركتها فى المكان مقيدة . وبالرغم من أنها كانت ترتدى الجينز وقميصاً من القطن الخفيف ، إلا أنها كانت متناقضة مع ما حولها من وسط عمالى .

كانت رؤوس الرجال محنية وهم يتمتمون بإجابات مقتضبة على أسئلتها ، ويلقون بين الحين والآخر بنظرات إليها أو إلى بعضهم البعض خلسة ، فقد كان من الواضح أنهم يستغربون وجودها ورغبتها فى الحوار معهم .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أجبر بيك نفسه على الابتسام فى دفء وقال أمامهم : " يالها من مفاجأة سعيدة " .

بادلته نفس الابتسامة المصطنعة : " أنا سعيدة لأنك موجود ، يا سيد ميرشانت . بوسعك أن توضح لهذا السيد أنى بحاجة إلى خونة لأجل أن أقوم بجولة فى المسبك " .

أما هذا " السيد " الذى كانت تشير إليه فكان أحد حراس الأمن الذين يحرسون مدخل العمال . كان يقف وحده ، كما لو كان خائفا من أن يقترب من ساير . أما الآن فقد اندفع إليهم . ووجهه يتصبب عرقا من توتره وقال : " سيد ميرشانت ، لا أعلم إذا ما كان علىّ أن ... " .

" أشكرك . فلقد أديت ما هو مطلوب منك . أما أنا فسأصطحب الآنسة لينش من الآن " . جذب بيك مرفقها بطريقة تمنع أية مقاومة وجعلها تلتفت إليه : " تعالى معى ، يا آنسة لينش . نحن نحتفظ بالخوذات الخاصة بالزوار هناك " .

التفتت إلى الرجال الذين كانت تحاول أن تتحاور معهم : " كان لطيفا الحديث معكم " .

ساقها بيك عبر الطاولات والمقاعد حتى وصلا إلى غرفة الإمدادات ، والتى كانت خالية فى هذه اللحظة لحسن الحظ . وما أن أغلق الباب ، حتى بادرته : " لقد منعونى من الحديث مع العمال ، أليس كذلك ؟ وأرسلوك لكى تتخلص منى " .

أجابها بنفس النبرة : " إطلاقا . هف وكريس سعيدان باهتمامك هذا . ولكن لو أردتِ أن تتحدثى مع أحد حول أعمالنا هنا ، فعليكِ أن تسأليني . وليس هؤلاء الناس بالخارج . فأنت جذابة جدا حتى فى ملابسك هذه . وأنتِ هكذا قد عقدتى ألسنتهم " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" إنهم لم يخجلوا منى ، بل يخافوا ويشكوا فى كل شخص ينتمى لعائلة هويل " .

" لماذا إذن تضعيهم فى هذا الموقف المحرج ؟ "

عاودت التفكير فى الأمر فتبين لها أنه محق . " ربما كان هذا تصرفاً غير مقبول منى . ولكنى سأعرف الكثير من خلال جولتى هذه ... أين خوذتى ؟ "

" بوسعك أن ترى أغلب أرجاء المكان من النوافذ العلوية بمكاتبنا " .

" تلك المكاتب الأنيقة النظيفة المكيفة ؟ أعتقد أننى لن أتمكن من تكوين فكرة عادلة من هناك ، أليس كذلك ؟ فأنا أود ان أتعايش مع ما يفعله العمال " .

قال فى ثبات : " ليست هذه بالفكرة الجيدة ، يا ساير . كريس هو المشرف على التشغيل والعمليات . ولابد أن يوافق هو على أمر مثل هذا " .

" ألم تواته الشجاعة لكى يأتى ويخبرنى هذا بنفسه ؟ "

" إنه يعتمد على دبلوماسيتى " .

" جميعكم خبراء فى الدبلوماسية . وهذا لن يثنينى عن تصميمى " .

وضع يديه فى وسطه ، وهو يقترب منها : " سأستخدم القسوة إذن ... ما الذى تفعلينه هنا بحق الجحيم ؟ "

" لقد ذكرتك بالأمس بأننى شريكة فى شركات هويل " .

" ولماذا الآن ، بعد أن كنتِ لا تبدين أى اهتمام بهذه الشركات من قبل ؟ "

لم تكن قادرة على أن تتهمه بالادعاء ، فقالت : " وها قد حان الوقت ليعاودنى هذا الاهتمام " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أسألك مرة ، لماذا ؟ هل لأنه لم يكن وجودك مرغوباً هنا حينما كنت صغيرة ؟ كان كريس ودانى يقضيان أوقاتاً هنا ، ولكنى علمت أنكِ كنتِ ممنوعة من المجىء إلى هنا . هل كنتِ تكرهين أنكِ لست صبياً ؟ "

لمعت عيناها فى شراسة : " لا تحاول أن تستخدم هذا الموضوع معى . وليس على أن أفسر أسبابى لك " .

أومأ برأسه تجاه الباب وهو يقول : " عليكِ أن تفسرى لى السبب لكى تجتازى هذا الباب " .

" أنت موظف ، يا سيد ميرشانت . وأنت تعمل لدى ، أنسيت ؟ وأنا رئيستك " .

أغضبه تغطرسها هذا . إلا أنه استثاره كذلك ، وبشكل سريع وغير معلوم . لقد تاق إلى أن يقبلها ، وليريها أنها ليست رئيسته بأى شكل كان .

سألها وهو يكبح جماح نفسه : " ما الذى تأملين أن تحققيه ؟ "

" أريد أن أتحقق مما إذا كان هذا المكان على الخطورة التى يقولونها عنه . لأرى إن كانوا قد بالغوا فى إدعاءاتهم أم أنها الحقيقة كما أشك ، فهمت ؟ "

" هذا المكان بالطبع خطير ، يا ساير . فهو مسبك للحديد . حيث نذيب المعادن . فهذه الصناعة محفوفة بالمخاطر " .

قالت فى غضب : " لا تحاول أن تتذاكى علىّ . فأنا أعلم بطبيعة هذه الصناعة الخطرة . وكذلك ما يتوجب اتخاذه من احتياطات لحماية العمال . وأعتقد أن هذا هو الجانب الذى تتجاهله شركات هويل " .

" سياستنا هى ... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" سياسة ؟ كتلك التى كتبها كريس وهف ونفذها جورج روبسون ؟ كلانا يعلم أن هناك اختلافا دوما بين السياسة والتطبيق . هذا إن لم يكن هف قد غير من أسلوبه خلال السنوات العشر الماضية ـ وهو ما أشك فيه ـ فشعاره هو الإنتاج مهما كان الثمن . فلا يجب أن يتوقف الإنتاج . وإثبات هذا كان بالأمس ، حيث لم يفكر حتى فى إغلاق المصنع أثناء جنازة ابنه " ، توقفت كى تلتقط أنفاسها ثم قالت : " والآن أرجو أن تعطينى خوذة " .

بدا له من تعبيرات وجهها الشرسة أنه من المحال أن يجادلها أكثر . فلو حاول أن يثنيها عن عزمها ، فسوف تزداد إصراراً على ما تريد ، وكما توقع هف فسوف يجعلها هذا أكثر شكا فى أن هناك ما يخفونه عنها . فرأى بيك أو تمنى أن تشبع فضولها بأسرع ما يمكن وتذهب قبل أن تلحق أى ضرر حقيقى بالمكان .

إلا أنه قرر أن يجرب محاولة أخيرة . فأشار نحو الباب خلفه وهو يقول : " أرأيت أولئك الرجال بالخارج ، يا ساير ؟ هل أمعنتِ النظر فيهم ؟ كل واحد منهم لديه آثار لجروح قديمة . فبوسع هذه الماكينات أن تجرح ، وتحرق ، وتكسر ، وتبتر " .

" أنا لا أنتوى أن أقترب إلى هذا الحد من أى شىء يتحرك هنا " .

" هناك آلاف الأسباب التى قد تؤدى إلى إيذائك ، مهما كان حرصك " .

" وهذا هو مقصدى بالضبط " .

إعترف فى نفسه بأنه قد أكل الطعم ، فتناول خوذتين ثقيلتين من فوق الرف من خلفه وناولها واحدة . " ارتدى نظارة الوقاية أيضا " . ناولها إحدى النظارات وهو يضيف : " لا يوجد ما أحمى به قدميك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ارتدت النظارة أولاً ، ثم أحكمت الخونة على رأسها .

" لا يكفى هذا " . وقبل أن تمنعه ، أزاح الخونة وللم شعرها فوق رأسها ، ثم وضع الخونة فوقه محكماً وضعها وأعاد الخصلات النافرة إلى أسفل الخونة . كان قد تعمد أن يبقى لأطول فترة ممكنة بالقرب منها .

قالت : " هذا يكفى ، لا بأس " .

" لا تتركى خصلات خارجة من الخونة ، يا ساير . أكره أن أرى شعرك وقد احترق بسبب شرارة زائغة أو علق داخل ماكينة تقتلعه من جذوره . كما أنه سوف يشتت انتباه العمال " .

رفعت رأسها لأعلى . فنظر إلى عينيها عبر زجاج النظارة قائلا : " لم يحدث أن تجولت امرأة هنا منذ أن جئت إلى هذا المكان . ومن المؤكد أنه لم تأت إلى هنا إمرأة فى مثل جمالك . وسوف يحدقون طويلاً فى تفاصيل جسدك . ولن يمكننى أن أوقفهم عند حدهم . إلا أننى أكره أن يصاب أحدهم بسبب نظره إلى شعرك وهو يتخيله ينسدل على كتفيه ووجهه " . بادلها النظر لثوان ، ثم ارتدى نظارته وخونته قائلا : " هيا بنا " .

فتح الباب المفضى إلى الجحيم .

كان هذا هو انطباع ساير الأول . فلقد باغتتها الحرارة المنهمرة ، مثل يد عريضة تضغط على صدرها وتبقيها عند العتبات .

كان بيك قد هبط بالفعل عدة خطوات من السلم المفضى إلى الأرضية . وحينما أحس بأنها مترددة ، نظر إليها قائلا وهو يصيح حتى تسمع صوته : " هل غيرت رأيك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هزت رأسها وأشارت له أن يتابع النزول . قادها حتى أسفل . كان نعل حذائها شديد السخونة ، حتى أنها خشيت من أن ينصهر .

كان ما يحيط بها مزيجاً من الظلمة والسخونة . وقد أذهلها مدى سعته . فبدا المكان لا نهاية له . فلم تستطع أن ترى نهايته . ظلمة تتلوها ظلمة لا يقطعها سوى شرارات أو فقاقيع تخرج بسبب انصهار المعدن . تأجج المعدن المنصهر لهيباً أبيض في مفارف عملاقة وهي تتحرك عبر سكة حديدية فوقهم . يغل المعدن المعدن ، وتدور أحزمة النواقل ، وتهدر الماكينات .

كان الهدير لا ينقطع . والظلمة حالكة . ولم يكن هناك مفر من هذا الجحيم . فما أن تستنشقه حتى تصبح جزءاً منه .

أما ساكنو هذا العالم السفلي فكانوا رجالاً نوى وجوه تتصبب عرقاً خلف نظاراتهم ، نظروا إليهما في مزيج من الاستغراب والتحفظ . كانوا في حالة حركة مستمرة ، وبعضهم يدير عدة ماكينات في آن واحد . لا وقت للجلوس في مثل هذا العمل . فعلى العامل أن يكون حذرًا من الشرر ، أو المعدن المنصهر ، أو السقوط ، فحياته تعتمد على هذا .

قال بيك وهو يقرب فمه من أذنها : " ليس عليكِ القيام بهذا ، يا ساير . فهذا لن يثبت شيئاً لأي أحد " .

" ومن قال إني أهدف لهذا " ، هكذا قالت ساير لنفسها . نظرت إلى صف النوافذ المضيئة فوقهما . وكما توقعت ، فقد رأت هف ـ طاغية هذا الجحيم ـ وهو يقف مباعداً بين ساقيه ، يدخن سيجارته التي كانت الحمرة تتقد من مقدمتها .

قالت لـ " بيك " وهي تلتفت بعيداً عن ذلك التحدي القمىء الذي رأته في عينيه : " أرني المزيد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال وهما يتقدمان : " نقوم بصنع سبيكة حديدية أغلبها من الحديد ، مع الكربون والسيليكون " .

أومأت من دون أن تحاول الرد .

أكمل قائلاً : " تقوم شركات هويل بتجميع بقايا الحديد . لدينا مصادر في العديد من الولايات تشحن إلينا هذه المادة الخام عن طريق السكك الحديدية . تأتينا منها كميات بالأطنان " .

رأت ساير أن تلال بقايا الحديد في مؤخرة المصنع شر لابد منه ، مع أنها تذكرت والدتها وهي تسأل هف ما إذا كان من الأفضل أن يبني جداراً أو سياجاً حتى يخفيها بعيداً عن أنظار من يمر بالطريق السريع .

ولكن هَف لم يكن يفكر في هذا الأمر أبداً بسبب تكلفته العالية . قال : " لولا تلك الكومة من القمامة ـ كما تطلقين عليها ـ لما ارتديت معطفاً من الفراء أو ركبت سيارة الكاديلاك الجديدة " .

تابع بيك شرحه : " يتم صهر بقايا الحديد في أفران تسمى القباب . بعدها يسكب المعدن المنصهر إما في ماكينة دوارة ، تقوم بالطرق والسحب عن طريق قوة الطرد المركزي ، أو في قالب سبك " .

راقبت إحدى مغارف المعدن المنصهر وهي تنسكب في إحدى القوالب . هالتها تلك التقنية ، إلا أنها ذهلت بسبب الخطر المحدق بأولئك الرجال الذين يديرون الماكينات ويكونون على قرب شديد بهذه النيران السائلة والأجزاء الساخنة التي تتحرك في سرعة .

سألته ، وهي تومئ ناحية أحد العاملين : " ما هذا الذي في يديه ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تردد بيك ، ثم قال : " شريط لحام . حتى نزيد من سُمك القفاز الذى يرتديه حتى لا تحترق يداه " .

" لماذا لا توفروا لهم قفازات أكثر سُمكاً إذن ؟ "

قال فى فظاظة : " إنها أغلى ثمناً " ، ثم دار بها حول بقعة من معدن منصهر كان يغلى على الأرض . نظرت إلى الأعلى لتجد السائل يتساقط من إحدى الغرافات . وكان المشرف على الغرافة يقف على أرضية غير مؤمنة ، كما لاحظت .

تابع بيك كلامه مفسراً العملية : " ما إن يتجمد المعدن داخل القوالب الرملية ، حتى يمر بمرحلة نسميها الغربلة . حيث يقوم ناقل يهتز بغربلة الرمل تماما " .

اتجه بها إلى باب الخروج . وبينما فتحه لها ، قال بصورة موجزة وكأنما يحدث طالب مدرسة فى رحلة ميدانية : " ما أن تتم إزالة المسبوكات ، حتى تمر بمرحلة التنظيف والفحص . ونقوم بعدها بفحص معدنى لقياس جودة المعدن والمحتوى الكيماوى . فلو وجدنا منتجا معيبا تتم إعادة تدويره مرة أخرى فى المصهر . فما بدأ كبقايا حديد يغادر المسبك فى إحدى شاحناتنا على شكل أسياخ ذات استخدامات مختلفة . هل من أسئلة أخرى ؟ "

أزاحت نظارة الأمان والخوذة وهى تنفض شعرها لينسدل .

" كم درجة الحرارة بالداخل ؟ "

" تصل فى الصيف إلى مائة وثلاثين درجة . ولا يكون الأمر بهذا السوء فى أشهر الشتاء " . قادها إلى المصعد وضغط زر الصعود .

ما أن دلفا إلى المصعد ، حتى ركزا أنظارهما على لوحة الأرقام المضيئة . قالت : " إحدى الماكينات .... " .

" نعم ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كان مرسومًا عليها علامة بيضاء " .

تابع النظر إلى الأرقام التى تعلو باب المصعد من دون أن يرد حتى ظنت أنه قد تجاهل كلامها . ولكنه قال فى النهاية : " هذه العلامة تعنى أن أحد العاملين قد لقى مصرعه بها " .

أرادت أن تستفسر أكثر ، ولكن حينما انفتح باب المصعد ، وجدت كريس فى انتظارهما . ابتسم لهما فى وداعة قائلاً : " مرحبا ، يا ساير . مظهر جديد عليكِ ، أليس كذلك ؟ " كان يلمح إلى الملابس التى كانت قد اشترتها من متجر فى ميدان البلدة قبل أن تأتى إلى هنا . " لكننى لست معجباً كثيرًا به . كيف كانت جولتك ؟ "

" مفيدة جداً " .

" يسعدنى أنكِ قد استمتعت بها " .

" لم أقل بأنى قد استمتعت بها " .

هنا رن جرس هاتف بيك المحمول ، فقال : " المعذرة " ، وتنحى جانباً ليرد على الهاتف .

قالت ساير لـ " كريس " : " لم أجد شيئاً فى أسفل مما قد ينفى ادعاءات عدم الأمان وانتهاكات البيئة التى وجهت إليكم . ما تلك الرائحة التى تعبق ذلك المكان ؟ "

قال بصبر بالغ : " إنها من الرمال ، يا ساير . فبها كيماويات . فعندما تمتزج بالسخونة ، ينبثق عبق هذه الكيماويات ، وهى رائحة غير لطيفة أحيانًا " .

" وقد تكون ضارة ؟ " .

" اذكرى لى صناعة لا تحوى بعض المخاطر المهنية " .

" لكن هناك نظم تهوية حديثة تقوم بـ ... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" باهظة الثمن بشكل بالغ . ولكننا نبحث باستمرار عن أساليب تهدف إلى تحسين بيئة العمل " .

" بمناسبة البيئة ، أذكر أننا قد دفعنا غرامة كبيرة لتلويثنا المياه العمومية منذ بضع سنوات . كان تسرباً من برك التبريد ، كما أظن " .

بقيت ابتسامة كريس ، إلا أنها أصبحت جامدة . " نحن نبذل الكثير من الجهد لكي نحمي بيئتنا المحلية " .

قالت في تشكك : " أخبر هيئة المحافظة على البيئة بهذا ، يا كريس " .

أنهى بيك محادثته وعاد للانضمام إليهما وقال : " أرجو أن تعذراني . فقد طرأ أمر يستوجب تدخلي الفوري " . ثم مد يده إلى معدات الأمان التي ارتدتها ساير : " هل يمكنك أن تخرجي وحدك من هنا ؟ "

" لن يكون هذا صعباً " .

قال كريس : " إني آسف لعدم قدرتي على اصطحابك للغداء قبل أن تغادري البلدة ، إلا أن لدي أنا أيضاً عملاً يقتضي أن أنهيه " . ثم مال ناحيتها وقبلها على خدها . وقال لها وهو يبتعد بعينين ساخرتين : " رحلة طيبة ، يا ساير " .

راقبها بيك وكريس وهي تهبط عبر الممر إلى أن اختفت عن ناظريهما . قال كريس : " ها قد انتهى الأمر " .

قال بيك : " ليس تماماً ، يا كريس " .

التفت إلى بيك قائلاً : " هل تعتقد أنها ستبدأ في التفتيش وراءنا بالنسبة لوسائل الأمان وحماية البيئة وغير هذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هذا هو الظاهر . إلا أنها قد كانت مشغولة تماماً هذا الصباح في أشياء أخرى " .

رفع كريس حاجبيه في دهشة : " نعم ؟ ماذا كانت تفعل ؟ "

" من بين هذه الأشياء أنها قد تحدثت مع ريد هاربر . وهو الذى كان يحدثني الآن . يريد منك أن تأتيه في مكتبه لمناقشة بعض الأمور " .

لم تغادر سايرِ البلدة على الفور . بل قادت سيارتها عبر منطقة تقع وراء مداخن شركات هويل . حينما كانت صغيرة ساذجة ، وحينما كان كل شيء يبدو ممكناً وكان المستقبل مشرقاً ، كان مجرد الاقتراب من هذا الشارع يثير في قلبها متعة ما بعدها متعة . فهذا المنزل الذى يتوسط هذه المنطقة التى يقطنها متوسط ومعدوم الدخل كان مركز الكون بالنسبة لها . كان رمز الأمل ، والسعادة ، والأمان ، والحب .

أما الآن فقد سادت الكآبة روحها ما أن رأته .

لقد ساء حال المنطقة بأكملها خلال السنوات العشر الأخيرة . إلا أن هذا المنزل بالذات كان في أسوأ حال . كادت تشك في أنها قد أخطأت المكان بسبب حالة المنزل المزرية .

إلا أنها لم تخطئ . فقد تعرفت عليه رغم مظهره المتداعي . ولو أنها كانت لتشك في ذاكرتها ، فكان يكفيها أن تقرأ الاسم المكتوب على صندوق البريد لكي تعرف أنه هو المنزل الصحيح .

كانت ألعاب أطفال متناثرة عبر الباحة الأمامية ، كثير منها محطم ويبدو عتيقاً . كانت هناك بعض الشجيرات المتشبثة بالحياة بالقرب من المنزل ، بحاجة ماسة إلى التهذيب . كانت الحشائش تنمو في بقاع متناثرة . وأرجوحة معدنية صدئة تقبع عند عتبات

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

المدخل . أما الطلاء الخارجي للمنزل فلم يكن في حال أفضل من حال المنزل نفسه .

و مع أنها قالت لنفسها بأنها قد أتت إلى هنا تلبية لنزوة منها ، إلا أن الحقيقة أنها فكرة كانت تداعبها منذ أن وصلت إلى ديستيني . ولما وصلت إلى هنا ، شعرت بحالة من التوتر لم تجد لها تفسيرا .

قبل أن تستجمع شجاعتها حتى تخرج من السيارة ، رن جرس هاتفها المحمول . تعرفت على رقم جيسيكا دى بلانس ، فردت على المكالمة .

بعد أن تبادلتا التحية ، قالت خطيبة دانى : " لا أود أن أزعجك . ولكنى رغبت فقط فى أن أسألك عما إذا كانت هناك أية تطورات فى تحقيقات الضابط سكوت " .

" لقد تحدثت مع المأمور هاربر هذا الصباح " ، أخبرتها ساير بأنه قد قام بصحبة بيك والضابط سكوت ببحث دقيق داخل الكابينة فى الليلة السابقة وقالت : " فهمت أنهم لم يجدوا شيئا غريبا لأنه قال إن الضابط سكوت سوف ينتهى من تحقيقاته فى الغد على الأكثر " .

قالت جيسيكا فى يأس : " هذا ما توقعته " .

" هل تودين أن أفضى إليهم بأمر خطبتك ؟ "

" كلا . فسوف ينتهزون الفرصة ليلومونى على انتحار دانى ، كأن أكون قد ضغطت عليه لأجل أن يتزوجنى وأننى قد دفعته إلى هذا " .

وافقتها ساير على رأيها للأسف . " أشعر بأنى قد خذلتك ، يا جيسيكا " . تماما كما خذلت دانى عندما رفضت أن ترد على

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

مكالماته الأسبوع الماضى . " كنت أتمنى أن أفعل ما هو أكثر من هذا " .

قالت جيسيكا بعد صمت : " لقد تأكدت من استعدادك لمساعدتى . ربما كان على أن أتقبل حقيقة أن دانى لم يكن سعيداً كما ظننت ، وأن لديه أسباباً لم تكن معروفة لدى دفعته لأن ينتحر . فقد كان قلقاً من شىء ما . وأعتقد أنه لم يستطع أن يتعايش مع هذا الشىء ، أياً كان . ولن أعرف حقيقة الأمر أبدًا بعد الآن " .

قالت ساير : " أنا آسفة " . لقد انفطر قلب هذه الفتاة ، ولم يكن أمامها سوى أن تعزيها بهذه الجملة البائسة . التى بدت غير مناسبة أبداً للموقف . على أنها وعدتها بأن تبلغها عندما تعرف أى شىء من مكتب المأمور .

أنهتا المكالمة فى نات اللحظة التى فتحت فيها البوابة الأمامية للمنزل ليطل عبرها رجل وقف عند البهو الأمامى الصغير . كان حافى القدمين لا يرتدى سوى سروال جينز .

كان سلوكه مريباً وعدائيا وهو يصيح : " هل يمكننى أن أساعدك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الحادى عشر

أدركت ساير أنه لن يمكنه أن يرى من بداخل السيارة بسبب زجاجها المظلل . ولشعورها بالذنب لأنه وجدها تتجسس على المنزل ، أصبحت مدفوعة إلى أن تبتعد بالسيارة عن المكان . ولكن بعد أن وصلت إلى هذا الحد ، فلا سبيل أمامها كى تتراجع . وهكذا أنزلت زجاج نافذة السيارة وهى تقول : " مرحبا ، كلارك " .

ما أن تعرف عليها ، حتى شكلت شفتاه منطوق اسمها ، ثم تحولت ملامح وجهه إلى ابتسامة كانت تذيب القلوب فى مدرسة ديستينى الثانوية حينما كان نجم دفاع فريق كرة القدم بالمدرسة ، ورئيس اتحاد الطلبة ، وأشهر شخصية بالمدرسة ، والتى توقع لها الجميع النجاح .

هبط كلارك دالى العتبات الأمامية وهى تخرج من السيارة . التقيا عند منتصف الممشى المؤدى إلى المنزل . لم يتعانقا ، إلا أنه مد يديه ليدها واحتضنها بينهما .

أخذ يملأ عينيه منها : " لا أصدق عينىّ . فأنتِ كما أنتِ ، بل أفضل " .

" أشكرك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أما هو فلم يبد على ما كان أو أفضل حالاً . فقد تحول الجسد الرياضى المشوق ، إلى جسد نحيل تتبدى أضلاعه . كان من الواضح أنه لم يحلق ذقنه منذ عدة أيام ، إهمالاً وليس من باب اتباع صيحات الموضة . أصبح شعره الحالك أقل كثافة ، لتتبدى جبهته وكذلك حاجباه ببروز يفوق ما تتذكره عنه . عيناه حمراوان . ورائحة الكحول تفوح من فمه .

ترك يدها وتراجع خطوة ، كما لو أنه انتبه فجأة إلى التغير الذى حل به وانتبهت هى إليه . قال : " أعتقد أننى قد بالغت فى الدهشة لرؤيتك . هل حضرت لأجل جنازة دانى ؟ "

" أجل . لقد وصلت صباح الأمس فى وقت الجنازة تماماً ، وأنا فى طريقى إلى الرحيل الآن " .

" أنا آسف لعدم تمكنى من الحضور للجنازة . فالأمر ، تعلمين أن ... " . لوح بيده تجاه المنزل كما لو أن هذا يفسر فشله فى الحضور إلى الجنازة .

" لا بأس . أنا متفهمة " .

هنا توقفت لغة الكلام . كانت تحد صعوبة فى التحديق إلى عينيه . فالخجل كان رد فعل طبيعيًا لرؤيه حبيبها القديم لأول مرة بعد عشر سنوات ، إلا أن هناك أسبابًا عميقة بهذا الشعور بالحرج الذى حل بينهما .

حاولت أن تكسب صوتها إشراقاً مصطنعاً وهى تسأله : " ما الذى تفعله هذه الأيام إذن ؟ "

" أعمل فى المسبك " .

صمتت من المفاجأة وقالت : " مسبك هف ؟ "

ضحك ضحكة مقتضبة ، وقال : " هذا هو المسبك الوحيد هنا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ما الذى تقوم به ؟ "

هز كتفيه وهو يرد : " أعمل على المصهر ، فى وردية الموت " .

لم تفهم عبارته فى بادئ الأمر ، وظنتها دعابة . ولكن حينما نظرت إلى عينيه الغائرتين ، رأت قتامة صريحة وعميقة .

لقد نجح أبوها فى تخريب حياة هذا الرجل بدرجة أسوأ مما لو كان قد أطلق عليه النار ، كما حدث وهدده ذات مرة من قبل .

قال وهو يجبر نفسه على الابتسام : " إنه مجرد عمل يدر لى دخلاً . هل تودين الدخول لتناول بعض القهوة ؟ "

أشاحت بوجهها لأسفل حتى لا يرى ما ارتسم عليه من يأس وقالت : " كلا ، فعلىّ أن ألحق بالطائرة . أشكرك " . كانت متأكدة من أنه لم يكن يتوقع منها أن تقبل دعوته . فقد وجهها إليها من دون حماس ، كواجب عليه أن يقوم به ليس إلا .

بعد لحظة من صمت ، سألها فى رقة : " هل أنتِ سعيدة فى كاليفورنيا ، يا ساير ؟ "

" وكيف عرفت بأنى أعيش هناك ؟ "

" على رسلك . أنتِ تعلمين أنه ليس هناك سر يخفى فى هذه البلدة . كما أنى أعلم أنكِ تديرين شركة ديكور هناك ، أليس كذلك ؟ "

" ديكورات منزلية " .

" أنا أثق فى براعتك فى هذا المجال . هل لديك ... عائلة ؟ "

هزت رأسها : " لم تدم أى من زيجاتى طويلا " .

" أما أنا فقد تزوجت للمرة الثانية " .

" لم أعرف بهذا الأمر " .

" لدى أربعة أولاد . ثلاثة منهم أولادها هى . أما الرابع فولدنا نحن الاثنين " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" جميل ، كلارك . أنا سعيدة لسماعي هذا " .

أحنى رأسه ، ووضع يديه في جيبي سرواله الجينز الخلفيين ، وأخذ ينظر على قدميه الحافيتين . " أجل ، فجميعنا يبذل أفضل ما يمكنه . نسير الخطى التي قدرت لنا " .

ترددت ، ثم سألته السؤال الذي كان يلح عليها : " لماذا لم تتخصص في الهندسة الكهربائية كما كنت تخطط ؟ "

" لم يمكنني هذا " .

" لماذا ؟ "

" ألم تعرفي ؟ إنني لم أكمل تعليمي . فقد تم إلغاء منحتي الجامعية " .

قالت في دهشة : " ماذا ؟ . . . لماذا ؟ "

" لم يفسر لي أحد السبب . فلقد تلقيت ذات يوم رسالة تخبرني بألا أهتم بالمواظبة على الحضور ما لم أتمكن من دفع المصروفات لأن المنحة الأكاديمية قد ألغيت . حاولت أن أحصل على منحة تفوق رياضي ، إلا أنني فشلت في إقناع حتى أصغر الجامعات بسبب إصابتي في الركبة .

" لم يكن في مقدور أبي وأمي أن يلحقاني بالجامعة ، لذا قررت أن أعمل لسنتين ، حتى أدخر من المال ما يكفي للمصروفات . ولكن ... الأمور تغيرت . فلقد أصيبت أمي بالسرطان ، وكان أبي بحاجة إلى من يساعده على العناية بها . أنتِ تعلمين ما يحدث في مثل تلك الحالات " .

كلاهما عرف السبب الحقيقي في إلغاء منحته الجامعية : إنه هف . فقد تكبد الكثير من الأموال للتأكد من إلغاء هذه المنحة . فلقد أقسم بأن يدمّر حياة كلارك دالي ، وقد فعل . لم يعتد هف أن يحنث في كلمة يقولها . وها قد أصبح كلارك واحدا من عماله ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ويتقاضى أجره على أحط الأعمال ، ويبدو أن هذا قد أراح هف راحة هائلة . وربما كان يتلذذ بالسخرية منه بين الحين والآخر .

ضحك كلارك ساخراً من نفسه ، ثم قال لها : " يبدو أن أملك قد خاب فىّ . تباً ، فأنا نفسى قد خيبت ظنى فى نفسى " .

" أنا آسفة لكون الأمور قد سارت على هذا النحو . فقد كانت الظروف أقوى منك . يكفى أنها تجسدت فى شخص هف هويل " .

" أنتِ نفسك عانيت من هذا ، أليس كذلك ؟ "

" لقد نجوت من قبضته ، ظل هذا هو شعورى طيلة السنوات الماضية " .

" يبدو أن دانى قد شعر بأن النجاة وحدها لن تكفى " .

" أعتقد هذا " .

" ماذا كان رد فعل هف وكريس على انتحاره ؟ "

أشارت تجاه المداخن التى تسيدت سماء البلدة وهى تقول : " لا شىء يوقف الإنتاج . فلقد عادا إلى العمل اليوم . وبيك ميرشانت ... أعتقد أنك تعرف من هو " .

مط شفتيه فى مقت : " أنا أعرفه ، لذا أطلب منكِ أن تكونى على حذر منه . فهو . . . " .

" كلارك ؟ "

هنا اقتربت منهما سيدة بدت فى أواخر العشرينيات من عمرها . كانت شقراء بهية المنظر . أو هكذا كان حالها لولا تعبيرات وجهها العابسة . كانت تحمل طفلاً لم يتعد عمره العام الواحد ، لا يرتدى سوى حفاضة .

قال كلارك : " لوسى ، هذه ساير هويل . ساير ، هذه زوجتى لوسى " .

قالت ساير مجاملة : " كيف حالك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أجابتها لوسى : " مرحباً " .

بدت عدائيتها واضحة ، حتى أن كلارك شعر بالحرج ، فقال بسرعة : " أما هذا فهو كلارك الصغير " .

بادلت ساير الأبوين الابتسامة : " يبدو طفلاً رائعاً " .

قال كلارك : " كما أنه قوى أيضاً . لقد انتقل مباشرة من الحبو إلى الركض " .

قالت لوسى فى فظاظة : " إننى سأتأخر على موعد العمل " . وأغلقت الباب خلفها وهى تعاود الدخول إلى المنزل .

التفت كلارك ليواجه ساير : " خلال أشهر الصيف أضطر إلى الاعتناء بالأولاد أثناء وجود لوسى بالعمل . فهى تعمل بالمستشفى ، فى مكتب السجلات ، حيث تقوم بتنظيم وإدراج دعاوى التأمين ، وأشياء من هذا القبيل " .

" تعمل أثناء الليل وترعى الأولاد بالنهار ؟ متى تنام إذن ؟ "

" أصرف أمورى " . وجه إليها إبتسامة ، إلا أنها خفتت بالتدريج وهو يضيف : " لا تلومى لوسى على فظاظتها . فهى لا تكرهك . فأنا من ألقى بالعبء على كاهلها . فأنا لم أكن بالزوج الذى يُعتمد عليه " . ثم قال وهو يخفض صوته : " لو سألت عنى فسوف تجدين أن هذا أول وصف يصفنى به من يعرفنى " .

" أنا لن ألتفت أبدا إلى ما يقوله الناس ، كلارك . خاصة عنك أنت " .

مال برأسه جانباً وأخذ يتطلع إلى لا شىء لدقائق ، ثم قال : " إنهم محقون . خاصة بعد .... كما تعلمين .... " .

بالفعل كانت تعلم .

عاد بعينيه إليها : " ها أنتِ قد عدتِ . ولكن بعد أن حققت ذاتك " . ضحك من نفسه ضحكة ساخرة ، ثم قال : " وها أنا ذا .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم أعد أبداً إلى الطريق الصحيح . فلقد تركت نفسى للهاوية ولم أجد فائدة من محاولة إنقاذ نفسى منها . بل لم أعد أجد فائدة من أى شىء " .

" أنا آسفة " . ها قد عادت ثانيةً إلى هاتين الكلمتين . اللتين لا طائل منهما .

" لقد بقيت لوسى معى فترة أطول من المفروض . لقد منحتنى الكثير من الفرص بأكثر مما أستحق . كان حالى ينصلح قليلاً ، ثم .... " . تثاقل صوته ، فاكتفى بالنظر إلى عينيها فى عمق . أما عيناها فكانتا تشعان باليأس . " يجب ان أجد هدفاً ما لحياتى ، يا ساير . على أن أفعل شيئاً ما لأجل ولدى " .

" أنا متأكدة من أنك ستنجح . وسوف تستعيد حياتك التى تريدها . تماماً كما فعلت أنا " .

مدت يدها لتلامس ذراعه فى تشجيع . نظر إلى يدها حيث وضعتها ، ثم إلى وجهها ، وابتسما لبعضهما البعض ، إلا أنها كانت تعبيراً عن الحسرة والندم على ما كان .

قالت بصوت مبحوح وهى تبعد يدها : " لن أعطلك أكثر من هذا . كان على أن أتصل بك قبل أن آتى . أو كان من الأفضل ألا آتى من الأصل " .

" رؤيتك تسعدنى دوماً ، يا ساير " .

" اعتنى بنفسك " .

" وأنتِ أيضاً " .

استدارت وهى تكاد تبكى ، وهرولت مسرعةً إلى سيارتها . نظرت إليه مرة أخرى وهى تبتعد بالسيارة . كان لا يزال واقفاً عند مدخل المنزل ، ينظر إليها . رفع يده إليها مودعاً .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

مرقت إلى جوار بنايتين قبل أن توقف السيارة فى ظل جسر للسكك الحديدية ، ثم أرخت رأسها على ظهر مقعدها وهى تبكى ، تبكى كما لم تبك من قبل على فقدانها لأخيها .

فهذا هو كلارك دالى ، الشاب الذكى الوسيم الموهوب الذى عرفته ، الشاب الحساس الطموح الذى أعجبت به ، ها هو اليوم تراه ميتاً تماماً مثل دانى .

حاول ريد هاربر أن يجعل طلبه لقدوم كريس لمكتبه يبدو طبيعياً وعادياً قدر المستطاع ، إلا أن بيك كان مقتنعاً أن هذا الطلب لم يكن اختيارياً أو الذى يمكن تجاهله .

و مع أن ريد قد أراد أن يبدو الأمر بلا أهمية ، إلا أن استدعاء كريس إلى مكتب المأمور للإجابة عن بعض الأسئلة ، قد تحول إلى استجواب . لم يستخدم بيك هذه الكلمة وهو يشرح الأمر لـ " كريس " . قال وهو يضفى على كلماته نبرة ارتجالية غير متعمدة : " يبدو أن هناك بعض الأمور المعلقة التى تحتاج إلى الحسم " .

" ولماذا يحتاجنى ريد حتى يحسم هذه الأمور ؟ "

" أرى أننا سنعرف عندما نصل إلى هناك " .

لم يكن بيك ينتوى أن يخبر هف بأمر هذا اللقاء ، ليس قبل أن يعرف الغرض منه . إلا أن هف لاقاهما وهما فى طريقهما إلى الخارج . فلم يجد بيك بداً من أن يقلل من أهمية استدعاء المأمور هذا : " أنا متأكد من أنه استدعاء روتينى لن يستغرق سوى نصف الساعة على الأكثر " .

سأله هف : " وماذا تظنه يريد ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أرى أن ريد يحاول أن يرضى غرور محققه الطموح الجديد ، سكوت " . ضحك ثلاثتهم على هذه العبارة . ووعده بيك أن يفضى إليه بتفاصيل المقابلة ما أن يعودا .

إلا أنهما الآن وقد دلفا إلى مكتب المأمور يستغربان ما بدا على محياه من جدية . حياهما فى صرامة وهو يشير إليهما بالجلوس : " أشكركما للمجىء " .

تحرك واين سكوت ليقف إلى جانب ريد الجالس إلى مكتبه فأصبح كلاهما فى مواجهة كريس وبيك .

قبل أن تتاح فرصة الكلام لـ " ريد " أو محققه ، بادرهما بيك قائلاً : " أود أولاً أن أعرف ما الصفة التى على أساسها أنا موجود هنا ؟ "

" الصفة ؟ " بدت دهشة سكوت مصطنعة ، جعلت بيك يشعر بعدم الثقة تجاهه .

" هل أنا هنا لأجيب عن أسئلة ، أم بصفتى محاميًا عن كريس ، أم .... " .

قال كريس : " محام ؟ ولماذا أحتاج إلى محام هنا ؟ "

اسكته بيك بنظرة واحدة منه ثم قال : " كما كنت أقول ، ما هو سبب استدعائى هنا ؟ هل تشكان فى شىء ما ؟ وإن كان الحال كذلك فأنا أطلب وجود محامى الخاص " .

قال ريد بضحكة متوترة : " ها أنت ذا يا بيك تبادر بالهجوم . مع أنه لا حاجة بك لأن تتعامل معنا بهذه النبرة القانونية " .

" أعتقد أن هذا مطلوب ، يا ريد . وأود أن أعرف ، قبل أن ندخل فى الموضوع ، طبيعة هذا اللقاء والأسئلة التى تنتوى طرحها على كريس . هل هو مجرد تأكد من بعض التفاصيل حول انتحار

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

دانى ؟ أم أن لديكما من الأسباب ما يدفعكما إلى الاعتقاد بأنها جريمة قتل ؟ "

تفادى سكوت الإجابة المباشرة وهو يقول : " أجد أن هناك شيئين غير منطقيين . وأعتقد أن بوسع السيد هويل أن يوضحهما لنا " .

نظر بيك إلى كريس ، الذى هز كتفيه فى برود وقال : " ليس لدى ما أخفيه " .

قال بيك لـ " سكوت " : " حسناً . اطرح أسئلتك ، إلا أننى قد أطلب من موكلى ألا يجيبك عنها " .

أجابه كريس : " لا بأس " . نظر سكوت إلى ما هو مكتوب فى دفتر ملاحظات صغير ، ثم قال : " ما درجة تردد دانى على معسكر الصيد الخاص بالأسرة ، يا سيد هويل ؟ "

" لا أدرى . فلكل منا حياته الخاصة . وآخر من يذهب إلى هناك يكون مسئولاً عن ترك المكان نظيفاً ، وإطفاء الأنوار ، وتعويض كل ما يستخدمه من زجاجات الشراب أو أوراق الحمام أو غير هذا . هذا ماكنا نتفق عليه . لذا يكون من الصعب تحديد آخر شخص يتردد على المكان " ، ثم نظر إلى ريد وهو يضيف : " هل هذا أمر مهم ؟ "

اجابه وهو يهز كتفيه بشكل محايد : " قد يكون كذلك .... هل اعتاد دانى التردد كثيراً على المكان لصيد الأسماك ؟ "

" ليست لدى أية فكرة " .

" لقد ذكرت أختك هذا الصيف ... " .

" أختى ؟ هل طلبتما حضورى إلى هنا لأجل أن تؤكدا أو تنفيا شيئاً أخبرتكما به أختى ؟ ما الذى ذكرته ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

رفع بيك كفه لكى يصمت كريس ، ثم سأل المحقق : " هل أنت جاد فى الاعتماد فى تحقيقاتك على شىء ذكره شخص لم يعش فى ديستينى طيلة العقد الماضى ولم يتحدث إلى أى فرد من العائلة طيلة ذلك الوقت ؟ "

قال سكوت : " لقد أخبرت المأمور هاربر بأن دانى كان يشمئز من صيد الأسماك . هذه هى الكلمة التى استخدمتها ، أليس كذلك أيها المأمور ؟ يشمئز ؟ "

" هذا صحيح " .

تطلع كريس إلى بيك وبدأ يضحك . " ما الذى يرميان إليه ؟ إن أحدهم قد أطلق النار على دانى لأنه استهزأ بصيد الأسماك ؟ "

بادره سكوت : " هذه ليست مزحة " .

نظر كريس إليه فى برود : " حقاً ؟ أنا أرى أنك تدفعنى دفعاً إلى الضحك " .

حاول بيك أن يلطف من جو الجلسة وقال : " ما الذى كان يفعله دانى حالما يكون فى معسكر الصيد طالما أنه لا يحب صيد الأسماك ؟ هل هذا ما تحاولان أن تتبيناه ، أليس كذلك ؟ "

قال سكوت وهو لا يزال حانقاً من إساءة كريس ، وهو ينظر إليه منتظراً منه تفسير ما قاله : " هذا صحيح " .

قال كريس : " كيف لى أن أعرف بحق السماء ؟ ربما قرر أن يجرب الصيد . أو ربما كان آخر ما يفكر فيه هناك هو أن يصطاد . ربما ذهب هناك للصلاة . أو لينام . أو لممارسة أية حماقة كانت أو ليفعل بالضبط ما فعله ، أى أن ينتحر . فمعسكر الصيد يوفر له الخصوصية " .

" لقد وجدنا معدات الصيد على رصيف القوارب " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال كريس وهو يحرك يده : " هذا ما أقصده . كان دانى يحاول أن يجرب الصيد ، ويختبر مقته له " .

" من دون طعم ؟ كانت جميع المعدات موجودة على الرصيف ، لكن من دون طعم " .

وجه كريس ناظريه إليهم جميعاً ، ثم هز كتفيه قائلاً : " ليس لدى من المعلومات ما يساعدكم " .

قال سكوت : " لقد بدا الأمر مصطنعاً ، أتعرف قصدى ؟ وكأنما هناك من أراد لنا أن نعتقد أنه قد ذهب إلى هناك ليصطاد ، ثم غير رأيه ، وقرر الانتحار " .

فرقع كريس بأصابعه قائلاً : " ها قد توصلت إلى شىء ما ، أيها المحقق . لقد نسى أن يبتاع طعماً ، فأطلق النار على نفسه " .

" كريس " .

لو لم يوبخه المأمور هاربر على هذه السخرية ، لفعلها بيك . فقد كانت سخريته تتناقض مع الموقف ومن المؤكد أنها تسىء إلى علاقته بالمحقق .

قال كريس بصدق : " أنا أعتذر . لم أقصد أية إهانة لأخى . إلا أن هذه الأسئلة بليدة . فسبب وجود دانى فى معسكر الصيد واضح . فلقد توجه إلى هناك كى ينتحر ، وهذا ما فعله " . كان يركز نظرته على واين سكوت وهو يضيف : " هل من شىء آخر ؟ "

" متى كانت آخر مرة رأيته فيها ؟ "

" يوم السبت . فى نادى البلدة . حيث لعبنا عدة أشواط من التنس ذلك الصباح . توقفنا عن اللعب قرب الظهر بسبب حرارة الجو . بقيت أنا لأمارس السباحة ، أما هو فغادر على الفور " .

قال سكوت : " ألم تره يوم الأحد ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال بيك : " لقد أجاب كريس على سؤالك . فقد رأى دانى لآخر مرة صباح السبت . وافترقا قرب الظهر " .

سأل سكوت كريس : " وأين كنت يوم الأحد ؟ "

" كنت بالمنزل . طيلة اليوم . فقد نمت متأخراً . وبقيت بالمنزل . وقرأت الجريدة . وأتى بيك بعد الظهر ، وشاهدنا معًا مباراة لفريق بريفز . ويمكن لمديرة المنزل أن تشهد على هذا ، إن كان ضروريا " . ثم سأل وهو يلتفت إلى المأمور : " ما الذى يجرى هنا ، يا ريد ؟ "

أضاف بيك : " وهذا ما أود أن أعرفه بدورى " .

قال ريد : " أرجو أن تتحليا بالصبر . هلا عجلت فى طرح الأسئلة ، يا واين ؟ "

نظر المحقق إلى دفتره مرة أخرى ، لكن بيك أحس أنها مجرد حركة مسرحية ، فقد كان يعلم مقصده جيداً ، قال سكوت : " أين كنت ليلة السبت ؟ "

بادره كريس بفروغ صبر : " وما الفارق ؟ فلم يكن دانى موجودًا " .

كرر سكوت سؤاله : " أين كنت أنت ؟ "

بادل كريس المحقق النظرات ، وهو يهز جسده للأمام والخلف على مقعده ، وقد بدا الحنق واضحا عليه لاضطراره أن يجيب شخصاً شعر بأنه وضيع لا يستحق . إلا أنه قال فى النهاية : " ذهبت إلى ملهى جديد عند جسر بروكس . كانت به فرقة موسيقية رائعة . ومضيفات جميلات . عليك أن تجرب الذهاب إلى هناك ، أيها المحقق . هذه دعوة على حسابى " .

لم يبد على محيا الضابط سكوت أى اهتمام بهذه الدعوة وهو يقول : " هل تدخن ، يا سيد هويل ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ليس بكثرة . حينما أكون بالخارج أحياناً " .

" هل كنت تدخن في ليلة السبت تلك وأنت باللهى ؟ "

بادره بيك قبل أن يهم كريس بالإجابة : " لا تنتظر رداً من كريس قبل أن أعرف ما تهدف إليه بهذه الأسئلة " .

نظر سكوت إلى ريد هاربر ، والذى بدت على وجهه مشاعر الخشية والذنب منذ أن بدأ هذا الاستجواب . ومن دون تردد واضح ، فتح أحد أدراج مكتبه وسحب مظروفاً بنى اللون ، كذلك الذى توضع فيه الأحراز . ناوله للمحقق ، والذى فتحه فى هدوء وأفرغ محتواه فوق مكتب ريد .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثانى عشر

- بيك .... - .

- ليس قبل أن نخرج من هنا - .

- لكن هذا ... - .

- ليس قبل أن نخرج من هنا - ، هكذا قرر بيك فى تصميم . كان يتجاهل دهشة أفراد الأمن ، وهو يدفع كريس عبر الردهة ، ثم قاعة الانتظار ، حتى خرجا من باب مكتب المأمور .

لم يسمح لكريس أن يتكلم حتى أصبحا داخل عربته ، والتى كانت من الداخل أشبه بفرن ساخن . أدار المحرك ثم مكيف الهواء بأعلى درجة ، وبعدها التفت إلى صديقه ، الذى كان قد أصبح الآن مستبهًا به فى قضية قتل .

قال بيك : - أخبرنى بما لديك - .

قال كريس فى هدوء واضح : - لا يوجد لدى ما أخبرك به . هو نفس ما قلته لـ - ريد - ولذلك ... الضابط - . قال الكلمة بنبرة سباب . - فبغض النظر عما وجده فى معسكر الصيد ، فليس بوسعه أن يربط بينه وبينى . فلم أكن هناك يوم الأحد . وتعلم سيلما بأنى لم أبارح المنزل طوال اليوم . وأنت نفسك كنت معى لمدة ساعات .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فانا لم أر أو أتحدث إلى دانى بعد صباح الأحد حينما كنا فى النادى " .

" عندما سمعكما البعض تتشاجران " .

" كنا نتجادل حول لعبة . من الذى لا يمكن أن يتشاجر أثناء اللعب ؟ تباً " .

" وهو ، كذلك " .

" ماذا ؟ " حرك كريس مسار الهواء المكيف تجاهه حتى يلتقط أكبر قدر من الهواء الذى كان قد بدأ يبرد . " هذا صحيح ، دانى كان يرى بأنى كنت أهرطق وأسىء إلى معتقداته الدينية ، وحيث إنه أخى كنت أرى أنه يتخذ مسارا غير سليم . وكان من الضرورى أن أقول له رأيى هذا " .

" ولكن هل يضطرك هذا إلى السخرية منه ؟ "

تنهد كريس ، ثم قال : " لقد طلب منى هف أن أحاول التحدث مع دانى بهدوء وأن أعيده إلى الصواب . ولو أننى كنت ساخرا قليلا .... "

" لقد كنت قاسيا عليه جداً ، هذا إن صحت أقوال الشهود الذين تحدث معهم سكوت ، أليس كذلك ؟ "

" أنا لا أتذكر تماماً ما قلته " .

" إن قولك أنا لا أتذكر تماماً ما قلته " لا تعد عبارة قوية عند الدفاع فى المحكمة ، يا كريس " .

نظر إليه كريس فى حدة ، وقال : " المحكمة ؟ "

" ألم تفهم أبعاد الأمر بعد ؟ إنهم يحاولون أن يضعوك فى موضع التهم . أنت تكاد الآن تكون متهما بقتل أخيك بطلق نارى فى رأسه

" لا يمكنهم هذا ، فأنا لم أكن هناك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نظر بيك إليه فى قسوة . " لا يمكنك أن تكذب على ، يا كريس . لو كان هذا الأمر صحيحاً ، فلا أود أن أكون ضحية أية مفاجآت " .

" وما الذى على أن أفعله ؟ هل أتلو صلاتى الأخيرة إذن ؟ "

" لا بأس . واصل سخريتك . فهذه بالفعل مزحة كبيرة " .

كبت كريس ابتسامته وقال : " أعلم أنك تقوم الآن بدور المحامى . وكما قال هف ، فأنت تكسب مرتبك من هذا القلق ، لذا فليس علينا نحن أن نقلق . ولكن ما الذى يمكن أن أفعله أو أقوله حتى أقنعك بأنى لم أكن فى معسكر الصيد هذا الأحد ؟ "

واصل كريس قائلاً : " إن آخر مرة كنت بها هناك كانت فى ذات ليلة منذ بضعة أشهر وكنت معك . وكانت آخر مرة أرى فيها دانى حينما كان فى طريقه إلى غرفة خلع الملابس بالنادى صباح السبت . فلقد غضب من شجارنا حول الدين . فقد كان شديد الحساسية تجاه هذا الموضوع . وقد بالغت كثيراً فى سخريتى ، هذا ما أقر به ، فتركنى غاضباً " .

" وماذا عنك أنت ؟ كيف كانت حالتك حينما افترقتما ؟ إن دانى كان سهل الانقياد يوماً . إلا أنه تحول فجأة إلى شخص عصبى عنيد ، فكيف كان رأيك فى هذا ؟ "

" أعترف بأنى كنت غاضباً منه لكونه قد جعل من نفسه أضحوكة أمام هؤلاء المتلاعبين بالدين . فكثير منهم يعملون لدينا ولن أسمح بأن أجعلهم يسخرون منا ، من أجل الدين أو غير الدين . لقد كنت غاضباً " .

واستطرد : " ولكى أبرد نيران الغضب هذه ، قمت بالسباحة داخل حمام النادى ، ثم ذهبت إلى منزل ليلى ما أن اتصلت بى لتخبرنى بأنها وحدها ، وقضيت بقية ساعات الظهيرة أبادلها

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الغرام . وأقول لك إن القيام بذلك مع أمثال ليلى كفيل بأن يبدد كل طاقات الغضب لدى الإنسان ، فجعبتها مليئة دوماً بالمفاجآت " .

" دعك من سرد التفاصيل " .

" أنت الخاسر يا صديقي . على كل حال ، فقد غادرت منزلها حوالى الساعة الخامسة ، حيث توجهت إلى منزل لأبدل ملابسي ، ثم توجهت إلى حانة بروكس . هذا هو كل شيء . لا يوجد ما أخبرك به سوى هذا " . قالها وهو يفرد يديه ماداً كفيه لأعلى ، ينظر إلى بيك في تضرع . " هذا بالإضافة إلى كوني أريد سبباً وجيهاً واحداً يدفعني إلى قتل دانى " .

قال بيك : " هذا هو ما يصب في صالحنا . عدم وجود الدافع . إلا أنهم يحاولون أن يجدوا هذا الدافع ، ولن يهدأ هذا المحقق العنيد حتى يجده . فلو كان هناك شيء ما لا أعلمه فـ .... " .

" لا أسرار هناك " .

" من الأفضل أن تخبرني الآن ، كريس . لا تكذب علي . هل تود أن أوكل محامياً متخصصاً في مثل هذه الجرائم ؟ "

" كلا " .

رن جرس هاتف بيك المحمول ، فنظر إلى الرقم وقال : " إنه هَف " .

غطى كريس عينيه بيديه في حنق قائلاً : " تباً " .

رد بيك على الهاتف : " أهلاً هَف ، نحن نغادر المكان الآن وسوف نصل إليك في غضون دقائق . أتريد بعض المثلجات ؟ بوسعنا أن نمر بمتجر دايرى كوين في طريقنا . هل أنت متأكد ؟ حسناً إذن . بالطبع ، سوف أوافيك بالتفاصيل ما إن نصل إليك " . أغلق الخط وهو يقول لـ " كريس " : " لن نتوقف لأي سبب ونحن في طريقنا إليه . إنه ينتظرنا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ما الذى علينا أن نخبره به ؟ "

" كل شىء . فلو لم نفعل ، فسوف يسأل ريد . بعيداً عن واين سكوت بالطبع " .

قال كريس : " هذا شىء آخر يسير فى صالحى . ريد هاربر الطيب هذا . إنه لن يتركنى أتورط فى جريمة قتل أخرى بالتأكيد " .

لم تعد ساير إلى نيو أورليانز . فبعد زيارتها للمسبك ، وحوارها مع كلارك ، وبكائها المرير هذا ، كانت قد أصبحت مجهدة معنوياً وجسدياً . أخذت تقود سيارتها لساعتين ثم قررت أن تصرف النظر عن الرحيل فى رحلة الطيران لهذا اليوم .

كان أحد عملائها فى سان فرانسيسكو رئيساً لشركة تأجير طيارات خاصة . وكان يدين لها بمعروف بسبب قيامها بإعادة تصميم ديكور منزله الريفى فى راشان هيل فى وقت قياسى . أجرت به اتصالا . أصغى إليها فى تعاطف ثم طلب منها أن تمهله خمس دقائق حتى يقوم بتنفيذ طلبها . وعاد للاتصال بها بعد الدقيقة الرابعة وقال : " من حسن الحظ أن لدينا طائرة جاهزة فى هيوستون . وهى فى طريقها إليكِ الآن " .

" هل يمكن لمر الطائرات هنا أن يستقبل طائرة خاصة ؟ "

" كان هذا أول ما تأكدت منه . وجدت أن قدراتهم فى ديستينى جيدة ، فهناك مصنع كبير للمواسير المعدنية . ولديهم شركة طيران خاصة " .

تذكرت الآن أن بيك قد ذكر لها شيئاً عن هذا ، إلا أنها لم تخبر عميلها بأنها شريكة فى كل هذا .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أضاف منبهاً : " دعى مفاتيح سيارتك المستأجرة مع موظف أرض المطار الجوى . وسوف يأتى من يعود بالسيارة إلى نيو أورليانز " .

كان من النادر أن تطلب مثل هذه الخدمات المرفهة ، رغم أنها كانت قادرة على دفع تكاليفها . فلو أن هذا ما سوف يبعدها عن ديستينى فى أسرع وقت فليتكلف الأمر ما يتكلفه إنن .

أوقفت سيارتها عند المساحة المخصصة لهذا حينما وصلت إلى أرض الطيران ، ثم التقطت حقيبة سفرها من المقعد الخلفى . وحينما دلفت إلى البناية الصغيرة ، اقتربت منها سيدة فى منتصف العمر : " هل أنتِ الآنسة ساير لينش ؟ "

" بالفعل " .

" إن طائرتك فى طريقها إلى هنا الآن ، عزيزتى . هل مفاتيح السيارة معكِ ؟ "

كانت الأرض الخرسانية شديدة السخونة وساير تسير فوقها نحو الطيار ذى المظهر المألوف والشعر الأشيب الذى كان يهبط عن طائرة صغيرة توقفت على بعد عشرين ياردة من البناية .

" الآنسة لينش ؟ "

" مرحباً " .

قدم لها نفسه مصافحاً وهو يقول : " سوف أكون قائد طائرتك خلال الرحلة " . وما أن أصبحا على متن الطائرة ، حتى قدم لها الطيار المساعد ، الذى لوح لها بيده وهو فى كابينة القيادة . ثم أشار الكابتن إلى مخرج الطوارئ وإلى مكان المشروبات والمأكولات الخفيفة وقال : " رحلة سعيدة " .

شكرته ، واتخذ هو طريقه إلى مقعده فى الكابينة . وبعد أن تنفست الصعداء لكونها فى طريق عودتها وقد تركت مقعد القيادة

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لغيرها ، استرخت ساير برأسها على مسند المقعد الجلدى الوثير وأغلقت عينيها . وفى غضون دقائق كانت الطائرة تتخذ مسارها عبر الممر .

كانت تغفو وتسلم نفسها للنوم وقت أن بدأت الطائرة تستعد للإقلاع .

و لكن بدلاً من أن يزداد هدير صوت المحركات كما كانت تتوقع ، وجدتها تتباطأ حتى توقفت تماما . ففتحت عينيها لتجد الطيار وهو يخرج عن الكابينة . " استرخى ، آنسة ليننش . هناك أمر ما هنا ، ولكننى سأنهيه ونعود للإقلاع من جديد " . كان يتحدث بهدوء وأدب ، إلا أنها أحست أنه يكبت غضبه الشديد عن السبب الذى عطلهم عن الإقلاع .

فتح قفل الباب ، ثم دفعه إلى الخارج ، ونزل درجات السلم سريعًا . وهو يقول فى صرامة : " ما الذى تفعله بحق الجحيم ؟ "

" أريد أن أقابل الراكبة على متن هذه الطائرة " .

فكت ساير حزام المقعد وتوجهت نحو الباب . كان ظهر الطيار لها . وكان فى قمة انفعاله فى وجه بيك ميرشانت الذى بدا غير مهتم به .

قال له موضحاً : " لقد حاولت أن أطلب من السيدة فى برج المراقبة أن تبلغك عن طريق الراديو بألا تقلع ، إلا أنها رفضت .... قالت بأن لا سلطة لدى لفعل هذا . فلم أجد طريقة أخرى أوقفك بها " .

هبطت ساير الدرج . وحينما رآها بيك أشار إلى عربته ، التى كانت تقف فى منتصف ممر الإقلاع أمام الطائرة مباشرة وقال : " اركبى العربة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل جننت ؟ "

" لقد أصيب هَف بنوبة قلبية " .

• • •

نظر إليها بيك وهي تجلس إلى جانبه داخل العربة وقال :

" أليس لديك أى فضول لمعرفة ما حدث ؟ "

لم تكن ساير قد تحدثت بكلمة منذ أن استقلت عربته ، إلا أنها التفتت إليه الآن . وكان تعبير وجهها محايداً ، إلا أنها كانت تنظر إليه على الأقل .

قال : " كان هَف فى المكتب . وسمعته سالى ـ مساعدته ـ وهو يصرخ . فهرعت إليه ، لتجده مسجى على مكتبه ، يمسك صدره بشدة . ويبدو أن سرعة بديهتها قد أنقذت حياته ، حيث سارعت بدس قرص إسبرين فى فمه ثم اتصلت بالنجدة .

وصلت مع كريس إلى المستشفى خلف سيارة الإسعاف مباشرة . بقينا هناك قرابة نصف الساعة رغم أنها مرت كدهر قبل أن يسمحوا لـ " كريس " بأن يراه . سمحوا له بالبقاء بغرفة العناية المركزة لمدة خمس دقائق فقط . قال إنهم كانوا يحاولون أن يثبتوا جسمه على الفراش إلا أنه كان يقاومهم . كان فى غاية الهياج وهو يسأل عنكِ . وكان على أن أبحث عنكِ وأعيدك " .

" هل أخبروا كريس بحالته ؟ "

" ليس بعد . فهم مازالوا يحاولون تقدير مدى خطورة هذه النوبة . وكل ما فى وسعى أن أقوله لكِ هو أنه كان لا يزال حياً حينما غادرت المستشفى . وأخبرت كريس بأن يهاتفنى إذا ما استجد جديد ، إلا أنه لم يتصل " .

" وكيف عرفت مكانى ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" من شركة تأجير السيارات . فقد اتصلت بفرعها فى نيو أورليانز لأسألهم عما إذا كنتِ قد أعدت لهم السيارة . فأخبرونى بأنك ستغادرين جواً من هنا وتركتِ السيارة عند أرض المطار . وهكذا هرعت إلى هناك " ، مرت لحظة صمت ، قبل أن يضيف : " لقد كنت قد عرضت عليك خدمات طائرة الشركة " .

" وقد رفضت ذلك العرض . فلا يمكننى أن أثق فى طائرة شركة لا توفر لعمالها قفازات مناسبة لمجرد أنها باهظة الثمن . كم أود أن أعلم ثمن تلك القفازات ؟ "

" ليس هذا من اختصاصى " .

نظرت إليه فى احتقار : " حقاً ، فأنت خادمهم . يرسلونك فى أعمالهم القذرة فقط . كان من الممكن أن تتسبب فى كارثة بدخولك بالعربة إلى ذلك الممر " .

" لقد ذكر الكابتن شيئاً من هذا القبيل " .

" إلا أن كلماته لم تؤثر فيك . فأنتِ تعلم أن أحداً لن يحاسبك . لا عجب إننى فى كونك قد أصبحت فرداً فى هذه العائلة " .

تقلصت أصابع بيك وهى تحيط بمقود العربة وهو يقول : " ألا توافقين على أسلوبى ؟ لا بأس . فلا يهمنى موافقتك من عدمها . فلقد طلب منى رئيسى أن أبحث عنكِ وأحضرك إلى المستشفى ، وهذا ما أنفذه " .

" أنت دوماً تنفذ ما يأمرونك به . سواء أكان صواباً أم خطأ ، أو إن كان يؤثر على الآخرين بالسلب " . ثم أمعنت النظر فيه وهى تضيف : " إنى أتساءل عن حدود ما يمكن أن تفعله لأجلهما . أليست لك حدود ؟ أم أنك لم تفكر أبداً فى هذا ؟ "

" لقد بينتِ من قبل عدم تقديرك لى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لماذا لم تخبرني في الليلة الماضية حينما كنا بالمطعم بأنك كنت في كابينة الصيد لأن الأمور هاربر قد طلب منك هذا ؟ "

" وأفسد عليكِ متعتك ؟ فأنت تريدين أن تقومي بتكوين أسوأ رأى عني ، وقد أتحت لكِ هذه الفرصة " .

أشاحت بوجهها عنه وهي تنظر عبر النافذة . كان غضبها يتأجج تماماً كتوهج هذا الأسفلت بالسخونة . كان شعرها يلمع كاللهيب تحت أشعة الشمس . وبدت بشرتها محمرة وساخنة ، حتى أن المرء يخشى أن يلمسها .

قال محدثة إياه نفسه : من الأفضل ألا أفكر في لمسها . ومع تنبيه نفسه بهذا إلا أنه لم يسعه التفكير سوى في هذه الرغبة منذ أن رآها للمرة الأولى .

بالأمس عند المدافن ، وحينما واجه لأول مرة ابنة هَف ، كان يجد صعوبة في كبح وقع الصدمة حتى لا تتبدى على وجهه . كان قد رأى صوراً لها ، إلا أنها كانت مجرد خيالات باهتة للحقيقة التي رآها . فقد كان لشخصها وقعاً مدهشاً لا يمكن للمرء أن يشعر به من خلال النظر إلى الصور .

قال لنفسه أهذه هي أخت كريس الصغيرة والتي سمع عنها الكثير من الحكايات الغريبة ؟ هل هذه هي جميلة جميلات ومغوية نيستيني ، الفتاة ذات الدلال ، الأخت الصغيرة ذات الروح المتمردة واللسان السليط ؟

كان يتوقع أن يجدها فظة عالية الصوت . كان يتوقع أن يجد امرأة سليطة تتخفى في رداء الكبر ، وليس سيدة ذات ذوق رفيع في كل ما يمت لها بصلة . كانت تكسب ما ترتديه الجاذبية والجمال رغم بساطته .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وصفوها له بالفوضوية مثيرة القلاقل ، وبالفتاة المدللة ، المتعبة ، المتمردة . وكان يشعر بأنها بهذه الصفات . إلا أن كريس لم يخبره بأنها امرأة ذات غموض مثير . فعلى نقيض هذه الملابس الأنيقة وما تحيط به نفسها من لطف بارد ، تكمن روح لا تهدأ ، تنم عنها عاطفة دفينة ، تيار خفى من الأحاسيس المتدفقة أسفل ما تبديه على السطح .

لم يكن لـ " كريس " كونه أخاها أن يلاحظ كل هذا ، وخاصة الجوانب الجذابة الدفينة فى ساير . ورأى بيك أنها اعتمدت على بصيرته القاصرة هذه ، فلم تكن تريد لأحد أن يتبين أنها تلجأ إلى هذا الأسلوب المنفر لأجل أن تحمى مكنون نفسها .

إلا أن بيك وعى ما وراء هذا الدرع الظاهرى . ولم يلتقط سوى لمحات مما قد تكون حقيقتها ، وهو ما استثاره . ما أن خطر له هذا الخاطر حتى تقلصت عضلات بطنه تلهفا وتوترت قسمات وجهه وهو يخفى تلك الخواطر عن الظهور . رأى شفتيها وهى تنفرج فى دهشة من تعليقه الجرىء عن شعرها وهو يكوره ويضمه أسفل الخوذة . لقد تخيل نفسه وهو ينهل من رحيق جاذبيتها . ثم تخيل نفسه يتمدى هذا المذاق الأول لها . يتلمس أوتار أحاسيسها الدفينة . كانت حياته ستكون أسهل الآن لو أنه لم يسقط أسير هذه التخيلات .

بينما كان يتسارع بعربته كى يصل إلى المستشفى ، واصلت هى تجاهله ، وهو ما كان يزعجه أيما إزعاج . فبوسعها أن تفعل أى شىء إلا أن تتصرف وكأنه ليس إلى جوارها قال : " هل هناك ما يزعجك ؟ "

نظرت إليه عبر المقعد : " ماذا ؟ "

" أيكون هواء التكييف شديد البرودة ؟ أو غير كاف ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" بل لا بأس به " .

" ربما كان هذا بسبب بعض من بقايا شعر فريتو من فوق ذلك المقعد . أنا آسف لهذا . فهو يحب أن يركب العربة إلى .... " .

" لو كانت النوبة القلبية من الشدة التي تجعل من هف يطلب رؤية أولاده قبل أن يموت ، ألم يكن من الأفضل أن يتم نقله جواً إلى مستشفى في نيو أورليانز ، حيث يوجد مركز متخصص في أمراض القلب ؟ "

لم يغضبه أنها قد قطعت كلامه ، فهي على الأقل تتكلم معه . أجابها : " ربما يكون هذا هو المطلوب بعد تحديد مدى خطورة حالته " .

" هل بدت عليه من قبل أعراض متاعب في القلب ؟ "

" ضغط الدم المرتفع . من المفترض أن يتناول لأجله علاجاً ، إلا أنه لم يكن يميل إلى آثاره الجانبية . إنه يدخن باستمرار ، لدرجة تجعلني أفكر في خطورة هذا عليه . كما أنه لا يمارس من الرياضة إلا الجلوس على الكرسي الهزاز . ويتناول قهوته المركزة . بل أنه هدد سيلما بطردها لو أنها فكرت باستبدال لحم الديك الرومي بآخر أقل دسامة . باختصار كنا نتوقع أن يصاب بنوبة قلبية في أي وقت " .

" هل تعتقد أن موت داني كان له دور في هذا ؟ "

" لا شك . ففقدانه ابنه ، خاصة في ظل تلك الظروف ، وما تبع ذلك من تداعيات ، كان أمراً مؤثراً على أعصابه " .

" أية تداعيات ؟ "

" ها قد وصلنا " .

أوقف عربته عند موقف المستشفى وخرج منها قبل أن تعاود سؤاله مجددا عن تداعيات موت داني . هل تريد فعلاً أن تعرف أن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هَف قد عانى من نوبته القلبية بأقل من ساعة من مقابلته لـ " بيك " وكريس ، حيث سردا له تفاصيل لقائهما مع ريد هاربر والمحقق سكوت ؟

فلقد أخبره كريس بفظاظته المعهودة أنه لا يوجد ما يقلق فى الأمر ، وأن واين سكوت قد استل سيفه لمجرد أن يلفت النظر إلى صرامته وجرأته ، وأن الدليل الذى بجعبته ضعيف لدرجة تثير السخرية .

قال له كريس : " إنه يحاول أن يضفى أهمية على منصبه على حسابى . هذا هو كل شىء . إلا أن بيك سيحطمه هو وتحقيقاته . تذكر كلماتى ، فخلال يومين لن يعدو الأمر أن يكون مزحة نسخر منها " .

قال بيك شيئاً مشابهاً لهذا ، إلا أنه من الواضح أن هذا الكلام قد أثقل على كاهل هَف وهو يفكر فى أنه من الممكن أن يتهم أحد أبنائه بقتل أخيه .

لم يجد بيك فائدة فى مناقشة كل هذا مع ساير ، لذا فقد فضل أن يترجل ليفتح لها الباب . وما أن وصل إليها حتى وجدها قد خرجت من العربة وقد تجاهلت يده الممدودة . وحينما استدارت لتتناول حقيبتها ، قال لها : " دعيها . سوف أغلق العربة بالمفتاح " .

ترددت ، ثم أومأت له بالموافقة ، ومشيا معاً نحو مدخل المستشفى . تركها تتقدمه عند الدخول عبر الباب الدوار . وحينما دلف من الباب كاد يصطدم بـ " ساير " التى ما أن دلفت قبله حتى توقفت فجأة .

كادا يسقطان معًا على الأرض ، إلا أنه استند فى خفة على كتفيها حتى لا يقع ، بعد أن تلاصق جسداهما بصورة كانت لتطرب

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قلبه لو أنها حدثت في وقت آخر ومناسبة أخرى . ولولا ما ارتسم على محياها من ذهول دعا إلى توقفها فجأة .

كان الدكتور توم كارو يتجه نحوهما عبر الردهة . كان رجلاً قصيراً ، رأسه يسقط بين كتفيه ، وهو ما جعله يبدو أقصر مما هو عليه . ملابسه دوماً أوسع من جسده ، وكأنما هناك ما قلص جسده بعد أن ارتداها . وقد صبغ ما تبقى من شعره أسود في محاولة منه لإخفاء تقدم العمر ، وهو ما تفضحه تجاعيد وجهه .

حينما اقترب منهما ، رحب بـ " ساير " ومد لها يده اليمنى . ولما لم تمد له يدها ، سارع بإرخائها إلى جانب جسده . قال وهو يخفي إحراجه : " أشكرك لإحضارها سريعاً ، يا بيك " .

" لا بأس . كيف حاله ؟ "

كانت ساير قد أزاحت يديه عن كتفيها بعد أن أفاقت من الصدمة أو أي شيء آخر قد أثار ذهولها ثم تحركت لتقف إلى جانبه .

قال الدكتور كارو : " حالته مستقرة . كنت أنتظر هذا حتى أجري المزيد من الفحوصات " .

هنا تكلمت ساير للمرة الأولى وهي تشكك في كفاءة طبيب العائلة : " هل أنت متخصص في هذه الفحوصات ؟ ألم يكن من الأفضل استشارة متخصص في أمراض القلب ؟ "

رد بنفس النبرة : " بالطبع أعتقد أن هذا ضروري . لكن هَف لا يريد هذا . وهو مصر على هذا " .

دفع بيك ساير برفق تجاه المصعد : " ربما أمكنني أن أقنعه بتغيير رأيه . في أي طابق هو ؟ "

قال الطبيب : " الثاني . هو في قسم العناية المركزة . سوف تكون زيارتكما محدودة لبضع دقائق . فهو بحاجة إلى الراحة

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

التامة " . ثم أضاف موجهاً كلامه إلى ساير : " وهو يريد أن يراك بالأخص ، وهو بصراحة ما لا أنصح به . ولكن إذا ما تكلمت معه فعليكِ أن تضعى فى الاعتبار حالته ، فلا تقولى أى شىء يمكن أن يغضبه ، فأى نوبة أخرى يمكن أن تقتله " .

نظر كريس إلى باب المصعد وهو ينفتح ليخرج منه بيك مع ساير : " مرحبًا ساير . أشكرك لتكلفك مشقة العودة " .

تجاهلته ، كما اعتادت أن تفعل معه .

قال له بيك : " لقد قابلنا توم كارو بالأسفل " .

نظر إليه كريس وهو يقول : " فأنت تعلم إننى ما أعلمه أنا " . ثم وجه كلامه لـ " ساير " قائلاً : " لقد كان هف يريد رؤيتك " .

سألته : " ألا تعرف السبب ؟ "

" ليست لدى أية فكرة . وظننت أن لديك خلفية عن هذا " .

" لا " .

" ربما كان للأمر علاقة باهتمامك المفاجئ بأعمالنا " .

" قلت لك ، يا كريس ، إنى لا أعلم السبب وراء طلبه مقابلتى " .

أنهت ساير الحوار بهذه العبارة . حيث جلسوا فى غرفة الانتظار وكل منهم يحاول تفادى نظرات الآخر . إلا أن بيك نهض فى النهاية مخبرا إياهما بأنه سيذهب إلى ماكينة المشروبات . ورفضت هى عرضه أن يأتى لها بمشروب .

قال له كريس وهو يتبعه : " سآتى معك " ، وتركها وحدها تفكر فى مقابلتها مع هف .

كان من المحال أن تتصور أن هف قد يكون نادماً يراجع نفسه فى هذه اللحظة ، إلا أن هذا لم يحدث من قبل . فهل أصابته

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الرهبة الآن بعد أن علم أنه على شفا الهاوية ، وبعد أن أحس أنه من الممكن أن يمكث فى الجحيم إلى الأبد أراد أن يطلب منها الصفح وأن يكفر عن أخطائه ؟

لو كان هذا هو السبب ، فهو بهذا يهدر لحظاته الأخيرة سدى ، فهى لن تغفر له أبداً .

كانت لا تزال وحدها فى غرفة الانتظار حينما أخبرتها الممرضة بأن بوسعها الدخول . تبعتها ساير إلى حيث يرقد هَف متصلاً بالآلات التى كانت تنبض وتومض بإشارات منتظمة . وأنبوب يغذيه بالأكسجين عبر أنفه . كانت عيناه مغلقتين . وتركتها الممرضة وانسحبت .

حدقت فى وجهه ، وهى تفكر فى الكيفية التى دمر بها هذا الرجل الذى أتى بها إلى هذه الدنيا حبها له كلياً . تذكرت وقت أن كانت فتاة صغيرة تنتظر عودته إلى المنزل من العمل كل مساء . كان يعلن عن حضوره بصوت جهورى يتردد عبر ردهات المنزل ، مالئاً إياها بالحيوية التى كانت تغيب عن المنزل مع غيابه . فلقد كان القلب الذى يضخ الحياة ـ سواء كانت حياة سيئة أو جميلة ـ بين أفراد العائلة .

تذكرت أن أقل بادرة حنان منه تجاهها كانت تمثل لها شيئاً أجمل من أية هدية كانت تتلقاها صباح الكريسماس . كانت تقدر تلك اللمحات النادرة . ومع أنه كان يرهبها أحياناً ، إلا أنها كانت تحبه بإخلاص لا حدود له .

إلا أنها لم تكن تراه وقتذاك إلا عبر عينا طفلة ، عميت عن إنحرافاته . وحينما جاء الوقت الذى فتحت عيناها فيه أجبرت على أن ترى هذا ، عبر التجربة الأكثر إيلاماً وقسوة فى حياتها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وقفت إلى جوار الفراش لبضع دقائق قبل أن يحس وجودها . لما فتح عيناه ليراها ، ابتسم ناطقا باسمها .

سألته : " هل أنت مرتاح ؟ "

" لقد سمموني بهذه الأنوبة " .

" لقد استقرت حالتك الآن . ضغط الدم مستقر ، ونبض القلب منتظم " .

أوما وهو يسمعها بالكاد . نظر بعينيه إلى جميع أنحاء وجهها : " لقد جادلت أمك كثيراً لتسميتها لك ساير . رأيت أنه اسم سخيف . لماذا لا يكون جين أو مارى أو سوزان ؟ إلا أنها أصرت عليه ، وأنا الآن سعيد لهذا . فهو يناسبك " .

لم ترد أن تطاوعه فى المضى عبر درب الذكريات هذا . سيكون كذبا على نفسها . لذا عادت بالكلام إلى حالته الراهنة : " لابد أنها كانت نوبة خفيفة وإلا لما كانت حالتك قد تحسنت هكذا . لا أرى أن الأمر بمثل هذه الخطورة " .

سألها بحنق : " أنت إخصائية فى القلب إذن ؟ "

" كلا . إلا أن لى خبرة كبيرة فى القلوب المحطمة " .

حرك رأسه عجبا بردها . " كم أنت مخلوقة قاسية ، يا ساير " .

" هكذا تعلمت ممن حولى " .

" تقصدينني أنا . لقد كانت والدتك ... " .

" ارجو ألا تورد ذكر أمى ، وبالأخص محاولاً أن تجعلنى أشعر بالذنب لوقوفى أمامك . كلا ، فلست أنا بالسيدة اللطيفة المطيعة مثلها ، إلا أننى أرى أنها لم تكن لترضى بما آلت إليه أمورنا كلنا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" قد تكونين محقة . وكذلك دانى . أعتقد أنها كانت لتعجب به . وأنا سعيد لكونها لم تكن معنا لتراه ميتاً " .

" وأنا سعيدة لهذا أيضاً . فلا توجد أم يمكنها أن تحتمل أن تدفن ولدها " .

ضاقت عيناه وهو يقول : " قد لا تصدقيننى ، يا ساير ، إلا أننى حزين جداً لما حل بدانى " .

" من تعتقد أنك تقنعه بهذا الكلام ، يا هَف ؟ أنا أم أنت ؟ "

" حسناً ، لكِ ألا تصدقينى . إلا أن لدى الكثير مما أحزن لأجله . أوله دانى . والآن كريس وقد أصبح موضع شكوك " .

" كريس . . . ماذا ؟ ما الذى تقصده ؟ "

" آنسة هويل ؟ "

كانت المرضة ، وقد أتت لتذكرها بأن تكون الزيارة قصيرة . أومأت لها ، من دون أن تهتم بأن تصحح لها الاسم .

قال لها هَف بعد خروج المرضة : " لا تشغلى بالك . فهى لن تجروء على إخراجك من هنا " .

الحقيقة أن ساير كانت هى المتلهفة للخروج من المكان قالت : " سوف تتعافى ، هَف . فلا أعتقد أن أجلك قد حان بعد . أو أن الشيطان يجروء على زيارتك " .

ابتسم جانب من فمه . " لن يمكنه أن يقف فى وجهى " .

" لا يمكن للشيطان أن يفعل ما فعلت " .

" أرى أنكِ تعنين كلماتك " .

" نعم ، بالطبع " .

" يالها من كلمات شديدة القسوة تلقى على مسامع رجل كان يمكن أن يصبح فى حكم الموتى منذ ساعات . لقد اختزنت هذه الكراهية لسنوات . ألم يحن الوقت لإنهاء هذا الغضب ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أنا لست غاضبة منك ، يا هَف . فالغضب مجرد عاطفة . أما أنا فلا أشعر بأية عاطفة تجاهك . أبداً " .

" هل هذا صحيح ؟ "

" نعم . بالتأكيد " .

" فلماذا هرعت عائدة لكى تلقى نظرة أخيرة على والدك المجوز المسكين إذن ؟ "

" لماذا أرسلت فى طلبى ؟ "

ابتسم فى حنق ، ثم ضحك بصوت عال وهو يقول : " حتى أثبت لنفسى أنكِ ستهرعين إلى . وها أنتِ أمامى الآن ، يا ساير " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثالث عشر

" ما الذى تظن أنهما يتحدثان عنه ؟ "

نظر بيك إلى كريس ، وهز كتفيه ، ثم عاد إلى تصفح أحد الأعداد القديمة من مجلة بيبول ثم قال : " ترى ما المشكلة التى بينهما ؟ "

أجابه كريس : " الأمر يعود إلى وقت أن كانت ساير مراهقة . لقد كانت واقعة فى حب كلارك دالى وقت أن كانت فى المدرسة الثانوية " .

نظر إليه بيك فى انتباه .

فقال كريس : " أجل . هو نفس الرجل " .

لقد كان بيك يعرف كلارك دالى من خلال المسبك . فقد كان رئيسه فى العمل يطرده فى عديد من المرات لقدومه إلى العمل مخموراً . بل لقد وجدوا معه ذات مرة زجاجة شراب داخل صندوق غدائه . وكان من المدهش أن يعلم أن ساير كانت فى يوم من الأيام على علاقة به .

أردف كريس : " ظل هَنِف غير ممانع لهذه العلاقة الوليدة لبعض الوقت . فلم يجد ضرراً منها . ولكن حينما بدا أن هذا الحب يزداد جدية يوماً بعد يوم ، وضع حداً للأمر كله " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل كان مدمناً للشراب وقتذاك ؟ "

أجابه كريس : " لقد كان شاباً طبيعياً ، وكان بطلاً رياضياً ورئيس اتحاد الطلاب " .

قال بيك : " إذن أين كانت المشكلة ؟ "

أجابه كريس : " أنا لا أعلم التفاصيل . فقد كنت وقتها بالجامعة . ولم أكن مهتماً بشئون ساير ولم أتتبع العلاقة عن قرب . كل ما أعرفه هو أن هَف لم يكن يود أن يصبح كلارك دالى زوجاً لابنته . فما أن تخرجا فى المدرسة الثانوية ، حتى كان حاسماً فى إنهاء هذه العلاقة " .

" وما كان رد فعل ساير ؟ "

ابتسم كريس ابتسامة ماكرة : " ماذا ترى أنت ؟ لقد بلغ غضبها حداً لا تصور له . أو هكذا قيل لى . وحينما لم تجد لهذا تأثيراً فى هَف ، سقطت فى حالة اكتئاب شديد ، وفقدت الكثير من وزنها ، وكانت تتجول فى المنزل ساهمة شاحبة وكأنما تحولت لشبح . ذكرتنى بتلك الشخصية الخيالية ، التى كانت تتجول فى ثوب زفافها العطن ؟ "

" الآنسة هافيشام من رواية آمال عظيمة ؟ "

" صحيح . أتذكر أنى قد عدت ذات مرة إلى المنزل فى إجازة فلم أتعرف عليها إلا بصعوبة . فقد كانت حالتها فى غاية السوء . لم تكن تذهب إلى الجامعة ، ولم تكن تعمل ، ولم تكن تفعل أى شىء ، بل لم تغادر المنزل أبدًا . وحينما سألت سيلما عنها ، انهارت باكية ، وهى تخبرنى بأن ساير قد تحولت إلى كيان بائس مسكين . وأخبرنى دانى بأنها لم تتحدث مع هَف طيلة أشهر ، وتتفادى أن تبقى معه فى مكان واحد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

توقف كريس عن الكلام ليرتشف رشفة من علبة الشراب المثلج . كان بيك يود أن يعرف بقية القصة إلا أنه لم يرد أن يبدو متلهفاً على هذا . على أن كريس تابع الحكي من دون طلب منه .

" ظل الحال هكذا لشهور . وفي النهاية كان هَف قد ضجر من هذا الوضع . فهددها بأن تتوقف عما هي عليه من حزن وأن تلتفت لحياتها ، وإلا فسوف يرسلها إلى مصحة نفسية " .

" هل هذا ما كان يراه هَف من علاج لمراهقة كسيرة القلب ؟ يهددها بالحبس في مصحة نفسية ؟ "

" يبدو الأمر قاسياً ، أليس كذلك ؟ إلا أنه كان إيجابي الأثر . فلما أتى هَف بشاب وهو يصر على أن تتزوجه ، فلم تجد بداً من الموافقة . أعتقد أنها رأت أن الزواج أفضل من المكوث في مصحة نفسية " .

أخذ بيك يحدق ملياً إلى الباب المغلق لغرفة العناية المركزة وقال : " فترة طويلة تلك التي بقيت فيها تكن الضغينة لـ " هَف " جزاء وقوفه بينها وبين حبيبها " .

" تلك هي ساير . فحتى حينما كانت طفلة صغيرة ، كانت دوماً ما تنفعل وتغضب لكل شيء . وهي لم تتغير . تأخذ كل أمر بجدية مبالغ فيها " . نهض وهو يفرد ظهره بعد هذه الجلسة ، ثم اتجه إلى النافذة .

ظل واقفاً في صمت لمدة طويلة ، وهو يحدق إلى لا شيء . حتى سأله بيك في النهاية : " هل هناك ما يشغل بالك ، يا كريس ؟ "

هز كتفيه في لا مبالاة يدرك بيك أنها مزيفة . " أفكر فيما حدث هذا اليوم " .

قال بيك : " لقد كان يوماً مليئاً بالأحداث ، فأي حدث تقصد ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ما تم فى مكتب المأمور . هل تعتقد أنهم سيلقون القبض علىّ ؟ "

" كلا " .

" لم يعجبنى السجن فى تلك المرة ، يا بيك . لقد دفع هَف كفالتى بعد ساعات من حبسى ، إلا أنه ليس بالمكان الذى أود ان أقضى فيه أى قدر من الوقت " .

" إنهم لن يلقوا القبض عليك . فليس لديهم أى دليل حتى الآن " .

التفت إليه كريس فى دهشة : " حتى الآن ؟ "

" هل هناك من أدلة سيجدونها ، يا كريس ؟ أود أن أعرف منك " .

لمعت عيناه وهو يرد : " لو أن محامىُ لا يصدقنى ، فمن سيصدقنى إذن ؟ "

" أنا أصدقك . ولكن عليك أن تعترف بأن الموقف الآن ليس فى صالحك " .

قلل كريس من توتره وهو يقول : " حسناً ، إنه ليس كذلك . لقد فكرت ملياً فى هذا الأمر ، ووصلت إلى استنتاج " ، صمت لحظة ثم قال: " هناك من ينسج لى مكيدة " .

" ينسج لك مكيدة ؟ "

" تبدو غير مقتنع بهذا " .

" بالفعل " .

عاد كريس إلى مقعده وهو يميل إليه عبر المسافة القصيرة بينهما . " فكر فى الأمر ، يا بيك . إن للأمر علاقة بقضية إيفيرسون ، والتى لا تزال مقيدة رسميًا بوصفها جريمة اختفاء

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

واحتمال قتل ، ألا يبدو لك أنهم يرونني متهماً مثالياً بهذه الجريمة ؟ "

" من هؤلاء ؟ " .

" أمثال سلاب واتكينز " .

ضحك بيك ضحكة قصيرة وهو يقول : " سلاب واتكينز ؟ "

قال كريس في سخط : " استمع إليّ . إنه يمقت آل هويل . ويمقتك أنت كذلك لأجل تلك المشاجرة . فلديه أسبابه للانتقام " .

" لأجل مشاجرة حدثت منذ ثلاث سنوات ؟ "

" إلا أنه لم ينسها . لقد أخبرت هَف بأنه قد ذكر الأمر لك حينما كنت في المطعم الليلة الماضية " .

" هذا صحيح ، لكن ... " .

" كما أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد . فلقد خطر لي خاطر دفعني إلى أن أطلب من سكرتيرة داني أن تفحص جميع طلبات العمل التي تلقيناها على مدار الأسبوع الأخيرة ، أتدري ماذا كانت النتيجة ؟ " قالها وهو يسحب من جيب سرواله ورقة ويلوح بها في وجه بيك : " لقد قدم سلاب واتكينز طلبا للعمل " .

" طلب عمل بالمسبك ؟ "

" لقد رفض داني الطلب . وهكذا ترى أن هناك سبباً آخر لدى سلاب يزيد من كراهيته لآل هويل " .

" لدرجة أن يقتل داني ؟ "

" ليس بالأمر المستبعد على رجل بهذه الشاكلة " .

فكر بيك في الأمر ثم قال : " يبدو كلاماً منطقياً " .

قال كريس : " الأمر يستحق التحقيق فيه " .

قال بيك : " هل ذكرت هذا لـ " ريد " ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ليس بعد . فلم أر هذا الطلب المرفوض إلا قبيل أن يصاب هَف بالنوبة القلبية . فلم تتح لى الفرصة كى أتحدث إلى أحد عنه " .

فكر بيك فى الأمر ، ثم هز رأسه وهو يقول : " هناك مشكلة فى هذا الأمر ، يا كريس " .

" ما هى ؟ "

" كيف نجح سلاب فى دفع دانى إلى الذهاب إلى معسكر الصيد ؟ "

فكر كريس فى السؤال لبضع ثوان قبل أن يعترف فى قرارة نفسه بأنه لا يعرف الجواب . " إلا إنه وغد داهية ، وقد قضى ثلاث سنوات بالسجن " . وحينما حول نظره ، رأى ساير تخرج من غرفة العناية المركزة . فقال : " يمكننا الحديث فى هذا الأمر فيما بعد " .

نهضا حينما اقتربت منهما . قالت : " إنه بخير . لم يكن ميعاد مغادرته هذا العالم بعد " .

" فلِمَ كان مُصراً على رؤيتك إذن ؟ "

" ليس هناك ما يدعو إلى قلقك ، يا كريس . فلم يغير وصيته أو يجعلنى وريثته الوحيدة ، إن كان هذا ما يقلقك . فلقد كان يريد أن يثبت لنفسه أنه قادر على إعادتى إلى هنا " . ثم التفتت إلى بيك قائلة : " هلا ذهبت لإخراج حقيبتى من داخل عربتك ؟ "

" هل ستسافرين الليلة ؟ "

" لقد تركت الطائرة الخاصة ترحل لأننى لم أكن أعلم بموعد رحيلى . لكننى آمل أن تكون السيارة المستأجرة ... ماذا ؟ " سألت هذا السؤال الأخير لأن بيك كان يهز رأسه لها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد استعادتها الشركة بالفعل . لقد توليت هذا نيابةً عنكِ " .

" حسناً ، لقد انتويت أن أقضي الليلة في فندق لودج على أية حال . ولسوف أستأجر سيارة جديدة في الغد " . عرض بيك عليها أن يوصلها إلى الفندق ، إلا أنها قالت : " بل سأستدعي سيارة أجرة " .

أخبرها كريس أن شركة سيارات الأجرة الوحيدة بـ " ديستيني " قد أنهت نشاطها . " لقد صفت نشاطها منذ سنوات " .

كان من الواضح لـ " بيك " أنها تريد أن تبتعد بنفسها عنهم بأسرع وقت ممكن فكانت متضايقة من هذه المعوقات في طريق هروبها هذا وقالت : " إن لم يكن في ذلك إزعاج لك فسوف أكون ممتنة إذا أوصلتني إلى الفندق " .

" ليست هناك مشكلة على الإطلاق . كريس ، هل ستبقى هنا ؟ "

" سوف أبقى حتى يعود الدكتور كارو في مروره الليلي . ولو رأى أن هَف قد خرج على نطاق الخطر ، فعندها سأغادر " .

اتفقا على أن يتبادلا الاتصال عبر الهاتف المحمول لمعرفة آخر أخبار حالة هَف ، ثم ودعا بعضهما البعض .

سألها بيك وهما في الطريق إلى الطابق الأرضي أن تعطيه تفاصيل أكثر حول حالة هَف . فقالت : " لو أن الخسة تطيل العمر ، فسوف يحيا بعد أن نموت جميعاً " .

ثم دلفت خارج باب المستشفى . كان يود أن يتابعا الحديث في الخارج ، إلا أنه أدرك من حالتها أن من الأفضل ألا يسألها عما دار بينها وبين هَف .

قال لها وهو يساعدها على ركوب العربة : " تبدين متعبة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" دائماً ترهقنى المواجهات مع هَف " .

دار حول العربة حتى يدلف وراء مقودها . اعتذر لها عن السخونة داخل السيارة بينما كان يدير المحرك . " كان من المفترض أن أدع النوافذ مفتوحة بعض الشيء " .

أسندت رأسها إلى ظهر المقعد وهى تغلق عينيها : " لا بأس . فأحياناً ما أفتقد هذه الحرارة الحقيقية ، خصوصاً حينما يجيء الصيف فى سان فرانسيسكو ولا تتعدى الحرارة درجة الخمسين " .

" يمكننى أن أجد هذا مناسباً لكِ " .

فتحت عينيها وهى تتطلع إليه . تلاقت نظراتهما ، فازدادت درجة الحرارة داخل العربة بأكثر مما هى عليه . أو على الأقل كانت حرارة بيك هى التى ارتفعت . فهى فى هذه الوضعية شبه المسترخية ، بدت فى غاية الأنوثة والوداعة . بضع خصلات من شعرها انسدلت على جبهتها متمردة على ما أحكمت به حركة شعرها من كيماويات ، مما أضفى عليها رقة تحاول هى أن تخفيها عن العيان . كانت وجنتاها حمراوين ، مما جعله يتخيل أن من الخطورة أن يلمس أحد بشرتها .

كان يتوق إلى التجربة ، إلا أنه لم يمتلك الجرأة ، يخشى إن هو لامسها أن يفسد ما قد يكون موجوداً من توازن ، ولن يصب هذا فى صالحه . وجد نفسه يقول : " هل أنتِ جائعة ، يا ساير ؟ "

رفعت رأسها عن مسند المقعد . وعيناها شاردتان فى توهة فكر : " ماذا ؟ "

" جائعة ؟ "

هزت رأسها فى وهن : " أوه ... كلا " .

" بل أنتِ جائعة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ظل ينظر إليها لبضع دقائق قبل أن يتحرك بالعربة ، مغادراً موقف سيارات المستشفى ، صوب الاتجاه المعاكس لذلك المؤدى إلى الفندق .

فقالت : " إن الفندق فى الجانب الآخر من البلدة " .

" عليكِ أن تثقى بى " .

" ليس إلى هذه الدرجة " .

اكتفى بالابتسامة . بينما لم تضف هى شيئاً ، فاعتبر هذا تسليماً منها له بأن يذهب بها إلى حيث يشاء . وما أن خرجا من ضواحى البلدة ، حتى دلف من الطريق السريع إلى طريق مرصوف بالحصباء يمر عبر الغابة الكثيفة . سار فيه حتى نهايته ، حيث انتهى إلى ضفة تطل على البركة . كانت هناك عدة سيارات واقفة حول بناية صغيرة بدت آيلة للسقوط .

التفتت ساير إليه : " أتعرف هذا المكان ؟ "

" تبدين مندهشة " .

" ظننت أنه سر لا يعرفه سوانا نحن أبناء البلدة " .

" لم أعد بذاك الغريب " .

كان مطعم السمك هذا ملكاً لعائلة واحدة بقيت تديره منذ أوائل الثلاثينيات من القرن الماضى ، حينما كان مشهوراً فقط بتقديم الشراب . كانت البناية مبنية من ألواح الصفيح الذى لم يصمد أمام تقلبات الزمن منذ وقت طويل . لم تكن بالبناية الكبيرة ، فهى لا تزيد على العشر أقدام عرضاً ، وجميع أرجاء البناية تشكل المطبخ .

تقدم من خلال نافذة صغيرة المحار فى قواقعه مع الصلصة الحمراء الحارة لدرجة تجعل من يأكلها أحمر العينين ، وكذلك البامية بالفيليه ، والإستاكوزا الشهية التى تجعلك ترغب فى مسح

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ما تبقى من الطبق بقطعة خبز تتناولها فى تلذذ . بالإضافة إلى كل شىء بدءا من لحم التمساح وحتى المخللات .

طلب بيك شطيرتين كبيرتين من البامية والجمبرى المشوى . وأثناء إعداد طلبهما توجه إلى قسم الثلجات حيث أخرج بنفسه زجاجتين من الشراب . فتح الزجاجتين بفتاحة كانت تتدلى بخيط مترب من شجرة إلى جوار الثلاجة . ناولها زجاجة مثلجة وهو ينبهها : " إنها باردة جدا ... هل تريدين كأسا ؟ "

" أتريد أن تحرجهم " .

جرعت من الزجاجة وكأنها مدمنة للشراب . ابتسم لها وهو يقول : " زادنى هذا إعجابا بك " .

" ومن قال إننى أتوق إلى إعجابك ؟ "

اتسعت ابتسامته : " باللأسف . فلن نحتسب هذه النقطة إذن " .

حينما جهز طلبهما ، حملا أكياس الطعام واتجها صوب طاولة عتيقة متهالكة أسفل مظلة من أشجار البلوط . كانت هناك خيوط ممدودة من زينات الكريسماس البراقة بين الأغصان السفلية وحتى أسفل الشجر الذى علقت به الطحالب الأسبانية . وفى الخلفية كان هناك زبون آخر يدير مذياع سيارته ليصدح بموسيقى جنوبية راقصة مما أشاع جوا خاصا فى المكان .

تناولا طبق البامية أولا ، ثم راقبها بيك وهى تزيح الورق المغلف لشطيرتها . كانت الشطيرة ساخنة ، تفيض بالزبد ، كما تبدو مقرمشة من الخارج ، ولكن ما بداخلها متقن الطهى . فالشطيرة مليئة بالجمبرى الكبير الخارج للتو من المقلاة ، محاطا بالخس ، وصلصة الريمولياد . أضافت إلى الشطيرة بعضا من شطة التاباسكو من زجاجة على الطاولة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قضمت قطعة كبيرة . قالت بعد أن ابتلعتها : " لذيذة . . . إن الطعام في سان فرانسيسكو رائع ، إلا أن هذا المذاق . . . . " .

" ما به ؟ "

" يشبه طعام المنزل " . ابتسمت ، إلا أنها كانت ابتسامة آسفة .

كان يركز على كل حركة منها بقدر فاق تركيزه على ما يأكله ، وأحس بأنها متيقظة لتركيزه هذا . كانت تشعر بعدم ارتياح لهذا ، مع أنها حاولت أن تبدو لا مبالية .

إلا أنها في النهاية قالت في سخط : " هل هناك صلصة حول فمي أو شيء من هذا القبيل ؟ "

" كلا " .

" فلِمَ تحدق إلي هكذا ؟ "

تحدتها نظراته أن تعرف السبب ، إلا أنها لم تكن لتعرفه بالطبع . فلم يجدا سوى متابعة الأكل . وبعد برهة قال : " هل حدث وتصببتي عرقاً من قبل ؟ "

نظرت إليه في دهشة : " معذرة ؟ "

" الجو هنا كالجحيم . بلا أية نسمة هواء . ولابد أن نسبة الرطوبة قد بلغت تسعة وتسعين بالمائة . بينما أنتِ تأكلين صلصة الفلفل الأحمر الحارة بكميات كبيرة . إلا أنكِ لم تتصببي عرقاً . بل إن بشرتك ليست رطبة . فكيف يحدث هذا ؟ "

" وأنت لم تتصبب عرقاً كذلك " .

مسح جبهته بكم قميصه ، ثم مد ذراعه ليريها ما تكون من بقعة رطبة على القماش . " إن العرق يتصبب الآن من كتفي حتى أسفل ظهري " . كان في هذا مبالغة واضحة ، إلا أنه نجح في أن يجعلها تبتسم ابتسامة ليس فيها تصنع .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قالت له في صراحة : " أنا أعرق . ولكن ليس كثيراً . فهذا لا يحدث إلا إذا أجهدت نفسي بشدة " .

قال : " أوه . . . من الجيد أن أعرف هذا . فقد كنت بدأت أظن بأنك مخلوق غريب عن البشر . . . مخلوق لا يمتلك غدداً عرقية " .

حينما انتهيا من وجبتهما ، قام بجمع البقايا وألقاها في أحد البراميل الموجودة لهذا الغرض . وبعد أن عاد إلى الطاولة ، جلس إليها واضعًا قدميه على المقعد إلى جوارها . ارتشف رشفة من الشراب ، ثم نظر إليها : " ما الذي بينك وبين الدكتور كارو ؟ "

وضعت زجاجتها على الطاولة في حرص ثم مسحت راحتيها بمنديل ورقي . " هل كان كرهي له واضحاً إلى هذا الحد ؟ "

" جدا . حتى أنكِ فضلت أن تبقي مستندة إليّ على أن تصافحيه ... " . سكت وانتظر حتى نظرت إليه قبل أن يضيف : " لقد رفضت أن تصافحيه . وبالنظر إلى عدم ارتياحك لي فلابد أن أتيقن من أنك تمقتين ذلك الرجل " .

تحولت برأسها ناحية جمع يتناول طعامه على طاولة أخرى . كانوا يتضاحكون ، كما لو أن أحدهم قد ألقى دعابة للتو . كان أطفالهم يطاردون البق المنير بين الأشجار ، ويتصايحون في جذل عندما يمسكون بها .

قالت : " إنهم مستمتعون بوقتهم ، أليس كذلك ؟ "

" يبدو لي هذا " . إلا أنه لامس فخذها بمقدمة حذائه وهو يقول : " لماذا تكرهين الدكتور كارو ؟ "

عادت تنظر إليه : " إنه أشبه بالطاووس بذلك الشعر الغريب . وله تكوين جسماني أشبه بنابليون . كما أنه مأساة لكل من يطلب العلاج على يديه ، فهو غير كفء ، فإما أنه شديد الغباء أو شديد

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الغرور حتى أنه لا يدرك حدود قدراته . كان من اللازم إلغاء تصريح ممارسته الطب منذ زمن " .

" وبخلاف هذا ، ما الذى تكنينه له ؟ "

لاحظت ما بنبرته من إلحاح ، فأحنت رأسها وهى تضحك فى نعومة : " لقد بالغت فى انفعالى . آسفة " .

" لا بأس . فأنا أحبكِ حينما تغضبين . بل إنى أراك لا تتركين نفسك على سجيتها بالدرجة المطلوبة " .

" أنت تحب التحليل النفسى إذن ، أليس كذلك ؟ "

" والدكتور كارو ؟ "

تخافتت ابتسامتها . " لقد كان معالج والدتى حينما أصيبت بسرطان المعدة " .

" لقد أخبرنى كريس بهذا . لقد كان أمراً قاسياً عليكم جميعاً " .

" ما أن عرفنا بطبيعة مرضها ، حتى تبين لنا أن الحالة متقدمة لدرجة يائسة . إلا أننى لم أتقبل فكرة أن الدكتور كارو كان يفعل كل ما فى وسعه لأجلها " .

" لقد كنتِ صبية صغيرة ، يا ساير . وكنتِ تريدين أن تشفى أمك بسرعة . ولما ماتت ، كنتِ تبحثين عمن تلقى باللوم عليه " .

" أنا متيقنة من صحة كلامك " .

" لقد شعرت بنفس شعورك هذا حينما مات والدى " . رفعت رأسها لتنظر إليه ، بينما تابع كلامه : " كنت فى نفس سنكِ تقريباً عندما ماتت والدتك " .

" لابد أن الأمر كان قاسياً عليك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لقد غادرت حصنها تلك اللحظة . فكانت تعبيرات وجهها رقيقة ، وكانت عيناها صادقتين ، وتتحدث بإخلاص معه لأول مرة منذ أن التقته .

قال : " كان هذا منذ زمن طويل ، إلا أننى مازلت أذكر كم كنت غاضباً . ولقد بقيت غاضباً لفترة طويلة ، وهو ما صعب الموقف أكثر على والدتى " .

أسندت ذقنها إلى يدها ، وهى تسأله : " ماذا فعلت حينما سمعت بخبر وفاة والدك ؟ تحديداً ما أول شىء فعلته ؟ "

قال من دون تفكير : " قذفت بمضرب البيسبول إلى جدار المرآب " . كان لا يزال يذكر كل شىء . " أخذت أضرب الجدار به مراراً حتى تهشم المضرب . ولا تسأليني عن السبب . أعرف أنى كنت أريد أن أؤذى أى شىء بنفس الدرجة التى تعرضت لها من أذى " .

استرخى على المقعد إلى جوارها ، وظهره إلى الطاولة ، بنفس الوضع الذى جلس به إلى البيانو جوارها من قبل . كان مقعد الطاولة هنا أطول ، إلا أنه جلس بنفس القرب منها تماماً كما حدث من قبل عند البيانو .

" ما الذى فعلته أنتِ حينما عرفت بخبر وفاة والدتك ؟ "

" ذهبت إلى غرفة نومها . كانت دوماً طيبة الرائحة ، بشذى البودرة التى كانت تضعها كل ليلة بعد الحمام . وسوف أظل طوال عمرى أذكر رائحتها كل ليلة وهى تأتى إلى غرفة نومى لتغطينى وتقبلنى قبل النوم . كانت تحتضن وجهى بين يديها ، كان ملمسهما بارداً دوماً " .

وضعت وجهها بين يديها وكأنما تحاكى ما تصفه . بقيت على هذا الوضع بضع دقائق غرقت خلالها فى بحر الذكريات ، ثم أدنت

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

يديها ببطء . " حينما أتى هَف من المستشفى ليخبرنا بالخبر ، اتجهت صوب غرفة نومها . كانت غرفة هَف أيضاً ، إلا أنها كانت تشبهها هي بأنثوتها ولمساتها . رقدت على الجانب الذى كانت تنام فيه من الفراش ، ودفنت وجهى فى الوسادة وانهرت باكية فى شدة .

إلى أن أتتنى سيلما . مسحت وجهى بمنشفة باردة وأخبرتنى بأنى قد أصبحت سيدة هذا المنزل الآن ، وأن والدتى تنظر إلىّ الآن من الجنة ، فعلىّ ألا أحزنها بتصرفى هذا . لذا توقفت عن البكاء " .

" وأصبحتِ سيدة المنزل " .

حينما ضحكت ، أزاحت شعرها إلى الخلف . " أعتقد أننا قد تحدثنا فى هذا من قبل . فأنا لم أتصرف بما يليق بسيدة . ومن هنا تنامت كراهيتى للطبيب الذى لم ينجح فى معالجة والدتى ، وحتى الآن " .

" هذا طبيعى " .

" هل مازالت والدتك حية ؟ "

" نعم . لقد نجحت فى أن تتجاوز وفاة والدى واحتملت العيش معى " .

أومأت برأسها وهى تقول : " أراهن أنك كنت مشاغبًا وأنت صغير "

" والآن ؟ "

تأملته للحظات ، ثم قالت فى هدوء : " مازال بعضهم يصفك بهذا " .

" من يقول هذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم ترتح للسؤال ، فتفادت الإجابة عنه وهى تكمل مشروبها :
" لابد أن أنهب لحجز غرفتى بالفندق . فقد تنشغل جميع غرفه هذه الليلة " .

وضع يده أسفل مرفقها ، وهو يسندها عبر الأرض غير المهدة وهما عائدان إلى العربة . لم تشعر برغبة فى أن يزيح يده عنها . قال لها : " إن مواعيد مباريات البولينج هنا هى التى تحدد مدى انشغال غرف الفندق " .

" مباريات البولينج ؟ "

" نعم ، ففى تلك الليالى التى يمارس فيها الرجال البولينج ، تنتهز نساؤهم الفرصة لعمل لقاءات غرامية . وعندها لن تجدى غرفة خاوية فى مثل تلك الليالى " .

وقفت بين المسافة الفاصلة بين الباب الذى فتحه لها وداخل العربة ، التفتت إليه : " وماذا عن الليالى التى تمارس فيها النساء البولينج ؟ "

" الشىء نفسه . تكون الغرف منشغلة بالأزواج الذين يخونون زوجاتهم مع صديقاتهن . إلا أننى أظن أنك ستجدين غرفة الليلة . فاليوم دور فريق فرسان كولومبس فى اللعب " .

" أى أن نساء هذا المذهب الدينى لا يخن أزواجهن ؟ "

" بالطبع يفعلن . ولكنهن يفضلن الخروج من البلدة عندما يقمن بهذا " .

استقل العربة وأشعل المحرك . وسألته : " كيف توصلت إلى كل تلك المعلومات القيمة عن معدلات الخيانة الزوجية فى ديستينى ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هذا جزء من عملي " . دار بالعربة دورة واسعة لتعود إلى ذلك الطريق الضيق المؤدى إلى الطريق السريع . كان ظلام الغابة الحالك يحيط بهما من كل جانب .

" فهمت . فأنت تمسك هذه الزلات على الناس هنا ، فتعرف مع من يمارسون الخيانة ، وقدر ما يتعاطون من شراب ، وأين نقاط الضعف فيهم . لكي يستخدم هَف هذه المعلومات لصالحه عند اللزوم " .

" تجعلين الأمر يبدو وكأنه ابتزاز " .

" أليس هو كذلك ؟ "

نظر إليها في خيبة أمل . " ها أنا ذا جعلتك تمضين وقت عشاء طيبًا ، ومع هذا فلم أنجح في تغيير فكرتك عني . وأنا أكره أن تغادري البلدة غدا وأنت تحملين هذه الفكرة عني " .

" من قال بأني سأغادر البلدة في الغد ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الرابع عشر

ضغط بيك على المكابح بقوة شديدة جعلت العربة تنزلق عدة ياردات فوق الطريق قبل أن تتوقف تماماً .

قال : " لماذا ؟ "

أجابت ساير : " وما الفارق بالنسبة لك ؟ "

" لقد كنتِ جاهزة للرحيل فى أسرع وقت من هنا عند الظهيرة ، فما الذى غير رأيك الآن ؟ "

" لقد أحاطت بكريس الشكوك فى قضية وفاة دانى " .

" من أخبركِ بهذا ؟ "

" هَف " .

استوعب بيك هذه المعلومة ، ثم رفع قدمه من فوق المكابح وواصل قيادة العربة .

سألته : " أيمكن أن يكون هذا الكلام من أثر الأدوية التى يتعاطاها هَف ؟ "

" كلا . لقد كان واعياً تماماً " .

ثم أضافت : " هل يمكنك أن تحدثنى عن هذا الموضوع ؟ "

هز كتفيه فى لامبالاة ظاهرية : " طلب ريد هاربر من كريس أن يأتيه إلى مكتبه للحديث فى بعض الأمور " ثم نظر إليها وهو

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

يضيف : " من الواضح أن تعليقك حول نفور دانى من الصيد قد أثار اهتمام المحقق سكوت " .

" لقد ظننت أنها قد تكون ملحوظة مهمة . فلقد كان دانى لا يحب الذهاب إلى معسكر الصيد . ولم يحدث أبداً أن ذهب إلى هناك " .

أمن بيك على كلامها قائلاً : " إنه لم يذهب إلى هناك طيلة الفترة التى قضيتها هنا . هذا ما أعرفه على الأقل " .

" ألا تجد إذن أن من الغريب أن يموت هناك ؟ "

" لا أعلم ، أيبدو كذلك ؟ "

كانا قد وصلا الآن إلى ضواحى البلدة ، وتوقف عند إشارة مرور . وهى لم تجب عن سؤاله ، لذا التفت إليها وهو يكرره : " أهو من الغريب أن يموت هناك ؟ ولماذا لم يكن دانى يحب معسكر الصيد ؟ "

ظلت صامتة تكتم ثورتها .

" أكان يخاف الثعابين ؟ أم لديه حساسية من النباتات السامة ؟ لماذا لم يكن دانى يحب المعسكر ؟ "

بادرته قائلة : " لقد كانت ذكريات سيئة منذ الطفولة ، هل هذا يكفيك ؟ "

تراجع فى لهجته قائلاً : " حسناً . . حسناً " . تحولت الإشارة إلى الأخضر ، فزاد من سرعة عربته وهى تعبر التقاطع .

سمع تنهيدة ساير وهى تسند رأسها إلى النافذة . قالت : " أتود أن تعرف القصة ؟ "

" هذا إن رغبتِ أنتِ " .

" يمكنك أن تعرفها من كريس على أية حال . فأنا لا أضاهيه فى مهارة سرد الحكايات . وعندها ستفهم بشكل أفضل نوعية

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الحياة التى سادت بين آل هويل حينما كنا صغاراً ، كما ستعرف طبيعة الرجل الذى تعمل تحت إمرته .

ففى ذات يوم وبعد فترة ليست طويلة من وفاة والدتى ، قرر هَف أن تخرج العائلة فى رحلة خلوية ليوم واحد نقضيه معًا نحن الأربعة فقط . وكان هذا من النوادر التي لا يقوم بها هَف كثيراً . فمن النادر كما تعلم أن يفوّت يوما من دون أن يذهب فيه إلى المسبك .

هكذا ذهبنا معه إلى معسكر الصيد . ناول كلاً منا سنارة وطُعماً وأرشدنى وبانى إلى كيفية الصيد . وبالطبع فإن كريس كان قد أصبح صيادا ماهرا بعد سنوات من مصاحبته لأبيه خلال الصيد .

بدأ دانى يشكو من أنه لا يريد الصيد . لم يكن يود وضع الطعم فى السنارة ، حتى لا يؤذى الدودة . كما قال إنه لن يعمل على أن يصطاد سمكة فتموت . كان الموت محور تفكيره ، بسبب والدته كما ترى . كان قبل هذا بأسبوع قد أمضى ساعات باكيا لأنه وجد صرصور ليل ميتا عند باب المنزل .

وبدلاً من أن يهدئه هَف ، أو يُفهمه الأمر ، أوحتى يدعه لشأنه ـ فما الفارق إن اصطاد دانى سمكة أم لا فى ذلك اليوم ؟ ـ فإنه غضب وأخبره بأنه لن يعود إلى المنزل إن لم يصطد واحدة .

أجبره على المكوث وسط الطمى الأصفر كريه الرائحة طيلة الظهيرة ، وسط كلمات الغضب من والده والسخرية من أخيه . بل إن كريس كان يجد تشجيعاً على إهاناته لأخيه .

كانت الشمس قد غربت قبل أن ينجح فى نهاية الأمر فى أن يصطاد سمكة . كان ينتحب طيلة الوقت الذى حاول فيه أن يخلص السمكة من السنارة . إلا أنه فعلها " ، أنهت كلامها فى رقة . " فعلها . ثم شاهدت لأول وآخر مرة تصرفاً جريئاً من دانى ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

حينما ألقى بالسمكة فى البركة مرة أخرى وأقسم ألا يصطاد أخرى أبداً " .

كان بيك قد دخل موقف السيارات التابع للفندق ليتوقف عند مكتب الاستقبال . وعندما أنهت قصتها كان يلتفت إليها ، مادًا ذراعه عبر ظهر المقعد ، وأصابعه تكاد تلامس كتفها .

كان يعلم تلك اللحظة التى أدركت فيها أنها قد انغمست فى ذكرياتها ، وأنها كانت محور انتباهه ، لأنها عدلت من جلستها وتنحنحت لتزيل تلك البحة فى صوتها . " لقد كره دانى ذلك المكان . فقد حمل ذكرى مريعة له . فلماذا إذن يختار أن يذهب إلى هناك فى آخر أيامه ؟ "

" ربما اختار هذا لهذا السبب بالذات ، يا ساير . فلو أنه كان يائساً للدرجة التى دفعته إلى الانتحار ، فربما كان هناك دافع شاذ دفعه إلى المكان الذى يمقته لأجل أن ينفذ فيه ما أراد " .

" هذا لو كان انتحاراً " . كانت تبادله نظرته ، وأضافت : " لماذا حققا مع كريس ؟ "

" إنهما لم يحققا معه . فقط سألاه ... " .

" أجل ، أجل . أعلم هذا . كان فقط يجيب عن أسئلتهما . إلا أن تلك الأسئلة كانت مهمة بما يكفى لأن يصاب هَف بأزمة قلبية " .

أشاح بوجهه عنها وأخذ ينظر إلى لافتة النيون التى تتناوب أضواؤها إعلاناً عن الفندق . كان يرى الموظف خلف مكتبه من خلال الجدار الزجاجى . كان جالساً إلى مقعده ، وفى فمه خلالة أسنان ، يشاهد التلفاز . لم يكن يبدى أى اهتمام بهما كزبائن مفترضين . ومن الواضح أنه قد كان من المعتاد أن يبقى رجل وامرأة خارج

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

المكتب يتناقشان عما إذا كان من الأفضل أن يحجزا غرفة بالفندق أم لا .

" لقد وجدا شيئاً في الكابينة نا صلة بكريس . أما هو فقال إنه لم يكن هناك منذ تلك الليلة التى طارد فيها فريتو ذلك القط البرى " . عاد ليواجهها من جديد وهو يضيف : " وأنا أعتقد أنه صادق " .

" ما الذى وجداه ؟ "

" علبة ثقاب . عليها شعار نادٍ ليلى عند جسر بروكس " .

" أهذا كل شىء ؟ إنه ليس بالدليل القوى . فبوسع أى أحد أن يترك علبة ثقاب هناك وفى أى وقت " .

" هذا هو الطبيعى . إلا أن افتتاح النادى كان يوم الأحد الماضى ، أى الليلة التى سبقت موت دانى . وقبلها لم تكن هناك علب ثقاب تتبع النادى ... وقد أقر كريس بأنه كان فى النادى الليلى وأنه عاد إلى المنزل متأخراً . وقال إنه قد دخن عدة سجائر ، ومن هنا كانت معه علبة الثقاب تلك " .

" وأنا لا أعتقد أن دانى قد ذهب إلى ذلك النادى تلك الليلة " .

هز رأسه نافياً . " ليس هذا بالمكان الذى يستهويه . وخاصة مؤخرًا . فهو لم يدخن أبداً ، لذا فمن المحال أن يكون صاحب علبة الثقاب . وعلى أية حال ، يبقى السؤال ـ ترى ماذا كان ينتويه فى الفترة بين ليلة السبت وصباح الأحد ، ومتى ذهب إلى دار العبادة ؟

ولذلك أراد المحقق سكوت أن يعرف كيف يمكن لعلبة ثقاب لا يمكن أن يتحصل عليها أحد حتى ليلة السبت أن ينتهى بها الحال فى الكابينة ظهيرة الأحد . لقد كان كريس فى النادى الليلى ، وهو ما يدينه بشدة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" تلك هى نظرية المحقق سكوت " .

" ولكن من قد يكون صاحبها غيره ؟ "

" لا أعرف ، يا ساير ، وإن كان هذا هو كل ما لدى سكوت تجاه كريس ، فإنه لن يستطيع أن يقنع به المحلفين ، حتى وإن كان الادعاء ضد كريس " .

بدت مشدوهة لاستخدامه تلك الكلمات القانونية . " هل تعتقد أن الأمر سيصل إلى ذلك الحد ؟ "

" كلا . لا أرى هذا . فما الدافع لدى كريس ؟ " طرح السؤال بصورة بلاغية ، إلا أنها أخذته بظاهره .

قالت : " لا أظن أن كريس يحتاج إلى دافع قوى كى يقوم بما يود القيام به " .

لم يستطع بيك أن يعترض على جملتها ، فهو يعلم أنها تقرر واقعا .

قالت بعد برهة من الصمت : " لقد قررت أن أبقى فى ديستينى حتى يتم حل هذه القضية " .

" وماذا عن عملك ؟ "

" لقد هاتفت مساعدتى بعد الظهر . وليس لدى ارتباطات ملحة هذا الأسبوع ، وبوسعها أن تعيد جدولة مواعيدى حسبما أرى أنا . فهذا هو الأهم . كما أننى لم أكن على هذا القرب من دانى طيلة الأعوام العشرة الماضية " .

تهدج صوتها ، مما ولد لديه انطباعًا قويًا بأنها تخفى عنه عاملا آخر مهمًا أدى إلى أن تتخذ هذا القرار . وأيًا كان هذا العامل ، فإنها لا تود أن تخبره به .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قالت : " لا يمكن أن أسمح بأن يبقى موته لغزاً ، سواء كان قد انتحر أو قتل ، فإننى أريد أن أعرف سبب موته ، حتى يرتاح بالى على الأقل .

كما أننى أشعر بمسئولية ما تجاه والدتى . فلطالما كان دانى قرة عينها . ولوكان الأمر بيد هَف وكريس لكان موته قد مر مرور الكرام . ولن يمكننى أن أرجع إلى حياتى كما كانت لو أننى تركت الحادث يمر مرور الكرام . كان هذا ليفطر قلب والدتى . وهذا أقل شىء يمكن أن أقدمه لها ، وله " . كانت تمد يدها لمقبض الباب .

لامس كتفها وهو يقول : " ساير ؟ "

نظرت إليه ، إلا أنه لم يجد شيئاً يقوله . فقد كانت ستبقى فى البلدة لأسباب لا تخصها ، فما الذى يمكن أن يجادلها به ؟ فهو يرى أن أفضل شىء لها هو أن تغادر ديستينى . إلا أنه لم يجد فى نفسه رغبة لينصحها بمغادرة البلدة .

طالت اللحظات . إلى أن قالت فى النهاية : " ليس عليك أن تفتح لى الباب . أشكرك على العشاء . طابت ليلتك " .

تركها تغادر العربة وحدها وتتناول حقيبتها من خلف المقعد . لم تنظر إليه وهى تغلق الباب . وسمع أجراس الباب تجلجل فوقه وهى تدلف إلى داخل الفندق . راقبها تقوم بإجراءات الحجز مع الموظف بالمكتب .

حاول بيك أن يجبر نفسه على الرحيل بالعربة ، فى أسرع وقت . وهمّ بأن يمد يده إلى مفتاح التشغيل . فكلما بقيت علاقته بساير لينش على ما هى عليه ، كان هذا أفضل للجميع ، وله بالأخص . وهى لم تمل إليه من الأصل . فما الداعى لأن يتعلق هو بها ؟

" تباً ! "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وحينما خرجت من المكتب وبيدها مفتاح الغرفة ، وجدته بانتظارها . هم بحمل الحقيبة عنها وهو يسألها : " الطابق العلوى أم السفلى ؟ "

" ليس هناك داع لأن ترافقنى حتى الباب " .

" لن يسامحنى هُف أبدا إن حدث لكِ مكروه " .

" وما الذى يمكن أن يحدث لى ؟ "

تناول الحقيبة من يدها : " ليس الأمر موضع نقاش ، يا ساير " .

سلمته الحقيبة وكأنما تقبل الأمر الواقع ، وهى تشير عبر الممر الطويل أمامهما : " الغرفة الأخيرة " . ثم ضحكت ضحكة مريرة وهى تقول : " لا تخدع نفسك بأن تحاول أن تقنعنى بأن هَف مهتم براحتى وأمنى " .

" أرى أن تلك المصالحة المنتظرة لم تتحقق داخل غرفة العناية المركزة " .

" لقد كان يمارس ألعابه المريضة معى ، وكنت أنا بيدق فى اللعبة " .

" لقد كان يظن أنها لحظاته الأخيرة . فربما أساتِ الظن به " .

" لم يحدث " .

" أليس هناك شىء من الشك يصب فى مصلحته ؟ "

" ولا ذرة من شك " .

" أعتقد أن إقدامه على إنهاء علاقتك مع كلارك دالى قد ... " .

" ماذا ؟ " توقفت فى ثورة وهى تجذبه من ذراعه : " ما الذى تعرفه عن هذا الأمر ؟ "

" ما أخبرنى به كريس فقط " .

" هل أخبرك كريس عن كلارك وعلاقته بى ؟ ومتى هذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أثناء ما كنت داخل غرفة العناية المركزة " .

" لماذا ؟ "

كانت أصابعها تنغرس فى عظام ذراعه وهى لا تدرى . عيناها تحولتا إلى جمرتين . حاول أن يبقى صوته هادئا كى يخمد تلك النيران : " لقد سألت كريس عن سبب كراهيتك هذه لهف " .

" أرجو أن تكون وجدت التسلية فى تلك القصة إنن " .

تركته وواصلت المضى عبر الممر بخطوات متزنة ، وحينما وصلت إلى آخر غرفة بالممر ، فتحت الباب بالمفتاح فى قوة ، حتى أن بيك قد اندهش لكونه لم ينكسر . جذبت حقيبتها منه فى عنف ثم طوحت بها داخل الغرفة .

قال : " لم أكن لأذكر لكِ هذا الأمر لو أنى عرفت أنه سوف يغضبك هكذا " .

" يغضبنى أن أعرف أنك وكريس كنتما تتبادلان النميمة كامرأتين عجوزتين حول حياتى الخاصة . فليس من شأنه أن يتحدث عن هذا الأمر معك أو مع أى أحد آخر . ألم تجدا شيئا أفضل من هذا تتحدثان عنه ؟ "

" لم يكن هذا مقصدنا . كما أن الأمر قد مضى منذ زمن " . ثم ضيق عينيه وهو يسألها : " أليس كذلك ؟ "

" وما الذى يهمك فى هذا ؟ "

" يهمنى كما تهمنى زيجتاك السابقتان " .

" وهل تحدثتما عن زيجتىّ السابقتين أيضا ؟ "

" إنه جزء من تاريخ العائلة " .

" عائلة لست أنت فردا فيها " .

" صحيح . فأنا غريب عنكم . فضولى ليس إلا " .

" وما الذى يثير فضولك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" زوجان خلال ثلاث سنوات . اختار هَف الأول ، وهو الأمر الذى يفسر سبب أنه لم يستمر طويلاً . ولكن ما الذى أدى إلى إنهاء الزيجة الثانية ؟ "

بقيت على صمتها وتوترها .

" هل كان بسبب عدم التوافق ؟ نفور عاطفى ؟ هل هو الحب الذى كنتِ ما زلت تحملينه لدالى ؟ أنا أراهن على هذا . فقد عرفت أن العلاقة بينكما كانت حميمة " .

" أنت لا تفهم شيئاً " .

" فسرى لى الأمر إذن ، يا ساير . بوحى إلىّ بما تكتمينه ، حتى أفهم " .

كانت فى داخلها قد وصلت إلى درجة الغليان .

" ربما قلتِ لنفسك إنه طالما كان من الصعب أن تحوزى الرجل الذى تريدين ، فعليك أن تبحثى عن مصلحتك على أرض الواقع " .

قالت بصوت كالفحيح : " أجل . هذا ما فعلته تماماً . هل تريد أن ترى بنفسك ؟ "

قالتها وهى تتحرك فجأة لتحيط رقبته بذراعها ، وتجذب وجهه إليها ، لتطبع قبلة قوية غاضبة متحدية على شفتيه . ثم دفعته بعيداً عنها بقوة حتى أن رأسه ارتج للوراء .

ابتعدت عنه متجهة صوب الغرفة وأوشكت أن تغلق الباب فى وجهه بقوة قبل أن يلحق بها . " أريد أن أرى ما هو أكثر من هذا " .

أحاط خصرها بذراعيه ، وجذبها إليه ، ثم أخذ يسير بها إلى داخل الغرفة . كان هو من أغلق الغرفة بقدمه وفمه يباغت فمها .

نجح فى أن يقبلها . حاولت أن تبعد وجهها عنه ، إلا أنه أمسك فكها بيد وثبت وجهها أمام وجهه بيده الأخرى .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قالت وهى تبتعد عنه بقوة فجأة : " سأقتلك لو لمستنى مرة أخرى " .

فوجىء بردها فتراجع خطوات : " مانا ؟ "

" أظن أن كلامى واضح " .

أدرك الآن أن تلك النيران بعينيها لم تكن نيران العاطفة ، بل الغضب العارم ، كما لو أن تجاهله لتهديدها ومحاولته لمسها من جديد كفيل بأن يقتله بالفعل .

قالت : " أنا أعنى ما أقول . . . لا تلمسنى " .

استثارته نبرة كلامها ، فقال : " كنتِ مستمتعة بلمساتى تلك منذ دقائق . أتودين أن أصف لكِ شعورك ؟ "

" أريدك أن ترحل من هنا " .

أشار لها بيده أن تبتعد عن الباب ، وهو يعمل على ألا يتلامس جسداهما . فتح الباب ، ثم توقف ليلتفت إليها .

" ممن أنتِ غاضبة ، يا سايرا ؟ منى أم من نفسك ؟ "

" اخرج من هنا " .

" كنتِ تعرفين أن هذا سيحدث " .

" اذهب " .

" منذ اللحظة التى رأى فيها كل منا الآخر ، لم يكن هناك مفر " .

هزت رأسها فى غضب .

" كنتِ ترغبين فيها ، واستمتعتى بها " .

" لم يحدث هذا ! "

" أهكذا ؟ " ثم نظر إليها بسخرية وخرج من الغرفة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان هَف يرقد ممدداً على ظهره فوق فراش المستشفى ، وكانت عيناه مغلقتين ، وهو يسمع أحدهم يقترب من غرفته فى قسم العناية المركزة . " من هناك ؟ "

" طبيبك الموهوب " .

غمغم هَف : " لقد تأخرت كثيراً " .

رد توم كارو : " لست بمريضى الوحيد هنا " .

" لست بمريضك من الأصل " . قالها وهو يحرك ساقيه العاريتين بعيداً عن الفراش وهو يهم بالنهوض . أخذ يسب فى غضب وهو ينزع الأنبوب عن منخاريه . " كم أكره أن أخضع لمثل هذه الأشياء " .

ضحك الطبيب : " عليك أن تكون شاكراً لأن هذا الأنبوب لم يكن مخترقاً مثانتك " .

" لا يمكن لهذا أن يحدث أبداً . هل يمكن أن تحضر لى بعض الطعام ؟ "

مد توم كارو يده إلى جيب سرواله الواسع وأخرج منه شطيرة مغلفة : " زبدة الفول السودانى مع مربى العنب ، صنعتها لك من مطبخى " .

" ما هذا ؟ لقد قلت إنك ستأتى لى بعشاء " .

" هَف ، إن من يصابون بنوبة قلبية فى الثانية من بعد الظهر لا يتناولون قطع اللحم والبطاطس المهروسة مع الصلصة فى العاشرة والنصف ليلة نفس اليوم " .

انتزع هَف الشطيرة من يده ، وفك عنها غلافها ، ليلتهمها فى ثلاث قضمات . " أحضر لى زجاجة كوكا " ، قالها عبر فم ملىء بالطعام .

" لا كافيين " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد أخذت تلك المرضة القبيحة سجائرى منى " .

" لن يمكن لأحد حتى ولو كان هَف هويل أن يدخن داخل غرفة العناية المركزة " .

" لقد تبرعت بالمال لهذا المستشفى ، ومع هذا فلا يمكننى أن أدخن داخلها ؟ "

أشار الطبيب إلى المكان من حوله : " المكان ملىء بأسطوانات الأكسجين " .

" سأهبط لأسفل حتى أدخن " .

" هذا يعنى أن أفصلك عن الشاشات ، وهو أمر كفيل بإثارة الذعر عبر أرجاء المكان ، فهل تريد لهذا أن يحدث ؟ "

سدد هَف إليه نظرة كسيفة : " تجد متعة فى هذا ، أليس كذلك ؟ "

" لقد كانت هذه هى فكرتك ، يا هَف . فلو أنت إلى أن تتخلى عن طعامك الدسم ودخان سجائرك ، فذلك خطؤك أنت . هل ستستمر فى هذه اللعبة طويلاً ؟ المرضات هنا حيارى إزاء مريض قلب فى مثل هذه الحيوية التى أنت عليها . ولن يمكننى أن أبقى عليك فى غرفة العناية المركزة لفترة أطول من هذا " .

" ما الفترة الكافية ليتعافى فيها المصاب بأزمة قلبية بشكل غير متوقع ؟ "

" يوم أو يومان . بوسعى أن أجرى بعض الفحوصات فى الغد ... " .

لكمه هَف فى صدره بقسوة : " من دون ألم أو أى شىء يدخل فى جسدى " .

" يمكن أن أبلغ عائلتك بأنى قد وجدت تقلصات نتجت عن تلك النوبة ، وأنها غير ذات بال ، ولكنها تنبيه لك حتى تتبع حمية

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

غذائيـة ، وأن تتوقـف عـن التـدخين ، وأن تبـدأ فـى التـدريبات الرياضية ، ... إلخ " .

" لو أنك أخبرتهم بموضوع الحمية هذا ، لانتهزتها سيلما فرصة حتى تطعمنى ذلك الهراء الذى تسميه طعاماً " .

" هذا هو الثمن الذى عليك أن تدفعه مقابل ادعائك الإصابة بنوبة قلبية " .

غمغم هَف فى ضجر : " وما البديل ؟ "

" يمكننى أن أتحمل عاقبة أن أقول إن الأمر لم يتعلق بقلبك على الإطلاق ، ولكنها مجرد حالة حرجة من عسر الهضم وارتجاع حمضى ، وهو ما أصابك بالفزع وخدعنا جميعاً " .

فكر هَف فى كلامه : " من السهل أن نقنعهم بأن طبيبًا على شاكلتك يمكن أن يخطئ فى تشخيصه ، ولكن علينا أن نتمسك بقصة النوبة الخفيفة هذه . يمكننى أن أبقى يوماً آخر بالمستشفى . حتى أقنعهم فقط " .

" من بين كل الاعيبك الملتوية ، أقول إن هذه الخدعة أقوى ما رأيت . لماذا قمت بهذه اللعبة ؟ "

قال هَف : " وما شأنك أنت بهذا ؟ إنك تتلقى أجرك لمسايرتى فحسب " .

قال كارو : " نقداً ، لا تنس ذلك " .

قال هَف : " هل صادف أنى نسيت شيئاً من قبل ؟ "

ضحك الطبيب بعصبية عندما عرف قَدره الحق . وقال : " أنا لا أحاول التدخل فى شئونك يا هَف ، ولكننى كنت أتساءل فقط " .

قال هَف : " لدى أسبابى الخاصة فى رغبتى بالظهور فى حالة صحية سيئة ، وكما قلت أنت ، فإن هذه الأسباب ليست من شأنك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان عدم التهيب بادياً على توم كارو بصورة لم يمهدها هَف كثيراً ، وكان هذا ينم عن شيء لا يعرفه . لقد اكتسب هَف هيبته من كرمه في دفع الرشاوى وشحه على من يرتشيهم بالمعلومات . ولم يكن ليشرح لكارو أسبابه التي دفعته إلى ممارسة هذه اللعبة الغامضة .

قال له هَف بلهجة آمرة : " إن لم تحضر لي شيئاً أكثر من هذا لآكله ، فعليك أن تخرج من هنا . وحاول ألا تقتل أيّا من مرضاك قبل أن تغادر هذه الليلة " .

" سأراك صباحاً " .

" تذكر أنك لن تجري أية فحوصات مؤلمة . لا شيء سيخترق وريدي أو فتحة الشرج . مجرد فحوصات بأشعة إكس ، أو ما هو من هذا القبيل " .

أشار كارو إلى أنفه وهو يخرج من الباب : " لا تنس أن تضع قناع الأكسجين " .

أعاد هَف وضع الأنابيب ، ثم تمدد واضعاً رأسه على الوسادة من جديد . ندت عن صدره ضحكة خافتة ، حولها إلى سعال خشية أن تسمعه ممرضة تصادف وجودها في الخارج .

لم يكن بوسعه أن يفعل ما فعله إلا بعد مكالمة هاتفية مع توم كارو حتى يساعده على مخططه ، وهو لن يستطيع أن يخرج من اللعبة إلا بمساعدة نفس الطبيب .

منذ أن علم بموت داني ، وهو محاط بالمشاكل . كطيور حطت على جيفة ، ولم ينجح أبداً حتى الآن في طردها عنه . أحياناً ما تحل عنه واحدة وما أن يهم بطردها من عقله حتى تحل محلها أخرى .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أولها بالطبع فقده لابنه . مأساة حزينة ندم عليها . إلا أن دانى قد ذهب وليس هناك ما يمكنه أن يفعله إزاء هذا . سيفتقد دانى بالتأكيد ، إلا أن من الغباء البكاء على اللبن المسكوب .

ثم حلت به مشكلة كريس . لقد تكدر بسبب فشله فى علاقته الزوجية . فأين كان وقت أن هربت زوجته إلى المكسيك لتخونه مع شباب الشاطئ بعد أن أجرت عملية إصابة رحمها بالعقم تلك ، بينما هو يلهو مع أمثال ليلى روبسون ؟

لم يكن هَف يأبه بزواج كريس ولم يكن يرى أنها علاقة ستدوم . إلا أنه كان يريد حفيدا من هذه العلاقة قبل أن تنهار . مازالت تلك الغرفة فارغة ، وهو ما يثير حنقه باستمرار .

إلا أن عودة ساير هى التى أدت به إلى أن ينتبه إلى أنه قد بدأ يفقد السيطرة على الأمور . فقد اعتاد أن يكون هو الآمر الناهى ، وألا يقدم أحد على خطوة من دون تصريح منه . فهو المتحكم فى مسار هذه العائلة عند كل موقف . يتحكم فيها بقبضة من حديد .

إلا أن هناك ما أدى إلى أن ترتخى هذه القبضة . وأينما حلت ساير كانت القبضة تزداد ارتخاءً . وقد آن أوان استعادة الزمام . ولكن عليه قبل استعادة السيطرة أن يلفت انتباهها ، وقد نجحت الحيلة فى أن تبقيها بالبلدة .

بينما رقد فى تلك الغرفة الهادئة بقسم العناية المركزة ، ندت عنه ضحكة مكتومة أخرى ، يفكر فيما يخبئه لساير ليدهش هويل من مخططات .

ولحسن حظه أنها قد وقعت بالفعل فى شراكها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الخامس عشر

حينما عاد بيك إلى المنزل ، قفز نحوه فريتو يرحب به مسقطاً كرة تنس مبللة عند قدميه . قال بيك : " آسف . ليست لدى رغبة فى اللعب هذه الليلة " .

لم يكن هذه الليلة يريد صحبة كلب ، بل أن يقف أمام كيس فى مباراة ملاكمة يلكمه لساعات ، وعندها فقط يمكن أن ينفث ما يعتمل بداخله من غضب وحنق .

إلا أن فريتو كان مصراً ، حتى وجد بيك أن من الظلم أن يفرغ هذه الشحنة على كلبه . " حسناً ، ولكن لبضع دقائق فحسب " .

وبعد أن نجح الكلب فى إحضار الكرة لخمسين مرة ، كان بيك قد أجهد تماماً : " لقد تعبت ، فريتو ، كما أن وقت العشاء قد فات " .

وما أن سمع الكلب ذكر الطعام ، حتى ركض إلى مدخل المنزل سابقاً سيده . دفع الباب بأنفه ودلف إلى الداخل . وحينما وصل بيك إلى المطبخ ، حتى كان فريتو راقداً أمام الثلاجة ، وذيله يمسح الأرضية ، ولسانه الطويل يتدلى خارج فمه فى ترقب .

إلا أن بيك مشى إلى دولاب المطبخ وفتح الخزانة ، حيث يضع طعام الكلب المجفف . فأبدى فريتو اعتراضه . ففى أيام الأحد

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

والأربعاء يتناول البيض المخفوق فى العشاء . كان ينظر إلى بيك نظرة اندهاش تقول : " هل نسيت أى يوم نحن فيه ؟ "

" ليس الليلة . فالليلة تتناول هذا الطعام . على أنى سأعوضك عنه فى الغد " . ألقى كمية من الطعام فى الوعاء الواسع على الأرضية .

اقترب فريتو منه ، وهو يتشممه فى غير حماس ، ثم تطلع إلى بيك بعينين تلومان وتشكوان .

" ليس لدينا بيض ، هل فهمت ؟ وهذا الطعام غالى الثمن ، ومغذ ، غنى بالفيتامينات ، حتى أن الكلاب الجائعة فى الصين تتوق إلى مثله . فعليك أن تأكله وتتوقف عن الشكوى " .

رأى فريتو أن هذا هو ما سيناله ، فقرر أن ينغمس برأسه فى الوعاء وأن يأكل هذا الطعام . ولكن حينما فتح بيك باب الثلاجة ليتناول زجاجة شراب ، أخذ فريتو ينظر إلى ما بداخلها ، ولما رأى البيض مصفوفاً داخلها ، نظر إلى بيك نظرة عتاب .

قال بيك : " ذكاؤك هذا يضر بمصلحتك " .

كانت هذه هى نفس مشكلة بيك . أحياناً ما يضر مصلحته بذكائه . فلقد فهم من رد فعل ساير الغاضب حينما عرفت بحواره مع كريس أنها لم تتجاوز صدمة انفصالها عن كلارك دالى . وقد أزعج هذا بيك بشدة . كما أن فى الأمر إحباطاً . فلقد كان نجم دالى قد انطفأ ، فقد أصبح منحرفاً ومصدر أسى لكل من يعرفه فى أوج مجده . فما الذى يدعو امرأة ناجحة مثل ساير ليتنش إلى أن تبقى متعلقة به ؟

كان هذا الأمر يثير جنونه . . . تماماً ككل شىء له صلة بها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فرغ فريتو من وعائه . " انتهيت ؟ هيا اذهب واعتن بنفسك ، وبعدها سوف أغلق باب المنزل " . فاتجه فريتو صوب الباب الخلفي .

كان لمنزله ذى الطراز الأكادى المكون من طابق واحد غرفتا نوم . كان للغرفة الكبيرة حمام ملحق بها ، فاستخدمها بيك كغرفة رئيسية . أما الغرفة الأخرى فكانت مؤثثة كغرفة للضيوف ، إلا أنه لم يستضف بها أبداً ضيوفاً من خارج البلدة ، فنادراً ما كان يتجه إلى تلك الغرفة إلا ليحضر شيئاً من الخزانة ، حيث يخزن بها ملابس نادراً ما يستخدمها أو أنها لم تعد مناسبة .

كان يحيا حياة عازب .

خلع عنه ملابسه ودلف ليأخذ حماماً . أسند يديه إلى الجدار خلف الصنبور ، وأحنى رأسه أسفله وترك الماء ينساب على رقبته .

" لم يكن على أن ألمسها " .

حينما جذبته ساير من عنقه لتقبله تلك القبلة الجريئة العنيفة ، كان عليه أن يدعها تذهب بنصرها الصغير هذا ، ثم يبتعد . إلا أنه لم يستطع أن يتركها لحالها . وما حدث بعد ذلك ....

" لا تفكر فيما حدث بعد ذلك " .

لكنه فكر فيه بالطبع . عشرات المرات . حتى بعد أن برد الماء الهابط على جسده ، كان ما حصل بينهما يتكرر داخل عقله مراراً من دون أن تتغير أية تفصيلة فيه .

لما غادر الحمام فى النهاية ، كان فريتو راقداً بالفعل على سجادته بالقرب من السرير . " هل فرغت من كل شىء ؟ " تثاءب

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الكلب وأرقد رأسه على مخالبه الأمامية . فقال بيك : " سأعتبر أن هذه إجابة بنعم " .

أمن بيك منزله ، ثم دخل إلى الفراش . كان متعباً لكنه لم يكن نعساناً . فبرزت المشكلات من وسط الظلام أشبه ببهلوانات ساخرة تتقافز داخل مدينة ملاهٍ .

فهذا هو كريس والتحقيق معه فى موت دانى .

هَف وتأثير نوبته القلبية على شركات هويل .

تشارلز نيلسون وما عليه أن يقوم به حتى يسوى أمره .

وهذه هى ساير ، ساير ، . . . ساير .

لم يلتقها سوى بالأمس ، ومع هذا فقد فعلت بحياته ما لم تفعله أية امرأة أخرى . لقد جلبت له المتاعب لأسباب أكثر من أن تحصى . ودخوله فى علاقة معها كفيل بتهديد كل ما بناه ، والوقت والجهد الذى بذله مع هذه العائلة .

إلا أن ساير لا يسعها أن تفسد حياته من دون أن يكون هو قد سمح لها بهذا . فهى لا يمكن أن تدمر ما بناه ، وبالتالى مستقبله ، إلا أنه كان هو من أعطاها الفرصة لفعل هذا ، ومن ثم يصبح متفرجاً على سقوطه .

فالحل بسيط إذن : ابتعد عنها .

إلا أن عقله كان أضعف بكثير من رغبته . فكيف له ، بعد أن أحس بعواطفها الآن ، أن يتمكن من الابتعاد عنها ؟

وكان آخر ما مر بخاطره قبل أن يستسلم للنوم هو عبارة " لم يكن على أن ألمسها " .

كان ذلك أول خاطر عاد لذهنه حينما رن جرس هاتفه المحمول بعدها بأقل من ساعة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

عندها نهض فى سرعة ، تذكر نوبة هَف القلبية ، ليلتقط الهاتف .

" مرحباً " .

" السيد ميرشانت ؟ "

" أجل . من معى ؟ "

" فريد ديكلويت " .

كان أحد حراس الوردية الليلية بالمسبك . فاعتدل بيك فى سرعة . منتظراً أخباراً سيئة .

كان يهرع للمرة الثانية خلال أقل من أربع وعشرين ساعة إلى المستشفى ليدخل إلى غرفة الطوارئ .

التقى هناك فريد ديكلويت ، الذى عمل لدى شركات هويل لما يزيد على الثلاثين عاماً . كان ذا قوام قصير عريض قوى البنية . إلا أنه بدا الليلة متوتراً قلقاً ، يتشبث بالقبعة التى كان يلويها بين يديه فى عصبية .

كانت الدماء الجافة تغطيه ، من ياقة قميصه وحتى أسفل سرواله كاكى اللون .

" أشكرك للمجىء ، يا سيد ميرشانت . لم أكن أود أن أقلقك فى منتصف الليل ، إلا أننى لم أجد شخصاً آخر أتصل به . فقد رأيت أن من اللازم أن يعرف أحد من الإدارة العليا بما حصل . لم أتمكن أن أتحصل على السيد كريس . فقد أيقظت مديرة المنزل . إلا أنه لم يكن بالمنزل ، ولم تكن تعرف بمكانه . كما أن السيد هَف هنا بالمستشفى و... " .

" لا بأس ، فريد . أنا سعيد لأنك اتصلت بى . ما الذى حدث لبيلى بوليك ، وما مدى سوء حالته ؟ " كان أمله ضعيفاً فى أن تكون

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

إصابة العامل أخف مما تنم عنه كل تلك الدماء التى أمامه على ملابس ديكلويت .

" سيئة جداً ، يا سيد ميرشانت . أعتقد أن بيلى سيفقد ذراعه " .

أخذ بيك نفساً عميقاً أطلقه ببطء وقال : " كيف حدث هذا ؟ "

" كان يدير إحدى الناقلات بديلاً لعامل كان فى إجازة . وكان يحاول أن يعيد أحد السيور إلى مكانها الصحيح " .

" بينما كانت الماكينة تدور ؟ "

حرك ديكلويت قدميه فى توتر . " هذا صحيح يا سيدى . تعلم أننا لانغلق الماكينة ما لم تكن المشكلة خطيرة . فقد كانت لا تزال تدور . حينما سحبت التروس كم قميصه ، لم يستطع أن يصل إلى المفتاح ليغلق الماكينة . فسحبت تلك الماكينة اللعينة ذراعه . استطاع أحد الرجال أن يغلق الماكينة ، ولكن بعد أن . . . . " . بلع الرجل لعابه فى صعوبة وهو يضيف : " لم ننتظر حضور سيارة الإسعاف . فحملناه وأحضرناه إلى هنا بأنفسنا " .

" أمر سيئ جدًا " ، لم تكن العبارة مناسبة للموقف . فقد كانت كارثة . سأله بيك : " أكان لا يزال واعياً لما حوله ؟ "

" كان يصرخ بقوة ونحن نبعده عن الماكينة . لن أنسى صوت صرخاته أبدا . لم تكن بصرخات بشر . فأعتقد أنه قد فقد وعيه من الصدمة . على أنه توقف عن الصراخ على أية حال " .

" هل تحدثت مع طبيب ؟ "

" كلا ، يا سيدى . لقد هرعوا به إلى هناك ، ولم نر بعدها أحداً ، فيما عدا تلك الممرضة عند المكتب " .

" ألديه عائلة ؟ "

" لقد هاتفت إليشيا . إلا أنها لم تصل إلى هنا بعد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وضع بيك يده على كتف الرجل : " لقد فعلت ما بوسعك لأجل بيلى . وأنا سأتولى الأمر منذ هذه اللحظة " .

" نود أن نبقى هنا ، إن لم يكن هذا يضايقك ، يا سيد ميرشانت . لقد أتى عمال آخرون ليحلوا محلنا بالوردية هناك . ونود أن نطمئن على بيلى . فلقد فقد الكثير من الدم " .

لم يكن بيك يريد أن يفكر فى إمكانية موته من الأصل . " أنا متأكد من أن بيلى سيقدر لكم هذا " .

هم فريد بأن يبتعد ، إلا أنه عاد فسأل : " كيف حال السيد هويل ؟ "

أجابه بيك : " لقد تعدى مرحلة الخطر . وأعتقد أنه سيكون بخير " .

ترك بيك عمال المبك الأربعة يتهامسون واتصل بهاتف كريس المحمول . رن جرسه ست مرات قبل أن يجيبه البريد الصوتى المسجل . فترك بيك رسالة : " لقد ظننت أننا اتفقنا على أن تجيب اتصالاتى . عليك أن تتصل بى . هَف بخير ، حسب آخر ما أعرف من أخباره ، إلا أن لدينا حالة طوارئ أخرى " .

لم تمده الممرضة الجالسة إلى المكتب بأية معلومات محددة . فقال لها وهو منزعج من غموضها : " هلا أخبرتنى فقط بما إذا ما كان حيا أو ميتا ؟ "

" أنت لست فرداً من عائلته ، أليس كذلك ؟ "

" كلا . لكن أنا من سيدفع فاتورة هذا المستشفى . وهو ما يتيح لى أن أعرف ما إذا كان سيحيا أم لا " .

" لا تهمنى نبرة تهديدك هذه ، يا سيدى " .

" لو كنتِ تخافين على وظيفتك ، يا سيدتى ، فإن من الأفضل أن تمدينى ببعض المعلومات ، وبسرعة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بدا عليها التوتر . فبالكاد كانت شفتاها تتحركان حينما تحدثت : " أعتقد أنه سيتم نقل المصاب بالمروحية إلى مركز متخصص في نيو أورليانز . هذا كل ما أعرفه " .

سمع أصوات جلبة تأتي من خلفه ، فالتفت بيك ليرى امرأة تهرع إلى داخل المكان ، يتبعها خمسة أطفال . جميعهم حفاة الأقدام ، يرتدون ملابس النوم ، ووجوههم شاحبة من الخوف . وبينهم رضيعة تحمل أسفل ذراعها دمية قديمة ذات عين واحدة . كانت المرأة على وشك أن تنهار .

صرخت في فريد حينما وقف ليلقاها قائلة : " فريد ! " . وحينما رأت دماء زوجها على ملابس العمال الآخرين ، صرخت وهي تجثو على ركبتيها . " أرجوكم أخبروني بأنه لم يمت . قولوا لي إنه لا يزال حيا " .

سارع زملاء زوجها لمساعدتها . فرفعوها عن الأرض ، وأجلسوها على كرسي . قال لها فريد : " إنه لم يمت ، إلا أن إصابته سيئة ، يا إليشيا " .

كان الأطفال مغلوبين على أمرهم ، وربما ضاع رشدهم بسبب هيستيريا أمهم .

قالت له في جزع : " أريد أن أراه . هل يمكنني أن أراه ؟ "

" ليس الآن . فهم يعالجونه ولن يسمحوا لأي شخص بأن يدخل إليهم " .

حاول فريد أن يهدئها وأن يوضح لها في نفس الوقت طبيعة ما حدث . كانت بالكاد تسمعه وسط نحيبها . فالتفت بيك إلى الممرضة ، التي كانت تراقب ما يحدث في عدم اكتراث .

سألها : " هل يمكن أن تعطيها مهدئًا ؟ "

" ليس إلا بأمر الطبيب " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فقال بصوت صارم : " لماذا لا تذهبين لتأخذى منه الأمر ؟ " أخذت بهذه الصرامة وهرعت تنفذ أمره .

صرخت زوجة بيلى : " إنها نراعه اليمنى ! . . . إنه أيمن . أوه يا إلهى ، ماذا سنفعل الآن ؟ "

عبر بيك الردهة نحوهم . وحينما رأته ، توقفت عن البكاء فوراً ، كما لو أن أحدهم قد ضغط زراً خفياً بها . بينما تنحى الرجال جانباً ، حتى يتمكن بيك من الوقوف أمامها مباشرة .

" سيدة بوليك ، اسمى بيك ميرشانت . ما حدث لبيلى مأساة ، إلا أننى أود منكِ أن تطمئنى لأننى سوف أفعل ما فى وسعى لمساعدتك وعائلتك على تجاوز هذا الأمر .

لقد قيل لى أن بيلى سيُنقل بمروحية إلى مركز للحالات الحرجة فى نيو أورليانز ، حيث سيتلقى أفضل رعاية طبية ممكنة . وأنا متأكد من أن بانتظاره هناك فريقاً متخصصاً فى جراحات الأوعية الدموية ، وإخصائيى العظام ، وغيرهم . ونأمل أن يتم إنقاذ ذراعه . بوسع هؤلاء الأطباء أن يصنعوا المعجزات ، حتى مع حادثة بمثل خطورة حادثة بيلى " .

ظلت تحدق إليه من دون تعبير ظاهر ، أو أن تقول شيئاً . فظن أنها قد تكون واقعة تحت تأثير الصدمة مثل زوجها . فرمق الأطفال الخمسة . كانت الرضيعة التى معها الدمية تمص إبهامها ، وتحدق إلى بيك من خلال قبضتها الصغيرة . بينما كان الآخرون ينظرون إليه فى حزن .

كان أكبرهم ، وهو صبى ، فى مثل عمره هو حينما مات والده . كان يقف بعيداً عن الآخرين ، وتعبيرات وجهه حذرة تنم عن عداء . أدرك بيك أن هذا ينم عن عدم ثقة فى الآخرين الذين وعدوه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بأن كل شيء سيكون على ما يرام بينما كل ما حوله يدل على العكس .

عاد بيك لوالدة الصبي . وقد خلفت الدموع الجافة آثاراً ملحية على خديها المتلئين . " سأرتب أمر انتقالك إلى نيو أورليانز حتى تبقى إلى جوار بيلي . وسوف أحجز لك محل إقامة إلى جوار المركز الطبي . ولو أردتِ مساعدة للعناية بأطفالك ، فسأعمل على أن تتحصلي عليها .

كما أن عليكِ أن تتقدمي بدعوى تعويض للجهة التأمينية في أسرع وقت ممكن . أو من الممكن أن يقوم أحد الموظفين في إدارة شئون العاملين بهذه المهمة في الغد . أما الآن فأود ألا تتحملي أية أعباء " .

أخرج محفظته من جيب سرواله . " خذي مائتي دولار لكي تسددي المتطلبات الضرورية . وهذه هي البطاقة الخاصة بي . ولقد دونت رقم هاتفي المحمول على ظهرها . اتصلي بي في أي وقت . فأنا هنا لأجل أن أساعدك " .

تناولت منه النقود والبطاقة ، ثم مزقتها وألقتها على الأرض .

عندها اندفع إليها فريد في جزع : " إليشيا ! " .

إلا أن بيك مد يده ليوقفه .

قالت له زوجة بيلي : " أتظن أني لا أعلم ما تقصده من وراء كل هذا ؟ إنك تقوم بالتعمية على ما حدث ، وما يعمد آل هويل إلى القيام به ، أليس كذلك ؟ لقد سمعت عنك من قبل . إنك لا تتردد عن فعل أي شيء يصب في مصلحتهم . فأنت هنا لكي توزع الأموال وتعمي عيني عما حدث بكلام يوحي بأن كل شيء تحت أمر بيلي ، بينما مقصدك هو أن تتأكد من أن آل هويل سيفلتون بفعلتهم من

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

دون أن نقاضيهم أو نشكوهم للصحف . أليس هذا صحيحاً ، يا سيد ميرشانت ؟

" حسناً ، أقولها لك إنن ؛ تباً لك ، إننى لن أتقدم بالدعوى التأمينية فى الغد أو فى أى يوم آخر ، كما لن آخذ منك أى شىء . لن يمكنك أن تشترى ضميرى ، ولن تشترى صمتى أيضاً .

عليك أن تكتب كلامى هذا ، أيها السيد التابع مسئول الكلام ذو الابتسامة الأخانة . اكتبه بدم بيلى . سوف أعمل على أن يعرف الجميع بما يحدث داخل ذلك المسبك القمىء . وسوف ينال آل هويل جزاءهم . وانتظر لترى إن لم تكن تصدقنى " .

ثم بصقت على وجهه .

" هل كنت تتصل بى ؟ "

" كريس . أين أنت بحق السماء ؟ "

" فى مطعم النادى " .

" اطلب لى قهوة ، وأنا فى الطريق إليك " .

كان بيك قد غادر المستشفى للتو حينما أجاب كريس مكالمته . كان متجهاً إلى المنزل إلا أنه غير مساره صوب النادى ووصل إليه خلال دقائق .

نادته المضيفة وهو يدلف إلى المكان : " إننى أقوم بتحميص بعض القهوة من أجلك ، يا بيك . أمهلنى دقيقتين " .

" أنتِ ملاكى " .

" طبعاً ، طبعاً ، هذا ما يقوله الجميع " .

جلس إلى جوار كريس ، واضعاً مرفقيه على الطاولة ، وهو يمسح وجهه بكفيه فى إرهاق . " أليس لهذا اليوم من نهاية ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال كريس " لقد هاتفت قسم العناية المركزة للتو . وعرفت أن هَف يغط في نوم عميق . ونبضات قلبه قد انتظمت . فما الطارئ لديك إذن ؟ "

" لماذا لم تدع هاتفك المحمول مفتوحاً ؟ "

" لقد كان مفتوحاً . ولكنه مضبوط على الاهتزاز فقط . المشكلة هي أن الهاتف لم يكن معي " ، وابتسم في تكاسل وهو يضيف : " فالرجل لا يخلع عنه حذاءه عند مغازلته لسيدة ، وكذلك لا يدع هاتفه المحمول . ألم تعلمك أمك شيئاً عن هذا ؟ "

" لقد كانت ذراع بيلي بوليك تبتر هذه الليلة " .

تلاشت ابتسامة كريس . وأخذ الرجلان يحدقان إلى بعضهما البعض عبر الطاولة بينما كانت المضيفة تغير قهوة كريس وتملأ قدحاً آخر لبيك . " هل تريد شيئاً تأكله ، يا بيك ؟ "

" كلا أشكرك " .

أحست أن مزاجهما لا يسمح بمزاحها الآن ، فتركتهما لشأنهما .

قال كريس : " خلال العمل ، أليس كذلك ؟ "

أومأ بيك برأسه في وجوم .

" يا ربي ، هذا ما كان ينقصنا الآن " .

" لهذا أشعر وكأنما هذا اليوم قد طال آلاف السنين " . ثم أخبره بيك عما حدث ، بعدها أضاف : " لقد طارت المروحية قبل دقائق من مكالمتي لك . لم يسمحوا لزوجته بأن ترافقه جواً . ولكنّ أخاه يوصلها بالسيارة إلى نيو أورليانز الآن " .

لم يذكر له أن زوجته قد بصقت عليه . فما فائدة هذا سوى أنه سيثير مقت كريس عليها ؟ ولم يكن بيك يرغب في هذا . فلقد تعاطف مع ما أصابها من جزع وقلق .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فهى مع غضبها هذا ، كانت تفكر فيما ستخلفه تلك الليلة من آثار على عائلتها . فقد لا ينجو زوجها . ولو نجا ، فلن يعود كما كان . فمستقبل رزقهم أصبح على المحك . فلقد غيرت هذه الليلة من حياتهم للأبد . فلا عجب أنها قد شعرت باحتقار لكلامه الذى لا طائل من ورائه ، وللمال ، ولمن قدم لها هذا وذاك .

فحاول أن يلملم ما تبقى لديه من كرامة ، لينهض ويمسح وجهه بمنديل ، ثم يبتعد عنها وأطفالها . وقد روع فريد ديكلويت بتصرفها هذا . إلا أن بيك قال له حينما هم بالاعتذار له : " لا حاجة بك إلى الاعتذار عنها ، يا فريد ... فهى خائفة وغاضبة " .

قال ديكلويت : " كل ما أريده منك يا سيد ميرشانت أن تعرف أن معظمنا لا يشاركها رأيها . فلا أود أن يرى آل هويل أننا جاحدون لما تقدمونه لنا عند حدوث أمر كهذا " .

فطمأنه بيك أنه سينسى ما حدث . لذا لم يرغب فى أن يخبر كريس بذلك .

أكمل بيك حديثه قائلاً : " سيخضع بيلى لجراحة ، إلا أن طبيب الطوارئ أخبرنى بأن نراعه متهتكة جدا ، والعناية الإلهية وحدها هى القادرة على إنجاح تلك الجراحة ، بل وأن تتمكن الذراع من الحركة أصلاً ، وأن من الأفضل لبيلى ألا يجروا هذه الجراحة " .

توقف ليأخذ رشفة من القهوة وتطلع إلى زبون آخر يدلف إلى المكان . كان سلاب واتكينز هو هذا الزبون ، وعلى وجهه نفس ملامح الليلة الماضية من جرأة ووقاحة . قال سلاب : " هل هو مستأجر لهذا المكان أم ماذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تابع بيك النظر إلى سلاب وهو يقف عند الباب ليتطلع فيما حوله . ولما رآه هو وكريس ، اختلج وجهه وكأنما قد اندهش لرؤيتهما هنا .

قال كريس في استرخاء : " أهلاً أهلاً ، سلاب واتكينز . مر وقت طويل منذ آخر مرة رأيتك فيها . ما أخبار السجن ؟ "

نظر سلاب إليه وإلى بيك ، ثم قال لكريس : " أى شيء أفضل من العمل في مسبككم " .

" أرى مع تصرفاتك هذه أن قرار أخى بعدم قبولك فى العمل كان قراراً موفقاً " .

" بمناسبة الحديث عن أخيك ... " . كانت تلك الابتسامة المصاحبة لكلامه تثير القشعريرة في بيك . " فإنى متيقن من أنه قد لاقى جزاءه في الجحيم الآن " . ثم أخذ يشتم الهواء من حوله في عمق وهو يضيف : " بالتأكيد . فيوسعى أن أشم رائحة جثته تحترق من هنا " .

هم كريس بالنهوض حتى يهجم عليه ، إلا أن بيك أوقف حركته بيده على ذراعه . " هذا ما يريد منك أن تفعله . فدعه وشأنه " .

قال سلاب وهو يحدق إلى بيك : " نصيحة جيدة ، يا ميرشانت . ألم تنجح حتى الآن في أن تصل إلى مرادك سن أخته ؟ وهى على ما هى عليه من غواية ؟ "

كان مكوث بيك في صمت هذه المرة يتطلب منه رباطة جأش قوية .

اقتربت المضيفة من سلاب وهى تقول : " لن أسمح بمثل هذا الكلام القذر هنا . فلو كنت تريد شيئاً تأكله أو تشربه ، فعليك أن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تجد لنفسك مكاناً وتجلس إليه " . وناولته قائمة الأطعمة والمشروبات .

نحاها سلاب جانباً وهو يقول : " لا أريد شيئاً آكله أو أشربه " .

" فلماذا أتيت إلى هنا إذن ؟ "

" ليس هذا من شأنك ، ولكنى جئت لألتقى شريكاً لى لنتحدث فى بعض الأعمال " .

بقيت تحدق إليه فى تحد وهى تضع يديها على خصرها ، وترمق ملابسه الرثة . كان الوشم يغطى ذراعيه العاريتين . جميعها تحمل رموزاً شهوانية ، بل إن بعضها فج لدرجة كبيرة . كان من الواضح أنها من أعمال هواة .

قالت المضيفة : " أنا أرى أنك ترتدى أفضل الملابس المناسبة لاجتماع عمل مهم . إلا أن من المؤسف أنه لا يوجد مكان هنا لمثل هذه الاجتماعات . فعليك أن تطلب شيئاً أو تنصرف " .

قال كريس فى ضيق : " فكرة جيدة " .

نظر سلاب إليهما فى حقد : " زوج من الشواذ . حتى أن المرء لا يدرى أياً منهما يلعب دور العاهرة " . ثم دار على عقبيه وخرج من المكان .

راقباه عبر النافذة وهو يستقل دراجته النارية وينطلق بها فى سرعة من موقف السيارات .

قال كريس : " أخبرتك بأنه مصدر مشاكل ، يا بيك " .

" هناك مشكلة يحتمل أن تقع " .

" أو وقعت بالفعل . هل سمعت ما قاله عن المسبك ؟ وهل رأيت رد فعله حينما ذكرت دانى ؟ لقد اختلج وجهه الوقح لجزء من الثانية . أرى أن نناقش هذا الأمر مع ريد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" حسناً . في الغد . ولكننا الآن أمام مشكلة ملحة . هل تعتقد أن علينا أن ننتظر يوماً أو يومين حتى نخبر هَف ؟ "

" عن سلاب واتكينز ؟ "

قال بيك في فروغ صبر : " بل عن بيلي بوليك ، يا كريس " .

" لقد أصيب الرجل بعاهة مستديمة داخل مسبككم هذه الليلة . ولديه خمسة أولاد صغار . وقد عمل لدى شركات هوبل منذ أن كان في السابعة عشرة من عمره . كما أننا لن نجد له عملاً مناسباً وهو بذراع واحدة . فما الذي علينا أن نقوم به الآن ؟ "

" لا أعرف . ولماذا أنت غاضب مني ؟ فلست أنا من أقحم ذراعه داخل الماكينة . وكون أنه يعمل لدينا منذ أن كان صبياً ، يعني أنه على دراية بالمخاطر وكان عليه أن يبقى متيقظاً لما يقوم به من عمل " .

" كان بيلي يحاول إصلاح عطل بسيط بينما كان الناقل يعمل " .

" لقد قام من تلقاء نفسه بإصلاح عطل ليس متخصصاً في إصلاحه " .

" كان الأمر لا يحتمل التأخير . لقد كان يضع في اعتباره ألا يتوقف الإنتاج ، وليس أمنه الشخصي ، فهذا ما أمرناهم بأن يفكروا فيه . وكان من اللازم إيقاف الماكينة قبل أن يعمل على إصلاحها أحد " .

" تناقش في هذا مع جورج روبسون . فهو المشرف على الأمان . ويضع معايير وشروط إيقاف الماكينات " .

" إن جورج لا يفعل إلا ما تأمرانه به " .

عاد كريس بظهره إلى الوراء وهو يتطلع إليه : " من الذي تنحاز إلى جانبه الآن ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

عاد بيك ليستند بمرفقيه على الطاولة ، ويضغط بإبهاميه على عينيه المجهدتين . قال فى هدوء : " أنت لم تر دماءه . . " .

مضت لحظات قبل أن ينحى يديه عن وجهه وهو يضيف : " لقد قال لى فريد ديكلويت إن بيلى كان يدير تلك الماكينة هذه الليلة بدلاً من عامل فى إجازة . كما قال إنه كان من الممكن أن يترك الماكينة متعطلة إلا أنه لم يرتض هذا " .

بدا وجه كريس بشوشاً بعد هذا الكلام وهو يقول : " أرأيت ؟ نحن بعيدون عن أى لوم إذن " .

تعجب بيك من قدرة كريس على الابتسام فى مثل هذا الموقف ، فتنهد وهو يقول : " أجل ، هذا صحيح " .

قال كريس : " سيتم دفع تكاليف علاجه من خلال التأمين المهنى . لهذا ندفع لهم تلك الأقساط " .

أوما بيك برأسه ، وهو يقرر ألا يخبره بتهديدات إليشيا بوليك . فسوف يدخر هذا لحوار آخر . فربما بعد أن تفكر السيدة بوليك فى الأمر ، ولما تدرك فداحة فاتورة العلاج ، ربما تغير رأيها وتختار أسهل الخيارين المتاحين لها ، وهو أن تقدم دعوى تأمينية ، وبالتالى تخسر حقها فى مقاضاة شركات هويل .

" اسمعنى ، يا بيك ، أعرف أنك حزين لما حدث . وعليك أن تحزن ، ولكن ما الذى بيدنا أن نفعله ؟ "

" بوسعنا أن نرسل له باقة زهور إلى غرفته بالمستشفى " .

" بالتأكيد " .

ضحك بيك ، ولكن ليس بدافع الدعابة بل السخرية منه . حيث إن كريس لم يفهم المعنى الساخر المضمر لهذه العبارة ، فقال بيك : " سوف أعتنى بهذا الأمر " .

قال كريس : " هل تعتقد أنك قادر على إخفائه عن وسائل الإعلام ؟ "

رد وهو يتذكر وعيد السيدة بوليك : " سأبذل قصارى جهدى " .

أنهى كريس قدح قهوته وهو يقول : " هذا ما تفعله دائماً . لقد نلت كفايتى . كأنما لا يكفينى أن أستجوب من قبل المأمور وأن يتعرض هَف لنوبة قلبية ، بل كذلك أن تكون ليلى فى أوج تألقها هذه الليلة " .

" كيف خدعتما جورج ؟ "

" أخبرته بأنها تزور صديقة مريضة " .

" وهل اقتنع بهذه الحجة ؟ "

" إنه سهل الانقياد لها . كما أنه لا يستطيع أن يكذبها خاصة وهو غير قادر على إشباع رغباتها " .

" هو بالكاد قادر على أن يكون مدير الأمان بالمصانع " . قالها بيك وهو ينهض بصحبة كريس ويتجهان صوب الباب .

وقبل أن يفترقا داخل موقف السيارات ، سأله كريس : " هل تعتقد أنه سيكون على ما يرام ؟ "

" لن يكون على ما يرام بالتأكيد ، ففقدانه لذرا ... " .

" ليس بوليك . بل هَف " .

" أوه " . لقد أخبرته ساير بأنه يمارس إحدى ألعابه المريضة حينما خدعها لتحضر إليه وهو على " فراش الموت " . كان أمراً معتاداً من هَف . لذا وجد نفسه يخبر كريس فى ثقة : " أجل . أعتقد أنه سيكون بخير " .

قال له كريس وهو يقلب الأمر فى ذهنه بينما تتقلب سلسلة المفاتيح فى راحة يده : " أتدرى ما أخبرنى به اليوم ؟ أعتقد أنه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان يشعر بالسكينة ، وهو على شفا الموت . لقد كان واهى العواطف بعض الشيء ، إلا أنه كان صادقاً . قال إنه لا يعلم ما قد يحدث له من دون ولديه . فذكرته بأنه قد فقد دانى بالفعل . إلا أنه كان يقصدك أنت معى . قال : " إن بيك أخ آخر لك " .

" إننى ممتن لهذا " .

" ليس عليك هذا . فكونك ابناً لـ " هَف " هويل أمر كفيل بجلب بعض المتاعب لك " .

" من قبيل ماذا ؟ "

" كأن تكون أنت من عليه أن يخبره بأمر بيلى بوليك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل السادس عشر

" هل جيسيكا ديبلانس موجودة ؟ " قالتها ساير فى همس يتناسب مع وجودها داخل المكتبة .

ردت عليها السيدة ذات الشعر الأبيض الجالسة إلى مكتبها فى ابتسام : " جيسيكا موجودة اليوم ، لكنها خرجت لتحضر بعض المخبوزات " .

" فهل ستعود إلى هنا إنن ؟ "

" لن تتأخر أكثر من خمس دقائق " .

توجهت ساير إلى صالة القراءة حيث تطل نافذة هناك على ساحة صغيرة مغطاة بالأشجار . كانت العصافير ترفرف بأجنحتها فوق نافورة وسط المياه الضحلة . بينما كانت شجيرات الهيدرانجيا محملة ببراعم زرقاء ووردية كبيرة يكاد حجمها يقارب حجم البالونات . وقد علقت بالجدار الحجرى الخارجى كرمات عنب وحشائش بحر . كان هدوء المكان يبعث على التفاؤل .

لم تكن قد تمتعت بلحظة من صفاء البال منذ أن طردت بيك ميرشانت من غرفتها بالفندق الليلة الماضية .

كان يهمس لها : " كاذبة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لقد علقت هذه الكلمة التي تدينها داخل عقلها لكونها صادقة . كانت تنكر حدسها بأن شيئاً كالذى حدث يمكن أن يحدث بينهما . كما أنكرت أنها كانت ترغب فى حدوثه . إلا أنه نفى كل هذا الإنكار بكلمة واحدة : " كانبة " .

كانت تتردد في عقلها الآن كما كانت طيلة الليلة الماضية ، حتى أثناء نومها المتقطع . استيقظت وهى لا تزال تشعر بالامتهان ، لا تزال حانقة عليه ، إلا أنها كانت ساخطة أكثر من نفسها . وكان هو يعرف هذا أيضاً .

فوصف الكانبة هذا ينطبق عليها كذلك بطريقة لم يكن بيك ليعرفها أو حتى يتوقعها . فلقد عللت سبب بقائها فى ديستينى بأنه التزام منها تجاه والدتها ، وكرغبة فى أن ترى درجة تورط كريس فى موت دانى . إلا أن السبب الخفى كان ضميرها المعذب . فلقد تجاهلت دانى ومكالماته التى كانت قبيل وفاته . فكان شعورها بالذنب قوى الحضور ، لم يسعها أن تهرب منه . وهو ما أتى بها إلى المكتبة هذا الصباح .

" ساير ؟ "

نظرت لتجد جيسيكا ديبلانس واقفة إلى جوار مقعدها .

" يبدو أننى قد اعتدت أن أقطع عليك خلوتك " ، قالتها بنبرة اعتذار عن إفزاعها .

" إنه خطئى أنا فى المرتين . فعقلى مشغول بأمور جمة " .

" لقد فوجئت لرؤيتك هنا . فقد ظننت أنكِ قد غادرت البلدة بالأمس " .

" لقد غيرت رأيى . وقد حاولت أن أهاتفك بالمنزل هذا الصباح . وكذلك اتصلت بهاتفك المحمول . وحينما لم أستطع أن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أصل إليكِ تذكرت أنكِ كنتِ قد التقيتى دانى بالمكتبة . فأحببت أن يوسعى أن أجدك هنا " .

" لقد عرفت بإصابة السيد هويل بنوبة قلبية . فهل هذا هو سبب بقائك ؟ "

" هذا و ... " ، توقفت بغتة وهى تتطلع إلى زوار المكتبة حولها . " هل هناك مكان يمكننا أن نتحدث فيه وحدنا ؟ "

قادتها جيسيكا إلى غرفة عمل مزدحمة بالكتب ، بعضها داخل صناديق ، وبعضها متكومة فى غير ترتيب على الأرضية والطاولات الموجودة بالمكان . " هذه تبرعات " ، قالتها لها وهى تزيح كومة من الكتب من على مقعد وتدعوها إلى الجلوس . " يجد كثير من الناس مشكلة فى تخزين وتصنيف الكتب ، لذا أتطوع لعمل كهذا . ومازلت أجد لذة فى تنفس عبق الكتب القديمة حتى ونحن فى عصر الكمبيوتر " .

" كذلك أنا " .

تبادلا الابتسامة وجيسيكا تجلس إلى مقعد ذى ذراعين . " هل لكِ فى تناول فطيرة ساخنة مع بعض القهوة ؟ "

" كلا ، أشكرك " .

" جميع من كانوا فى المخبز يتحدثون عن السيد هويل . هل حالته خطرة ؟ "

" أخبرتنا الفحوصات الأولية أنه سيكون بخير " ، صمتت ثم تابعت كلامها : " لقد حدث بالأمس شىء أود أن أتحدث عنه معكِ . إننى لا أعلم مدى أهميته ، إلا أنه كان أحد الأسباب التى دعتنى إلى البقاء وتأجيل سفرى " .

" ما الذى حدث ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد استجوب المأمور هاربر والمحقق سكوت أخى كريس بخصوص موت دانى " . حكت لها ما كان بيك قد أخبرها به وسط ذهول جيسيكا . " لا يتعلق الأمر سوى بعلبة ثقاب . وكما أخبرنى بيك ، فإن بوسع أى محامى دفاع أن يثير عشرات الشكوك حول الوسيلة التى وصلت بها إلى كابينة الصيد من دون صلة لـ " كريس " بهذا . فهى لا تثبت أى شىء " .

" إلا أنها كانت كافية لدفع إدارة المأمور إلى الشك فى أن كريس كان هناك مع دانى تلك الظهيرة " .

" دفعتنى كذلك للشك ، يا جيسيكا . هل لكِ معرفة بأى خلاف كان قائماً بينهما فى الفترة الأخيرة ؟ "

" ومنذ متى لم يكن بينهما خلاف ؟ فشخصيتهما واهتماماتهما مختلفان كلية ؛ فلقد كان دانى يعلم أن كريس طفل هَف المدلل ، إلا أنه كان قانعاً بهذا . كريس صورة طبق الأصل من هَف . أما دانى فلا . وكان يعرف هذه الحقيقة ، ويتقبلها ، بل ويرتاح لها . فلم تكن لديه رغبة فى أن يكون أياً منهما " .

" هل كان يحاول أن ينال اهتمام هَف ؟ "

" ليس بشكل تنافسى . فلم يكن يبدو عليه اهتمام بهذا . ولم يكن يغار من كريس إن كان هذا ما تعنينه " .

" وهل كان كريس يغار من دانى ؟ "

دهشت جيسيكا للسؤال فضحكت : " وما الذى سيجعله يغار منه بحق السماء ؟ "

" لا أعرف . إننى أحاول الوصول إلى أى شىء " . نهضت ساير متجهة نحو النافذة ، والتى كانت تطل من زاوية أخرى على منظر الساحة الجميل . كانت العصافير قد طارت ، وحل محلها طنين النحل حول البراعم الوردية فوق زهرة شجيرة الشارون . بينما

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

زحفت دودة سوداء ضخمة فوق الأرضية المبلطة . " إننى لا أعلم شيئاً عما أبحث عنه ، جيميكا . فظننت أن دانى يمكن أن يكون قد حكى لكِ شيئاً عن خلاف قريب بينهما " .

" إن كريس يواعد امرأة متزوجة . ولم يكن دانى راضياً عن هذا . ولكننى أعلم ـ من خلال ما كان يحكيه عن أخيه ـ أن الخيانة الزوجية طبع فى كريس . إنهما على طرفى نقيض من الناحية الأخلاقية . وهناك ما يقول لى ... " .

توقفت عن الكلام بغتة ، فالتفتت ساير بعيداً عن النافذة لتنظر إليها : " يقول لكِ ماذا ؟ "

" إنه مجرد شعور . لا يمكننى التأكد منه " .

عادت ساير إلى مقعدها وهى تميل ناحية الفتاة . " أنتِ تعرفين دانى بشكل أفضل منا جميعا . بل بأكثر مما يعرف هو نفسه . فلو كان لديك إحساس ما تجاه شىء ، فإنى أثق فى ذلك الإحساس " .

" إن الشىء الذى كان يثقل على دانى ... " .

" هل تعتقدين أن له صلة بكريس ؟ "

" ليس بالأخص . فلم يكن بينهما ذلك الرابط القوى " .

" إنهما يعيشان فى المنزل نفسه " .

" إنهما مشتركان فى نفس العنوان إلا أن الوقت الذى يجمع بينهما كان قليلا . وحينما يحدث هذا ، كان فى وجود هَف وغالبًا بيك ميرشانت أيضاً . كانا يتقابلان فى العمل ، طبعاً ، إلا أن مسئولياتهما مختلفة ومديرهما هو هَف ، ولا يتبادلان الحديث فى شئون العمل مع بعضهما البعض .

" إن اهتماماتهما الاجتماعية مختلفة ، وخاصةً بعد اهتمامات دانى الدينية " . توقفت عن الكلام ثم تابعت : " وأعتقد أن هذا هو ما كان يشغل بال دانى . فلقد كان يكابد هموماً روحانية " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" من قبيل ماذا ؟ "

" ليتنى أعلم ، وبالأخص لو كان هذا هو سبب موته . كنت أكره أن أراه فى حالة الضياع الروحانى تلك وكنت أشجعه على أن يناقش ما يدور بعقله معى ، أو مع واعظنا ، أو مع من يثق به . إلا أنه رفض . لم يكن يقول سوى أنه لا يمكن أن يصل للدرجة التى كان يصبو إليها " .

قالت ساير : " كان ضميره يعذبه " .

أومأت جيسيكا برأسها موافقة . " قلت له إنه ليس هناك أثم أو معصية لا يغفرها الرب . فسخر منى قائلاً إن الرب لم يحاسب آل هويل بعد " .

" تجدين أنه لم يكن متصالحاً مع نفسه ؟ " كانت ساير تأمل بعد أن رفضت أن ترد على مكالماته فى أن يكون دانى قد وجد أننا تصغى إليه فى مكان ما ، وأن هناك من أعطاه المشورة . إلا أن جيسيكا حطمت الآن هذا الأمل البائس بإيماءة نفى من رأسها .

قالت جيسيكا : " لا أعتقد أنه كان قادراً على التصالح معها . كم حزنت ، لأنه قد مات من دون أن يتصالح مع نفسه " .

قالت ساير : " ربما تصالح مع نفسه فى النهاية " ، كانت لاتزال تتشبث بذلك الأمل البائس .

نظرت جيسيكا إلى ساير بابتسامة رقيقة . " أشكرك على هذا الكلام ، لكننى لا أعتقد أن هذا ما حدث . فكلما تحدثنا عن الزواج وعن مستقبلنا ، زاد استغراقاً فى هذه المشكلة . هناك شىء أود أن أقوله ، ولكن ... " .

" أرجو أن تقولى ما تفكرين فيه " .

" حسناً ، لقد كان منشغلاً دوماً بظروف العمل داخل المسبك . كان خجلاً من سمعة المكان ، وكونه ينتهك معايير السلامة

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

المهنية ، وغير ذلك من معايير . إلا أنه كان عليه أن يعين العمال ليعملوا فى تلك الظروف ، ويضعهم فى أماكن يعرف بخطورتها عليهم ومع القليل من التدريب فقط . ربما لم يمكنه أن يحيا بهذا العبء النفسى أكثر من هذا " .

قرعت السيدة التى كانت تجلس إلى مكتبها الباب ، وبعد أن اعتذرت عن مقاطعتهما أخبرت جيسيكا أن فصل رياض الأطفال قد حانت ساعة استماعهم إلى القصة . حوالى العشرين من الصغيرات يسألن عن العمة جيسيكا . . . ولا نستطيع أن نبقيهم هادئين أطول من هذا " .

سألت ساير جيسيكا أن تسدى لها معروفاً وهما تغادران الغرفة ، فقالت جيسيكا : " سوف أبذل جهدى لأجل أن نعرف ما حدث لدانى . هل تحتاجين شيئاً ؟ "

قالت ساير : " هل تعرفين أياً ممن يعملون فى دار القضاء ؟ "

كان الجو العام أشبه بأرضية المصنع فى كآبتها وظلمتها .

تبين بيك هذا فور أن خطا تجاه الناقل الذى سبب تلك الحادثة المؤلمة ليلة أمس . كان كل عامل منهمكاً فى عمله ، ولكن من دون حماس وفى صمت مطبق . لم ينظر إليه أحد ، إلا أنه كان يشعر بنظرات كراهية تسدد إلى ظهره .

كان جورج روبسون وفريد ديكلويت يتناقشان إلى جوار الماكينة إلى أن فوجئا بانضمام بيك إليهما . فقال له فريد : " صباح الخير ، يا سيد ميرشانت " .

" صباح الخير يا فريد ، صباح الخير يا جورج " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هز جورج رأسه الأصلع فى أسف وهو يقول : " يا لـه من أمر مؤلم " . ثم مسح عنها العرق بمنديل وهو يكرر : " يا لـه من أمر مؤلم " .

كان بيك ينظر إلى الأرضية القذرة . من المؤكد أنه قد كانت هنا بقعة كبيرة من الدماء فى نفس المكان الذى يقف فيه ، إلا أن أحدهم عمل على محوها قبل حضور عمال وردية الصباح .

قال فريد وكأنما يقرأ أفكاره : " لقد تولينا أمر ما تخلف من فوضى . . . فهى كفيلة بكسر روح العمال . ولا جدوى من تذكيرهم بما حدث " .

بادر جورج : " ربما كان من الأفضل أن يتذكروا . حتى يصبحوا أكثر حذراً . فينعدم الإهمال بينهم " .

اقترب بيك من الماكينة وهو يتفادى الرد على هذا الغبى عديم الإحساس . ثم قال لفريد : " أرنى ما حدث " .

قال جورج : " لقد قص لك ما حدث بالفعل " .

" أنا أود أن أراه بنفسى ، يا جورج . وسيرغب هَف فى معرفة التفاصيل " .

لاحظ أن جورج قد بقى على مسافة منهما وفريد يشير إلى السير المعطوب ويشرح ما حل به من عطل حينما حاول بوليك أن يصلحه . أخبره فريد : " سيحضر فى الغد من يصلح هذا العطل " .

فقال جورج : " لقد توليت هذا الأمر مبكراً هذا الصباح " .

تطلع بيك إلى المواسير التى تتحرك مع الناقلات التى تهتز من فوقهم وقال : " هل ستكون آمنة عندما تعود إلى العمل ؟ " كان يوجه السؤال إلى ملاحظ العمال ، لكن جورج أجابه عنه .

" أرى أنها ستكون آمنة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم يكن فريد على نفس درجة ثقة جورج هنه ، إلا أنه أومأ قائلا : " يعتقد السيد روبسون هذا ، وهو أدرى بذلك " .

تردد بيك ، ثم قال : " حسناً . ولكن عليك أن تتأكد من أن الجميع هنا يعلمون بما حدث وأن تحذروهم ... " .

" نعم . . . إنهم يعلمون بالفعل ، يا سيد ميرشانت . مثل هذه الأمور لا تبقى سرا " .

كان هذا طبيعياً . فأومأ بيك برأسه إلى جورج روبسون في سرعة ، ثم استدار وعاد من حيث أتى . كان قميصه ملتصقا بظهره . كان يشعر بقطرات كثيفة من العرق تنساب على أضلاعه . إنه لم يبق داخل المصنع سوى خمس دقائق ومع هذا فقد كان يتصبب عرقاً . ورئتاه تجاهدان لكي تتنفسا الهواء الساخن الذى يستنشقه . إن هؤلاء العمال يصبرون على هذا الجحيم ثماني ساعات يوميا ، هذا إن لم يعملوا لوردية مضاعفة .

بينما كان يعبر إلى جوار الماكينة ذات الصليب الأبيض الذى يميزها . توقف ، وهو يتساءل ما إذا كان جورج روبسون قد توقف ليسأل نفسه عما يرمز إليه هذا الصليب . أو أنه قد لاحظه من الأصل . أما ساير فقد انتبهت إليه من أول مرة .

تمهل بيك في مشيته حتى توقف تماماً . أخذ يتأمل في هذا الرمز لبضع ثوان ويفكر في المأساة التي يرمز إليها . ثم اختلج وجهه وهو يدور على عقبيه ليعود إلى فريد ديكلويت ومدير الأمان .

حرك هَف شفتيه وكأنما يحيط بهما سيجارة وهو يقول : " يا ربي ، هذا خبر مهم . . . سوف تهرع وسائل الإعلام إلى المصنع تماماً كآخر مرة حدثت فيها مثل هذه الحادثة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال كريس عبر الغرفة بقسم العناية المركزة : " كان من المفروض أن ينتظر بيك لبضعة أيام قبل أن يخبرك بالأمر " .

غمغم هَف في سخط : " بالطبع كان عليه أن يخبرني . بل كان عليه أن يخبرني الليلة الماضية ، لا أن ينتظر حتى الصباح . إنه مسبكي أنا . وهو يحمل اسمي . أم كنت تفضل أن أقرأ عنه في الصحف ؟ أو أن أسمع عنه في نشرة أنباء الخامسة ؟ كان على أن أعلم ، وبيك يدرك هذا " .

لاحظ كريس أن بيك قد ظل صامتاً طيلة حديث هَف المتبجح عن نبأ حادثة بيلي بوليك . ومع أنه كان على بيك أن يخبر هَف بهذا النبأ السيئ ، إلا أن هَف لم يسخط لما فعله بيك . بل لاقى بيك على هذا الاستحسان والثقة ، وكان كريس يجد في هذا ما لا يروق له .

قال هَف : " ستكون تكلفة علاج بيلي باهظة . وستزيد قيمة الأقساط التأمينية التي ندفعها " .

تحدث بيك للمرة الأولى قائلاً : " قد لا تتقدم السيدة بوليك بدعوى للحصول على التأمين . لقد أخبرتني بأنها لن تفعل هذا " .

أصاب السخط هَف . فهو يعلم كما يعلم كريس ما يعنيه أن ترفض إليشيا بوليك أن تتقدم بدعوى للحصول على التأمين من ضرر بسمعة شركات هويل . وقد كان كريس منزعجاً من طرح بيك هذا الأمر الآن عليهما فقال : " لماذا لم تخبرني بهذا في الليلة الماضية " .

" أنت لم تسألني " .

" لم يكن على أن أسألك ، وأنا ممتعض من كونك قد أخفيته عني " .

" لقد كان كلانا مرهقاً ، يا كريس . فقد كان يوماً حافلاً . ولم أكن أرغب في استرجاع أحداثه مرة أخرى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قطع هَف جدالهما : " هل تعتقد أنها تنتوى مقاضاتنا ، بيك ؟ "

" هذا ما قالته لى الليلة الماضية . ربما تكون قد غيرت رأيها الآن . وهذا ما آمله " .

" لو أنها قاضتنا ، كم تعتقد أننا سندفع من مال ؟ "

" من المبكر أن نحدد هذا . فلن يمكن لإدارة الحسابات أن تبدأ فى تقدير قيمة تكاليف علاج بيلى إلا بعد أن يرجعوا إلى الأطباء والمستشفى ، وحتى مع هذا فلن يحددوا التكاليف فى وقت قصير . ففترة تعافيه ستطول . كما أن هناك إعادة تأهيل ، وجراحة تعويضية " .

" لا يتوجب أن تكون تلك الجراحة لتركيب نراع صناعية من طراز رولز رويس ، أليس كذلك ؟ " قالها كريس وهو يضيف بعد أن أحس بأن سخريته لم تلق أذناً صاغية : " ألا يكفى أن تكون من طراز فورد ؟ " يبدو أن الجميع من حوله قد فقدوا حس الدعابة .

تابع بيك كلامه : " وبخلاف التكاليف الطبية ، فإنى أرى أن من الممكن أن نتوقع من السيدة بوليك أن تذكر أموراً لا يمكننا حصرها ، ومنها ما حل بالعائلة من ألم ومعاناة ، وفقدان بيلى لدخله من جراء هذه الإعاقة . وأنا أظن أنها تخطط لمهاجمتنا من جميع الجوانب ، فمن الممكن أن تسبب لنا ضرراً هائل الفداحة " .

سأله هَف : " كم سيكلفنا إغلاق هذا الملف ؟ "

" تقصد ما يخص الإساءة لسمعتنا ؟ ستكون التكاليف باهظة كذلك . فقد وعَدَتْ أيضاً بأن تثير الأمر فى وسائل الإعلام " .

علق كريس ساخراً : " ألم تبق هناك أنباء سيئة لم تخبرنا بها بعد ؟ "

بادره بيك فى صرامة : " هو الذى سألنى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال كريس : " ليس عليك أن تلقى عليه بكل هذه الأنباء دفعة واحدة " .

نهره هَف قائلاً : " بل كنت أريد أن أعرفها مرةً واحدة . فلن يمكنك أن تتعامل مع المشكلة وأنت لا تعرف سوى نصف خلفياتها " .

لاحظ كريس أن وجنتى هَف قد احمرتا ، فقلق من أن يكون ضغط دمه قد ارتفع ، فرمق الشاشات إلى جوار الفراش . قاصداً أن يهدئ أعصاب هَف بنظرة تفاؤل . " أعتقد أننا جميعاً مبالغون فى رد فعلنا . فنحن نخشى من هجمة قد لا تحدث . فعلينا أن نتوقف لنفكر فى روية من دون أن ننساق وراء انفعالاتنا . أليس كذلك ؟ "

أومأ بيك برأسه فى جفاء . بينما غمغم هَف بما اعتبره كريس إشارة منه ليواصل كلامه .

" كما قال بيك ، فإن السيدة بوليك قد تغير رأيها . فما فعلته داخل غرفة الطوارئ لم يكن سوى رد فعل تلقائى للحادث المؤسف . ربما كانت تحاكى مشهداً رأته فى مسلسل " إى . آر " (غرفة الطوارئ) . إلا أننى أتخيل أنها الآن أهدأ . فضياء النهار كفيل بأن يكشف لها حقيقة موقفها . فتصبح أكثر استعداداً لقبول تسوية سريعة .

هذا هو الأمر الأول ، أما الأمر الثانى فهو أن بيلى بوليك كان عاملاً ممتازاً . ولم يسبب لنا أية مشكلة . فما أن يعود إلى حالته الطبيعية من جديد ، فإنه سوف يبين لزوجته أن الحادث قد كان خطأه هو وليس خطأنا . وسوف يتحرج من أن يحملنا مسئولية حادث وقع بسببه هو " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أخذ هَف يتأمل ملاحظات كريس ، ثم التفت إلى بيك : " أنت من التقى زوجته . فما الذى تستخلصه من رد فعلها ؟ هل كان مجرد حديث هيستيرى ؟ "

قال بيك : " آمل أن يكون كريس محقاً ، إلا أنك يوماً ما تتوقع منى أن أتوصل إلى أسوأ السيناريوهات . وقد كانت واضحة فيما تنتويه لنا وللمسبك خلال كلامها الليلة الماضية " .

علق هَف قائلاً : " إنها تريد الإمساك بتلابيبنا إننى " .

" أرى أن علينا أن نستعد لهذا . أو على الأقل لما هو قادم من نقد الرأى العام لنا " .

بادر كريس وهو يحاول أن يحسن من موقفه : " علينا أن ننحها جانبا إننى ، وأن نوقفها من قبل أن تبدأ ، وأن نظهر نهتنا الطيبة من خلال أن ننظم لأطفالها زيارة إلى كبرى متاجر آر إس للعب الأطفال ، وأن نضع سيارة جديدة أمام منزلهم . وما رأيكما فى أن ندفع عنهم إيجار منزلهم لمدة سنة ؟ فذلك الكوخ الذى يعيشون فيه لا يمكن أن يكون باهظ الإيجار " .

قال هَف : " نحن نمتلك هذا الكوخ كما تسميه . فهو أحد المنازل التى خصصناها للعمال " .

" والأفضل أن نقوم بطلائه وترميمه ، وأن نلحق بباحته مكاناً للشواء . وبعدها أراهنكما أن السيدة بوليك ستفكر مرتين قبل أن ترفع دعوى ضدنا . وخاصة لو أنها شكت فى كونها ستخسرها وعليك يا بيك أن تستخدم مصطلحاتك القانونية حتى تقنعها بأنها ستخسرها لا محالة ، وإلا فهى ستغامر بالطرد من منزلها الذى تم ترميمه وفقدان السيارة الجديدة وكل ما تحصلت عليه منا " .

نظر هَف إلى بيك : " ما رأيك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال بيك : " الأمر يستحق المحاولة كما أرى . سوف أعمل على أن يقوم أحد الموظفين بتنفيذ ما اتفقنا عليه كبادرة طيبة وسنبدأ بالسيارة " .

قال كريس : " ولكى ننفى عنا أى التزام تجاه ظروف العمل غير الآمنة ، فسوف آمر بغلق ذلك الناقل حتى يعاد إصلاحه " .

قال بيك : " لقد تم إغلاقه بالفعل " .

التفت كريس إلى بيك قائلاً : " منذ متى ؟ "

" منذ ساعة " .

" وبأمر من ؟ "

" أمرى أنا " .

شعر كريس بغضب شديد . فقد كان هو مدير التشغيل ، إلا أن من الواضح أن بيك لم يعد يلقى بالاً للمناصب .

قال بيك : " معذرة لو أنى قد تخطيت حدودى ، يا كريس ، إلا أننى ذهبت إلى المصنع هذا الصباح حتى أقيم الوضع " .

قال كريس : " هذه وظيفة جورج روبسون " .

أجابه بيك : " لقد كان هناك ، ولكنه لم يكن يدرى ما عليه أن يفعله ، وجوده مثل عدمه . فأى معتوه بوسعه أن يدرك أن ذلك الناقل لا يمكن أن يعاد تشغيله . بالإضافة إلى أن عليكما أن تفكرا فى شعور العمال حينما يرون أن الماكينة قد عادت للعمل وكأن شيئاً لم يكن وكأنما لم يحدث شىء لـ " بيلى بوليك " . لقد كان جورج أجبن أو أغبى من أن يتخذ قرارا كهذا ، لذا قررت أن آخذه بنفسى " .

أومأ كريس برأسه فى عناد : " أنا متيقن من أنك كنت تتصرف نيابة عنى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هذا لأنك هنا مع هَف . وقد أوضحت لجورج وللجميع بأننى أتصرف نيابةً عنك " ، ثم نظر إلى ساعته وهو يضيف : " لقد طال وقت ابتعادى عنهم الآن . والروح المعنوية هناك فى الحضيض . فعلينا أن نكون واضحين بقدر الإمكان . وأنا استأذنكما فى أن أنشر مذكرة عبر أرجاء المصنع ، تعبر عن أسف الإدارة عما حدث لبيلى " .

رد هَف : " اعمل على هذا ، واحرص على أن تتضمن المذكرة ما سنقوم به تجاه عائلته " .

ابتسم بيك وهو ينظر إليه قائلاً : " بالطبع . من الغريب أن يحدث أمر كهذا فى أسوأ توقيت ، بعد موت دانى مباشرة . فأتمنى ألا تؤثر تلك الأخبار السيئة بالسلب على صحتك . كيف حال صحتك الآن ؟ "

" أمامى يوم آخر هنا قبل أن أتمكن من العودة إلى المنزل . وهذا من باب الاحتراز فقط . وأرى أنه غير ضرورى . فالدكتور كارو يقول إنى على خير حال . هذا بعد أن عذبنى بفحوصاته وتحليلاته . كما أنه قد سحب منى الكثير من الدماء . والكثير من البول أيضاً . كل هذا لأجل أن يعرف أن ما أصاب قلبى لا يشكل خطورة .

ضحك كريس : " تبدو لى خائب الأمل ، يا هَف " .

" بل على العكس . فأنا أريد أن أعيش للأبد " . ثم نظر إلى بيك وهو يقول : " أعلم أنك لم تكن ترغب فى أن تقدم لى هذا التقرير . إلا أن هذه هى وظيفتك . . أن تجلب لى الأخبار السيئة . فلا تلم نفسك على هذا " .

أومأ بيك برأسه فى شرود .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لاحظ هَف شروده ، فسأله : " هل لا يزال هناك ما يشغل بالك ؟ "

قال بيك وهو مستغرق في أفكاره : " لو أنى فقدت ذراعى ، وبالتالى قدرتى على العمل ، فإنى لن أقنع ببضع دمُى وطلاء على جدران منزلى " ، ثم نظر إليهما وهو يضيف : " فلا زلت أرى أن علينا أن نتحسب لما هو أسوأ " .

وبعد أن انصرف ، عاد كريس ليجلس عند حافة فراش والده : " أنت تعرف بيك . إنه نذير سوء . فلا تدع تشاؤمه هذا ينال من معنوياتك " .

وكزه هَف فى فخذه بقدمه وهو يقول : " إنه يؤدى وظيفته بجدية . كما أنه يرعى مصالحنا . ويعتنى بميراثك ، يا بنى . فلا تنس هذا " .

" حسناً ، حسناً . هذا الرجل جوهرة . ولكن لا تنفعل حتى لا يرتفع ضغط دمك " .

" لم أرك ساخطاً على بيك من قبل . فما الذى حدث ؟ "

" هل من صميم وظيفته أن يأمر بغلق ماكينة معطوبة ؟ "

" هل كان يجب أن ندعها لتنال ذراع عامل آخر إنن ؟ "

" كلا ، بالطبع " .

" فقد فعل الصواب ، أليس كذلك ؟ "

" لم أقل إنه أخطأ . بل كنت لأفعل ما فعله . ولكن ، تباً ، لننس هذا الأمر . إننى متوتر بعض الشىء ليس إلا . جميعنا أسرى ضغوط شديدة هذه الأيام " .

" بمناسبة الضغوط ، هل وصلك شىء من مكتب ريد ؟ "

" ولا أية كلمة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال هَف وهو يشيح بيده : " ولا أعتقد ان هذا سيحدث . فمن الأفضل لريد أن يرسل محققه سكوت هذا لجمع الأبقار النافرة أفضل له . لا أن يدعه ينغص عليك حياتك بسبب علبة ثقاب لعينة . أهناك أخبار من المكسيك ؟ "

" من مارى بيث ؟ لم يتح لى الوقت الكافى حتى للتفكير فيها " .

" ولكن لديك الوقت الكافى لأن تعيش مغامرة عاطفية مع عاهرة جورج تلك . حتى فى الليلة الماضية " .

لم يتحرج كريس من معرفة والده بهذا ، بقدر ما كان مندهشاً من الكيفية التى علم بها الأمر . " تدهشنى شبكة معلوماتك هذه . كيف تنجح فى هذا ؟ وأنت هنا طريح فراش فى قسم العناية المركزة ؟ "

ضحك هَف ضحكة خفيفة : " سأخبرك بشىء سيبهرك . أتعرف أن أختك وبيك كانا يتناولان العشاء عند مطعم الأسماك ذاك فى الليلة الماضية ؟ ثم اصطحبها بيك إلى الفندق ، وحجز لها غرفة ، وسار معها حتى هناك ، ودلفا معا داخل الفندق " .

عندها تذكر كريس ما ارتسم على وجه بيك من مقت لسلاب واتكينز حينما أهان ساير . ولكن بيك كان من طراز الرجال القديم الذى يرى النساء جميعهن سيدات راقيات ما لم يثبت العكس . فلم يلق بالا لما ذكره هَف ولم يبد إلا قدرًا من السخرية وقال : " أنت لا توحى طبعاً بوجود علاقة رومانسية بين بيك وساير ؟ فهى تحتقره كونه واحداً منا " .

قال هَف : " فما الذى منعها عن العودة إلى سان فرانسيسكو إذن ؟ "

قال كريس : " اعتقادها أنك على شفا الموت " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ربما " . ثم شبك أصابع يديه وراء رأسه وهو يقول : " على أنه سيكون أمراً مثيراً للاهتمام لو صح ظني ، أليس كذلك ؟ "

" مانا ؟ "

" أي أن هناك بوادر شيء ما بين بيك وساير " .

" لو كنت مكانك لاندهشت . إن بيك يحب المرأة الرقيقة العذبة والمطيعة ، وهو ما لا ينطبق على ساير " .

قال هَف : " لن يصل بي الأمر إلى الاندهاش ، ولكن سيكون عليّ أن أبدأ في التفكير في الحلول البديلة لمشكلتي " .

" أية مشكلة هذه ؟ "

" أن أرى أحفاداً لي قبل أن تميتني نوبة قلبية أخرى . ولو كنت تود أن تكون أباً لهؤلاء الأحفاد فعليك أن تسعى لنيل الطلاق من مارى بيث . فلا معنى لوجودها بعد أن أصبحت عقيماً . هل هناك امرأة أخرى في حياتك ؟ ليلى ؟ "

" ليلى ؟ كلا بالطبع " .

" فعليك إذن أن تكون أذكى من أن تضيع وقتك ووقتي أيضاً عليها . هذا مجرد خاطر طرأ لي " ، ثم ضغط زر تعديل وضع الفراش . وحينما استقر أغلق عينيه .

فهم كريس ما يرمي إليه . فغادر الغرفة ، والمستشفى ، إلا أنه أخذ معه كل ما قاله له هَف ، وهو يعلم بخبرته أن والده لا يقول أي شيء اعتباطاً .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل السابع عشر

كان موقع المنزل بعيداً عن الطريق . يمكن الوصول مباشرةً إلى عتباته من خلال ممرٍ ضيق مهدته شظايا القواقع . كان سقفه متدرجاً في حدة وممتدا ليظلل مدخل المنزل . أما البوابة الأمامية فكانت في وسط الواجهة تماماً ، تغطي جانبيه نافذتان زجاجيتان طويلتان . أما الجدران الخارجية فكانت بيضاء ، وأما أفاريز النوافذ والبوابة الأمامية فكانت مطلية باللون الأخضر الداكن .

سارت ساير بسيارتها عبر الممر حتى توقفت عند العتبات الأمامية ، حيث يتاخمها أحواض من زهور الكالاديوم والجيرانيوم الأبيض . كانت النباتات مرتخية بعد نهار كان حاراً بشكل لا يطاق .

كان بيك يجلس على أرجوحة من خشب الساج عند البهو الخارجي ، وفي يده زجاجة شراب ، بينما دفن أصابع يده الثانية في شعر رقبة فريتو ممسكاً بحزامها .

حينما فتحت باب السيارة ، زمجر الكلب زمجرة خفيفة . ولكنه سرعان ما تعرف عليها حينما نزلت من السيارة لأنه هرع نحوها متقافزاً ومرحباً ، فوجدت نفسها واقعة بينه وبين سيارتها لا تستطيع الحراك .

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

صفر له بيك صفيراً حاداً ، فتراجع فريتو قليلاً . فقد بقى ملاصقاً لقدميها ، فكادت تتعثر فيه عدة مرات وهى تصعد العتبات .

لم يقف صاحبه ، ولم يقل أى شىء ، بل جلس فى مكانه ، تتبدى رزانته رغم أنه لا يرتدى سوى سروال قصير زيتونى اللون . لم يكن على وجهه أية تعبيرات ، فلم يبد إن كان متفاجئاً أو غاضباً أو غير مبال لحضورها إلى منزله ساعة راحته .

لما وصلت آخر العتبات ، توقفت . أخذ فريتو يتشمم راحة يدها حتى ربتت على قمة رأسه . إلا أنها لم تبعد عينيها عن عينى بيك طيلة هذا الوقت . إلى أن قالت فى النهاية : " أشك فى أنك تدرك مدى صعوبة أن أجبر نفسى على المجىء إلى هنا لمواجهتك " .

ارتشف رشفة من الزجاجة من دون أن ينبس ببنت شفة .

" أنا لم أرغب فى المجىء ، ولم يكن لى أن آتى إلى هنا من الأصل ، إلا أننى وجدت شيئًا يتوجب أن نتحدث فيه معاً " .

" هل تريدين أن نتحدث ؟ "

" نعم " .

" نتحدث ؟ "

" نعم " .

" فأنتِ لم تأتى إذن لاستكمال ما حدث الليلة الماضية ؟ "

تغير وجهها خجلا ، وغضباً : " أعتقد أنك لن تكون شهماً إزاء ما حدث ، أليس كذلك ؟ "

" هل تريدين منى شهامة بعد أن هددتنى بالقتل لو أننى لمستك ثانيةً ؟ ألا ترين أنكِ تبالغين فى أمانيك ؟ "

" بل هذا هو العدل ، كما أراه " .

" أنت محقة فى هذا بالفعل " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لقد افترضت أنها كلما قابلته مرة أخرى فستكون عرضة لسخريته ، لذا فهي تحاول أن تحمي موقفها . فبينما كانت ترغب في أن تتجه لسيارتها وترحل ، وهي على هذا الانفعال ، إلا أنها تحملت تحديقه إليها .

لكنه ابتسم في النهاية ابتسامة مريرة وهو يوسع لها مكاناً إلى جواره . " اجلسي . هل ترغبين في تناول شيء ؟ "

جلست إلى جواره وهي تقول : " كلا ، أشكرك " .

رمق السيارة الحمراء ذات السقف المتحرك التي أتت بها ، وعلق قائلاً : " سيارة حديثة الطراز " .

" كانت هي الباقية لدى شركة التأجير " .

" هل أتوا بها من نيو أورليانز لأجلك ؟ "

" نعم ، هذا الصباح " .

تطلع إليها ، وإلى ما ترتديه من سروال كتاني واسع وقميص حريري خفيف وقال : " المزيد من الملابس الجديدة ؟ "

" لم أحضر الكثير من الملابس من سان فرانسيسكو . كنت بحاجة إلى ملابس إضافية " .

" أنتِ مازلتي تخططين للبقاء إذن ؟ "

" هل ظننت أن ما حدث ليلة أمس يمكن أن يخيفني ؟ هل كان ليدفعني إلى الرحيل ؟ هل هذا ما دفعك إلى فعل ما فعلت ؟ "

تواصل مع عينيها بعينيه الخضراوين ، وشعرت بالحرج ... وقالت : " لماذا فعلت ذلك ؟ "

لم يكن قُربها منه سيصبح أمراً غير مريح حتى لو كان يرتدي ملابسه بالكامل . ولكنها شعرت بالضيق في وضعه هذا . كانت المفارقة أنه هو من كان نصف عارٍ ، بينما شعرت هي بالعري الكامل .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أشاحت بنظرها بعيداً عنه لتنظر إلى أشجار السرو التى تحيط بضفاف بركة بوسكوت ، والتى تخترق هذه المنطقة تماما كما هو الحال فى أرض هويل . قالت : " أتعرف أن هذا كان هو منزلنا الأول ... ؟ "

" لقد سمعت هذا من قبل " .

" عاش هَف هنا أثناء بنائه للمنزل الكبير " .

" قبل أن يتزوج والدتك " .

" أجل . ولم يرغب هَف فى أن يتحول هذا المنزل إلى أطلال ، لذا كان ميتشيل العجوز مسئولاً عن رعاية هذا المكان ، كذلك . وعند مجيئه أحياناً للقيام بعمله ، كان يدعنى ألهو إلى جواره . كنت أعمل على ترتيب المنزل من الداخل بينما يرعاه هو من الخارج . وكان هذا هو أول منزل أقوم بترتيبه وتصميم ديكوراته . فى خيالى طبعاً " .

" " أشك فى أن الديكور بالداخل سيناسب ذوقك " .

ضحكت وهى تقول : " لا تكن متأكداً من هذا . أتذكر أننى تخيلت مصباحاً مصنوعاً من البلور يتدلى من سقف حجرة المعيشة بسلسلة مزركشة ، وسجاداً شرقياً ، وجدراناً تغطيها أستار حريرية براقة . كنت أود أن أجمع بين ديكور خيمة سلطانية وقصر فرنسى " .

" أو ماخور " .

" لا أعلم ما كان عليه هذا الشىء الذى ذكرته ، إلا أن هذا هو المنظر الذى تخيلته " . ابتسمت له قبل أن ترجع ببصرها إلى صف الأشجار وقناة الماء التى تخترقها . " أتيت ذات مرة مع ميتشل العجوز عبر البحيرة . جلبنى إلى هنا فوق جذع شجرة مجوف وهو يأمرنى بألا أتحرك حتى لا ننقلب فى الماء ونصبح وليمة

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

للتماسيح . قال لى إنه يعرف أن التماسيح قابعة فى هذه المياه بالذات ، وأن بوسعها أن تبتلعنى دفعة واحدة . فقبعت فى مكانى كالفأر خوفا على حياتى . كانت مغامرة " . ابتسمت للذكرى وهى تضيف : " لم أكن أعلم أنك تعيش فى هذا المنزل إلا اليوم " .

" هل أفسد وجودى هنا ذكرياتك مع هذا المكان ؟ أو جلوسى على الأرجوحة التى صنعها لكِ ميتشل العجوز ؟ "

" إن ذكريات طفولتى قد فسدت حتى من قبل أن ألتقيك " .

ترك العبارة تمر من دون أن يعلق ، وقال : " لقد عرض هَف علىَّ أن أستخدم المنزل حينما عرض على الوظيفة . كان من المفترض أن تكون إقامة مؤقتة ، حتى أجد منزلا مستديما . إلا أنه سألنى ذات يوم عن السبب فى رغبتى فى أن أستأجر منزلا بينما فى وسعى أن أعيش هنا مجانا . سألت نفسى السؤال نفسه ، فوصلت إلى الإجابة المنطقية ، ومنذئذٍ وأنا مقيم هنا " .

" إذن فهم يمتلكونك بالفعل ، أليس كذلك ؟ "

لامست بكلماتها وترا حساسا لديه . فأنهى زجاجة الشراب ووضعها على الطاولة بجانبه ، فأحدثت صوتا نم عما يعتمل بداخله هو ثم قال : " ما الذى أتى بكِ إلى هنا ؟ "

" لقد سمعت عن الحادث الذى وقع بالمصنع الليلة الماضية ، فالجميع يتحدث عنه " .

" وما الذى يقولونه ؟ "

" إنه حادث مروع ، وأن شركات هويل مسئولة عنه مسئولية كبيرة " .

" هذا ما أتوقع منهم أن يقولوه " .

" وهل هو صحيح ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لم يمكننا إنقاذ ذراع الرجل . لقد بتروها هذه الظهيرة . ولقد أحزنني هذا جدًا " .

لم يتناقش معها فيما إذا كان الخطأ هو خطأ شركات هويل أم لا ، وكانت تشك في أن يكون قد تفادى هذا سهواً . قالت : " لقد عرفت أنك ذهبت إلى المستشفى فور أن أحضروه " .

" يبدو أن مصادرك موثوق بها " .

" وأن زوجة الرجل المصاب قد رفضت عرضك لمساعدتها " .

" توقفي عن استدراجي ، يا ساير . هل سمعت أيضاً أنها قد بصقت على وجهي ؟ هل أتيتِ إلى هنا لهذا السبب ؟ أم أتيتِ لتتفرسي ملامحي ؟ "

" كلا " .

" أم لتذكريني بأوضاع العمل الخطرة داخل المسبك ؟ "

" أنت لا تحتاج إلى تذكير ، أليس كذلك ؟ "

" لقد تم إغلاق الناقل الذي أصاب بيلي بوليك " .

" بأوامرك . لقد عرفت هذا أيضاً " .

هز كتفيه في عدم اكتراث .

" ولماذا لم يقم بهذا جورج روبسون ؟ "

" لأنه ... " .

" لأنه مجرد دمية لا تتحرك إلا بأوامر من هَف " .

قال بيك : " كما كان بالمستشفى يتعافى من نوبة قلبية ، أم أنكِ نسيت هذا ؟ "

" كيف كان رد فعله هو وكريس تجاه ما فعلت ؟ "

" لقد وافقا على قراري " .

" لا تدافع عنهما يا بيك . هل تعتقد أن تعيين جورج روبسون كمسئول عن الأمان المهني مجرد مصادفة ؟ إن هَف لا يريد لشخص

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ذى ضمير حى أو حتى تفكير سليم أن يتولى هذا المنصب . ليس جورج روبسون سوى مسمى وظيفى يستوفى ما تريده التشريعات الحكومية . فهل لديه موظفون يعملون تحت إمرته ؟ "

" عدد قليل " .

" إنها سكرتيرة واحدة فقط . وهذا هو كل فريق عمله . فليس لديه موظفون متدربون على أن يقوموا بالتفتيش الدورى ، ومن المؤكد أنه لا يقوم بذلك بنفسه . وهل لديه ميزانية ؟ بالطبع لا . والسلطات ؟ صفر " .

" إنه هو من يشرف على سلامة التشغيل " .

كانت ساير تعلم ما يعنيه بهذا . فهو يقصد أن أية ماكينة متعطلة تغلق ولا يمكن أن يعاد تشغيلها سهواً أو عمداً إلا بعد أن يقرر المشرف المسئول صلاحيتها للتشغيل . قالت : " إنه ينفذ هذا فقط لكى يتفادى الغرامات الباهظة . أهذه الإجراءات إجبارية ؟ "

اكتفى بالنظر إليها فى صمت .

قالت : " لا أظن هذا . فمن يسمى بمدير الأمان داخل شركات هويل روبسون هذا ليس سوى ديكور ، مجرد ديكور " .

" عليكِ بالانضمام إلى تشارلز نيلسون إذن " .

" من ؟ "

" لا عليك " . دفع الأرض بقدمه الحافية دفعة قوية حتى تتأرجح الأرجوحة . " لقد أتيتِ إذن للتحدث حول الحادثة ؟ "

" كلا . بل أتيت لأسألك عن شىء كان يشغل بالى " .

" على بطنى " .

" ماذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد سألتنى ذات مرة عن الكيفية التى أنام بها ليلاً . ولم أجبك وقتها . ولكنى فى العادة أنام على بطنى . وبالمناسبة ، فلاتزال دعوتى قائمة لأن تأتى وتتأكدى بنفسك " .

نهضت فوراً من على الأرجوحة . وحينما وصلت إلى عتبات المدخل ، التفتت إليه قائلة : " أعتقد أن كريس ربما يكون هو من قتل دانى . هل تريد أن تسخر من هذه الفكرة أيضا ؟ " .

نهض واقترب منها فى خطوتين واسعتين . " سيسعدكِ هذا ، أليس كذلك ؟ وسوف يبرر كراهيتك لكريس ولهف ، وسيكون نوعاً من الثأر منهما " .

" ليس الثأر ما أبحث عنه " .

" حقا ؟ "

" بالتأكيد " .

" فما الذى تبحثين عنه إذن ، يا ساير ؟ "

قالت فى تصميم : " العدالة ... كما أعتقد ، بل وآمل ، أنك بوصفك من رجالها أن يكون هذا هو مبتغاك أيضاً . على أنى أضع فى الاعتبار أنك تعيش داخل منزل مجانى تركوه لك " .

رد عليها بصفير دهشة ثم قال : " ليس لهذا الأمر أى تأثير . وعلى كل ، فلا يمكننى أن أتحدث معكِ حول هذا الأمر . فأنا المحامى الخاص بهما " .

" أنت لست بمحامى جرائم قتل " .

" لا يحتاج كريس إلى أحدهم " .

" هل أنت واثق من هذا ؟ "

ثبتت عينيها على عينيه . وكان هو أول من أبعد عينيه ، ومرر يده خلال شعره وأشار إليها أن تعود للجلوس على الأرجوحة . إلا أنها بقيت فى مكانها ، فى حين عاد هو للجلوس إليها وقال :

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" حسناً ، يا ساير ، لنتحدث . ولكني لا أعد بأن أقول أى شيء ، ولكنني سأصغي إليك " .

كانت تريد إجابة عن مسألة شغلت بالها ، إلا أنه كان يؤدى واجبه كمحام لهما ، كما أنها قد وعدت جيسيكا ديبلانس بألا تكشف سرها . فاستغرقت لحظات رتبت فيها أفكارها ، ثم سألته : " ألم يكن هناك خلاف في الأيام الأخيرة بين كريس ودانى حول شيء ما ؟ "

" حول شيء ما ؟ أنت بالفعل غريبة عنهما . فهما كانا يتشاجران على كل شيء . بدءاً من الرواتب التى نحددها للعامل الجديد وحتى فريق كرة القدم ، بل وحول أفضلية كوكا كولا على بيبسى " .

" أنا لا أتحدث عن المشاحنات الصغيرة . فتلك أمور تدور حول ما يفضله أحدهما ولا يفضله الآخر ، إنما ما أعنيه هو جدال متكرر حول أمر مصيرى " .

رد من دون تردد : " لو كنت تعنين تدين دانى . فإنى أقول إنه قد تجادل مع كريس حوله فى النادى خلال اليوم السابق على موت دانى . فلقد طلب هَف من كريس أن يتحدث مع دانى حول هذا الأمر ، ليرى إن كان بوسعه أن يعدل به عن آرائه . كان كريس يتبجح فى كلامه معه . فأخذ دانى موقفاً منه . وأنا لا أكشف عن أسرار ، حيث إن عدداً من الناس بالنادى قد شهدوا على شجارهما وأخبروا به الضابط سكوت " .

" هل سمع أى من هؤلاء بما كانا يقولانه ؟ "

" ليس لى علم بهذا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل أخبرك كريس بما قالاه لبعضهما البعض ؟ دعك من هذا " ، ثم تابعت وهي تهز رأسها : " فأنا أعلم أنك لن تخبرني بذلك " .

" بالفعل لا يمكنني هذا . إلا أن الحقيقة هي أنه لم يخبرني بما قاله . وأقر بأنه تحدث مع داني حول عقيدته الجديدة وأنه أبدى من الملاحظات ما ضايق داني . هذا ما ذكره تحديداً " .

ارتكن فريتو برأسه الكبير على فخذها فربتت على ظهره .

" إنني أغار " .

" يبدو أنه قد أعجب بي " .

" إنني لست أغار منك ، بل منه " . كان صوته مثيراً كنظراته تماماً وهو يضيف : " كيف يمكن ألا أطيق النظر إليك في لحظة ، وفي لحظة أخرى أود أن أكون ... " .

" لا تقلها " .

" ما هي ؟ "

" أية كلمة كنت ستقولها الآن . لا تحاول أن تغازلني . فذلك لن ينسيني ما كنا نتحدث عنه الآن . وبصراحة يحزنني أنك اعتبرتني امرأة طائشة " .

" من قال هذا ؟ أنت يا ساير تأخذين بالألباب " .

" وهذه ليست مغازلة أيضاً ؟ "

" إنني متحير . فلو حاولت أن أغازلك فإنك تتهمينني بأنني أحاول التهرب من أشياء تسألين عنها . فلنتوقف إذن عن هذه المبارزة اللفظية . لماذا لا تصارحينني إنن عما تفكرين فيه ؟ "

" لأنني لا أثق بك " .

رفع حاجبيه في دهشة : " أعتقد أن لا شيء أكثر صراحةً من هذا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أنت قادر على استغلال كل كلمة أقولها وتحويرها لصلحتك " .

" أخبريني أنتِ ... ما مصلحتي ؟ "

قالت بصوت مبحوح : " أن تساعد كريس على الإفلات بفعلته ... من جديد " .

بادلها النظرات للحظات ، ثم قال : " لم تثبت المحكمة أن كريس هو من قتل جين إيفيرسون " .

" كما أن الدفاع قد فشل في نفي التهمة عنه . لقد عرفت هذا من شخص قريب إلى داني " .

" من هو ؟ "

" ليس بوسعي أن أخبرك بمن هو . لكنه شخص يعرفه جيداً وأخبرني بأن داني كان يصارع مشكلة شخصية تؤرقه . ورأى ذلك الشخص أنها كانت مشكلة أخلاقية ، مسألة ضمير " .

" كان داني متزمتاً . شديد الارتباط بدار العبادة . بل إنه توقف عن تناول الشراب منذ أن واظب على هذا . فضميره يعذبه تجاه كل شيء " .

" يقول هذا الشخص إن داني كان في صراع نفسي حول شيء أكثر جدية من تناول الشراب هذا . وربما تعلق بأمر يدور في المسبك . أمر غير قانوني . وأياً كان هو ، فقد كان يعذبه . وأعتقد أنه كان يود أن يلقي به عن كاهله ، وأن يتبرأ منه . وكان كريس يخشى أن يفعلها ، لذا قتله " .

حدق بيك إليها للحظات ، ثم نهض ليستند إلى إطار الأرجوحة . كان ينظر إلى الأفق البعيد . رأت ساير هالة ضياء فوق قمم الأشجار ، صنعتها أضواء المسبك التي تنير آليا وقت الغروب .

كانت غمامة الدخان عالقة بالأفق ، فلا ريح تحركها . كانت كياناً واحدًا ، رمزاً مستديماً على تسيد آل هويل ، وتهديدهم لكل من يجرؤ على مساءلتهم عن هذا الحق في التسيد .

قال بيك : " من المؤكد أنك شديدة المقت لهما ، أليس كذلك ؟ "

" أتعتقد صدقاً أنني أستمتع باتهام أخي بالقتل ؟ "

اعتدل وهو يلتفت إليها ، عاقداً ذراعيه أمام صدره : " أعتقد أنك قد تجدين متعة في هذا " .

" كلا . بل إنني لا أرغب في أن أفكر في أن كريس قادر على هذه الفعلة . ولكن المأساة هي أنني أفكر في هذا . فغريزة القتل تجري في دماء عائلتنا " .

" أهي وراثة إذن ؟ "

" لقد قتل هَف رجلاً وأفلت بفعلته " .

" آه ، في البداية كان كريس . والآن تتهمين هَف " . هز رأسه في عدم تصديق . " ألا تتوقفين عن هذا أبداً ؟ فعليك أن تنحيني بعيداً عن محاولتك الثأر من عائلتك ، اتفقنا ؟ "

توجه إلى البوابة الأمامية ، وفتحها ، وأشار إلى فريتو أن يدخل . وأغلق الباب خلفه في قوة . بينما لم تتردد ساير سوى لحظات قبل أن تتبعه إلى الداخل .

تتبعت آثاره داخل المنزل حتى وجدته بالمطبخ يشعل الموقد . كان فريتو يتقافز حوله في جذل .

قالت : " كان اسمه سوني هولسر . كان ملاحظ عمال بالمصنع خلال فترة منتصف السبعينيات . وكان من الناشطين النقابيين . وقد دخل في صراع مع هَف حول أوضاع العمل و ... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" اسمعى " . التفت يواجهها وهو يقول : " إننى أعرف كل ما يتعلق بهذا الموضوع . ولا أود سماع أية تفاصيل كونى أعلمها . لقد قدم لى هَف ... آه تبا ! " .

كان الدخان يتصاعد من المقلاة الفارغة . رفعها عن الموقد وأخرج بيضتين من الثلاجة . أفرغ ما بداخلهما فى المقلاة ، وقام بطهيما فى سرعة ، ثم مزجهما مع بعض من طعام الكلاب ووضعهما فى وعاء فريتو . هجم الكلب على الوعاء ما أن وضعه بيك على الأرض .

تابع كلامه قائلا : " لقد قدم لى هَف عرضا جذابا ، يمثل حلما لأى محام مثلى . فبخلاف الوظيفة هناك هذا المنزل ، والسيارة ، والمزايا الأخرى ، والراتب الكبير . لذا فلست أقوم إلا بما يتوازى مع ما تم تقديمه لى ، مثلى مثل محام آخر .

وكما يفعل أى محام ، فإننى أفتش زبونى جيداً قبل أن آخذ نقوده . ولقد فتشته جيدا . فهل تظنين أنى سانج ؟ كلا ، يا ساير . فأنا أعرف ما علىّ أن أقوم به . فمن أهم ما أثارته محاكمة كريس هو حوادث العمل التى لحقت بالعمال فى المصنع من قبل " .

وأضاف : " وقد ورد اسم سونى هولمز وما حدث له . فقمت ببحث مستفيض عنه ، وعرفت كل شىء عن ذلك الحادث المميت . وبالطبع فقد كانت ظروف الحادث غامضة ، ولكن ... " .

" كان هَف ماهرا بما يكفى لإحاطة مثل هذه الحوادث بالغموض " .

" وما الذى تعرفينه عن هذا ؟ "

" لقد عشت هذا الحادث ! كنت فى الخامسة ، إلا أنه قد انطبع فى ذاكرتى . لقد حبست والدتى نفسها داخل غرفتها ، تبكى طوال الوقت . بينما كان هَف فى حالة هياج مستمرة . أتى ريد هاربر وآخرون إلى منزلنا فى منتصف الليل ليجتمعوا سرا مع

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هَف بمكتبه . كان التوتر داخل المنزل شديداً يغلف بثقله أرجاء المنزل .

كنت أحس بكل هذا رغم سني الصغيرة ، وكنت شديدة الفزع . سألت سيلما عما يجرى ، فأخبرتني بأن هناك من يظن أن هَف قد قتل رجلاً بأسلوب جعل الأمر يبدو كحادث . أخبرتني أن هذه كذبة كبيرة ولا تقنع أحداً .

ولكنني فكرت في الأمر كثيراً حتى شككت في أن تكون كذبة . فقد كنت أرى هَف حال غضبه ، كان يمكنه أن يقتل أثناء حالة الغضب التي تنتابه . وبعد أن هدأت الأمور بفترة طويلة ، عدت للتفكير في الأمر . وبعدها بسنوات ، عدت للبحث في الأمر " .

" فعرفت أن لا أساس لهذا الاتهام " .

" ربما كان هذا صحيحاً من الناحية القانونية ، إلا أنني مقتنعة بأن هَف قد اقترف تلك الفعلة . فتلك الماكينة ذات الصليب الأبيض ، التي رأيتها بالأمس ، كانت المكان الذي لقي فيه سوني مصرعه ، أليس كذلك ؟ "

" هذا ما يقولونه " .

" إنها هائلة الحجم ، قادرة على فرم أي شخص . فدفعه هَف داخلها وراقبه وهو يموت " .

أسند يديه على خاصرته ، وثنى جذعه قليلاً وهو يأخذ أنفاساً عميقة . وحينما اعتدل ، قال لها : " لقد أجرت السلطات تحقيقاً دقيقاً حول هذا الأمر ، يا ساير " .

" لقد كانت سلطات مرتشية " .

" لم يتم توجيه أية اتهامات " .

" وهو ما لا يعني أنه لم تكن هناك جريمة " .

" تمت تبرئة هَف من كل التهم " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كان مجرد إغلاق للملف " .

صاح بها : " لأن أحداً لم يستطع إثبات أى من هذه الاتهامات . . . وسواء رضينا أم لم نرض فإن القانون لا يعترف إلا بالحقائق " .

كان يتنفس بقوة ، وعيناه تعكسان ما هو فيه من غضب . لكن عواء فريتو أخرجه من هذه الحالة . فابتعد ليفتح الباب الخلفى حتى يخرج الكلب . قال لها وهو يعود إلى الحجرة : " لا تتمادى فى هذا ... ألا تريدين تناول شىء من الشراب ؟ "

رفضت عرضه بهزة من رأسها .

كان غضبه قد تلاشى . وحل محله بعض الضيق ، وهو إحساس يليق به . حاولت أن تبعد عينيها عنه ولكنها لم تفلح . بينما تناول هو علبة مياه غازية من الثلاجة وفتحها ، ملقياً بالغطاء على الطاولة فى إهمال .

تناول جرعة كبيرة من العلبة ، ثم وضعها على الطاولة . " أين توقف بنا الحديث ؟ "

ابتعدت بنظرها عنه وهى تقول : " كنا ندور فى حلقات مفرغة . كان هذا خطأ ، فما كان علىّ أن آتى إلى هنا " .

قالتها وهى تتجه صوب الخارج ، إلا أنه وضع يده على كتفها . " ما الذى أتى بكِ إلى هنا ، يا ساير ؟ بصدق " .

كانت تخشى أن تلتفت إليه وهو على هذا القرب منها . إلا أنها على الرغم من هذا استدارت ناظرة إليه ، مع أن نظراتها كانت مثبتة على رقبته فقط ، قالت : " بصدق ؟ كنت أريد أن أعرف منك ما كان يقلق دانى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أنا لا أعرف شيئاً عن هذا . وأنا نادم على هذا ، فلو كنت أعرف لامتلكت تفسيراً لما حدث له . والآن ... هل هذا هو السبب الوحيد لمجيئك إلى هنا ؟ "

" نعم " .

" لا أسباب أخرى ؟ "

" كلا " .

أضاف حينما رفعت رأسها لتنظر إلى وجهه : " أنا لا أصدقك ... فأنا أعتقد أنك قد جئت إلى هنا لكى ترينى . وأنا سعيد بهذا . فقد كنت أرغب فى رؤيتك أيضاً . فأنا لست على هذا الشر الذى تظنينه " .

" أنت كذلك ، يا بيك . لكن المأساة تكمن فى أنك لا تدرك هذا . ربما لم يكن هذا من طبعك . وأنا لست متيقنة من هذا . لكنك الآن غارق فى الفساد لدرجة أن الشر أصبح من طباعك مثلهما تماماً .

لقد أغويناك منذ ثلاث سنوات ، وكانت الغواية متكاملة لدرجة أنك لم تعد تميز الآن بين ما يجب فعله وما هو مطلوب فعله . وكانت السيدة بوليك تعرف هذا . وأنا أعرفه أيضاً . فلقد بعت لهما روحك " .

" حسناً ، لنفترض أنكِ محقة . ولنقل أنى شخص انتهازى . وفاسد حتى الثمالة . فلو كان هذا صحيحًا ، لماذا سمحت لما حدث بيننا أن يحدث ؟ " كان يزداد اقتراباً منها .

حاولت أن تبتعد عنه ، إلا أنه لم يكن ليسمح لها بذلك .

قال : " لنتحدث عما كان فى الليلة الماضية " .

" كلا ، يا بيك " .

" لِمَ لا ؟ فنحن ناضجان " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ندت منها ضحكة تستهين بها من ذاتها : " هل هذه هي الطريقة التي يتصرف بها الناضجون ؟ "

" أحيانا ، لو كانوا محظوظين " ، ثم أضاف هامساً : " مع أنكِ كنتِ أكثر حظاً مني " .

أغلقت عينيها لكي لا ترى ابتسامته .

سألها في رقة : " ما أسوأ شيء فعلته ، يا ساير ؟ كل ما فعلته هو إنك تركت العنان لغرائزك . وهل في هذا ما يسوء ؟ "

" أجل ... بالنسبة لي على الأقل " .

" اغفري لنفسكِ كونها بشرية . فلقد كنت تخوضين غمار عواطف متقلبة . ومع هذا لم تفرغي تلك الشحنة عبر الصراخ أو البكاء ، بل وحتى عبر الضحك . فلم يكن هناك من مخرج لهذه العواطف . فقد احتفظت بهدوئك ، ورباطة جأشك ، وهكذا كتمتي كل تلك العواطف وتركتها تثور داخلك . حتى وصلت إلى درجة الغليان ، ولم يكن لها من متنفس سوى إخراج تلك الشحنة العاطفية في صورة قبلة " .

فتحت عينيها لتقول : " كان ما حدث ليلة أمس بدافع من غضب . ولا علاقة له بالعواطف " .

عبس وجهه وقد ارتسمت عليه نظرة لوم وقال : " لقد كنت موجوداً معك يا ساير ألا تذكرين ؟ لقد كان الأمر لا يتعلق بشيء سوى العواطف " .

قالت له : " لقد كنت غاضبة ، وأنت كنت تريد أن تهيننى " .

" أنتِ لا تصدقين هذا الكلام " .

" بل أصدقه " .

هز رأسه قائلاً : " لو صدقته ، لما كنت تقفين هنا الآن " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان محقاً . فلو لم يكن هذا بسبب العواطف ، فما عساه قد يكون إذن . فكل الأحاسيس التي تنتابها حين رؤيته كانت أحاسيس عاطفية . وشعورها بحضوره كان شعوراً عاطفياً . إنها عواطف الحب إذن . ذلك الاحتياج الفجائي إلى أن تجد من تحتضنه ويحتضنك . وتبادله المشاعر الفياضة الرومانسية . كل هذا ليس له معنى سوى الحب .

كم سيكون من الرائع لو أنها انساقت وراء هذا الإحساس ، وأن تتبادل مشاعر الحب مع هذا الرجل الجذاب . لكنه كان بيك ميرشانت ، صديق كريس الصدوق ، وخادم هَف المطيع .

همست له : " لا يمكنني أن أفعل هذا ، يا بيك " .

" ولا أنا . فكل هذا خطأ " . وضع يديه على خصرها وجذب أسفل جسدها إليه وقال : " إلا أنني ما زلت أتوق إليكِ " ، ثم قبلها بحرارة .

قالت وسط أنفاس تتهدج : " لا يمكنني أن أفعل هذا معك " . ومن قبل أن يهم بالرد ، أبعدته عنها وهرعت خارج المكان ، ولكنها توقفت بغتة فور وصولها إلى حجرة المعيشة .

كان كريس هناك ... يقف مستنداً إلى ظهر الأريكة ، يبتسم ابتسامته المتصلفة . " كان يمكنني أن أتنحنح ، ولكني خشيت أن أقطع عليكما ما كنتما فيه " . ألقى نظرة متفحصة ساخرة إلى ساير ، ثم نظر إلى بيك قائلاً : " تمالك نفسك . فيبدو أني بحاجة عاجلة إلى محامي الخاص " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثامن عشر

كان ريد هاربر يسير عبر الممشى خارج مكتبه حينما وصلا . كان يدخن سيجارة ، لكن بيك تخيل أن تدخينه لم يكن سوى عذر له حتى يكون بالخارج ، ينتظرهما قبل أن يدخلا المكان .

وقد تأكد ظنه هذا حينما قال ريد : " أريد منكما أن تعرفا أن لا صلة لى بهذا الأمر " .

سأله بيك : " بماذا ؟ "

" لقد تصرف سكوت من تلقاء نفسه . ولم أعرف شيء عما قام به . عليك يا كريس أن تكون حاداً معه " .

اقترب كريس من المأمور وهو يقول فى حدة : " ولو لم تستطع السيطرة على هذا الأحمق ، فمن الأفضل لك أن تبدأ فى البحث عن عمل آخر " .

كان ريد يعلم أنه ليس بالتهديد الأجوف . فلو لم يحم آل هويل ، فلن يجد من يحميه تجاه أية تحقيقات تشكك فى أمانيه المهنية هو شخصياً . فسحب نفساً أخيراً من سيجارته قبل أن يقول : " من الأفضل أن ندلف إلى الداخل " .

كان واين سكوت على أهبة الاستعداد لهما داخل مكتب ريد الخاص ، فأوما لهما حين وصولهما شاكراً إياهما على سرعة

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الوصول . " رأيت أن من الأفضل أن ننتهى من هذا الأمر فى أسرع وقت " .

سأله كريس : " ما هذا الأمر الذى يتوجب الانتهاء منه ؟ "

قال بيك : " دعنى أنا أتحدث ، يا كريس " .

جلسا إلى نفس المقاعد التى جلسا إليها من قبل ، مواجهين ريد عبر مكتبه ، والضابط سكوت يقف إلى جوارهما .

تنحنح ريد ثم قال : " أخشى أن الأمر يحتاج إلى توضيح " .

وقدم لبيك ورقة مطبوعاً عليها بيانات مستخرجة من الحاسب الآلى .

قال سكوت : " لقد قمت بتفريغ سجل مكالماتك الهاتفية ، يا سيد هويل . هذا سجل بالمكالمات التى قمت بإجرائها من هاتفك المحمول فى يوم وفاة أخيك . ولقد قمت بتظليل المكالمات التى نود توضيحاً منك بصددها " .

رأى بيك خطأ من البيانات مظللاً باللون الأصفر . فسأله وهو يلحظ وقت المكالمة : " هل كان هذا صباحاً ؟ "

" أجل ، يا سيدى . فى السابعة وأربع دقائق صباح الأحد قام السيد هويل بإجراء مكالمة لهاتف المجنى عليه " .

لم يفت بيك توصيف دانى بكونه المجنى عليه .

قال كريس : " لقد أوقعت بى إذن ، أيها المحقق . فلقد أجريت مكالمة على هاتف أخى الخاص . فمن الأفضل أن تكبل يدىّ بسرعة قبل أن أهرب وسط الناس فلا تجدوا لى أثراً " .

رمق بيك كريس فى صرامة محذراً إياه من الاستمرار فى هذا الأسلوب الساخر . بعدها قال لسكوت فى برود : " إننى أوافق موكلى فى أننا لا نجد مشكلة فى هذا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال سكوت : " المشكلة هي أن السيد هويل قد أخبرنا من قبل أنه قد نام حتى وقت متأخر ذلك الصباح ، وحتى الساعة الحادية عشرة . ولم يخبرنا بأنه قد استيقظ قبل الساعة السابعة لكي يهاتف أخاه . وهي المكالمة الغريبة على أية حال . ألم يكن داني هويل نائماً في غرفته بأسفل داخل نفس المنزل قبيل ذلك بقليل ؟ "

تحدث ريد للمرة الأولى ليقول : " لقد تأكدنا من أن داني قد عاد إلى المنزل قبيل منتصف ليلة الأحد . ونام في فراشه تلك الليلة لأن سيلما قد أعادت ترتيبه صباح الأحد . وتناول قدحاً من القهوة معها بالمطبخ مابين الساعة السادسة والنصف والسابعة ، حينما غادر المنزل لتناول الإفطار والصلاة في دار العبادة . فقد كان بعيداً عن المنزل قرابة الدقائق الأربعة حينما هاتفته على هاتفه المحمول " ، قال ذلك موجهاً كلامه لكريس .

وقبل أن يجيبه كريس بادر بيك بالقول : " من الممكن أن يستخدم شخص آخر هاتف كريس المحمول . قد تكون سيلما أو هَف أو حتى أنا . فهو متاح لنا جميعاً " .

" أين تحتفظ بهاتفك المحمول عادة ، يا سيد هويل ؟ "

رمق كريس بيك ، وهو يشير إليه بأنه يود الإجابة . فقال بيك : " أنصحك بألا تقول شيئاً قبل أن تتاح لنا فرصة مناقشته " .

ولكنه التفت إلى الضابطين متجاهلاً تحذير بيك وهو يقول : " لا أهمية لهذا . فكله هراء . فلم يستخدم أحد هاتفي المحمول صباح الأحد . وقد وضعته على المنضدة بغرفتي ، إلى جوار محفظتي وكل ما كان بجيوب سروالي الليلة السابقة . ولقد هاتفت داني ذلك الصباح . وهو أمر لا أنكره . فهناك دليل " ، قالها وهو يشير إلى سجل المكالمات .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" إننى لم أذكر هذا من قبل لأننى قد نسيت أمره ، ونسيته لأنه أمر غير مهم . فلقد استيقظت للذهاب إلى الحمام . ربما كان ذلك حوالى الساعة السابعة . ولم أتأكد من الوقت حينها ولم أهتم بذلك .

وكنت عائداً إلى فراشى حينما سمعت صوت محرك سيارة ينطلق . فنظرت عبر نافذة غرفتى ورأيت سيارة دانى تبتعد . فتذكرت أن هَف كان يريد من دانى أن يحضر العشاء بالمنزل فى المساء ، ولم يكن ليقبل أى عذر منه لعدم قيامه بهذا . وهو ما قاله بلسانه فليس هذا الكلام من عندى .

لم أكن صافى الذهن وبصراحة لم أهتم من الأصل بالمكان الذى كان من المفترض أن يقضى فيه دانى أمسيته ذلك اليوم . إلا أننى كنت متيقناً من أننا سنعانى من عاصفة غضب هَف لو أن دانى لم يحضر لكونى قد نسيت أن أخبره بذلك . لذا قررت أن أهاتفه . فلو كنت قد عدت إلى النوم؛ لما كنت قد تذكرت الأمر فيما بعد . فأخبرته على عجالة بأن عليه أن يأتى للمنزل فى المساء للعشاء مع هَف حتى نتفادى غضبه .

وعدنى دانى بأنه سيأتى . فطلبت منه أن يلقى بقطعة نقود فى صحن التبرعات لأجلى ، حتى أكفر عما ارتكبته من ذنوب فى الليلة السابقة . فضحك وقال إن مجرد قطعة نقود لن تكفى للتكفير عن جزء مما أقترفه من ذنوب ، ثم طلب منى أن أعود للنوم ، وأنه سيلقانى على العشاء ، ثم أغلق الخط " .

كان يبتسم ابتسامة عذبة ، إلا أنها كانت تقطر بالاستخفاف .

" والآن ، أيها الضابط سكوت ، لو كنت تظن أننى متهم بالقتل بسبب هذا ، فإنى سأعتبرك أضحوكة بشكل يفوق ما كنت أظنه من قبل " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم تفت هذه السخرية فى عضد سكوت وهو يقول : " أجل ، يا سيدى ، سيكون هذا الأمر فكاهياً فى حد ذاته . ولكن تبقى أمامنا كذلك مسألة الوقت " .

" الوقت ؟ " نظر بيك إلى ريد ، الذى كان يسند خده إلى قبضته . بدا فى حالة مزرية وهو لا يقوى على أن ينظر فى وجهه .

قال سكوت : " بالفعل ، يا سيد ميرشانت . هل لديك مانع فى أن أطرح عليك سؤالاً ؟ "

" اسأل ما بدا لك . ولى الحق فى عدم الإجابة " .

" متى رافقت السيد هويل لمشاهدة مباراة البيسبول ؟ "

لم يجد ضرراً من الإجابة عن سؤال كهذا ، فقال : " لقد بدأت المباراة فى الثالثة . وحينما وصلت إلى هناك كان الشوط الثانى ، لذا يمكننى القول إنى قد وصلت فى الثالثة وعشرين دقيقة " .

" وهل كان السيد هويل بالمنزل ؟ "

" فى خلوته " .

" وبقيت معه طيلة الظهيرة ؟ "

" حتى أتيت أنت وريد إلى المنزل . فما المضلة هنا ، أيها المحقق ؟ "

" المضلة هى الساعتان ما بين الثانية عشرة والنصف والثانية والنصف ، حيث لم يستطع أحد أن يبرر حجة غياب السيد هويل عن المكان " .

قاد كريس سيارته بهما إلى سونيك ، وهو المكان الذى بدا لبيك غير مناسب لأهمية محاورتهما المنتظرة . فذلك المكان يعج خلال ليالى الصيف بالمراهقين الذين يثيرون الصخب حوله بالمشاجرات ومضايقات الفتيات . كان بعضهم متجمعاً حول الطاولات المعدنية

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

المثبتة إلى قواعد خرسانية أسفل مظلة من الألومنيوم . يتناولون البطاطس المحمرة المغطاة بصلصة الشيلى ويؤدون بعض العروض المسرحية للتسلية .

قال بيك وصوته يسمع بالكاد وسط نغمات مقطوعات كلاسيكية لفرقة بيتش بويز تبثها مكبرات الصوت عبر أرجاء المكان : " ما الذى جاء بنا إلى هنا ؟ "

قال كريس : " أنا ظمآن " . ثم أوقف سيارته عند منفذ خاو وأملى طلباته عبر ميكروفون ، ثم عاد إلى بيك .

" كان عليك أن تتصرف بما هو أفضل من هذا ، يا كريس " .

" لقد كان المحقق سكوت يثير حنقى " .

" لقد قلت إن سيلما يمكن أن تؤكد لهم أنك مكثت فى المنزل طيلة النهار " .

" لم أعلم بأنها ستخبرهم بأنها قد نامت فترة بعد الظهر " .

" وهو ما يجعلك غير قادر على تبرير تغيبك لساعتين . هل غادرت المنزل ؟ ومن الأفضل لك ألا تكذب علىّ " .

" وماذا لو أنى كنت قد غادرت المنزل بالفعل ؟ "

" لو كنت قد فعلت هذا ، فإن هذا يعنى أنه قد كانت لديك الفرصة لكى تقتل دانى ، لأن وقت مقتله كما حدده الطبيب الشرعى كان فى الفترة التى لم يمكن لأحد أن يحدد مكانك خلالها " .

وصلت المضيفة ومعها شراب الليمون الذى كان قد طلبه لهما . دفع كريس لها الحساب مع بقشيش سخى . وارتشف رشفة منه ، ثم ألمح لبيك بأن العصير كان يحتاج إلى بعض من الثلج .

فرد بيك وهو حانق من أسلوب صديقه غير المبالى هذا : " كريس ، متى ستنتبه إلى خطورة الوضع الذى أنت به ؟ ما هذا

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الذى سمعته عن تلك المكالمة الهاتفية ؟ ألم تستطع اختلاق قصة أخرى خلاف قصة دعوة دانى إلى عشاء الأحد هذا ؟ فهى لم تنطل عليهما . ولا علىّ . فأنت لم تذكر أمر محادثتك تلك حينما التقينا هَف فى ذلك اليوم وسألنا إن كنا قد قابلنا دانى أم لا " .

" لقد نسيت " .

سخر بيك منه قائلاً : " نسيت . هذا عظيم . لقد بينت لك من قبل أن هذا أمر لا يعتد به فى التحقيق " .

" حسناً ، بيك ، هل تريد سماع قصة أصدق من هذا ؟ فماذا لو أخبرت ريد والمحقق سكوت بأنى قد هاتفت دانى لأطلب منه أن يلتقينى عند معسكر الصيد ذلك النهار ؟ وهذا ما حدث " ، ثم اضاف وهو يلاحظ دهشة بيك : " كان هذا هو الغرض من المحادثة .

لم أذكر هذا لـ " هَف " تلك الظهيرة ، لأننى كنت قد فشلت فى مهمتى ولم أكن فى مزاج يسمح لى بتحمل غضبه . وتخيل ما سيحدث لو أنى كنت قد أخبرت رجال القانون هؤلاء بالحقيقة ؟ أكنت تفضل هذا ؟ "

أخذ بيك نفساً طويلاً ، ثم قال : " كلا ، لم يكن هذا بالتصرف السليم " .

وضع شرابه الذى لم يتسفه فى حامل الأكواب بالسيارة ، ثم حدق عبر زجاجها فى المدخنة المميزة للمكان . إنه يحب قيادة السيارات الكبيرة ، بينما يفضل كريس السيارات الرياضية السريعة الصغيرة .

قال له فى صرامة وهو يلتفت إليه : " عليك من الآن فصاعداً يا كريس ألا تخبر أحداً بأى شىء . لقد بحت بالكثير حتى الآن " .

" كان سكوت هو من استفزنى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هو يعلم هذا . فقد نجح في استغلال امتهانك له لمصلحته . فعليك أن تتعلم أن تكون كتوما " .

" إنك تتحدث إليّ وكأنني مذنب ، يا بيك " ، ثم نظر إليه في حزم : " إنني لم أقتل أخي . ولم أتواجد عند معسكر الصيد " .

" فلماذا طلبت منه بحق السماء أن يلاقيك عند معسكر الصيد ؟ "

" كنا قد تشاجرنا في اليوم السابق . ولم نتبادل الكلام بعدها . ورأيته وهو ذاهب إلى دار العبادة ذلك الصباح ، فقلت لنفسي إن من الأفضل أن أخرج به إلى الريف ، فنكون وحدنا ، ونستطيع أن نتحدث بهدوء وصراحة .

كما أن هَف كان ليهدأ حينما يعرف أنني قد قمت بما على تجاه محاولة الحوار مع داني . فقد كان هَف شديد القلق تجاه تأثير توجهه الديني عليه وكان يريد منه أن يخرج مما انغمس فيه " .

" وهل وافق داني على أن يلتقيك هناك ؟ "

صارحه كريس قائلا : " كلا ، لقد رفض . وهو الأمر الذي أربكني . فقد قال إنه لن يلقى بنفسه في التهلكة ... " ، هنا توقف عن الكلام بعد أن أدرك معنى ما قاله ، فضرب جبهته بيده وهو يقول : " تبا " .

" لقد فهمت ما تقصد ، واصل كلامك " .

" حسناً ، فحينما جاء ريد وأخبرنا بأنهم قد وجدوا داني قتيلاً في معسكر الصيد ، أصبت بالحيرة . ذلك لأن أخي قد مات ، وهي صدمة كافية . وكذلك للمكان الذي لقي مصرعه فيه " .

" ألم تذهب إلى هناك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هز رأسه فى عناد وهو يقول : " لقد أخبرت دانى بأنى سأذهب إلى هناك ، وآمل فى أن يغير رأيه ويلتقينى . فقال : " لا تنتظرنى ، يا كريس ، فلن آتى " . كان الجو شديد الحرارة تلك الظهيرة . وكنت أعانى من الصداع والكسل ، لذا فقررت أن أصرف النظر عن الذهاب إلى هناك ، ولكن من الواضح أن دانى قد غير رأيه وذهب ليلقانى . متوقعاً أن يجدنى هناك " .

" لا أعتقد أنه من الممكن أن تقنع المحلفين بفكرة أن دانى قد انتحر لأنك لم تحضر إليه " .

" أنت تسخر من كلامى ؟ "

" بالطبع لا . لكننى أود أن أوضح كم الثغرات التى تحملها قصتك " .

" أنا واعٍ لهذا . ألم تلحظ أنى قد احتفظت بها لنفسى ؟ "

" حتى معى أنا ؟ "

" بل أنت بالأخص " .

" والسبب ؟ "

" لأننى أعلم أنك سوف تغضب لأنى لم أخبرك بها أولاً " .

أسند بيك رأسه إلى ظهر مقعده وهو يتنفس فى عمق . فقد وجد أن لا طائل من الجدال مع كريس . وعليه أن يركز أفكاره على محاولة تقليل الأضرار .

قال بيك : " ما ظنك أن يكون قد حدث لدانى حينما وصل إلى هناك ؟ " .

قال كريس : " لقد خمنت أنت بالفعل ما أظنه قد حدث " .

" إن هناك من يحاول أن يورطك فى هذا الأمر ؟ "

" هذا ما أظنه . هل تحدثت مع ريد بخصوص سلاب واتكينز ؟ "

" تحدثت معه هذه الظهيرة ، إلا أن هذا كان قبل أن يتحصل سكوت على سجل المكالمات . لقد أخبرته بأمر مواجهتنا الليلة الماضية ، وعن أن دانى كان قد رفض إلحاقه بالعمل ، وبما قاله واتكينز لنا ، بالإضافة إلى ما قاله لساير وكذلك لى " .

" وماذا كان رد فعله تجاه هذا ؟ "

" قال إن صلة هذا بالتحقيق ضعيفة . إلا أنه لن يستبعد أن يرتكب سلاب واتكينز أى شىء . وقال إنه سيضع هذا فى الحسبان ويبقيه تحت المراقبة " .

رد كريس فى سخط : " ليس هذا بالتزام منه ، إلا أنه شىء أفضل من لا شىء على الأقل " .

" كيف يمكن لسلاب أو لغيره أن يعمل على توريطك فى أمر كهذا ، يا كريس ؟ من يمكن أن يعلم بأمر مكالمتك لدانى حول ذلك اللقاء ؟ "

قال كريس : " لا أحد . إلا أن شخصاً ما كان يراقب دانى ، لينتهز الفرصة ويقتله ، وقد جاءته الفرصة حينما كان وحيدًا ، وفى مكان بعيد مثل معسكر الصيد " .

قال بيك : " وسيستخدم بندقية تمتلكها العائلة ؟ "

" يمكنه هذا لو كان يريد أن يلقى بتهمة الجريمة على عاتق أحد أفراد العائلة " ، ثم أضاف فى غضب : " محتمل أن يكون قد قيد حركة دانى ثم تناول البندقية وأطلق عليه النار فى فمه . فأى معسكر صيد لابد وأن يكون به سلاح نارى " .

فكر بيك فى الأمر أثناء ما كان صوت بادى هولى ينشد بأغنية بيجى سو قال : " إننى لم أعد حشو البندقية قبل أن أعيدها إلى مكانها فوق الباب حينما كنا هناك . فكان على القاتل أن يبحث عن الذخيرة ، وليس هناك من يعرف مكانها سوانا نحن من نذهب

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هناك . وقد تم رفع البصمات عن المكان . وليست هناك من بصمات سوى تلك التى تخص أفراد العائلة " .

قال كريس : " تبرير هذا سهل . فلابد أنه كان يرتدى قفازاً " .

كان الرد كافياً لإعادتهما إلى نقطة حساسة ، فقال بيك : " ما الذى كنت ترتديه يومها ، يا كريس ؟ "

فقبل أن يغادرا مكتب المأمور ، طلب المحقق سكوت من كريس أن يحضر الملابس والحذاء الذى كان يرتديه ظهيرة الأحد . فقال كريس إنه لا يتذكر ما الذى كان يرتديه يومها . إلا أنه قال إن هذا الطلب لا أهمية له الآن . حيث إن سيلما ترسل بالملابس المتسخة إلى المغسلة أو إلى التنظيف .

فقال : " كما أخبرت سكوت ، فأنا لا أتذكر ... قد يكون قميص جولف أو أى نوع من الملابس الخفيفة . أنا لا أتذكر " .

" لقد كنت ترتدى قميصاً مقلماً وسروالاً من الجينز الأسود حينما دلفت إلى المنزل " .

نظر كريس إلى بيك فى حدة : " أأصبحت تراقب خزانة ملابسى الآن ؟ أتملكك عشق مرضى بى إنن ؟ " . ثم ضحك وهو يضيف : " كلا . لا يتعلق الأمر بالعشق . بالنظر إلى الطريقة التى كنت تقبل بها ساير " .

نجح بيك فى الاحتفاظ بأعصابه وهو يرد : " لقد تذكرت ما كنت ترتديه ، لأننى عندما وصلت إلى المنزل كنت على وشك الانهيار من فرط الحرارة . كان ظهر قميصى مبللاً لمجرد دقائق قضيتها فى قيادة العربة حتى منزلكم . فلاحظت الفارق بين ملابسى وملابسك . فقد كانت ملابسك مهندمة وجافة . وكأنما ارتديتها للتو ، أليس كذلك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" وما الفارق الذى يعنيه كلامك ؟ "

" سيكون هناك فارق لو أن سيلما قالت عند طلب شهادتها بما وجدته أو لم تجده فى سلة ثيابك المتسخة فى الفترة ما بين ظهيرة السبت بعد أن غادرت المنزل متوجهاً إلى جسر بروكس وظهيرة الأحد . وسيكون عليها أن تشهد بأنك قد أخذت حماماً حوالى الساعة الثالثة ، بعد إطلاق النار على دانى والذى حدث فى الثانية والنصف " . ثم أضاف وهو ينظر إليه فى قسوة : " هل غادرت المنزل يوم الأحد ؟ "

حدق كريس إلى بيك بنظرة مترددة ، ثم أطلق زفرة استسلام ، وهو يرفع يديه لأعلى قائلاً : " أنا مذنب إذن " .

شعر بيك بثقل شديد يجثم على صدره ، ولكنه حاول أن يسيطر على قلقه وهو يقول فى برود : " أين ذهبت ، يا كريس ؟ وما الذى دفعك إلى أن تأخذ حماماً وتغير ملابسك بعد أن دخلت إلى المنزل ؟ "

" لقد كان على ملابسى آثار أحمر شفاه ، ولم أكن أرغب فى أن يرى أحد هذه الآثار " .

" من تلك التى كنت معها ؟ "

" ليلى . كنت أعلم أن جورج يلعب الجولف مع هَف . لذا ذهبت إلى منزلها طلباً لبعض اللهو فى تلك الظهيرة " .

" يا للسماء ، لماذا لم تخبرنى بهذا ؟ فلماذا لم تبح بهذا حينما سئلت أول مرة عن الكيفية التى أمضيت بها تلك الظهيرة ؟ إن ليلى هى حجة غيابك القوية " .

" لن يكون ريد مرتاحاً لتصريحى بهذا " .

استغرق الأمر من بيك بضع لحظات حتى يربط الخيوط ببعضها ، ثم صاح بعد أن تبين الأمر له : " تباً " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" تماماً . فليلى هى ابنة أخت ريد . وها أنا ذا برىء من دم أخى ، حيث إننى كنت بصحبة ابنة أخت المأمور . ففضلت أن أتفادى التصريح بهذا ، مع أننى لم أعد أجد لدى أى تعاطف معه " .

" ولو أنك أجبرت على تقديم حجة غيابك ، فهل يمكننا أن نعتمد عليها فى تأييد شهادتك ؟ "

" أود ألا نورطها فى هذا الأمر " ، ثم أضاف بنبرة فزع : " فبخلاف كونها قريبة لريد ، فإننى لا أعلم بما إذا كانت ستقبل بأن تخاطر بعلاقتها الزوجية مع جورج من خلال الاعتراف بعلاقتنا هذه . إنها تسخر منه باستمرار ، إلا أنه يدللها ، ويبتاع لها كل ما تحتاج إليه . وقد خلبت لبه ، فترك لها الحرية تفعل ما تشاء طالما كان هذا يسعدها . فمن المحتمل أن تكذب حتى تحافظ على تلك الحياة الرغدة التى تعيشها " .

" هل مكثت معها طيلة ساعتين ؟ "

" لم أكن أراقب الساعة ، ولكن هذه هى الفترة تقريباً " .

" هل رآك أحد داخل ذلك المنزل ؟ "

" نحن نحرص على أن يكون لقاؤنا خفية " .

" حسناً . لن نطلب مساعدة ليلى إلا عند الضرورة القصوى " .

قال كريس : " لن يكون هذا ضرورياً . فليس لديهم سوى أدلة ظرفية . هذا أعرفه من خلال خبرتى السابقة حينما اتهمونى كذباً بارتكاب جريمة قتل من قبل ، وهى أدلة غير كافية " .

" هذه المرة مختلفة ، يا كريس . فبجعبتهم جثة هذه المرة " .

" معك حق . الجثة . إننى أحاول ألا أفكر فيها . وأنا سعيد لأن ريد قد نجح فى التعرف على هوية دانى ، بدلاً من أن نتحمل

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نحن عبء هذه المهمة . وأنت قد شاهدت ما هو داخل الكابينة بعد الحادث . كانت هناك فوضى ، أليس كذلك ؟ "

" لهذا السبب كانوا يرغبون فى رؤية ملابسك . فملابس القاتل ستكون ملطخة بـ ... " .

" هذا يكفى ، يا بيك . اتفقنا ؟ "

" إن الأمر لم يصبح مقززاً بعد . ولو أن الأمور وصلت إلى المحكمة ، فسوف يعرضون عليك صور مسرح الجريمة " .

" لن يصل الأمر إلى المحكمة . وحتى إن وصل ، فلن تكون محاكمتى أنا " .

ساد الصمت برهة من الوقت ، سوى من الموسيقى التى كانت تصدح بأغنية " صخرة السجن " والتى وجد فيها بيك مفارقة ساخرة لما هما فيه . أنهى كريس شرابه ، ثم سأله فجأة : " هل أنت مرتبط بعلاقة غرامية مع ساير ؟ "

" ما الذى تقوله ؟ "

قال كريس فى سخرية : " انظروا إلى تعبيرات وجه هذا الرجل : الدهشة ، البراءة ، التقوى . يبدو أن الفكرة لم تطرأ حتى بباله " . ضحك وهو يعيد السؤال : " هل هذا صحيح ؟ "

قال بيك فى حزم : " لديك ما هو أهم من هذا لتفكر فيه " .

" لست أنا وحدى من لاحظ ما بينكما . فقد علق هَف على هذا أيضاً " .

" ليست هناك علاقة " .

" إذن فتلك السخونة التى كانت تشع منكما هناك فى المطبخ لم تكن سوى نتاج الضغط الجوى المرتفع ... " .

نظر بيك إليه فى صرامة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

إلا أن كريس واصل كلامه بإلحاح : " لو لم يكن بقاؤها هنا حتى الآن بسببك ، فبسبب مَنْ إذن ؟ إنها تمقت البلدة وكل من فيها ، وخاصة من يحمل لقب هويل " .

لم يشأ بيك أن يخبره بأن ساير تشك في أن يكون هو قاتل أخيها . فهذا كفيل بأن يقلقه بأكثر من قلقه هو . كما أنه كان قلقا من الوسيلة التي ستتبعها ساير لتثبت له أنها على حق . فهي عنيدة ، وقد تيقن من خلال فترة معرفته بها رغم قصرها أنها ما أن تعتزم فعل شيء ما إلا وتعمل حتما على تنفيذه .

قال كريس : " هذا شأنك الخاص " .

" أشكرك " .

" ولكن صداقتي لك تحتم علي أن أخبرك بشيء بخصوص ساير . فهي ... " .

" أرجو ألا تتحدث في شأنها ، اتفقنا ؟ "

ابتسم كريس ابتسامة خبيثة وهو يقول : " بيك يا صديقي ، أنت لست بحاجة إلى سماع كلمات مني ... فأنت تعرفها بالتأكيد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل التاسع عشر

كان الجو شديد الحرارة .

هذا مجرد توصيف لما كانت عليه منطقة الميسيسيبى الساحلية خلال أشهر الصيف ، وبالأخص صيف عام ١٩٤٥ . كانت الحرارة وقتها عالية لدرجة تكاد تقتل كل أشكال الحياة . بل إن ثمار الطماطم كانت تنضج حتى تنفجر مخرجةً ما فيها قبل حتى أن ينجح فى قطافها أحد .

ومعَ هذا فقد اعتاد هَف ووالده ـ حالما يشتد بهما الجوع ـ أن يجمعا ثمار الطماطم المطوبة من أرض الغير ، ليزيلا عنها الغبار والنمل ليأكلاها كغداء لهما .

كان هَف فى الثامنة من عمره ذلك الصيف . وكان الجميع من حوله منتشياً بالانتصار على الألمان . أما سحق اليابان فلم يكن سوى مسألة وقت . كانت الاحتفالات تقام فى كل بلدة مرًا بها . الأهالى يلوحون بالرايات ، وبالأخص راية الولايات المتحدة الأمريكية .

لم يكن هَف ليفهم هذا الذى يحدث من حوله . فلم تؤثر الحرب عليه أو على أبيه كثيراً . ولم يلتحق والده بالقوات المسلحة . وليس لهَف أن يعلم سبب هذا ، مع أن معظم من هم فى سن والده كانوا ملتحقين بالعسكرية بشكل أو بآخر . فالقطارات

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تعج بالجنود والبحارة ، وقد استقل هو وأبيه ذات مرة إحدى عربات الشحن بالقطار وكان على متنها رجلان من الزنوج يرتديان الزى العسكرى . لم يكن هذا يروق لهف ، ولا لأبيه . وفى العادة كان يسبهما طالباً منهما أن يستقلا عربة شحن أخرى . إلا أنه وجد أباه يخبره بألا بأس من وجودهما لكونهما هذه المرة يدافعان عن البلد .

فلو كان الجيش يقبل بوجود الزنوج به ، فإنه لم يفهم السبب فى أنهم لم يلحقوا أباه به . خمن أن للأمر علاقة به . فما الذى سيحل به لو أن أباه قد ذهب لقتال النازيين واليابانيين ؟ كانا يتنقلان كثيراً ، ولم يمكثا فى أى مكان لفترة طويلة ، فربما لم يكن الجيش يعلم حتى باسم أبيه . أو ربما كان الجيش مثله مثل الجميع - أى أنهم لم يكونوا راغبين فى خدمات أبيه ، لكونه شخصاً فقيراً جاهلاً ، خامل العقل ، لا يعتد به .

لقد عاصر والده فترة الكساد العظيم . لم يكن هَف يدرك معنى هذه العبارة ، إلا أنه أحس أنها كانت فترة سيئة . لقد حاول والده أن يشرح له معناها ، فعرف مما قاله أن الكساد أشبه بالحرب ، لكونه أثر على البلاد كلها ، إلا أن العدو هذه المرة كان الفقر . وقد خسرت عائلة والده تلك الحرب .

إلا أنهم كانوا فقراء على الدوام . ولهذا السبب لم يحظ والده سوى بثلاث سنوات من التعليم . فكان عليه أن يعمل بحقول القطن مع والده هو ، بل وأحياناً مع أمه . كان يقول فى حزن : " كانت يداها تدميان بينما كان طفل أو طفلان يتعلقان بثدييها " .

إن والدى أبيه قد ماتا الآن ، وكذلك أم هَف نفسه . وحينما سأل هَف عما كان السبب فى موتهم ، كان والده يجيب : " هو الفقر ، كما أرى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

في صيف عام ١٩٤٥ ، كان الحصول على وظيفة أصعب شيء لأن الكثير من الجنود كانوا عائدين من الحرب ، يبحثون عن عمل . فلم تكن الوظائف كافية . إلا أن المعجزة حدثت ووافق السيد جاى دى همفرى على أن يعمل والده لديه فى ساحة سيارات .

كان الجو حاراً ، والعمل شاقاً ، إلا أن والده كان ممتناً لحصوله على هذه الوظيفة وتشبث بها بكل طاقته . وحينما كان يأتى أحدهم للمكان باحثاً عن قطعة غيار لسيارة من طراز قديم ، كان والده يخوض وسط أفدنة من السيارات المحطمة والمعطوبة حتى يجد ما يحتاج إليه ذلك الزبون .

كانت تغطى جسده مع نهاية كل يوم القانورات والشحوم ، وكان ينزف بسبب خدوش أحدثتها الحواف الحديدية ، وكانت عضلاته تئن من الإجهاد بعد جذب المحركات العالقة داخل هياكل السيارات . إلا أنه كان فى غاية السعادة بهذا العمل المستديم ، ولم يشتكِ منه أبداً .

كانَ هَف يبقى داخل الساحة معه . كان جسده ضئيلاً مقارنةً بسنه ، يخجل من محادثة أحد سوى والده . كان يسمح له أحياناً بالقيام ببعض الأعمال الخفيفة ، مثل إحضار أداة من المخزن أو تكويم الإطارات المعطوبة فوق بعضها البعض . بل إن السيد همفرى كان يمنحه أحياناً إطاراً داخلياً كثير الرقع ولا قيمة له . فكان يلهو به فى الساحة المتربة أثناء عمل والده منذ شروق الشمس وحتى غروبها كل يوم عدا الأحد .

أخبره والده بأن الأمور لو سارت كما يشتهى ، فقد يتمكن من إلحاقه بالمدرسة حينما تفتح أبوابها فى الخريف . وأخبره أبوه بأن سنه قد تأخرت قليلاً عن السن المعتادة للالتحاق بالمدرسة ، إلا أنه كان متيقناً من قدرته على اللحاق بمن سبقوه من الصبية .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان هَف متلهفاً للذهاب إلى المدرسة مثل من هم فى مثل سنه . كان يراقبهم من على بعد وهم يتضاحكون ويلهون فى فناء المدرسة ، يلعبون بالكرة أو يطاردون الفتيات اللاتى يهربن منهم فى جذل وضفائرهن تتطاير من ورائهن .

كان مأواهم لهذا الصيف كوخا من الصفيح . وقد خلف سكانه من قبل الكثير من القمامة وراءهم ، وفراشا من القطن على الأرض وبعض قطع الأثاث المتهالك . وهكذا انتقل هو وأبوه إلى ذلك المأوى بعد أن أزاحا خارجاً كل ما لا يرغبان فيه .

أما الليلة التى غيرت حياة هَف إلى الأبد فكانت شديدة الحرارة ، وأشد رطوبة مما هو معتاد . لم يكن العرق يتبخر ، بل ينزلق على امتداد الجلد ، مخلفاً وراءه آثاراً طينية ، حتى يقطر على التراب فى النهاية كالطر فى بداية نزوله . كان من الصعب على المرء أن يتنفس فى عمق ، فالهواء ثقيل شديد الوطأة على الأنفاس . علق والده وهما فى طريق عودتهما من ساحة الخردة على حرارة الجو ورطوبته وتوقع أن تهب عاصفة قبل الصباح .

لم يكادا يجلسان لتناول وجبتهما المكونة من اللحم البارد ، وخبز الذرة ، وحبات الخوخ البرى التى التقطاها من الأشجار على امتداد الطريق ، حتى سمعا صوت سيارة تقترب من الكوخ .

لم يحدث من قبل أن أتى لزيارتهما أحد ، فمن عساه أن يكون هذا القادم ؟

تسارعت نبضات قلب هَف ، وكان عليه أن يبتلع ما بفمه من خبز جاف . لابد أنه مالك هذا المكان ، يريد أن يعرف السبب الذى دعاهما إلى السكن بهذا المكان ، بل والنوم على فراشه ، وتناول الطعام على طاولته ذات الأرجل الثلاث . سيطردهما ، ولن يجدا مأوى آخر .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ماذا لو لم يستطيعا أن يجدا مكاناً آخر قبل حلول موعد المدرسة يوم الثلاثاء التالى ليوم عيد العمال ؟ فلقد كان هَف يتوق لحلول ذلك اليوم . وقد وضع والده علامة حول هذا اليوم فى تلك الروزنامة التى تزينها صورة امرأة عارية ، والمعلقة داخل مكتب السيد همفرى . ففى ذلك اليوم سيتاح له أن ينضم إلى سائر الصبية فى ساحة المدرسة وقد يتعلم أن يلعب معهم ألعابهم .

كادت روحه تفارق جسده فزعاً ، واقترب هَف من والده لدى إطار النافذة الفارغ ليرى سيارة براقة باللونين الأبيض والأسود يومض فوقها ضوء أحمر . كان السيد همفرى بداخل السيارة مع أحد رجال الشرطة ، إلا أنه لم يكن يبتسم مثلما كان ، حينما أعطى هَف الإطار الداخلى . وحينما نزلا منها متجهين صوب الكوخ ، كان رجل الشرطة يربت بهراوة غليظة على راحته العريضة القوية .

أخبره أبوه بأن يبقى بالداخل بينما خرج هو ليرحب بالزائرين . " طبت مساءً ، يا سيد همفرى " .

" أنا لا أريد أية مشكلة من ناحيتك " .

" ما الأمر يا سيدى ؟ "

" أعده لى " .

" ما الذى أعيده لك ، يا سيد همفرى ؟ "

هنا صاح فيه الشرطى : " لا تتلاعب بنا ، أيها الولد ... فالسيد يعلم بأنك أنت من أخذه " .

" إننى لم آخذ أى شىء " .

" هل تعرف صندوق السيجار ... الذى أحتفظ بداخله بكل النقود ؟ "

" أجل ، يا سيدى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد فقد . فمن غيرك يكون قد سرقه ؟ "

" لا علم لى ، يا سيدى ، لكننى لم أسرقه "

" هل تظن أننى سأصدقك أيها القذر ؟ "

كان هَف يرقب الموقف متلصصاً خلف النافذة . وقد احمر وجه السيد همفرى تماماً . كان الشرطى يبتسم ، إلا أن العداوة كانت واضحة عليه . ناول الهراوة إلى السيد همفرى وهو يقول : " ربما أدبته هذه " .

قال والد هَف : " سيد همفرى ، إننى ... " .

كانت هذه الكلمات هى كل ما تمكن والده من النطق به قبل أن يضربه السيد همفرى بالهراوة . ضربه بها على صدره ، ولابد أن الضربة قد أصابته بسوء فقد سقط أرضاً على إحدى ركبتيه : " أقسم لكما بأنى لم أسرق .... " .

ضربه السيد همفرى من جديد ، ولكن هذه المرة جاءت الضربة على الرأس ، وكأنما هى بلطة تشج جلموداً من الخشب . فهوى والده على الأرض . راقداً من دون حراك .

تسمر هَف فى مكانه لدى النافذة . كان يتنفس بصعوبة ، فى عدم تصديق ، وفى رعب .

قال الشرطى ساخراً : " لقد أدبته" ، ثم انحنى نحو والده .

" سيلقنه هذا ألا يسرق شيئاً منى " .

إلا أن الشرطى اعتدل وهو يسحب منديلاً من جيبه الخلفى وهو يقول : " إنه لن يتعلم شيئاً الآن ... لقد مات " .

" أنت تكذب بالتأكيد ؟ "

" إنه ميت بالفعل " .

قلب السيد همفرى الهراوة وكأنما يزنها : " أبداخل هذه الهراوة قضيب من حديد ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال الشرطي وهو يوكز جسد أبيه بطرف حذائه : " إنها فعالة مع الزنوج ... ما اسم هذا الرجل ؟ "

أخبره السيد همفرى بالاسم . إلا أنه لم يكن يعلمه جيداً ، قال : " لقد كان مجرد صعلوك أبيض قذر . حاولت أن أمد له يد المساعدة ، إلا أنه عضها " .

هز الشرطي رأسه فى أسف : " أليست هذه هى حقيقة الحال ؟ على كل ، سأعمل على إحضار حانوتى إلى هنا غداً . وأعتقد أنه سيدفن على نفقة البلدة " .

قال السيد همفرى : " سمعت أن كلية الطب بالجامعة تكون فى حاجة إلى مثل هذه الجثث " .

قال الشرطي : " هذه فكرة جيدة " .

ثم أضاف : " كما أعتقد انه قد خبأ مالك داخل جحر الفأر هذا " .

دلف الاثنان إلى الكوخ ليجدا هَف وقد جلس القرفصاء أسفل النافذة ، يكاد يلتصق بالجدار الذى كان مغطى بالعديد من قصاصات صحيفة بيلوكسى القديمة . قال همفرى : " أوه . . . تبا . . . لقد نسيت أمر ولده " .

أزاح الشرطي قبعته إلى الوراء وهو يضع يديه على خاصرته ، ويصيح فى هَف : " يا له من طفل هزيل قذر " .

" كان لا يفارق والده . اسألنى أنا ، فأعتقد أنه خائف قليلاً " .

" ما اسمه ؟ "

رد السيد همفرى : " لا علم لى باسمه الحقيقى . كنت أسمع أباه يناديه هَف " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أدرك فى نهاية الأمر أن اسمه لم يكن وليد تلك الأمسية فى صيف عام ١٩٤٥ .

لقد عانى من إحساس لا يوصف بالضياع ينتابه دوماً كلما عاوده ذلك الحلم . كان يسعد بأن يراه ، لأنه يتيح له أن يزوره أبوه فى منامه . إلا أن نهايته دوماً لم تكن سعيدة . وحينما يستيقظ ، كان يجد أن والده قد مات ويبقى هو وحيداً .

فتح عينيه . ليجد كريس وبيك واقفين على جانبى فراش المستشفى . ابتسم كريس وهو يقول : " أهلاً بك . عائداً من أرض الأحلام " .

كان لا يزال واقعاً تحت تأثير النعاس والإحساس المعتاد لذلك الحلم ، فاعتدل فى فراشه جالساً وهو يحرك ساقيه على جانبه : " لقد كانت إغفاءة قصيرة " .

ضحك كريس وهو يقول : " إغفاءة قصيرة ... لقد كنت فى حال أشبه بالغيبوبة . حتى أنى اعتقدت بأننا لن ننجح فى إيقاظك منها . كما أنك كنت تتكلم أثناء نومك أيضاً . تقول شيئاً عن خطأ فى نطق اسم . ما الذى كنت تراه فى حلمك ؟ "

غمغم فى سخط : " ليتنى أتذكر " .

قال بيك : " لقد أتينا لنجهزك من أجل العودة إلى المنزل ... لكن من الواضح أننا تأخرنا ولم تعد بحاجة إلى مساعدتنا " .

كان قد استيقظ وارتدى ملابسه منذ الصباح الباكر . فلم يكن بالذى يستطيب له الرقود فى الفراش ، حتى ولو كان فراش المستشفى . قال : " أنا جاهز للخروج من هنا " .

دلف الدكتور كارو إلى المكان فى سرعة ، ومعطفه الطبى يتطاير من ورائه : " نحن جاهزون لتوديعك . فلقد نال العاملون هنا كفايتهم من مزاجك السيئ " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" عليك أن تخرجني من هنا إذن ، فلقد تأخرت بالفعل عن موعد العمل " .

رد الطبيب : " لا تفكر في هذا أبداً ، يا هَف ، فعليك ألا تبارح المنزل " .

" إن المسبك يحتاج إلى وجودي " .

" بل أنت بحاجة إلى المزيد من الراحة قبل أن تواصل نشاطك " .

" تباً . إنني لم أمارس أي نشاط سوى الرقاد على هذا الفراش طيلة يومين " .

لم يكن أمامهم سوى الوصول إلى حل وسط . فسيعود إلى المنزل ليرتاح اليوم ، ولو شعر بأنه على ما يرام في الغد ، فبوسعه أن يمارس العمل لبضع ساعات ، إلى أن يعود تدريجياً إلى ما كان عليه من نشاط . وبالطبع فقد كان كل هذا النقاش جزءًا من الخطة التي وضعها هَف ليخدع كلاً من كريس وبيك .

كان ذلك الوغد كارو يحاكي آل باتشينو في تمثيله ببراعة وهو يلعب دور الطبيب المعالج . فسيعطي هَف الضوء الأخضر كي يعود إلى العمل بعد أن يمنحه هَف ما وعده به من مال لأجل إقناع الجميع بنوبته القلبية الزائفة تلك .

كان ساخطاً من كم الأوراق التي عليه أن يوقع عليها قبل الخروج ، وكذلك اضطراره لمغادرة المبنى وهو على كرسي متحرك . وحينما وصلوا إلى المنزل كان في حالة من الحنق التام .

قال كريس لسيلما : " احذريه ... فهو أخبث من ثعبان " .

لم تدرك ما وراء كلماته هذه ، وهي تعمل على إراحة هَف ، وإجلاسه في غرفة مكتبه وتقديم كأس من الشاي المثلج ووضع غطاء على حجره ، ولكنه ألقاه بعيداً وهو يصيح : " أنا لست عليلاً

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ودرجة الحرارة تقارب التسعين درجة بالخارج ! فلو أردت أن تستمرى فى العمل هنا ، فلا تفكرى أبداً فى أن تضعينى فى هذا المقعد مع غطاء كثيف ! "

قالت وهى ترفع الغطاء وتعاود طيه فى عزة نفس واضحة : " أنا لست صماء فلا تصرخ . كما أن عليك أن تنتبه لألفاظك .... ما الذى تود تناوله على الغداء ؟ "

" دجاج محمر " .

" بل ستأكل سمكاً مشوياً مع الخضراوات " . قالتها وهى تغادر الغرفة ، مغلقة الباب خلفها فى هدوء .

قال له كريس : " إن سيلما هى الوحيدة التى تجرؤ على التحدث معك بهذا الأسلوب " . كان يلقى بالأسهم تجاه لوح النيشان ولكن من دون حماس .

أما بيك فكان جالساً على الأريكة ، واضعاً ساقاً فوق الأخرى ، وذراعاه مفرودتان بطول ظهر الأريكة .

أشعل هَف سيجارته الثانية منذ أن غادروا المستشفى : " إنكما لا تقنعانى بما أنتما عليه الآن " .

سأله بيك : " وما هذا الذى نحاول أن نقنعك به ؟ "

قال وهو يطفئ عود الثقاب : " أنتما تتظاهران بأن لا شىء يقلقكما على الإطلاق .... لذا دعكما من هذا وأخبرانى بالذى يجرى " .

قال كريس : " لقد منعك الدكتور كارو من التدخين " .

" تباً له ... لا تغيرا الموضوع . فأنا أريد أن أعرف ما الذى يدور من حولى . فمن منكما سيخبرنى ؟ "

أخذ كريس مكانه على الأريكة الخالية وقال : " لقد عاد وايت سكوت ليثير القلق من جديد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" وما جديده هذه المرة ؟ "

قال بيك : " إنه لا يزال ينقب من حول كريس " .

نفث هَف دخان سيجارته ، وهو يتساءل عن سبب عدم وجود مثل هذا الشرطي الهمام وقت أن تم قتل والده بدم بارد . فلم يطرح أحد ولو سؤالا واحدا عن سبب تهشم رأس والده حتى تطايرت أجزاء من مخه . بل إن هَف ليس متيقنا من أن والده قد تم دفنه ، أو أنه قد تم تسليم جثته إلى كلية الطب بالجامعة لكي يعمل على تشريحها بعض الطلبة المبتدئين .

وقد تم اقتياده إلى السجن لكي يقضي الليلة به ، لأنهم لم يعرفوا كيفية التصرف معه . وقد أخبر السيد همفرى الشرطي أثناء استقلالهم السيارة بأنه لا يستطيع أن يصطحب الصبي معه إلى المنزل وإلا غضبت زوجته . " إنه قذر ، وربما كان بشعره قمل . وربما نقل تلك القاذورات إلى الأولاد " .

بينما كان جالسا يبكي في تلك الليلة داخل زنزانة السجن ، سمع شرطيا كان مسئولا عن حراسته يخبر زميله بأن السيدة همفرى هي من أخذت المال الذي بصندوق السيجار ، هذا بعد أن كانوا قد فتشوا الكوخ بلا جدوى .

قال وهو يحكي لزميله : " كانت هناك تخفيضات كبرى على الأقمشة بالمتجر . ولم يكن معها نقود كافية ، وهكذا أتت إلى ساحة السيارات وأخذت الصندوق من دون حتى أن تهتم بإخبار زوجها " .

قال الشرطي الآخر : " إن كان هذا هو الحال ، فلا بأس إذن " .

وتبادلا الضحكات حول ما حدث من سوء فهم .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وفى الصباح التالى ، تسلم هَف شطيرة نقانق مع كمكة كإفطار ، بعدها أمره الشرطى بأن ينتظر فى صمت ، وألا يتكلم مع أى أحد .

التزم بذلك حتى وصل رجل نحيف يرتدى حُلّة مقلمة خفيفة ونظارة سلكية الإطار . أخبر هَف بأنه قد أتى ليأخذه إلى دار للأيتام . وقال له وهما يبتعدان عن السجن : " أنت لن تكون سببا فى أية مشكلات لى ، أليس كذلك ؟ "

لم يكن الرجل يدرى بالجحيم الذى ينتظره وينتظر الدار التى يشرف عليها . وسيحيا حتى يلعن اليوم الذى قرر فيه أن يخرج هَف هويل الصغير من السجن إلى الدار .

عاش هَف طيلة الخمس سنوات التالية فى دار الأيتام التى يديرها رجال دين يدعون إلى محبة الله بينما لا يتورعون عن تمزيق جسدك بالسياط لو أنك خالفت أوامرهم ، وهو الأمر الذى اعتاده هَف على الدوام .

عند سن الثالثة عشرة ، هرب . غادر المكان نادماً على شىء واحد ، وهو أن ذلك الوغد ذو الحلّة المقلمة لم يدر أن قاتله هو هَف . كان عليه أن يوقظه أولاً ويتيح له فرصة أن يرتدى نظارته قبل أن يكتم أنفاسه بالوسادة .

لكنه لم يرتكب مثل هذا الخطأ مع السيد همفرى . فلقد عمل على أن يراه قاتل والده ويسمع الاسم الذى همس به بالقرب من أذنه قبل أن يخنقه حتى الموت ، بينما زوجته البدينة نائمة بتعالى شخيرها فى الفراش المجاور .

أما الشرطى فقد وفر عليه عناء أن يضطر إلى قتله . فقد سأل عنه هَف فى أرجاء البلدة حتى عرف بأنه قد قتل بعد أن تدخل بين زنجيين يتشاجران حول كلب صيد . كانت مع أحدهما سكين ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

غرسها حتى المقبض داخل أحشاء ذلك الشرطى . وعلم بأنه قد مات بعد صراخ طويل .

لقد سقط رجال الشرطة من نظره منذ الليلة التى قُتِل فيها والده ، وهو الأمر البادى عليه الآن ، قال بعد أن أفاق من ذكرياته : " ما الذى فى جعبة ذلك المحقق سكوت هذه المرة ؟ "

أخبره بيك بأمر الاستجواب الذى جرى فى الليلة الماضية . وكان كريس يتدخل بين الحين والآخر لإبداء استنكاره لنقطة ما أو للتقليل من شأن ذلك المحقق .

وحينما انتهى بيك من روايته ، قال هَف : " إن تفسيرك لتلك المكالمة الهاتفية قد أخمد حماس سكوت . خاصةً وأننى قد طلبت منك أن تطلب من دانى الحضور بعد عودته من دار العبادة . لكن سكوت متحمس وطموح ، وهو أمر مقلق . ويبدو لى أنه لن يهدأ باله أو يصرف النظر عن هذه النقطة " .

قال بيك : " أخشى أنك على حق ، يا هَف " .

أما كريس فقال ساخطاً : " أنا لا أدرى ما حلّ بالسيد ريد . ففى كلتا المرتين اللتين توجهت خلالهما إليه كان يترك إدارة الاستجواب لسكوت . كان علىّ أن أجلس لأتلقى تلك التفاهات من ذلك الغبى من دون أى تدخل من قِبَل ريد . هل يريد المزيد من المال ؟ ولو كان الأمر كذلك فلنعطه بعض النقود حتى نفرغ من هذا الأمر . أو نقوم نحن بعمل الشرطة " .

قال هَف وهو ينظر إلى كل من كريس وبيك : " عمل الشرطة ؟ ما الذى يتحدث عنه ؟ "

قال بيك : " إن كريس يعتقد أن هناك من قتل دانى وعمل عمداً على أن يلفق تلك الجريمة له " .

قال كريس : " هناك من ينصب لى فخاً ، يا هَف " .

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

تحرك هَف في مقعده لوضعية أكثر راحة وهو يقول : " ينصب لك فخا ، هه ؟ ما رأيك في هذه النظرية ، يا بيك ؟ "

" نظرية معقولة . فلقد أصبح لك أعداء كثيرون خلال السنوات الماضية . فأرى أنه لو كان هناك من يريد أن ينال منك ، فإنه سوف يعمد إلى أحد أبنائك . وسيكون الصاع صاعين لو أنه نال من الاثنين معاً " .

" ألديك فكرة عمن قد يكون ذلك الشخص ؟ "

بادر كريس قائلاً : " سلاب واتكينز " .

حدق هَف إليه لبضع دقائق ، ثم ندت من أعماق صدره ضحكة : " سلاب واتكينز ؟ إنه يفتقر إلى الذكاء الكافي لأن يقتل بعوضة من دون أن يعرف بذلك أحد " .

قال كريس : " عليك أن تأخذ كلامي على محمل الجد . فهو خطر علينا " .

قال هَف : " هو كذلك . بل جميع عائلة واتكينز . إلا أنني لم أعهد أنهم قتلة " .

" إنهم مقاتلون ومعتادو العنف . وقد يكون سلاب الآن قد اكتسب صفات القاتل خاصة بعد قضائه ثلاث سنوات في السجن " . ثم تقدم كريس إلى حافة الأريكة وهو يضيف : " فما أن تم إطلاق سراحه ـ وهو غاضب من العالم ـ تقدم بطلب للعمل في المسبك . ولم يوافق عليه داني . وكان سلاب يعلم كما يعلم الجميع بأننا نقبل تشغيل خريجي السجون لأن أجرتهم زهيدة . أما داني ، الغني الذي يمثل لسلاب كل شيء يكرهه ويلقي عليه بتبعات حظه السيئ في الدنيا ، فقد رفض طلبه . وعليكما أن تضيفا على هذا تلك المشاجرة التي جرت معه منذ ثلاث سنوات ، وعندها أرى أن كل هذا يعد دافعاً قوياً له ليقتله ثأراً " .

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

التقط بيك طرف الحديث وهو يتابع : " ربما كان واتكينز يراقب دانى ، منتظراً الفرصة ليضرب ضربته . وفى تلك الظهيرة يوم الأحد ، تتبع دانى حتى وصوله إلى معسكر الصيد " ، ثم باعد بين ذراعيه رامزاً إلى ما قد حدث . وأضاف : " تلك مجرد فرضية " .

قال كريس : " إن سلاب من الغباء الذى يجعله ينسى أمر أن يترك طعماً فى السنارة حينما خطط ليبدو الأمر كما لو أن دانى قد ذهب إلى هناك ليصطاد . ولم يكن ليعرف بأمر كراهية دانى لصيد الأسماك " .

نهض هَف عن مقعده ودار عبر أرجاء الغرفة ، وهو يتأمل فى مقتنياته ، ويستطعم مذاق التبغ المحروق على لسانه . حتى قال : " تبدو لى نظرية متسقة ووجيهة ، حسناً ، إلا أنها لا تتعدى أن تكون مجرد تخمينات . فليس لديكما ما يدعم تلك النظرية " .

قال كريس : " لدينا سلاب نفسه . فلقد أصبح مغروراً لدرجة بالغة . فما الذى يدعوه إلى مهاجمة ساير فى المطعم ؟ فهو لم يسبق له ذلك . كما أنه سب العائلة كلها فى الليلة السابقة . وقد سمعه بيك " .

نظر هَف إلى بيك فوجده يومئ مؤمناً على كلامه . " لقد فعلها . وهناك آخرون سمعوه أيضاً " .

" وما رأى ريد حول هذا الأمر ؟ "

قال بيك : " لم أذكر له هذا سوى مرة واحدة " .

قال كريس حانقاً على سلبية المأمور : " إنه لم يعلق على هذا بشىء . ألا تريان أن عليه أن يستجوب واتكينز ؟ "

" هذا أقل شىء " . قالها هَف وهو يطفئ بقايا سيجارته فى مطفأة على الطرف الآخر من الطاولة . " اتركا لى أمر ريد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وقبل أن يستأنف الكلام ، طرقت سيلما الباب فى هدوء ، ثم فتحته قائلة : " لقد وصلك خطاب ، يا سيد هويل " .

أشار لها أن تعطيه إلى بيك وهو يقول له : " أود أن تتولى أمره أياً كان " .

" بالطبع " .

أخذ بيك المظروف من سيلما وفتحه . كانت به ورقة واحدة . راقب هَف عينىّ بيك وهو يستطلع فحوى الورقة فى سرعة ، ثم يعاود قراءة الورقة من جديد ولكن ببطء . وحينما انتهى منها ، كان يتمتم ساخطاً بصوت غير مسموع . شاهده هَف وهو ينظر إلى كريس نظرة قلق .

سأله هَف : " أهى أخبار سيئة ؟ هيا ، أخبرنى بها " .

تردد بيك ، مما زاد من قلق هَف .

صاح فيه : " تبا ! ألست أنا المسئول عن كل شىء هنا أم ماذا ؟ "

قال بيك فى هدوء : " آسف ، يا هَف . أنت المسئول بالطبع " .

" عليك إذن أن تخبرنى وبصراحة عما فى هذه الرسالة " .

" إنها من تشارلز نيلسون . وقد عرف بأمر ما حدث لبيلى بوليك " .

وضع هَف سيجارته فى فمه وهو يتراجع فى وقفته على كعبيه : " ثم ؟ "

تنهد بيك وهو يضيف : " أنت تعرف ما يعنيه هذا " .

لم يكن كريس سعيداً لرؤية جورج روبسون قابعاً فى مكتبه حينما عاد إليه بعد غداء مشحون بالتوتر مع هَف ، سب خلاله كل شىء بدءاً من تشارلز نيلسون وحتى الطعام الذى أعدته سيلما .

سأله جورج : " هل لى بدقيقة معك ، يا كريس ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم يكن لدى كريس عذر مقنع يجعله يرفض طلبه ، لذا أشار له بأن يتجه صوب مكتبه الخاص .

لم يكن لدى جورج أية مميزات من الناحية الجسدية . كما أن شخصيته لم تكن من النوع الذى يجذب الأصدقاء . ومحاولاته اللحوحة لأن يسترضى العائلة لم تجعله سوى مصدر للإزعاج . فهو مجرد رجل غبى يحاول أن يشغل دوراً ليس مؤهلاً له ، وقد يكون قد انخدع بأنه قادر على هذا الدور ، من دون أن يدرك أنه لن يستطيع أبداً أن يلعبه .

لم يكن يعلم أن هذا الوهم بالذات هو الذى جعله مناسباً لوظيفته هذه .

وقد وجد كريس أن من العجيب أن جورج لم يكن على دراية بأن الرجل الذى عينه فى منصبه ويقدم له شرابا الآن هو نفسه الذى تخونه زوجته معه .

قال جورج : " كلا ، أشكرك " .

" ما الذى يمكننى أن أفعله من أجلك إذن ، يا جورج ؟ "

" إنه ذلك الناقل . فلقد حضر هذا الصباح من أتى ليستبدل السير " .

" حسناً ، ما المشكلة إذن ؟ "

" إنه ، أوه ... ذلك الفنى طلب بأن يبقى من دون تشغيل حتى تتم له عملية صيانة شاملة " .

عاد كريس بظهره فى المقعد إلى الوراء وهو يقول ساخطاً : " لن يُبعد هَف أن يعرف بهذا " .

" أنا أؤيدك فى هذا " .

فنظر إليه كريس بلطف وهو يقول : " ما الذى تنصح به إذن ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بلل جورج شفتيه بلسانه ثم قال : " إن السلامة هى همى الأول " .

" هذا طبيعى " .

" كما أن تلك الماكينة قد أفقدت أحد العاملين ذراعه " .

لم يعلق كريس بشىء ، وهو يستمتع بالطريقة التى ترتعد بها فرائص جورج بفعل نظراته إليه .

غمغم فى توتر : " لكن ... لكن فى رأيى ... إن الصيانة ستكون غير ضرورية ، وأرى أنها جاهزة للتشغيل " .

ابتسم كريس : " إننى أثق فى خبرتك فى مجال الأمان المهنى ، يا جورج . وكذلك هَف . وأنت تعرف هذا . فلو قلت إنه قد تم إصلاحها بشكل يرضيك وأنها آمنة عند التشغيل ، فإننا سنثق فى رأيك . هل من شىء آخر ؟ "

" كلا . فهذا كل شىء " . نهض لينصرف وما أن وصل إلى الباب حتى التفت ليقول : " فى الحقيقة هناك شىء آخر . ليلى " .

توقف كريس عن مطالعة الرسائل المتناثرة على مكتبه ، ونظر إليه . ما الذى يريده يا ترى ؟ هل اعترفت له تلك العاهرة بعلاقتها معه ، إلا أنه لم يجد سوى أن يسأله فى لطف : " ليلى ؟ "

ازدرد جورج لعابه فى صعوبة وقال : " لقد ذكرت لى منذ فترة قصيرة أن علينا أن ندعوك على العشاء فى أية ليلة قادمة . وهَف كذلك بالطبع . فهل ترحب بهذا ؟ "

رد كريس بعد أن استراحت أعصابه : " أوه ... لا أعتقد أن لدى مانعا . هل هى طاهية ماهرة ؟ "

ضحك جورج فى عصبية وهو يربت على بطنه المنتفخة : " هذا يغنينى عن أى وصف " . ثم لعق شفتيه بلسانه مرة أخرى وهو

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

يقول : " ومع هذا فقد كان على أن أطعم نفسى بنفسى فى الليلة الماضية ، فقد كانت خارج المنزل " .

عاد كريس ليطالع قصاصات الرسائل على مكتبه وهو يعلق : " حقا ؟ "

" لقد اضطرت إلى أن تذهب لزيارة صديقة مريضة " .

" آمل ألا تكون حالتها خطيرة " .

" لست أعتقد هذا . ولكنها عادت فى وقت متأخر " .

رفع كريس رأسه مجددا لينظر إلى زوج ليلى . " يحق لك أن تقلق على سيدة مثل ليلى وعلى سلامتها ، يا جورج . لا تدعنا ننتظر طويلا حتى نتناول ذلك العشاء بمنزلك ، اتفقنا ؟ "

أومأ جورج برأسه موافقاً ، ثم تردد كما لو كان لا يدرى كيف ينهى هذا الحوار ، ثم استدار لينصرف .

تمتم كريس : " تبا ... الآن علمت سبب خيانة ليلى لهذا الأحمق " .

قالت السيدة لوريتا فوستر وهى تخبر ساير بوفاة زوجها : " لقد توفى زوجى فى العام الماضى . فليرحمه الله " .

قالت ساير : " أنا آسفة . هل كان مريضاً ؟ "

" لم يمرض طيلة حياته . بل سقط ميتاً هنا فى المطبخ أثناء إعداده لقدح من القهوة . شخص الطبيب السبب على أنه انسداد رئوى وأنه قد مات قبل حتى أن يرتطم جسده بالأرض " .

" إن الموت المفاجئ يأتى صادما دوما " .

أومأت السيدة فوستر مؤمنة على كلامها وشعرها الأشيب يتحرك كوحدة واحدة . " إن الموت راحة لمن يموت بهذه السرعة " ، قالتها وهى تطرق بأصابعها ثم تضيف : " إلا أنه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

يخلف التعب والشقاء لن يتركهم ويرحل . وها أنا ذا وحدى مع ابنى فقط " .

أشارت إلى ابنها ، الذى كان يجلس على الأرض يشاهد شاشة التلفاز الضخمة التى تشغل معظم مساحة حجرة المعيشة بالمنزل الصغير . كان يبدو مستغرقاً فى الأحداث التى تجرى أمامه .

كانت السيدة فوستر قد وضعت أمامه كيساً كبيراً من المقرمشات مع كوب من عصير البرتقال ، بعد أن نبهته إلى أن يحتاط حتى لا ينسكب شىء على السجادة . بدا أنه لم يسمعها وحتى لم يكن مدركاً لوجود ساير ، التى كانت تجلس مع أمه إلى طاولة المطبخ ، ترتشفان الشاى المثلج .

لكن من الواجب أن ننبه إلى أن ذلك " الولد " كان فى الأربعين من عمره .

قالت السيدة فوستر هامسةً بصوت تسمعه ساير بالكاد عبر أصوات الفيلم : " أعتقد أنكِ قد لاحظتى أنه غير طبيعى . لقد ولد على هذا الحال . ومن دون أى خطأ وقع اثناء الحمل . ولكنه ولد على هذا الحال " .

قالت ساير وهى لا تدرى بما عليها أن تعلق به : " أنا أقدر لك سماحك بزيارتى فى هذا الوقت " .

ضحكت السيدة فوستر حتى اهتز صدرها : " إننا لا نذهب إلى أى مكان أو نقوم بأى شىء ، إلا خلال الأيام التى نذهب فيها إلى دار العبادة ، أما بقية الأيام فتشبه بعضها البعض . والصبى لا يشكو طالما أجهز له عشاءه فى الخامسة والنصف مساء كل يوم . هذا هو كل ما نقوم به ، لهذا يسعدنى أن أجد أحداً أتحدث إليه . إلا أننى أتساءل نوعاً ما عن سبب طلبك زيارتى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان اسم لوريتا فوستر من بين الأسماء التى فى القائمة التى تحصلت عليها ساير من المحكمة ، بفضل اتصالات جيسيكا ديبلانس .

" أعرف سيدة تعمل بمكتب ضرائب " ، هكذا قالت لها جيسيكا حينما طلبت منها معروفاً " لسنا بالأصدقاء المقربين ، إلا أننى أعتقد أنها مستعدة لأن تساعدنا . ما الذى تحتاجين إليه ؟ "

طلبت منها ساير قائمة بأسماء المحلفين الذى حكموا فى قضية كريس . فأجرت جيسيكا بعض الاتصالات . ووافقت إحدى معارفها التى تعمل فى دار القضاء على أن تبحث عن إمكانية التحصل على القائمة وطلبت منها إمهالها بضع ساعات .

التقتها ساير فى الموعد المتفق عليه وأخذت منها القائمة . قالت لها المرأة : " كان الأمر أسهل مما توقعت . فهم يحتفظون ببيانات من يخدمون كمحلفين ، حتى إذا تمت إعادة استدعاء أحدهم فى غضون فترة قصيرة ، فبوسعه أن يطلب إعفاءه . كما يتم تسجيل رقم القضية أمام بيانات كل محلف ، حتى يتم الرجوع إليه عند الضرورة " .

حينما ذهبت ساير للقاء بيك ميرشانت فى الليلة الماضية كانت تحمل بجعبتها تلك القائمة . ولكن لم تتح لها فرصة استغلالها . وقد عادت هذا الصباح إلى دار القضاء واستغلت سجلات الضرائب لتعرف منها أن عشرة من المحلفين الاثنى عشر لا يزالون يعيشون فى الأبرشية .

وقد أخبرها أول اثنان هاتفتهما وبشكل مباشر بأنهما لا يرغبان فى الحديث عن القضية وأغلقا الخط . أما الثالث فكان ، كما علمت من زوجته ، فى وردية عمل بمصانع هويل . وحينما

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أفصحت ساير عن طبيعة ما تريد ، تحول الود فى صوت زوجته إلى تحفز سرعان ما انقلب إلى عداء عندما ألحت ساير فى طلبها . ذكرت لها أن زوجها سيكون مشغولاً ولن يتمكن من لقاءها فى الأيام المقبلة .

لكنها نجحت فى محاولتها الرابعة فى الحصول على موافقة السيدة فوستر على لقائها .

كانت تقلب كأس الشاى المثلج . حتى ازداد كثافة بفعل السكر .

" لقد أردت التحدث معكِ بشأن محاكمة أخى كريس بتهمة القتل . لقد كنتِ ضمن هيئة المحلفين ، أليس كذلك ؟ "

بدا على ابتسامة السيدة فوستر علامات التوتر فجأة : " هذا صحيح . لقد كانت المرة الأولى والوحيدة التى قمت خلالها بذلك ، ولقد عشت فى هذه الأبرشية طيلة حياتى . وما سبب اهتمامك بها ؟ "

كان شرح السبب مهمة صعبة : " لقد خذلت أخى حينما لم أتواجد طيلة فترة محاكمته . وندمت على عدم عودتى إلى ديستينى للوقوف بجانبه . وقد كنت آملاً فى أن أتحدث إلى من كانوا على صلة بالقضية حتى أفهم جيداً ما حدث وقتها " .

لم تقتنع السيدة فوستر بهذا التفسير . ليس بشكل كامل على الأقل ، قالت لها : " ما الذى تقصدينه بهذا الكلام ؟ فلم يحدث شىء . لم نستطع التوصل إلى قرار ، وهذا هو كل شىء . فقد حدث اختلاف فى التصويت " .

" ولأى قرار أعطيتِ صوتكِ ، يا سيدة فوستر ؟ "

نهضت عن الطاولة ، متجهة إلى الموقد . لترفع غطاء أحد الأوعية وتقلب محتوياتها . " لا أرى أن لهذا الأمر أهمية الآن . فلقد تمت تبرئة ساحة أخيك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل تعتقدين أنه برىء ؟ "

أعادت وضع الغطاء فى حدة ، وهى تلتفت إلى ساير : " وماذا إن كنت أعتقد ذلك ؟ "

ابتسمت لها ساير ابتسامة تمنت أن تكون مقنعة : " سأكون مدينة لكِ بالشكر . وأنا متأكدة من أن أخى ووالدى قد شكراك " .

عادت السيدة فوستر إلى مقعدها عبر الطاولة ، وهى تراقب ساير عن كثب وهى ترتشف الشاى . " لقد أتيا لمصافحتنا بعد المحاكمة . وبخلاف ذلك فلا علم لى بأى طريقة شكر تقصدينها " .

تطلعت ساير عبر أرجاء حجرة المعيشة . كانت مرتبة ، إلا أن الأثاث قديم متهالك . كانت هناك قطع من الأقمشة المزركشة تغطى الأماكن التى تداعت فيها أنسجة المقاعد . أما ورق الحائط فكان باهت الألوان ، والسجادة التى شغلت بال السيدة فوستر كانت بالية بالفعل وبها الكثير من البقع .

كان التلفاز هو أحدث شىء بالمكان ، وأبهظ متعلقات المكان ثمناً . كان متباينا مع ديكور المكان ، والذى كان أغلى ما فيه لوحة زيتية معلقة على الحائط فوق الأريكة المتهالكة ونموذج لفهد رخامى ذى عينين خضراوين موضوع على طاولة القهوة .

كانت ساير قد عملت فى مجال ديكور حجرات معيشة وحجرات مكتب من قبل وكان هناك وحدات فيديو كهذه ، لذا فهى تعلم بتكلفة أمر كهذا . وهى تكلفة تتعدى بكثير ميزانية هذه الأرملة .

لم يتحرك ابن السيدة فوستر من موضعه أمام الشاشة الكبيرة منذ أن حضرت ساير . بل تابع الجلوس على هذه الوضعية الهندية على الأرض ، يقرمش طعامه ويشرب العصير ، وعيناه مثبتتان على الصور التى يعرضها التلفاز .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

عادت ساير لتنظر إلى لوريتا فوستر مباشرةً . ارتسم تعبير دفاعي على وجهها في البداية . ولكن ما أن حدقت ساير إليها بشدة ، حتى أصبحت متوترة . إلى أن استسلمت لنظراتها في النهاية في خجل .

قالت : " أرجو المعذرة . فعلى أن أعد عشاء الولد . فهو يتذمر لو أنه لم يكن جاهزاً عند وقت عرض برنامج عجلة الحظ . فهو يحب تناول الطعام وهو يشاهده . ولا تسأليني عن السبب فهو لم يخبرني به ... فكلامه متلعثم وقليل " .

ثم أضافت وهي تخاطب ساير بنبرة هي مزيج من الترجي والتحدي : " كما أخبرتكِ ، فإنه ليس على ما يرام . ولم يكن أبدًا على ما يرام . ويعتمد عليّ في كل شيء . فأنا كل شيء له في هذه الدنيا ، ويجب عليّ أن أجد من يستطيع أن يلبي له طلباته لو حدث وفارقت هذه الحياة ، أليس كذلك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل العشرون

طرق ريد هاربر الباب عدة طرقات خفيفة ، ثم ظهر من وراء باب حجرة مكتب هَف : " لقد أخبرتنى سيلما بأنه لا مانع من الدخول إليك " .

" لقد كنت أنتظرك . أعد لنفسك شراباً " .

" سأفعل " . صب لنفسه بعض الشراب معه وهو يتجه صوب الأريكة ، حيث جلس واضعاً قبعته الرسمية على ركبتيه . حياه هَف بكأسه ، وارتشف كل منهما رشفة من شرابه . علق ريد قائلاً : " تبدو لى فى خير حال . كيف حالك الآن ؟ "

" وكأنى فى العشرين " .

" لقد نسيت كيف يكون ذلك الشعور " .

" أتذكره وكأنما كان بالأمس . كنت أعمل لدى العجوز ليفنش فى المسبك . وكانت مهمتى أن أشرف على المصهر . عمل شاق ، ولكننى كنت معتاداً علي أن أعمل لدوامين كلما اتيحت الفرصة . وكان امتلاك المكان هدفاً لى بالفعل " .

كانت الدراسة داخل دار الأيتام صارمة ، وهو الأمر الوحيد الذى استفاد هَف منه . ففى غضون بضعة أشهر ، كان قد لحق فى تعليمه بمن كانوا قد سبقوه . كان يمكث داخل الفصل ليراجع

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الدروس التي كان قد تعلمها للتو ، فلم يلعب الكرة أو يطارد الفتيات كما كان يتخيل أنه سيفعل وقتما كان لايزال يحمل بعض البراءة والمثالية . كانت أمامه أهداف أسمى الآن ، وهكذا انغمس في التعليم ، بصورة مكثفة وخلال أسرع وقت ممكن .

كان يقرأ لساعات كل ليلة تحت ضوء ضعيف داخل الحمام المشترك ، جالساً على الأرضية الصلبة الباردة ، يتصبب عرقاً خلال الصيف ، ويرتعد برداً خلال أشهر الشتاء . كان الطعام بلا مذاق ، إلا أنه كان يأتي عليه بأكمله ، وعن طريق هذا بدأ جسمه ينمو .

حينما فرّ من المكان في الثالثة عشرة ، كان قد فاق أقرانه جسداً وعقلاً . أما بقية تعليمه وربما أهم دروسه فقد اكتسبها من خلال خبرة الحياة . كان يعتمد على نفسه تماماً ، وعلى ذكائه ، ويوفر لنفسه المأكل والمأوى بينما كان أقرانه من المراهقين منشغلين بمشاكل أتفه من هذا بكثير .

كان يستقل قطار شحن لا يعلم وجهته ، حينما توقف في ديستيني لكي يفرغ حمولة بعض عرباته التي تحمل الخردة لحساب مسبك لينش . لم يكن متيقناً من الحالة التي كان عليها ، إلا أنه عندما قرأ اسم البلدة على خزان المياه بدا له الأمر أشبه بفأل حسن ، حيث إن كلمة ديستيني تعني القدَر .

قرر من فوره أن تكون ديستيني هي مستقبله .

لم تكن لديه خبره في أعمال المسابك ، لكن مسبك لينش كان المصنع الوحيد في البلدة والمكان المتاح للعمل به . تعلم هَف بسرعة وسرعان ما لفت أنظار السيد لينش إليه .

قال لريد : " كنت ساعده الأيمن مع بلوغي سن الخامسة والعشرين . وقضيت السنوات التالية محاولا كسب ثقته " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم يكن الرجل الذى أصبح والد زوجة هَف من نوى الطموح الكبير . فهو راض بما تحققه أعماله من " معيشة جيدة " . وكان طموحه المحدود مثار سخط هَف ، الذى كان يرقب توسعات السوق وفرصة تكاد تضيع فى توسعة حصة المصنع فى هذا السوق .

كان هذا أساس خلافات كثيرة بينهما . فلم يكن السيد لينش ينتوى أن يجرى أية توسعات أو زيادة فى الطاقة الإنتاجية . فقد كان قانعاً بما هو عليه . أما هَف فقد كان يتمتع بطاقة غير محدودة وأفكار مبتكرة . فللسيد لينش رأى شديد التحفظ تجاه النفقات المالية . أما هَف فقد كان يعتقد أن على المرء أن ينفق المال لأجل أن يجنى المزيد منه .

أما ما كانا يتفقان عليه فهو أن صاحب المال هو السيد لينش بينما هو فلا يملك سوى مرتبه الأسبوعى . وهكذا كان رأى السيد لينش هو الفيصل فى نهاية الأمر .

لكن حظ السيد لينش السيئ هو الذى أتاح الفرصة لهَف . فقد تولى هَف إدارة المصنع حينما أصيب الرجل المجوز بنوبة قلبية . وقد عمل على طرد كل من امتلك الشجاعة لأن يقف أمام طموحاته . ومع أنه قد قضى السنوات الثلاث الأخيرة من عمره غير قادر على الكلام المفهوم أو حتى المشى ، إلا أن السيد لينش قد عاش حتى رأى حجم أعماله يتضاعف أربعة أضعاف ، وكذلك صافى الربح ، وقد تزوجت وريثته الوحيدة ـ لوريل ـ من الرجل الذى حقق كل هذا النمو .

قال هَف لريد : " كنت فى الثلاثين من عمرى حينما توفى السيد لينش . وبعد عامين سميت المصانع باسمى " .

قال ريد : " كنت دوماً معتزاً بنفسك ، يا هَف " .

" لقد كنت أنا من قام بكل شىء . فلى الحق فيما فعلت " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

حدق ريد إلى كأسه وهو يقول : " هل استدعيتنى إلى هنا لأجل حديث الذكريات هذا ؟ "

" كلا ، أنت هنا لتخبرنى عما يدور من حولى بحق السماء . فذلك المحقق الجديد يضيق الخناق على كريس ، وأنت لم تتدخل . فما السبب ؟ ألا يكفيك ما أدفعه لك ؟ "

" ليس لهذا صلة بالأمر ، يا هَف " .

" فماذا إذن ؟ "

" إننى أحتضر " . قالها وهو يتجرع ما تبقى فى كأسه ، ثم يقلب الكأس الفارغة بين راحتيه .

عقدت الدهشة لسان هَف .

رفع ريد عينيه المرهقتين ناظراً إليه وهو يقول : " سرطان البروستاتا " .

" تباً لك ، يا ريد " . قالها وهو يتنفس الصعداء مشيحاً بيده : " لقد أصابنى الهلع خوفاً عليك منذ لحظات . إن هذا المرض لم يعد حكماً بالإعدام . فبوسعهم الآن استئصال الورم و... " .

" أخشى أن هذا لم يعد ممكناً ، يا هَف . فلم يكتشفوه فى الوقت المناسب . فامتد الورم عبر الغدد الليمفاوية . والعظام . وإلى كل مكان الآن " .

" وماذا عن العلاج الكيماوى ؟ أو الإشعاعى ؟ "

" لا أود أن أخضع لمثل هذا . فلن يطيل من عمرى سوى بضعة أشهر ، هذا إن نجح ، وأنا قلق على ما تبقى لى فى هذه الحياة " .

" أوه ، يا ريد ، أنا لا أجد أمامى سوى الأسف " .

" حسناً . إن الحقيقة يا هَف هى أننى متعب . وقد أنهك جسدى . ولم أعد قادراً على الوقوف فى مواجهة واين سكوت . وهو

رجل نزيه ، يحاول أن يؤدى عمله على أكمل وجه . أما أنا فمجرد رجل فاسد منبوذ . مثلك تماماً " .

هنا رفع ريد يده لكى لا يبدى هف اعتراضه . " لا معنى لمحاولة أن نجمل الأشياء ، يا هَف . فالعلاقة بيننا مهما بدت جميلة من الظاهر فإنها شديدة القبح من الباطن . فلقد ارتكبت الكثير لدرجة أنى لم أعد أهتم بالعواقب .

لا حيلة لى فيما فعلته فى الماضى . إلا أن كريس قد أوقع نفسه فى ورطة أخرى ، ولم أعد أظن أن لدى الوقت أو الجهد الكافى لإنقاذه منها " .

كانت لكلماته وقعها ، خاصةً وهى تصدر عن رجل قليل الكلام مثل ريد . على أن دلالتها تفوق عددها بكثير .

سأله هَف : " ما المدة المتبقية قبل أن تترك منصبك ؟ "

" شهر . وقد تزيد المدة أو تقل عن هذا بأسابيع " .

" بهذه السرعة ؟ "

" أود أن أقضى بعض الوقت مع عائلتى قبل فوات الأوان " .

" هذا مفهوم ، يا ريد . إلا أن هذا التقاعد قد جاء فى وقت غير مناسب تمامًا " .

" ليس بيدى شىء . أما موضوع كريس فربما يطول " .

كرر العبارة فى غضب : " موضوع كريس . إنه ليس طفلاً مدللاً . ولو كان كذلك لما اعتمدت عليه فى شىء . لقد اقترف الكثير من الأفعال ، وعليه أن يكون أول من يقر بها " . ثم مال هَف تجاه ضيفه مضيفاً : " إلا أنه لم يقتل أخاه " .

كان رد ريد بطيئاً ، لكنه قال : " وأنا لا أعتقد أنه من فعلها أيضاً " .

" إنه يرى أن هناك من ينصب له فخاً " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد أخبرنى بيك بهذا . هل كان جاداً فى اتهامه لسلاب واتكينز ؟ "

" بالتأكيد " . حكى هَف ما دار بينه وبين بيك وكريس .

" وأنا الآن لا أدرى شيئا عما إذا كان واتكينز قادرا على أن يخطط وينفذ لجريمة قتل وأن يوقع فى شباكها بشخص غيره ، إلا أن الفكرة تستحق البحث . وأنا متيقن من أنك توافقنى الرأى " . كانت نظرة هَف تنبه المأمور إلى أن الموافقة هى خياره الوحيد .

كما تابع كلامه حتى يكون واضحا : " إن واتكينز مجرم قضى ثلاث سنوات بالسجن . وأنا أشك فى أنه قد قضى ذلك الوقت فى الإصلاح والتهذيب . وأراهنك يا ريد بأنك لو بحثت فى أمره عن كثب لوجدت أنه يخرق القانون طوال الوقت ، وقد يكون قتل دانى من بين جرائمه ، طلبا للثأر أو هو القتل لمجرد القتل " .

لقد اعتاد هَف على أن يوصل للغير ما يريد أن يتم من دون أن يعلن عن هذا صراحة . وقد فهم المأمور هاربر رسالته بوضوح .

لم يسعه سوى أن يومىء برأسه وهو يقول : " سوف أستدعيه للاستجواب " .

" ستكون هذه بداية جيدة وقد تؤدى إلى انتزاع اعتراف منه . إن أولادى يقولون إن تصرفاته تنم عن الشر . فلن يجد أمامه أى مفر سوى الاعتراف ، هذا لو ضيقت عليه الخناق " .

" سوف أصدر أمرا باستدعائه على الفور " . كان ريد يهم بالنهوض حينما أشار له هَف أن يبقى فى مكانه .

قال وهو يهم بإشعال سيجارة : " هناك شىء آخر أرغب فى أن تقوم به . فى نيو أورليانز " .

" هَف . . . . " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لا تجزع ، فهو أمر بسيط نسبياً . بل يمكنك أن توكله إلى شخص آخر تثق به . أنت لديك اتصالاتك بالمدينة ، أليس كذلك ؟ "

شرح له هَف ما يريد . واستمع إليه ريد فى اهتمام . ثم قال هَف مطمئناً : " سوف أكافئك على ذلك العمل . وأنت تعرف كرمى تجاه المعلومات الموثوق بها . وهذا أمر مهم . وسيعنى لى الكثير " .

قال ريد : " حسناً . سأستطلع الأمر ، لأرى ما يمكننى أن أتوصل إليه . على أنى لا أعدك بشىء " .

" اسمه نيلسون . وأية معلومة مهما كانت تفاهتها ستكون ذات قيمة بالنسبة لى " .

أومأ ريد برأسه وهو ينهض : " اعتنى بنفسك ، يا هَف . واتبع تعليمات سيلما . وعليك ألا تجهد نفسك . كما أن من الأفضل أن تكف عن التدخين الميت هذا " .

" سأفعلها حينما تفعلها أنت " .

حاول ريد أن يبتسم إلا أنه لم يستطع . توجه صوب الباب ، وقد تثاقلت مشيته أكثر . بدا شخصاً هامداً مهزوماً . حتى أن هَف ناداه ثانية .

" هل لازلت رجلى ، يا ريد ؟ "

" ما الذى تقصده ؟ "

" هل على أن أكرر السؤال ؟ "

ملأ الغضب عينىّ ريد المنهكتين : " هل لازلت تسألنى هذا السؤال بعد ما يزيد على الأربعين عاماً مضت ؟ "

لم يكن هَف ليخشى نظرات ريد تلك . ولم يهمه إن كان قد أساء إليه : " هل علىّ أن أخشى من أن تتفوه بالكثير من الاعترافات وأنت راقد على فراش الموت ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لن يفيدني الاعتراف وقتها ، يا هَف . فكلانا مصيره الجحيم " .

قالت ليلى وهي تلتقط قبعتها : " من الأفضل أن أعود إلى البلدة " .

رد كريس وهو يحمل زجاجة الشراب : " لا تتعجلي . فعلى جورج أن ينتهي من أمر ذلك الناقل . وسيستغرق ذلك ساعات . كما أنه لا تزال هناك زجاجتان ، وعلى إحداهما اسمك " . أخذ منها القبعة وناولها بدلاً منها كأساً .

كانت فكرة النزهة الخلوية فكرة جيدة . أو أنها بدت كذلك . فمنذ وصولها وهي لا تتوقف عن الشكوى . من الحرارة ، ومن البعوض ، ومن كل شيء .

كان كل منهما قد وصل إلى المكان على حدة كواحد من لقاءاتهما المعتادة . كانت المنطقة المعشبة تطل على البركة وتغطيها الأشجار العتيقة بكثافة . وكانت تمتلئ وقت العطلات بالعائلات ، إلا أنها الآن وفي منتصف الأسبوع كانت مهجورة تماماً .

أبلغها بالموعد قبل ساعة ، بعد أن غادر زوجها مكتبه بقليل . ووصلت متأخرة عنه بضع دقائق ، ونزلت من سيارتها المكشوفة مرتديةً قبعة عريضة من القش ورداءً شفافاً أمكنه أن يرى كامل جسدها من خلاله .

لكن تعبيرات وجهها انقلبت حينما رأت المكان الذي أعده لهما قالت : " ما هذا ؟ "

" وما الذي ترين ؟ "

" لماذا لم نجلس داخل سيارتك المكيفة ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم يكن هو نفسه يميل إلى هذه الأمكنة الخلوية . ولكنهما لو بقيا داخل السيارة ، فسرعان ما سينتهيان معا تقابلا من أجله وبعدها تذهب . وهو يريد أكثر من ذلك . يريد وقتاً كافياً للحديث معها وكسبها إلى صفه .

ظن أن هذه الجلسة الرومانسية ستعجبها . فأخذها من يدها وأجلسها إلى جواره . وخلع عنها قبعتها فى رقة . مداعبا عنقها وما كشفت عنه من جيدها .

" لقد كنت أشعر بالخوف من الأماكن المغلقة خلال الفترة الماضية ، يا ليلى ، بسبب ما حل بدانى . بدت لى الجدران وكأنها تكاد تنقض على . ولم يكن بعقلى شىء سوى التفكير فى موته وفى الطريقة البشعة التى مات بها ، هذا طوال مكوثى داخل الحجرات المغلقة " . كانت أصابعه تتخلل شعرها ، وهو يواصل هامسا : " كنت أريد أن أستلقى فقط إلى جانبك بهذا المكان ، لا أن تضيق بنا السيارة . لتساعدينى على النسيان بعض الشىء . هلا سمحت لى بهذا ؟ "

أغوتها كلماته المسولة ، فضعفت أمام حزنه . وأخذته بين أحضانها وهى تداعب خصلات شعره وتهمس فى أذنه بكلمات الحب والغرام وتمطره باللمسات الحانية .

بدت ليلى طيلة الدقائق التالى شديدة التصميم على أن تمحو من عقله كل تفكير سوى فيما تفعله معه . هدفها أن تستعيد وجدانه . أو أن تقتله حبا .

ولكنها ما أن انتهت منه ، حتى بدأت فى الشكوى . فهى لا تحب الأماكن المفتوحة . قالت له : " ليس هناك من حمام هنا لو احتجت إليه . وأنا الآن أحتاج إليه " .

" اذهبى وراء شجرة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هكذا عياناً ؟ أنا أرفض هذا " .

إلا أن كأسين من الشراب كانتا كفيلتين بتحسين الصورة بعض الشيء أمام عينيها . وكذلك سلاطة الدجاج اللذيذة التي صنعتها سيلما مع قليل من بسكويت الجبن المقرمش . ولكنها بعد أن نفضت عنها ذبابة مزعجة ، تناولت قبعتها معلنة له بأن وقت الرحيل قد حان .

وبعد أن أخر قرارها هذا بكأس أخرى من الشراب ، قال : " هيا ، اشربي " . ضغط بالكأس على شفتيها مميلاً إياها بزاوية حادة حتى انسكب الشراب حول شفتيها .

نظرت إلى ساعتها ، وهي تتمتم بالسباب ، ثم نهضت .

قالت : " يا ربي . إن منظري مريع " . أخذت تمسح عن فمها آثار الشراب في عجالة وتبحث على الأرض عن حذائها وهي تقول : " لو كان جورج بالمنزل عندما أعود إليه . . . " .

" لن يكون هناك " . قال لها محاولاً أن يخفف من توترها : " فهو مشغول ، سيبقى بالمسبك لساعات أخرى " .

" قد يعود إلى المنزل فجأة " . وجدت حذاءها ، فنهضت وارتدته ، ثم مالت كي تلتقط قبعتها . " إن تصرفاته غريبة في الأيام الأخيرة . فهو يراقبني . وأعتقد أنه يشك في أمري " .

" خيالك يصور لكِ هذا " .

" كنت أعتقد هذا في البداية . ولكن في الليلة الماضية وبعد أن عدنا إلى البلدة ، سألني عن سبب تأخري كل هذا الوقت " .

ربت بلطف أسفل ذقنها وهو يقول : " أراهن على أنكِ لم تخبريه " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قالت بجدية : " حاولت أن أصطنع اللطافة معه منذئذٍ . ولكن يبدو لى أن هذا لم ينطلِ عليه . فهو يتحدث عنك كثيراً ويراقبنى خلسة " .

تساءل كريس فى قرارة نفسه - وفى ضوء حواره الأخير مع جورج - عن مدى صحة كلامها هذا . ولكن ، حتى ولو كان جورج يشك فى أمر علاقتهما ، فليذهب إلى الجحيم . بل إنه لا يلقى بالاً له حتى ولو تيقن من أمر هذه العلاقة . فلا يهمه الآن سوى أن يكتسب ثقة ليلى وقت أن يحتاج إليها .

سار وراءها وهى تتجه إلى حيث أوقفت سيارتها . ألقت بقبعتها على المقعد الخلفى وفتحت بابها .

لكنه جذبها إليه وهو يقول : " توقفى ... ألن تودعينى بقبلة ؟ "

" ليس لدى وقت يا كريس " .

همس وهو يداعب أذنها بأنفه : " هل أنتِ واثقة من هذا ؟ "

أبعدته عنها فى دلال ، ولكن بتصميم : " يفترض أن أكون فى انتظار زوجى المحب بعد يوم عمل شاق . عليك أن تبحث عن فتاة أخرى لتمضى معها بقية وقتك " . قالتها وهى تداعبه فى دلال .

خطر له أن هذا هو الوقت المناسب لكى يفاتحها فيما كان يفكر به : " لو حدث أن طلبت مساعدتك يوماً ما ، يا ليلى ، فهل ستكونين إلى جوارى ؟ "

قالت : " سأحاول ، لكن يصعب على أحياناً أن أرحل من دون أن يدرى بهذا أحد " .

" أنا لا أقصد لقاءاتنا الغرامية تحديداً . ماذا لو كنت بحاجة إلى مساعدتك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تراجعت وهي تنظر إليه في عدم فهم . " مساعدتي ؟ في ماذا ؟ "

أراح يده على ذراعها ، يداعبها في رقة وحب . " لو سألك عمك ريد عما إذا كنت بمنزلك ظهيرة الأحد أم لا ، فسوف تقرين بأن هذا صحيح ، أليس كذلك ؟ "

هنا صحا ذهنها على الفور ، كما لو أن أحدهم قد سكب على وجهها ماءً مثلجاً . فلم تكن ابداً على هذا القدر من اليقظة وهي ترد : " وما الذي يدفع عمي ريد إلى أن يطرح عليَّ سؤالاً مثل هذا ؟ أوه ... لقد عرف جورج بأمرنا إذن " .

أمسك بكتفيها ، مربتاً عليهما في رقة : " كلا ، كلا ، ليس للأمر علاقة بجورج ... بل هو أمر يخصني . يخصنا . فأنا أحاول أن أحصل على الطلاق ، يا ليلى . وحينما أنجح في هذا ، أريد أن أتحدث معكِ عن المستقبل . مستقبلنا .

أعلم أن هذا الكلام سابق لأوانه . خاصةً أنني لازلت أفكر فيما حدث لداني . إلا أن هذه الغمة ستزول قريباً . وسرعة ذلك تعتمد كثيراً على ما ستخبرى به ريد عما حدث في الأحد الماضي " .

ها قد نجح في أن يضعها على المحك بحديثه عن المستقبل . لقد برع في أن ينقل عنبه أي مما يمكن أن يحدث لها على كاهلها هي ، بل وأن يداعب أحلامها بالزواج منه .

ولكي يضمن وقع كلامه ، مال إليها ليقبلها على الجبين وقال : " بوسعي أن أعتمد عليكِ ، أليس كذلك ؟ "

" بالتأكيد ، يا كريس " .

" وأنا أثق في هذا " . قبلها برقة ، وتركها ، مساعداً إياها في أن تدلف إلى داخل السيارة . أدارت المحرك . ثم ابتسمت له . " بوسعك أن تعتمد على في الاعتناء بنفسي " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بدت عبارتها كالصفعة ، فقال : " ماذا ؟ "

" لابد أنك تعتقد أني غبية . أنت أحمق كبير ، يا كريس ، وهذا هو السبب الوحيد الذى يبقينى إلى جوارك . فجورج لا يختلف عنك كثيراً ، ولكنه يعبدنى . فمعه أنا الملكة المتوجة . أما معك فسوف أكون تحت سيطرة هَف ، وسأكون مجرد زوجة تخونها بين الحين والآخر . وبخصوص أمر موت أخيك هذا ، فأقول لك إنه شأنك أنت ، يا عزيزى الوسيم . عليك أن تعتمد على نفسك فى الخروج من تلك الورطة " .

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

الفصل الحادى والعشرون

رن جرس هاتف بيك المحمول وهو يصعد الدرج الأمامى لمنزل آل هويل . رد على المكالمة ، واستمع وأخذ يسب ، ثم قال : " متى ؟ "

قال ريد هاربر : " منذ ساعة مضت " .

" هل أخبرك بتفسير هذا ؟ "

" تلك هى المشكلة . فلم يكن لديه تفسير " .

" حسناً ، يا ريد . شكراً لك لإخبارى . سوف أعاود الاتصال بك " .

أغلق الخط ثم دلف إلى المنزل . كان المكان غارقاً فى الهدوء . وكأنما كل من فيه نيام . لم يكن هناك أحد بحجرة مكتب هَف . وقد وجده بيك فى آخر مكان يتوقع وجوده به ـ قاعة نباتات لوريل لينش .

قال بيك : " ما الذى تفعله هنا ؟ "

أجاب هَف : " إننى أعيش فى هذا المكان " .

" آسف . لم أقصد ما فهمت . بل دهشت قليلاً " .

" أنا أفهم هذا . انهب لتصب لنفسك شرابا " .

" أشكرك ، ولكنى لا أريد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل تريد أن تحتفظ بيقظتك وانتباهك ؟ "

" شيء من هذا القبيل " .

" اجلس . فيبدو لى أنك مثقل بالمتاعب " .

جلس بيك إلى إحدى قطع الأثاث بالمكان . كانت السماء ، كما تظهر من الجهة الغربية عبر النوافذ الطويلة ، قد تحولت إلى اللون الأزرق الفاتح مع حلول الغسق ، بلون مشابه لبعض أزهار الأوركيد التى تزين المكان . كانت نباتات السرخس شديدة الخضار ، بما يوحى ببوادر برودة بعد كل تلك الحرارة بالخارج . كانت الحجرة كالواحة ، تبعث على الاسترخاء إلى النفس .

إلا أن الأمر يحتاج إلى أكثر من مجرد هذا الإيحاء الاستوائى لكى ترتاح نفسه .

كان هَف راقداً على أريكة صغيرة ، مستنداً إلى وسادة خلف ظهره . ممسكاً بكأس من الشراب ، إلا أنه لم يكن يدخن ، احتراماً لرغبة زوجته فى ألا يدخن داخل هذه الحجرة الخاصة .

سأله بيك : " هل أنت على ما يرام ؟ "

" أفضل منك ، كما أرى . بل إنى أراهنك على أن ضغط دمك أكثر ارتفاعاً الآن من ضغط دمى " .

" هل هذا واضح لتلك الدرجة ؟ "

" أخبرنى بما يجرى " .

أطلق بيك زفرة حارة وأسند ظهره إلى المقعد . " إن الضربات تأتينا من كل جانب ، يا هَف " .

" أخبرنى بالأمر تدريجياً إذن " .

" لنبدأ بأزمة بوليك . لقد تحدثت هاتفياً إلى الطبيب الذى يشرف عليه . أخبرنى بأن بيلى يتعافى بشكل جيد . بل بشكل يفوق المتوقع من الناحية الجسمانية " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لكن ؟ "

" لكنه واقع فى حالة من الاكتئاب الشديد " .

قال هَف فى عدم ارتياح : " يحتاج إلى طبيب نفسى إذن " .

" هذا أمر لا يندرج تحت بند مدفوعات إصابة العمل فى القانون ، حتى ولو أقامت عائلة بوليك دعوى ، وهو ما لم يحدث . لكننى أرى أن علينا أن نوفر له طبيبا نفسيا " .

بدا هَف ساخطاً وهو يقول : " هؤلاء الأطباء يتبادلون المرضى فيما بينهم ، وكأنهم كرة مضرب " .

" هذا صحيح فى بعض الحالات . على أن من المنطقى أن تنتاب بيلى هذه الحالة من عدم التوافق العقلى والوجدانى . وبخلاف هذا ، فستكون خطوة جيدة تجاه تحسين صورتنا . وهو أمر نحتاج إليه فى شدة " .

" حسناً ، ولكن علينا أن نحصر الأمر فى بضع جلسات فقط .... أى لا شىء طويل الأجل " .

" خمس جلسات مثلاً " .

" ثلاث تكفى . وماذا بعد ؟ "

" السيدة بوليك . لقد وجدت تلك السيارة الجديدة التى كنا قد أرسلناها إليها بالأمس متوقفة فى موقف سيارتى بالمصنع حينما وصلت إلى هناك هذا الصباح . وقد أرسلت العمال إلى منزلها لإجراء بعض الترميمات والإصلاحات وخلافه . إلا أن السيدة بوليك لم تسمح لهم بالدخول . وبعدها هاتفتنى لتخبرنى بأن محاولاتنا لن تجدى ، وأنها ستترك المنزل القمىء ـ كما وصفته ـ الذى كنا قد خصصناه لهم ، وأن من الأفضل لنا أن نتوقف عن محاولاتنا غير المجدية ، فهى لن تمنعها من المضى قدمًا فيما تنتويه " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ارتشف هَف رشفة من الشراب وقال : " هل هذا هو كل شيء ؟ "

" كلا ... إنها سترفع دعوى قضائية ضدنا " .

" تبا ! ... هل قالت لك هذا ؟ "

قلب الشراب داخل الكأس وهو يفكر في الأمر قليلاً . " أراهنك على أنها لن تفعل ، يا بيك . إنها تحاول أن تستفيد منا قدر ما أمكنها من خلال هذه التهديدات . وقد نجحت . فعلينا أن نحقق لها ما تريد " .

" مزيد من الهدايا ؟ أعتقد أن هذا سيزيد من تصميمها ويرسخ موقفها ، حيث إنها قد تتهمنا بمحاولة رشوتها لتتراجع . كما أن هناك شيئاً آخر " . ثم توقف ليتنهد ثم يقول : " إنها تهددنا بأن تخاطب وزارة العدل . فهي تريد إقامة دعوى جنائية " .

أنهى هَف شرابه ووضع الكأس على طرف الطاولة ، وحركته عصبية تنم عن غضبه .

قال بيك : " إن فرصتها ضعيفة في كسب أي شيء . فعليها إثبات أننا كنا متأكدين من احتمال وقوع حادث مثل هذا ، وهو أمر يكاد يكون مستحيلاً حتى مع أقوى المحامين .

" ومع هذا ، فإني أدرك أن هناك شركات كان عليها أن تواجه اتهامات بالإهمال المتعمد لعوامل الأمان والمخاطرة بحياة عمالها . وقد تركها عملاؤها الرئيسيون إلى غيرها . وكذلك الموظفون ، وخاصة من الإدارة الوسطى ، فقد استقالوا خوفاً من التمسك بمركب تغرق .

فمثل هذه القضايا تستغرق سنوات . قد تنجو منها الكيانات الضخمة ذات المليارات والتي تمتلك كتيبة من المحامين الأكفاء . أما الشركات الخاصة كشركتك فنادراً ما تنجو " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هنا قال هَف فى تبجح : " لن تنجح امرأة حقيرة عالية الصوت فى أن تهدم كيان هويل هذا " .

" كنت لأوافقك على هذا . لكن إليشيا بوليك ليست وحدها . فقد أوِلت إلى تشارلز نيلسون مهمة إدارة هذه الحملة . وقد تلقيت فاكسا منه اليوم . وسأكون صريحاً معك يا هَف وأقولها لك . . . هذه هى أسوأ كوابيسك " .

" أين هذا الفاكس ؟ "

فتح بيك حقيبته التى كان يحملها معه ليخرج ورقة واحدة . ثم نهض وناولها لهَف ، قائلا : " ربما كان علىّ الآن أن أتناول بعض الشراب " .

ذهب إلى حجرة المكتب ، وصب لنفسه كأساً من الشراب ، وتحدث إلى سيلما ، ثم عاد إلى قاعة النباتات . لم يكن هَف راقداً على الأريكة . كان يسير إلى جوار النوافذ . لاحظ بيك أنه قد كور الورقة وألقاها أرضاً .

قال هَف فى ثقة : " إنه يحارب طواحين الهواء . فعمالنا لن يقوموا بأى إضراب " .

" قد يفعلونها " .

" لن يفعلوها " .

" فلو قاموا بمظاهرات ... " .

زأر فى وجهه : " قاموا بمظاهرات ، تباً ... إنهم يخافون على ... " .

صاح فيه بيك : " لقد تغيرت الأمور عما كانت عليه منذ أربعين سنة ، يا هَف .... لن يكون بوسعك أن تدير العمل كما اعتدت حينما امتلكت المصنع فيما مضى . لن يمكنك أن تستقل بذاتك عمن حولك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" وما الذى تغير ؟ " .

" ديستينى لم تعد تلك البقعة الإقطاعية التى لا صلة لها بالعالم الخارجى . فالحكومة ...." .

" ليس لها أى حق كان فى أن ترشدنى إلى كيفية إدارة أعمالى " .

ضحك بيك ضحكة قصيرة ، ثم قال : " هذا هو ما يحتمه القانون الفيدرالى . كما أن هيئة السلامة المهنية وهيئة الحفاظ على البيئة تراقبنا . وها نحن على وشك مواجهة وزارة العدل . وهو الأمر الذى يقوى موقف نيلسون " . حك رقبته قبل أن يرتشف رشفة من شرابه : " فقد طلب من نقابة العمال أن ترسل .... " .

" مثيرى الشغب " .

" سوف يحضرون إلى هنا بحلول أول الأسبوع القادم . وسوف ينظمون مسيرة تستحث عمالنا على الإضراب حتى . . . . حسنًا ، أنت قرأت الفاكس بنفسك . وهناك قائمة بالمطالب مع وعد بالمزيد منها " .

بدا هَف فارغ الصبر وهو يقول : " لن ينصت عمالنا لأى مثيرى فتن يأتوهم من الخارج ، خاصة لو كانوا قادمين من الشمال " .

قال بيك : " فماذا لو كانوا من أهل الجنوب ؟ من لويزيانا . بيضاً وزنوجاً . فنيلسون أذكى من أن يرسل رجالاً لن يلقوا القبول منذ الوهلة الأولى . بل سيرسل أناساً من أهلهم ، يتحدثون لغتهم " .

" مهما كانوا ... فسوف يلفظهم عمالنا كما سنفعل نحن " .

قال بيك : " هذا ممكن . بل وأتمناه . لكن حادث بيلى قد خلف تأثيراً عميقاً فيهم ، يا هَف . فأنت لم تذهب إلى المصنع منذ حدوثه . كما أن الجو العام هناك غير مشجع . فالرجال متذمرون ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ويرون أنه قد كان من الممكن تجنب الحادث لوكنا نجرى صيانة دورية للماكينات ونفرض قواعد للأمان " .

قال هَف : " لم يكن لبيلى أن يحاول إصلاح ذلك السير . فهو غير مدرب على هذا الأمر " .

" ليس لهذا فائدة ، يا هَف ، فلن يجد مثل هذا الكلام أذناً صاغية . فلقد سمعت منهم شكاوى بأن العمال الجدد يدفعون إلى العمل بدون تدريب مناسب ، وأن المسبك لا يوفر مثل هذا التدريب . ولو كنت مكان جورج روبسون ، لكنت قد توخيت الحيطة الكاملة ، مع أنهم يدركون أنه لا يمكن أن يتخذ قراراً من تلقاء نفسه " .

التفت هَف تجاه النوافذ متأملاً فى ممتلكاته عبرها ، والسباب لا يكاد يتوقف عن التدفق من فمه . تركه بيك حتى يستوعب كل ما ناقشاه للتو .

وفى النهاية توجه هَف صوب البيانو ليضرب بأصابعه على عدد من مفاتيحه . " ألم تعزف على البيانو من قبل يا بيك ؟ "

" كلا . لقد حاولت والدتى أن تعلمنى عزف الكلارينيت وأرسلتنى لتلقى بعض الدروس . إلا أننى لم أداوم عليها لأكثر من ثلاث مرات " .

" لقد كانت لوريل تجيد العزف عليه " . قالها وهو يبتسم إلى أصابع البيانو ، وكأنما يرى يديها تتحرك فوقها . " باخ . . . موتسارت . . . موسيقى الجاز . . . كان بوسعها أن تجلس إليه وتنظر إلى النوتة لتعزف موسيقى تضارع ما يعزفه أبرع مايسترو " .

" لابد أنها كانت موهوبة " .

" بالتأكيد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أخبرتنى ساير بأنها لم تستطع أن تكتسب منها تلك الموهبة " .

قال هَف بنبرة متغيرة : " ساير . . . أتعلم بما كانت تقوم به اليوم ؟ "

هز بيك رأسه نافياً . فلم يكن يود التحدث عن ساير . بل لم يكن يود حتى أن يفكر فيها .

قال : " سأكتفى بأن أقول لك إنها كانت فى غاية الانشغال " .

لم يكن بيك يدرى بما يتوجب عليه أن يرد به ، أو أن هَف كان ينتظر رداً منه . كان من الواضح أنه لا ينتظر رداً . لأنه عاد إلى الأريكة وواصل ما كان قد توقف عنه من نقاش .

" إليك ما أفكر فيه ، يا بيك . أرى أن نيلسون ليس سوى ثرثار . فما الذى دعاه إلى أن يرسل لنا بإنذار مسبق ؟ وما الذى منعه من أن يرسلهم من دون سابق إنذار ؟ "

" كهجوم مباغت ؟ "

أشار له هَف بإصبعه وكأنما قد أصاب بيك هدفه : " لو كنت مكانه لفعلت هذا . فما الذى يدعوه إلى أن يمنحنا الفرصة للاستعداد ؟ لقد أصبحنا نعرف أنه يستهدفنا . وهو ما يشير إلى أمرين ، فإما أنه لا يجيد التخطيط ولا يتمتع بقدر كافٍ من الذكاء " .

" أو ؟ "

" أو أنه يحاول أن يلفت نظر الإعلام إليه ولا ينتوى أن يستكمل مسيرة التهديد هذه . فلا أعتقد انه يريد أن يجعل منها حرباً . بل هو خائف منا " .

فكر بيك فى الأمر . " إنه لا يبدو متلهفاً على مواجهتنا . فقد أجريت عدة اتصالات بمكتبه فى نيو أورليانز بعد أن تلقيت

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفاكس . وقيل لى إنه بالخارج . فتركت له رسالة أطلب منه أن يتصل بى . إلا أنه لم يفعل حتى الآن " .

ابتسم هَف ابتسامة واسعة . " أرأيت قصدى ؟ إنه يتفادانا . أى أنه جبان . أو أنه مخادع نصاب " .

" هل أواصل محاولة الاتصال به ؟ "

" عليك أن تسبر غوره . ولنر كيف سيتعامل معك حينما تضيق الخناق عليه . عليك أن تقلق راحته " .

" هى فكرة جيدة ، يا هَف " .

" لا تتراجع حتى يوافق على لقائك وجهاً لوجه . فهى الوسيلة الوحيدة التى ستمكنا من قراءة أفكاره . فكل رسائل الفاكس والخطابات هذه محض هراء . ولا أجد لها مصيراً سوى سلة المهملات " .

" سأتولى هذا الأمر بداية من باكر " .

" أما الآن ، فأريد منك أن تتحدث إلى بعض الرجال الموالين لنا . من قبيل فريد ديكلويت . رجال يمكننا الاعتماد على ولائهم . نريد أن نعرف عناصر التذمر داخل عمالنا " .

" لقد تحدثت مع فريد بعد ظهر اليوم . سوف يعمل هو وآخرون على مراقبة العمال للتعرف على تلك العناصر " .

غمز هَف بعينه قائلاً : " كان لابد أن أتوقع منك تلك الخطوات " .

نهض بيك وهو يتناول كأس هَف : " أتريد شراباً آخر ؟ " وفى حجرة المكتب صب لهما كأسين ، ثم عاد إلى قاعة الزهور .

ناول هَف كأسه ، ثم قال له هَف : " لنتحدث الآن فى موضوع غيره " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نظر بيك إليه فى وجوم وقال : " هناك موضوع آخر بالفعل . فقد هاتفنى ريد هاربر فى طريقى إلى المنزل و ... " .

" دعك من هذا الأمر الآن . لنتحدث عن سايرز " .

" ماذا عنها ؟ "

" لماذا لا تتزوجها ؟ "

توقف بيك قبل أن يجلس إلى مقعد الخيزران والتفت بسرعة إلى هَف ، والذى كان يرتشف فى لذة رشفة من كأسه الجديدة . بل ضحك من الدهشة التى بدت على بيك .

استعاد بيك رباطة جأشه وهو يجلس إلى المقعد . " لابد أنك ملازلت واقعاً تحت تأثير الأدوية المنبهة التى تناولتها . ما الذى أعطاه لك الدكتور كارو ، وها أنت تضيف إليه الكحول ؟ "

" أنا لست مخدراً أو تائهاً . اسمعنى " .

تظاهر بيك بالاسترخاء إلى ظهر المقعد . " أرجو أن يكون كلامك جاداً . ها أنذا أصغى إليك ، يا هَف " .

" لا تتذاكى . فأنا جاد جداً " .

" بل أنت مخادع " .

" هل تعجبك ؟ "

اكتفى بيك بالتحديق إليه ، وهو يعمل على ألا تنم ملامحه عن أية انفعالات .

فقال هَف وهو يضحك ضحكة عريضة : " لقد خمنت هذا ... فلقد رأيتكما معاً عند البركة بعد مراسم العزاء . وأحسست بحرارة المشاعر حتى وأنا على هذه المسافة منكما " .

" حرارة المشاعر ؟ حقاً . فقد كانت تنعتنى بأحط الأوصاف التى يمكن أن يوصف بها إنسان " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

حتى وهو ينكر ما يدعيه هَف من حميمية بينهما ، فإن بيك كان يتساءل في قرارة نفسه عما إذا كان هَف قد تحدث مع كريس . هل أخبر هَف بما رآه حينما جاء إلى منزله فجأة ؟ بل وكم مر على كريس من وقت وهو واقف يراقبهما ؟ وكم سمع من كلامهما معًا ؟

فسأله بقدر ما استطاع من عدم اكتراث : " ومن أين واتتك هذه الفكرة ؟ "

" أنت بالفعل فرد في هذه العائلة . وزواجك من ساير سيرسخ هذه الحقيقة " .

" هناك ثغرة كبيرة في خطتك هذه ، يا هَف . فحتى ولو كنت أموت شوقاً إلى الزواج من ساير وعلاقتي معها لم تتعمد لعب دور محامي الشيطان ، فإنها تحتقر هذه العائلة " .

" يمكنك أن توقعها في هواك " .

ابتسم بيك في خبث : " إنني لم أندهش من كونها على تلك المرونة . بل هي في الحقيقة أشبه بمواسير الصلب في ليونتها " .

تجاهل هَف سخريته وهو يقول : " ألا ترى أنك قادر على التعامل معها ؟ "

ضحك بيك قائلاً : " لا يمكنني هذا . وعلى كل ، فأنا لا تعجبني المرأة التي أتقن التعامل معها . . " ، وما أن أنهى كلماته حتى أدرك أنه قد أوقع نفسه في الفخ .

ارتفع حاجبا هَف وهو يقول : " نحن إذن أمام زواج مثالي ، أليس كذلك ؟ هناك كيمياء ما بينكما . فليست ساير بتلك المرأة المطيعة ، وأنت لا تريد لامرأتك أن تكون تلك الخادمة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أنهى بيك شرابه ووضع الكأس الفارغة على طرف الطاولة ، وكاد يسقط المصباح الموجود فوقها " هذا لن يتم . ولننس الموضوع تماما " .

" لو كنت تخشى من مسألة القرابة هذه ، فاطمئن . فلقد تزوجت ابنة رئيسى فى العمل . وانظر إلى ما وصلت إليه الآن " .

" الأمر هنا مختلف " .

" بالفعل . فقد كنت أنا معدماً لا أملك سنتاً واحداً . أما أنت فلديك ما تقدمه لساير " .

" إنها حتى قد رفضت أن أدفع لها ثمن شطيرة اللحم التى تناولتها تلك الليلة فى المطعم " .

" وماذا عما تناولتماه عند مطعم الأسماك ؟ هل تركتك تدفع لها ثمن الطعام ؟ "

شعر بيك بأذنيه تحمران خجلاً . ما الذى يعرفه هذا الوغد العجوز عن علاقتهما معاً ؟ حاول أن يبقى على هدوء نبرته وهو يقول : " لقد التهمت الكثير من الطعام مقارنة بجسدها النحيف . وكلفنى هذا قرابة الخمسة عشر دولاراً " .

ابتسم هَف لدعابته ، إلا أنه لم يسمح لها بأن تغير من مسار كلامه . فقال فى جدية : " لقد ظللت أعمل طيلة حياتى لأجل هدف واحد ، يا بيك ... قد تعتقد أن المال كان هدفى . لا . أنا أحب امتلاك المال ، لأنه فقط يجعلك تمتلك القوة . أنا الآن أمتلك القوة والسطوة . أما الاحترام ؟ فلا . وأنا لا يهمنى رأى الناس فىّ . سواء كانوا يحبوننى أم يكرهوننى ، فليس هذا مما يشغل بالى " .

ثم رفع سبابته أمامه وهو يقول : " لقد كان هدفى الوحيد أن يحيا اسمى من بعدى . هذا هو كل شىء . هل يدهشك هذا ؟ " .

أشاح بيده وكأنما ينفض نبابة وهو يضيف : " فبوسعك أن تمتلك

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

المال ومع هذا فلن يعرف ذلك أحد ، أو أن تبذل الكثير فى أعمال الخير ، أو فى اكتساب مكانة فى المجتمع . أما أنا فلا يهمنى أى من هذا الهراء . كلا .

مبتغاى هو أن يبقى اسم هَف هويل يتردد لأطول فترة ممكنة ، حتى بعد أن أموت ويوارينى التراب . أى أننى أريد أحفاداً ، يا بيك . وأنا ليس لدى أحفاد حتى الآن ، وعلى أن أعالج هذه المسألة " .

قال بيك فى جدية : " عليك أن تعتمد على كريس فى هذا " .

زمجر هَف فى ضيق وتناول علبة سجائره من جيب قميصه قبل أن يتذكر أن التدخين ممنوع فى هذه الحجرة . " إن كريس لن يصبح أبًا خلال المستقبل القريب " . ثم حكى لبيك أمر ما قامت به مارى بيث من إصابة رحمها بالعقم .

" لم يكن لدى علم بهذا . فلم يخبرنى كريس بشىء " .

" هذه هى حقيقة علاقتهما . وها أنت ترى المشكلة الآن ، فعلى كريس أن يبذل ما فى وسعه للحصول على الطلاق . ولكن حتى لو قبلت مارى بيث بهذا فى الغد ، فإن كريس لن يستطيع الزواج عما قريب . أما أنت " ، ثم أضاف وهو يثبت نظراته على وجه بيك : " فلو وافقت على رأيى ، فسوف يكون لدى حفيد خلال عشرة أشهر " .

هز بيك رأسه فى ارتياب . " حوارنا هذا يزداد غرابة مع كل كلمة . فأنت فى البداية تريد منى الزواج من امرأة لا تطيق رؤيتى ، والآن ترانى أبًا لولدها ؟ "

" أنا عن نفسى مندهش . ولكن هل يمكنك أن تتخيل رد فعل ساير تجاه هذه الفكرة ؟ فإما أن تضحك ساخرة منها أو أن تثير الجحيم من حولنا . وفى كلتا الحالتين فإننى لا أتخيل أن بوسعك

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أن تناقش معها الفكرة من دون أن يكون عليك أن تروض ذلك الحيوان الشرس بداخلها أولاً . أيمكن أن نصرف النظر عن هذا الموضوع الآن ؟ فهو أمر محال " .

قال هَف غير مبال برده : " هناك بعض العقبات بالتأكيد ، ولكن بوسعي أن أجد لكل منها حلاً " .

" ليس لكلها ، يا هَف " .

" مثل ماذا ؟ "

" تضارب المصالح . فأنا محامي كريس " .

نظر إليه هَف في دهشة : " وما علاقة هذا بذاك ؟ "

" أوه . . . تعتقد ساير أن المحقق واين سكوت على وشك أن يتوصل إلى شيء ما " .

تحول وجه هَف تدريجياً إلى قناع من غضب وقال : " هل تظن أن كريس هو قاتل دانى ؟ كيف تجرؤ على هذا ؟ وما دافعها إلى هذا الظن ؟ هل بسبب قضية إيفرسون ؟ "

" هذا بالتأكيد جزء من الأمر " .

" ثم ؟ "

لم يرفع بيك عينيه عن يديه وهو يقول : " لقد ذكرت شيئاً عن سوني هولمز " . استغرق هَف الكثير من الوقت قبل أن يرد لدرجة أن بيك رفع رأسه ناظرا إليه : " قالت إن غريزة القتل تجرى فى العائلة مجرى الدم " .

احمر وجه هَف لدرجة أن بيك قد خشى من أن تنتابه نوبة قلبية من جديد قال : " هل أحضر لك بعض الماء ؟ "

تجاهل هَف عرضه : " لقد حدثت واقعة هولمز منذ زمن بعيد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" يبدو أن هذا لم يكن منذ زمن بعيد ، فهى لا تزال تذكر ما حدث بوضوح " .

" أولم تتذكر أنه لم يوجه لى أية اتهامات ؟ "

" بالتأكيد . ولكنها تشك فى هذا الأمر ... " . هز رأسه وهو غير قادر على إكمال العبارة . " ليس علىّ أن أكرر كلامى " .

" تشك فى أنى لم أغادر أرض المصنع إلى أن سقط هولسر داخل حوض الرمل وجذبته الماكينة ؟ وإننى قد أكون من دفعه إليها لأتركه ينزف هناك حتى الموت ؟ "

اكتفى بيك بالنظر إليه ، من دون أى تعليق . فتلك كانت الاتهامات التى وجهت إلى هَف . مع أنها لم تُثبَت أبداً ، ولم تقدم إلى المحكمة . بل لم يتم التحقيق فيها سوى بشكل هامشى .

قال هَف : " إن ساير تظن بى يوماً أسوأ الظنون . مع أننى كنت أعمل على أن أوفر لعائلتى أفضل حياة ممكنة " . نهض عن الأريكة وأخذ يسير فى الحجرة من جديد . " حينما كنت مجرد صبى نحيل يغطى وحل المسيسيبى قدميه قررت ألا يقهرنى أحد من جديد ، وألا أحنى رأسى لأحد . ولم يحدث ذلك بعدها ولن يحدث . تباً . ولو شك أحد فى أساليبى فتلك تكون مشكلته هو ، بما فى ذلك الآنسة ساير لينش هويل ! " .

" لم أشأ أن أغضبك ، يا هَف . لكنك سألتنى " .

تجاهل هَف اعتذاره : " لتظن ما تشاء . ما الذى يدفعها إلى تذكر شىء حدث وهى لا تزال طفلة ؟ هذا ما يحيرنى . لقد بالغت فى كراهيتها لى ، كما أرى ، بل وأصبحت تنبش فى الماضى لأجل أن تجد أسباباً أخرى لكراهيتى . ومن له أن يعرف السبب وراء ما تقوم به ؟ لكن ليس من الضرورى أن تشعر بالحنان تجاهى حتى تقبل الزواج منك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بعدها نظر إلى بيك فى دهاء ، وهو يقول بضحكة مكتومة : " كنت تظن أننى ساغير من رأيى ؟ قلت لنفسك ، ساثير غضب هذا العجوز حتى يغير رأيه . تحاول أن تشتت انتباهى أيها الشاب . ما الذى يشغل بالك حقا ؟ هل هو أن ساير قد تزوجت مرتين من قبل ؟ "

" لست أنا من يحكم على حياتها " .

قال هَف وكأنما لم يسمعه : " لقد كانت صغيرة ... متهورة وطائشة وعنيدة . واتخذت قرارات خاطئة " .

" كلامك يفتقر إلى الدقة ، أليس كذلك ، يا هَف ؟ ألم تتزوج وفق اختياراتك أنت ؟ "

ضاقت عيناه وهو يرد : " أهى من أخبرك بهذا ؟ "

" كلا . بل كريس " .

ضم هَف شفتيه على سيجارة وهمية ، كما يفعل حينما لا تواتيه الفرصة للتدخين . " كانت فتاة متمردة . كانت حياتها مليئة بالتقلبات وتنتظر حدوث الأسوأ . كنت أرى أن من واجبى كونى أباها أن أتدخل وأحاول تفادى وقوع هذه الكارثة . أعترف بأنه قد كان من القسوة أن أجبرها على الزواج ، لكن الموقف كان يستدعى منى هذه القسوة .

قد تعتقد يا بيك أن ساير كانت مغلوبة على أمرها ، وهذا خطأ . فقد جلبت التعاسة إلى حياة هذين الرجلين . لكن هما من أراد هذا لنفسه . فقد كانا يريدانها . زوجها الثانى لم يقل رغبة فيها عن زوجها الأول ، مع أنه كان يعلم أن زواجها السابق قد فسد حتى قبل أن يجف الحبر الذى وقعنا به عقد الزواج . لكنهما رأيا أنها تستحق أن يكابدا من أجلها هذا الجحيم . فقد كانت جميلة ، متوحشة الجمال و . . . أنت تعلم مقصدى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بالفعل هو يعلم هذا . يعلمه يقيناً . كانت مزيجاً من كل ما قال . شعر بهذا بيديه ، وتذوقه . لكن من الأفضل ألا يطيل التفكير فى هذا الآن . " لماذا أصررت على أن تتزوج ثانيةً حينما انتهى الزواج الأول ؟ "

" لم أكن قد قومتها بعد " .

" أكانت لا تزال على علاقتها مع كلارك دالى ؟ "

ازداد عبوس وجه هَف وهو يقول : " أتعلم بهذا الأمر كذلك ؟ "

" ليس الكثير عنه " .

" ألم أكن على حق فى إنهاء تلك العلاقة ؟ أرأيت حاله الآن . أتظن أن ساير كانت لتصبح سعيدة معه الآن ؟ إنه سكير البلدة . مجرد فاشل . قل لى إن كنت مخطئاً حينما منعت تطور هذه العلاقة " .

لم يعلق بيك . فمن الواضح أن الموضوع حساس بالنسبة لكل من هَف وساير .

نظر هَف إلى بيك نظرة مدققة : " أراهن على أنه قد خطر ببالك " .

" ما هو ؟ "

" رؤيتها وهى فى ملابس النوم " .

نهض بيك قائلا : " ما الذى حل بك ، يا هَف . لن أستمع إلى المزيد من هذا الكلام " .

استدار نحو الباب حينما كاد يصطدم بكريس وهو يدلف إلى المكان : " لن تستمع إلى المزيد من ماذا ؟ "

قال له هَف : " إننى أحاول أن أقنعه بأن يتزوج ساير " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نظر كريس إلى بيك ، وعيناه الداكنتان تتراقصان دهشةً حول ما يعرفه من سر بين بيك وساير . " هل علىّ أن أجهز حلة السهرة إذن ؟ "

" لقد أخبرت هَف بأنه واهم . ويبدو لى أنك أيضاً تشاركه نفس الوهم " .

دفعت نبرة صوته كريس إلى التراجع وقال : " ما الذى أغضبك إلى هذا الحد " .

تغير الموضوع حينما قال بيك : " ما الذى كنت تفعله عند معسكر الصيد بحق الجحيم ؟ "

صاح هَف فى دهشة : " ماذا ؟ "

قال بيك موضحاً : " هذا ما حدثنى عنه ريد اليوم . . . كان يحاول أن ينبهنا . ويبدو أن واين سكوت قد عاد إلى مكتب المأمور منذ فترة ، وهو فى غاية الحماس كونه قد شاهد كريس داخل الكابينة فى معسكر الصيد " .

قال كريس : " وما الذى يعنيه هذا ؟ أنا ذاهب لأجلب شراباً لنفسى " .

وبينما استدار لينصرف ، أوقفه بيك قابضاً على ذراعه . أبعده كريس عنه فى غضب ، ولكنه لم ينصرف . فقال له بيك : " ما الذى كنت تفعله هناك ؟ "

" إنها كابينتى " .

" بل هى مسرح جريمة الآن . أتعلم ما الذى يعنيه هذا ؟ "

" كلا . ماذا تقصد ؟ "

" هذا يعنى أنك مذنب " .

كلاهما حدق إلى الآخر فى غضب . وكان كريس أول من تراجع : " ليس فى الأمر ما يهمك أو يهم سكوت . فلقد اصطحبت

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ليلى فى نزهة خلوية هذه الظهيرة ، وكنت أظن أنها ستكون جلسة رومانسية . كنت أعتقد أن تعاملى معها بشىء من الرقة وجعلها تحس بضعفى تجاهها سوف يدفعها للوقوف فى صفى لو احتجت إليها " .

" وكيف سارت الأمور ؟ "

" تبين لى أن ليلى لا تتمتع بأى قدر من الشفقة ... ولكننى لن أيأس " .

لم يقتنع بيك بهذا الرد المراوغ ، لكنه لم يشأ أن يغير من مقصده الأساسى : " أنت لم تشرح لى سبب ذهابك إلى الكابينة بعد " .

" كان هذا فى طريقى وأنا عائد إلى البلدة . فقد ذهبت إلى هناك بدافع الاعتياد . ولم أكن قد ذهبت إلى هناك منذ ... منذ أن حدث ما حدث ، وأردت أن أرى الكابينة بنفسى .

فدخلت وتجولت بداخلها . لقد تم تنظيفها ، إلا أن هناك بقع دماء باقية . لم أبق بالداخل سوى بضع دقائق . وحينما خرجت وجدت سكوت أمامى ، مرتكنا إلى سيارة الشرطة وتلك الابتسامة الغبية على وجهه " .

" ما الذى قاله لك ؟ "

" ذكر شيئاً متحذلقاً عن أن المجرم يظل يحوم حول مسرح جريمته . فسخرت منه . سألنى عما كنت أفعله بالداخل وما إذا كنت قد حركت شيئاً من مكانه " .

" وما الذى قلته له ؟ "

" لا شىء . لقد طلبت منى ألا أجيب عن أية أسئلة فى غير حضورك " .

" وما الذى حدث عندئذ ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ذهبت بسيارتى تاركاً إياه واقفاً هناك " .

" هل أخذت أى شىء من الكابينة ، يا كريس ؟ "

كاد يسب بيك ، لكنه اكتفى بنفى مقتضب ، ثم قال : " لم أمس سوى مقبض الباب الخارجى كى أدخل إلى المكان " .

لم يكن بيك مقتنعاً بما قاله . لكنه لم يطرح عليه أية أسئلة أخرى . ومع أنه كان من الأفضل لكريس أن يكون صادقاً معه ، إلا أنه لم يكن مجبراً هنا على قول الصدق . فالمحامى لا يود أحياناً أن يعرف ما إذا كان موكله متهماً أم بريئاً .

قال بيك فى ثقة بدت أقوى مما بداخله : " نأمل ألا يكون فيما حدث ضرر علينا . كنت أتمنى فقط لو أنك قد استشرتنى قبل أن تذهب إلى هناك " .

" أنت محامى الخاص ، ولست معلمى فى المدرسة " .

قالها بحدة ، وهو يغادر الحجرة . ثم عاد بعد دقائق ومعه كأس كبيرة . جلس على مقعد صغير ، وهو ينظر حوله كما لو أنه لم يدخل إلى المكان من قبل . " ما الذى أجلسنا هنا ؟ "

قال هَف : " لقد مكثت بالخلوة طوال النهار ورغبت فى أن أغير المنظر من حولى . . . وقد وجدنى بيك جالساً هنا حينما أتى للحديث فى بعض الأمور " .

" من قبيل ماذا ؟ . . بخلاف الزواج المرتقب من ساير ، وهو أمر يثير السخرية بالمناسبة " .

قال بيك : " هكذا أراه أنا ... وقد انتهى نقاشنا حوله إلى هذا " . نظر فى صرامة إلى هَف ثم التفت إلى كريس : " لقد أتيت لكى أعرف هَف ببعض المسائل التى تستوجب تدخلاً منه " . ثم أوجز له فى سرعة أمر تلك المسائل .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال كريس : " إنها أمور بالكاد تستحق الاهتمام ... ألم يمكنك أن تنتظر حتى أشارككم هذه الجلسة ؟ أم أنك قد اعتدت أن أكون أنا آخر من يعلم " .

" أنا لم أتعمد هذا ، يا كريس . فلقد طلب هَف و... " .

تدخل هَف بقوله : " كان هو من رد على أسئلتي ... وبوسعه أن يخبرك بالتفاصيل فيما بعد ، يا كريس . أما الآن ، فهناك شيء آخر يستحق أن نناقشه . أمر جاد ويخص ساير " .

قال بيك : " أخبرتك بأن الموضوع منتهٍ " .

" ليس الأمر الذي يدور في ذهنك ، يا بيك . بل هو شيء آخر " .

ارتشف كريس من شرابه ، ثم قال : " إنني متشوق لأن أعرفه . ما الذي تنتويه الآن أختي الصغيرة العزيزة ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثانى والعشرون

كانت ليلة السبت ، ولم يكن لدى سلاب واتكينز مكان آخر يذهب إليه .

كان يتناول الشراب منذ العاشرة صباحاً داخل أحد الملاهى القذرة الواقعة فى مكان مجهول جوار المستنقع لا يعرفه سوى مرتاديه . وكان مكانه المجهول هذا قد اختير عن عمد . فزبائنه من معتادى الإجرام .

كان قد لعب كثيراً وخسر أكثر . إلى أن رفضت امرأة سقطت سنها الأمامية وارتدت قرطاً فى أنفها عرضه لأن تتناول معه الشراب . نظرت إليه وضحكت بصوت مسموع : " لست عطشى إلى هذه الدرجة " .

بعد هذا الرفض ، غادر المكان متخبطاً ، وهو يوبخ نفسه لتعرضه لهذه الإهانة . كان سلاب يكتئب حينما يسكر . فالكحول يزيد من طباعه سوءاً . وكلما شرب ، صار أقبح . وهو قد أفرط هذه الليلة كثيراً فى الشراب .

بلغ مزاجه أسوأ حد حينما عاد إلى منزل صديقه حيث يقيم : " كانوا يبحثون عنك يا رجل " . كان الشاب الذى لم يتذكر سلاب اسمه بفعل سكره الآن يسد الباب بجسده النحيل ، ويتحدث إليه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

عبر نافذته ذات القضبان ، مما ذكره بتلك الزيارات النادرة التى كان يقوم بها أصدقاؤه إليه داخل السجن .

" من هم ؟ "

" ضابطان من مكتب المأمور . حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر . قابلتهما زوجتى وقد أصابها الفزع من ذلك " .

كان ذلك أمراً طبيعياً ، فقد كانت تلك السيدة تقوم بالمتاجرة فى الجرعات المخدرة . " ألم يبين سبب بحثهما عنى ؟ "

" كلا . ولكننى سمعتهما وهما يعودان إلى سيارتهما يتحدثان عن شىء بخصوص هويل . وعلى كل حال فإنى أود أن أبلغك بأن زوجتى لا ترغب فى بقائك هنا بعد الآن ، يا سلاب . أنا آسف ، ولكن .... " ، هز كتفيه فى أسف ، " أنت تعرف بطبيعة الحال " .

تباً . أصبح الآن بلا مأوى ، والأسوأ أن مكتب المأمور يبحث عنه . يبدو أن حياته ستظل تسير على هذا المنوال .

لقد اكتسب هذه الطباع العنيفة بسبب والده الذى كان يضربه باستمرار ، وكذلك بسبب ما كان يفعله معه إخوته . كانوا يسخرون منه بلا رحمة . فتعلم أن يدافع عن نفسه ويرد لهم الصاع صاعين . وكان ينتمى لعائلة ساد فيها طابع العنف واتسم أفرادها بسرعة الغضب إزاء أتفه الأسباب ، وكانوا يعبرون عن هذا الغضب باستخدام أى شكل من الأسلحة ، حتى لو كان هذا السلاح أيديهم أو أرجلهم أو أسنانهم .

كانت تلك النزعات العنيفة تعتمل بداخله الآن وهو يقود دراجته البخارية عبر شارع خلفى . كان يجمع كل ما يملكه ويربطه خلف مقعده . كان يحاول أن يفكر بهدوء وتركيز ، إلا أن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

مخه كان يغلى بفعل الشراب الرخيص ، وكان هذا يعيقه عن اتخاذ القرارات الصائبة .

بداية . إلى أين هو ذاهب ؟ لينضم إلى أقاربه ؟ إنهم منتشرون عبر أرجاء لويزيانا الجنوبية ، لكنه لم يعد يميل إلى أى منهم . فعمه يذكره بوالده الراحل ، وقد كره سلاب ذلك الوغد إلى أبعد حد . وأغلب أقاربه لديهم عدد من الأولاد كفيلون بصراخهم أن يجعلوا الدم يغلى فى عروقه .

كان ابن عم له قد وافق منذ أسبوعين على أن يدعه ينام على أريكة بحجرة معيشته . ولكن ما أن مرت ليلة حتى اتهم سلاب بأنه يتحرش بزوجته بنظراته . فضحك سلاب ساخراً وقال إن الأعمى فقط هو من يفكر فى امرأة قبيحة مثل زوجته .

على أنها لم تكن على هذا القبح فى الحقيقة ، كما أنه لم يكن ليفكر فيها إلا بعدما أبدته من إغواء له ، وإلحاح عليه بأن ينتهى من مغازلتها قبل أن يعود العجوز من المتجر وبجعبته الطلبات التى أرسلته لكى يحضرها .

لكن اتهام كهذا كان كافياً لأن تنتهى علاقته بالمكان . وهكذا تركه محاولاً التطفل على أصدقائه .

وهم كذلك كانوا كثيرين . وها قد طُرد من أحد تلك الأمكنة بعدما تبين أن الشرطة تبحث عنه . والكلام سرعان ما سينتشر . وسرعان ما سيتعاملون معه كرجل أصابه الجذام . ولن يرغب أحد من أصدقائه فى استضافته .

ثم ، ما الذى يدعو الشرطة إلى البحث عنه ؟

هذا ما لا يعرفه .

لا يريد أن يفكر فى الأسوأ ، ولكنه ليس غبياً كذلك . لقد ذكرا اسم هويل ، وسلاب يراهن على أنهما كانا يقصدان ذلك الذى قتل .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بعدها أصبح منقاداً لفكرة تعتمل داخل ... داخل ... داخل ماذا ؟ . ما الذى يسمون به تلك الرسائل التى تصدر من داخل مخك وتدفعك إلى ارتكاب أشياءً بشكل لا إرادى ؟ إنه لا يظن أن بعقله مثل تلك الأشياء ، لكن من المؤكد أنها موجودة . لأنه وجد نفسه بغتة داخل الطريق النائى المؤدى إلى منزل آل هويل .

ها هو ذا ، قصرهم ، يقبع بين أشجار بلوط بلغت من الجمال مبلغاً يجعلها تبدو صناعية ، كتلك التى يشاهدها المرء فى الأفلام . كانت الشمس قابعة خلف المنزل ، تنيره بهالة ذهبية . كان المنزل من الكبر الذى يجعله يكفى عنبراً كاملاً من السجناء . وهو أجمل وأنظف من مسبك العائلة . قاد دراجته البخارية عبر المزرعة ، بطول سور أبيض بدا له آمناً ، إلا أن سلاب لم يكن لينسى أنه قد يكون مكهرباً .

هؤلاء الأوغاد . يظنون أنهم سادة الأرض . ومن المؤكد أنهم يعيشون وفقاً لهذا الاعتقاد .

بينما عاد ليعبر إلى جوار المنزل للمرة الثانية ، رأى كريس هويل يهبط فى سرعة العتبات الأمامية ثم يستقل سيارته البورش . زاد سلاب من سرعته حتى لا ينتبه أحد إلى أنه يتجسس على المنزل . ومن حسن حظه أن كريس قد استدار بسيارته إلى الاتجاه المعاكس له حينما غادر المنزل . بينما استدار سلاب بالدراجة وراءه ولكن على بعد كاف .

لم يذهب كريس بعيداً قبل أن ينعطف عن الطريق ليعبر من البوابة المفتوحة . كان المنزل الذى ينتهى إليه هذا الطريق القصير أصغر من منزل آل هويل ، إلا أن منظره كان من أجمل ما رأى سلاب فى حياته .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

خرج بيك ميرشانت ، موضع ثقة آل هوبل ، من الباب الأمامى ليستقبل البورش . وعندها زاد سلاب مجددا من سرعته ليمر أمام منزل ميرشانت حتى لا يرياه . ابتسم للهواء الساخن الذى يضرب وجهه . فهو سيعمل على تغيير مخططاتهما التى ينتويانها لليلة السبت هذه .

لم يكن بيك يرغب فى الخروج مع كريس الليلة .

فقد قضى اليوم بطوله خاملا . حيث غسل عربته ومنح فريتو حماما ثم مشط شعره . كان يقوم بهذا وهو يفكر فى كل ما يشغل باله من أمور .

حينما هاتفه كريس مع نهاية الظهيرة ودعاه إلى الخروج ، لم يكن متشجعا لذلك . إلا أن كريس كان لحوحا . " لم نخرج معا منذ وفاة دانى . وقد توترت الأمور بيننا بسبب كل هذه السخافات التى تحدث . فدعنا نخرج وننسى كل هذا ولو لساعات " .

سأله بيك الآن : " إلى أين سنذهب ؟ " كان كريس يقود السيارة إلى خارج البلدة .

" لقد فكرت فى الذهاب إلى رازورباك " .

" لا أود الذهاب إلى هناك . فالمكان يعج بالضوضاء والمخمورين " .

رمقه كريس قائلا : " يبدو أنك تتقدم فى السن ، يا بيك " .

" بل لست فى مزاج جيد هذه الليلة " .

" هل تفكر فى أختى ؟ "

كان كريس يستفزه . إلا أنه جاوبه فى جدية : " هذا حقا ما أفكر فيه . ترى ما الذى تبحث عنه ؟ "

" لا أعرف " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان هذا ما قاله كريس بالأمس بعد أن أخبره هَف بأن ساير تبحث عن أولئك المحلفين في قضية كريس . " إنها تتحدث مع كل من يرغب في التحدث معها " .

حينما سأل بيك عن السبب وراء هذا ، لم يعطه من هَف وكريس جواباً . " بدا له أنهما متحيران من تصرفات ساير والدوافع وراءها . إلا أن قلقهما بسببها لم يكن يتسق مع جهلهما بالسبب . فلم يكن هَف مرتاحاً لكلامها مع المحلفين . وكذلك الحال مع كريس . وهو ما أقلق بيك كثيراً .

قطع عليه كريس حبل أفكاره : " ما هذا ؟ "

" ماذا ؟ " التفت ليرى ذلك الذي أثار انتباه كريس عبر المرآة الخلفية . كانت هناك دراجة بخارية خلفهما ، وكانت سرعتها تزداد .

سأل بيك : " ألم تكن تلك تمرق إلى جوار منزلي حينما خرجت ؟ . . . أوه . . تباً . إنه . . . " .

" صديقنا سلاب واتكينز . لقد ظننت أن ريد قد تولى أمره " .

" من الواضح أنه لم يجده بعد" . مد بيك يده ليلتقط هاتفه الخلوي المعلق في حزام سرواله ، وهو ينوي مكالمة المأمور . " أنت قادر على الابتعاد عنه بهذه السيارة ، ولكن عليك أن تبقيه تحت أنظارنا . وسوف أحدد لريد مكاننا . فربما أمكننا أن نبقى واتكينز يطاردنا إلى أن يصل ريد إلى هنا " .

لامست الدراجة البخارية مؤخرة البورش وهو يقول عبارته الأخيرة .

أطلق كريس سباباً ، وزاد من سرعته صارخاً : " تشبث جيداً ! " وبعد ثوان ، ضغط المكابح . لم يجد بيك فرصة لأن يثبت جسده في المقعد قبل أن يضغط حزام الأمان على صدره في قوة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

متفادياً كارثة محققة ، يمكن خلالها لـ " كريس " وبيك أن يفقدا عنقيهما لو أن الدراجة البخارية قد مرقت فوق السيارة ، نجح واتكينز فى أن ينعطف بحدة يساراً . احتكت دراجته بالجانب الأيسر من البورش قبل أن تنزلق على جانبها عبر الطريق ، لا يفصلها عنه سوى ساق واتكينز اليسرى . تخلص من الدراجة وهى تنزلق به ، ثم نهض على قدميه ، مسرعاً إليهما وهو يعرج مطلقاً السباب .

كان هاتف بيك قد طار من يده عندما ضغط كريس على مكابح السيارة . فأخذ يبحث فى الأرضية عنه بعد أن فك عنه حزام الأمان .

قال كريس : " اتصل بريد . وسوف أتولى أنا أمره " . وقبل أن يعترض بيك ، نزل كريس من السيارة متجهاً لمهاجمة سلاب .

" لابد أنك تتحرق شوقاً للحديث معى ، يا سلاب " .

" أنت تعرف ما أريده " .

" المزيد من دماء آل هويل ، كما أرى " .

نظر سلاب ناحية بيك ، والذى كان قد وجد للتو هاتفه الخلوى قال له : " دعك منه ، يا ميرشانت ! "

" ليس قبل أن تتوقف وتهدأ " .

بدا متوتراً ولا يدرى ما الذى عليه أن يفعله ، فلعق شفتيه قبل أن ينظر إلى كريس وبيك فى صمت ، إلى أن قال كريس : " ألم تكفك دماء أخى ؟ "

" هل هذا هو السبب وراء بحث الشرطة عنى ؟ "

" هذا إن لم تكن قد قتلت شخصاً آخر " .

اقترب من كريس وهو يصيح : " أيها الـ .... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان هذا كل ما استطاع نطقه قبل أن ينحنى كريس بجسده ليضرب برأسه صدر سلاب ، فدفعه إلى التراجع بقوة . كانت مرونة سلاب تليق بمصارع معتاد القتال . ضغط بيك بسرعة على رقم النجدة بهاتفه ، ثم ألقى به على المقعد ، وهو يعلم أنه سيتم تتبع مصدر ومكان المكالمة .

نزل من السيارة لكنه لم يلحظ أنها قد توقفت عند حافة الطريق . فلم ينتبه للمنحدر جوار الطريق فزلت قدمه ، وسقط . وما أن نجح فى النهوض والخروج من هذا المنحدر ، حتى وجد كلا من كريس وسلاب يقفان فى مواجهة بعضهما البعض فى توتر وسط الطريق ومن دون حراك .

كان كريس يمسك بذراعه إلى جوار جسده فى قوة . والدم ينساب من بين أصابعه . نظر سلاب إلى السكين فى يده ، يحدق إليها فى غباء والدم يقطر منها على الأسفلت الساخن . ثم رفع رأسه ، ناظراً إلى كريس فى عدم تصديق . ثم استدار على عقبيه مهرولاً إلى دراجته البخارية .

أمسك بيك بملابس كريس قائلاً : " دعه يذهب . سيلحقون به " . هنا خرّ كريس على ركبتيه .

جذب سلاب دراجته ، ثم استقلها فى سرعة ، وما أن أدار المحرك ، حتى سارع منطلقاً بها . كان صوتها عالياً وسط سكون الليل .

ساعد بيك كريس على النهوض على قدميه حتى جلس إلى مقعد السيارة وقال : " حاذر ، فنحن على حافة منحدر . هل أنت بخير ؟ "

أومأ له كريس برأسه ، ثم تمتم قائلاً : " أجل ، أجل ، أنا بخير" . ثم قال وهو يرمق ذراعه : " لقد طعننى ذلك الوغد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد اتصلت بالنجدة " . وضع كريس في المقعد ، ثم التقط هاتفه . " تبا ! لقد تركوا المكالمة في حالة انتظار " .

" إنني بخير ، يا بيك . إنه مجرد جرح سطحي " .

نظر بيك إلى الذراع التي فردها كريس . كان الجرح بطول ساعده . لم يبد عميقا إلا أن الظلام كان قد حل ولا توجد أنوار يمكن منها تبين مداه . فقد يكون أخطر مما يبدو عليه : " لا نعلم أين وصلت تلك السكين " .

" خذني إلى الدكتور كارو . وسوف يحقنني بمضاد حيوي " .

لم يكن كريس ليوافق على أن يذهب إلى غرفة الطوارئ بالمستشفى . ولم يرغب بيك في الإلحاح عليه وهاتف ريد هاربر بدلاً من هذا . لم يكن المأمور موجودا ، لكنه أعطى كل المعلومات لمن تلقى المكالمة . " أخبر ريد بأننا في الطريق إلى منزل الدكتور كارو" .

ما أن أنهى بيك مكالمته حتى كانا قد وصلا إلى منزل طبيب العائلة . كان قد قرر المكوث في منزله تلك الليلة كما أخبرهما وهو يفتح الباب مرتديا ملابس النوم . كانت ككل ملابسه أكبر من جسده بعدة درجات مما جعله يبدو كالقزم وهو يسير أمامهما عبر ردهة ضيقة حتى وصلوا إلى غرفة بمؤخرة المنزل مجهزة كغرفة فحص طبي .

قال لبيك : " هنا كان أبي يمارس الطب على مدى خمسين عاماً . . . وقد أبقيت على هذه الغرفة مجهزة للطوارئ ، حتى بعد أن جهزت ذلك المكتب في شارع لافاييت وأعدت ترميم هذا المنزل " .

بين لكريس أن جرح السكين ، رغم بشاعته ، فإنه لم يكن عميقا ، ولن يتطلب خياطة . نظفه بمطهر قوى بعث الدموع في

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

مقلتي كريس ، ثم لفه برباط طبي . " سوف أعطي لك حقنة من المضادات الحيوية . هيا اخلع عنك سروالك " .

تلقى كريس الحقنة ، ثم قال وهو يعاود ارتداء السروال : " هلا اتفقنا على ألا نخبر هَف بما حدث ؟ "

سأل كارو وهو يلقي بالحقنة في حاوية المهملات المثبتة إلى الجدار : " ولِمَ لا ؟ "

" لن يكون وقع خبر طعن ابنه الباقي بسكين بالمناسب لحالته الآن " .

نظر كارو إليه في عدم فهم لبضع ثوان ، ثم قال : " أوه ... حسنا ، حسنا . هذه فكرة جيدة . خاصة بعد أزمته القلبية " .

قال بيك : " إنه سيعرف بالأمر من ريد على أية حال ... وإن لم نخبره فسيغضب بشدة ويزداد ضغط دمه ارتفاعا " .

قال كريس : " أعتقد أنك على حق . لنخفي الأمر عنه حتى الغد على الأقل . وسوف أخبره به ونحن نتناول الإفطار . فربما يتم إلقاء القبض على واتكينز قبل هذا فلا يزداد غضب هف " .

وبينما كانا يستعدان للانصراف ، وصل ريد هاربر . قال وهو ينزل من سيارته مقتربا منهما : " لقد وصلتنا معلومات حول دراجة واتكينز ... والدوريات تركز على الطرق في المنطقة التي رأيتماه عندها . كيف حال ذراعك ، يا كريس ؟ "

"سوف تكون بخير . عليكم فقط أن تسارعوا بإلقاء القبض على سلاب " .

" المشكلة في أنه يعرف الكثير من الأصدقاء عبر أرجاء البلدة ، بالإضافة إلى أقاربه . وهناك الكثير من المخابئ عند المستنقع ، وهؤلاء لا يشون ببعضهم البعض . فما أن نطرح عليهم الأسئلة حتى يصابون بالخرس ، ولا يمكنك أن تستخرج منهم أية معلومة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

سأله كريس : " أتعرف شيئاً عن المكان الذى عاش فيه منذ تم إطلاق سراحه ؟ "

" يفترض أنه كان يعيش لدى أقارب أبيه . هذا ما عرفه ضابط مراقبته . لكننى توجهت إلى عمه اليوم فقال لى إن سلاب قد غادره منذ أسابيع مضت . ونصحنا بالبحث عنه لدى أصدقائه " . وحكى لهما ريد بأنهم قد بحثوا عنه فى عدة أماكن هذا اليوم ثم قال : " كذب علينا كل من سألناه ، وبعضهم أظهر عدم معرفته به . وسوف نواصل البحث عنه هذه الليلة " .

قال كريس : " أود فقط أن أنبهك إلى أنه يعرف أنكم تبحثون عنه " .

" هناك من أبلغه إذن ؟ "

قال بيك : " حينما ذكر له كريس اسم دانى ، سأله سلاب على الفور ما إذا كان هذا هو سبب بحثكم عنه " .

قال له كريس : " لابد أن يكون معكم تصاريح بالبحث والتفتيش . . . فقد تتوصلون إلى ما يربطه بمقتل دانى" .

بادره ريد مبدداً هذا التفاؤل : " لا أعتقد أنه من الممكن أن يتم إلقاء القبض على سلاب بدليل قوى . هو ليس بارع الذكاء ولكنه أيضاً ليس شديد الغباء " .

قال كريس فى وجوم : " قد تكون محقاً ... إلا أننى متيقن تماماً من أنه قاتل أخى " .

وعدهما ريد أن يوافيهما بآخر التطورات ، ثم عاد إلى سيارته وسرعان ما ابتعد بها . طلب كريس من كارو أن يرسل إليه بالفاتورة ، فأجابه الطبيب بألا مشكلة فى هذا .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لم تكن بالليلة التي توقعتها " ، علق كريس ما أن عادا إلى السيارة ، والتي انبعجت مؤخرتها وتحطم كشافها الخلفي . كان بيك يقودها .

قال بيك : " كنت أعلم بأن من الأفضل أن أبقى بالمنزل " .

قال كريس في سخرية : " أشكرك لرعايتك لي ... كم أجزع من التفكير فيما كان من الممكن أن يحدث لي لو كنت وحدي . لقد تلكأت بما يكفي لأن يهاجمني ويطعنني في ذراعي . وانتهى كل شيء قبل أن تظهر أنت " .

رد بيك حانقاً : " لقد سقطت في المنحدر " .

" ماذا ؟ "

" لقد سمعتني " .

" أهذا هو ما أشمه الآن ؟ ماء عطن ؟ "

" لقد سقطت فيه إلى ركبتي " .

ضحك كريس وهو يربت بذراعه على صدره . " بدأت أشعر بالألم . ليتني طلبت من الطبيب بعضاً من الأقراص المسكنة " .

قال بيك : " يبدو لي أن سلاب متورط نوعاً ما في مقتل دانيي ، أليس كذلك ؟ "

قال كريس : " لا أعتقد أنه متورط ، بل هو من قتله بدافع الثأر " .

" إذن ... ؟ حسناً ، لا بأس " .

" كلا ، ماذا تريد أن تقول ؟ "

هز بيك كتفيه وهو يقول : " لو أنه هو القاتل ، ألم يكن من المنطقي أن يتفادى مواجهتنا ، وخاصةً أنت ؟ فيبدو لي أن من الغريب أن يقرر مطاردتنا الليلة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هز كريس رأسه : " هذا تفكير شخص عاقل ذكى يا بيك . إن واتكينز شخص أبله . فهو يتحرق شوقاً لأن ندرك أنه هو من قتل دانى . فهو يريد استفزازنا . ولا يمكنه أن يقاوم الرغبة فى رؤية وقع ذلك علينا . أتعتقد أن من المصادفة أن يطاردنا فى كل مكان ، مع أننا لم نره قبل دخوله السجن سوى فى المرة التى كانت سبباً فى سجنه ؟ "

" أعتقد أنك محق فى هذا . فقد كان بوسعه أن يقتلك ، يا كريس " .

قال فى وجوم : " لقد خطر لى هذا . ولكن بعد أن انتهى كل شىء . وحينما بدا لى ما كان يمكن أن يحدث لم تستطع ساقاى أن تحملانى " .

انعطف بيك إلى داخل الطريق المفضى إلى منزل هويل .

تأوه كريس : " أوه . . . تبا . إن الأمر لن ينتظر إلى الإفطار فيما يبدو" .

كانت كل أنوار المنزل مضاءة . وهَف يقف عند المدخل ، يدخن سيجارة ، فى انتظارهما .

ها قد خرج ليورط نفسه أكثر . ولكن لا بأس .

بقى سلاب واتكينز متجولاً عبر الطرق المهجورة ، بعضها ليس سوى ممرات ترابية تمر عبر المستنقعات . تنتهى عادة عند مياه آسنة مليئة بالثعابين أو إلى غابة كثيفة الأشجار ، لتجبره على أن يعود على أعقابه مخاطراً بأن يلاقى الشرطة التى انطلقت فى أثره .

إنه لم يتلق تعليماً جيداً ، لكنه اكتسب جميع المهارات القتالية . ويعرف كيف يتعامل بمنطق القوة . فعليك أن تقاتل ، وإن أردت أن تنتصر فعليك أن تقاتل بكل الأساليب القذرة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لقد أخذته الدهشة بعض الوقت حينما وجه كريس إليه تلك التهمة . لكن غريزة الدفاع عن النفس لديه كانت لها الغلبة . فتذكر ما علمته إياه الحياة من دروس ، ونسى فترة المراقبة ، والسنوات الثلاث التي قضاها في السجن ، قبل أن يسحب تلك السكين من رقبة حذائه .

أخذ يوبخ نفسه الآن لأن عقله لم يكن متيقظاً ، بعد كل ما تناوله من شراب ، فانقاد لاستفزاز ذلك الوغد . كان لا يزال عقله مشوشاً حول تفاصيل ذلك القتال . ولكنه لم يتذكر ما قام به بتلك السكين ، ولكن من الواضح أنه قد فعلها ، فذلك الوغد من آل هويل هو الذي نزفت دماؤه .

أقسم سلاب أن يخبر الجميع بأنه لم يكن يقصد سوى أن يهدده بتلك السكين ، ولم ينتو أبداً أن يستخدمها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثالث والعشرون

هاتفت ساير بيك بمكتبه فى الخامسة مساء الاثنين .

" بيك ميرشانت " .

" ساير لينش . هل لديك ارتباطات هذا المساء ؟ "

" هل تطلبين لقاءً ؟ "

" هناك من أود أن تتحدث إليه " .

" من ؟ "

" كالفين مكجرو " .

" هذا سلفى فى منصبى .. ما سبب تلك المقابلة ؟ "

" سألتقيك بالفندق فى تمام السادسة " .

وبعدها أغلقت الخط .

طرق باب غرفتها عند السادسة تماماً ، وفتحت له الباب على الفور . كانت حقيبة يدها على كتفها . وبيدها مفتاح الغرفة .

" ألن أدخل ؟ "

أغلقت الباب خلفها وهى تقول : " سوف أقود أنا السيارة " .

كان سقف سيارتها التى استأجرتها مطوياً . فأخذ الهواء يتلاعب بشعرها وهما يتخذان طريقهما خارج البلدة ، لكنها لم تلحظ هذا . كان مكيف الهواء عند الدرجة القصوى ، إلا أن تأثيره

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بدا ضعيفاً مقارنةً بالحرارة داخل السيارة . فقد كانت متوقفة تحت الشمس طوال النهار ، فكان غطاء المقاعد أشبه بالفرن أسفل ظهر بيك ورجليه .

علقت قائلة : " عرفت بأنك وكريس قد أمضيتما ليلةً مشحونة يوم السبت " .

" حاولنا ألا يعرف أحد بما حدث ، إلا أن الخبر انتشر " .

" وكيف حال ذراعه ؟ "

" أفضل مما كان من الممكن أن تصبح عليه " .

" لا يمكننى تصور كريس وهو يتشاجر مع أى شخص وسط طريق عام . ما الذى دفعه إلى هذا ؟ "

" كان يعتقد أن واتكينز هو من قتل دانى " .

التفتت إليه فى حدة : " سلاب واتكينز ؟ هل نحن نقصد الشخص ذاته ؟ "

" بالفعل . فلقد رفض دانى تعيينه حينما تقدم للعمل فى المسبك" . شرح لها فى إيجاز سبب اعتباره مشتبهاً به رئيسياً .

سألته حينما انتهى من كلامه : " أتجد هذا الرأى منطقياً ؟ "

" لو نظرنا إليه بالمنطق فأنا معه" .

" هل هذا ممكن ؟ "

" لا أعرف ، يا ساير " . اعتدل فى مقعده ، وهو غير مرتاح بسبب سخونة المقعد وكذلك من أسئلتها . " يرى مكتب المأمور أن لهذا الظن وجاهته التى تكفى لاستجواب واتكينز " .

" لو أنك جمعت كل من يكن ضغينة تجاه آل هويل ، فإن الطابور سيطول لأميال . يمكننى أن أذكر لك أكثر من مائة اسم لأشخاص لديهم أسباب لكراهيتنا . وماذا عن جميع العمال الذين

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تم فصلهم على مر السنين ؟ فالأمر يبدو وكأنك التقطت اسم واتكينز من قائمة مليئة بالأسماء " .

" كنت لأوفقك الرأى ، لولا ما حدث ليلة السبت . لقد رأيته يعبر من أمام منزلى . ووقتها لم أتعرف عليه ، مجرد شخص يستقل دراجة بخارية . لكنه كان واتكينز . من الواضح أنه كان يتبع كريس ، ثم حاول متعمداً أن يهاجمنا على الطريق " .

" وهو الآن يواجه تهمة الاعتداء بسلاح مميت ، هذا بعيداً عما إذا كان له صلة بمقتل دانى أم لا . كما أن سجله الإجرامى حافل . وقد كان التوتر واضحاً عليه عند ذكر اسم دانى . ولو نظرت إلى أمره لوجدت أنه خطر ، وشخص مثله ليس بعيداً عنه أن يرتكب جريمة قتل " .

لم تبد ساير مقتنعة . قالت : " هل يصبح هو كبش الفداء بسبب سجله الإجرامى ؟ "

" لقد هاجم كريس بسكين " .

" هل شاهدت المشاجرة ؟ "

" جزء كبير منها . إلا حينما وقعت فى المنحدر " .

أخبرها عما حل به ، لكنها لم تضحك على ما حدث . وبدلاً من هذا فقد أبدت دهشتها . " هل لو جلست على كرسى الشهادة بالمحكمة سيمكنك وأنت تحت القسم أن تشهد بأن واتكينز قد تعمد طعن كريس ؟ "

" أليس هذا واضحاً ؟ لقد كانت ذراع كريس تنزف" .

أوقفت السيارة أسفل شجرة ماجنوليا تلقى بظلال واسعة . التفتت إليه بعد أن أطفأت المحرك وقالت : " حينما كنا فى سن المراهقة أثناء الدراسة الثانوية أو ما قبلها كنت يوماً أقضى فترة ما بعد الظهر فى الحمام ، أقيس ملابسى وأتخير فيما بينها . ومع أن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بمنزلنا ثلاث حمامات أخرى ، إلا أن كريس أخذ يقرع باب الحمام ، وظل يزعجني من دون سبب . حتى فتحت له الباب في النهاية فأخذ يغيظني ويطلب مني أن أترك له المكان .

ثم اقتحم الحمام وأخذنا نتشاجر ويصفع كل منا الآخر . بعدها أخذ في الصراخ وخرج باحثاً عن هَف . وادعى بأني قد هاجمته بمكواة الشعر ، وأراه حرقاً أحدثه في ذراعه " .

توقفت لتعرفه بأنها قد وصلت إلى النقطة التي تقصدها في قصتها . ثم قالت : " لم تكن مكواة الشعر في يدي حينما فتحت الباب له ، يا بيك . كانت موجودة على طاولة الزينة " .

" هل تقولين بأنه قد أحرق ذراعه عمداً ؟ "

" أجل . فلم يتورع عن إيلام نفسه لأجل أن يوقعني في المشاكل " .

" أتعنين أن كريس قد تعمد أن تصيبه سكين واتكينز ؟ "

نظرت إليه طويلاً ، ثم أدارت السيارة وعادت بها إلى الطريق .

" لم تكن مواجهتكما مع واتكينز هي الخبر الوحيد الذي سمعته اليوم " .

" وأين سمعت بهذه الأخبار ؟ "

" في مركز للتجميل " .

أزاح نظارته الشمسية عن عينيه ونظر على شعرها الذي أفسده الهواء .

قالت وهي تفهم نظراته : " كنت أقوم بتجميل أظافري " .

انتهز الفرصة لينظر على ساقها من أعلاها إلى أسفلها ، وعند القدم التي تضغط على دواسة البنزين مبقيةً السرعة عند سبعين ميلاً في الساعة منذ أن غادرا البلدة . " جميلة . كما أنه لون فريد

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ذلك الذى صبغت به أظافر قدمك . ليس بالأحمر أو الوردى . ما الذى تطلقنه على هذا اللون ؟ "

" مارلين بيج "

" مثل مونرو ؟ "

" لاأدرى . لم أفكر فى هذا من قبل . لكن المهم ليس أظافر قدمى ، يا بيك . ما أقصده هو أن صالونات الزينة تعد أفضل مصدر للمعلومات . قد يجهلون أين تقع الصين ، لكنهم متيقنون مما لديهم من معلومات عما يدور حولهم من علاقات غرامية ، ومن تلقى طعنة ليلة السبت ، وهلم جرا " .

" أبهذه الطريقة تمكنت من تتبع قائمة محلفى قضية كريس ؟ "

أبدت له نظرة قاسية لكنها رفضت أن يستفزها . قالت فى هدوء : " كلا فى الواقع . فلقد تحصلت على تلك المعلومات من دار القضاء " . ثم أضافت بعد صمت : " أتساءل عما إذا كان هَف قد عرف بهذا الأمر " .

" يعرف بالفعل . هل كنت تظنين أن اجتماعاتك مع هؤلاء ستبقى سراً ؟ أنت شخصية مشهورة ، يا ساير . قد تحاولين التنكر ، لكنكِ ستظلين تلك التى أتت من المدينة ، تفضحها كل حركاتها . فالكل مهتم بحكاية عودتك إلى هنا بعد عشر سنوات من الغياب . ويزداد الاهتمام مع تدخلك فى شئون هَف . ومع أنهم معجبون بما تفعلين ، إلا أنهم لا يريدون أن يكتسبوا عداء هَف هويل " .

" كنت أعلم وأنا أهاتف هؤلاء المحلفين بأن الخبر سيصل إلى هَف وكريس . ولك أيضاً .... ولم يهمنى هذا " .

" وما الذى تأملينه من وراء هذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" آمل في أن أصل إلى شخص ذى ضمير حى . شخص يمكنه أن يقر بأنه قد تلقى رشوة أو أن يخبرنى بمن تلقاها " .

ذكرت له أمر أرملة اسمها فوستر ولديها ولد فى أواسط العمر متخلف عقليا . وحكت له تفاصيل مقابلتها مع رجل بكى حينما سألته عن فترة خدمته كمحلف .

" وحينما ضغطت عليه لأجل المزيد من المعلومات ، طلبت منى زوجته أن أرحل . وبعدها تبين لى أنه قد تم إنقاذه من إشهار إفلاسه بعد انتهاء محاكمة كريس بشهر . يا لها من مصادفة " .

انحرفت عن الطريق السريع وقادت السيارة عبر بوابة حديدية هائلة الحجم . كان على جدران جانبى البوابة شلالات صناعية تسقط على صخور مصنوعة من الفوم . وفوق البوابة نقش باسم المكان ... " منزل البحيرة " .

كان منتجع المتقاعدين هذا يقع عند بحيرة صناعية ويحيط به ملعب جولف واسع . كان هناك ناد بين أشجار البلوط ، وبه حمام سباحة ، وصالة ألعاب حديثة ، ومطعم ، وملهى ليلى ، ومركز ترفيهى . عرف بيك بكل هذا من خلال لافتة خضراء كتبت عليها هذه المعلومات باللون الأبيض . كان القسم السكنى محدودا ، لكن منازله كانت جذابة . ويربط أكثر من ممشى ممهد بين أرجاء المكان .

أوقفت ساير سيارتها عند مبنى النادى فى الموقف المخصص للزوار ، لكنها لم تنزل منها . " إننى أكره هذه الأماكن . تبدو لى عقيمة جدا . والكل هنا متشابهون ، بل والأيام متشابهة . ألا يصابون بالملل ؟ " .

" إنهم على الأقل لا يقلقون من حدوث اضطرابات عمالية " .

التفتت ساير إليه قائلة : " إذن فتلك المعلومة صحيحة أيضا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" للأسف " .

" أخبرني عن هذا " .

" ذلك الرجل المسمى نيلسون " .

" لقد سمعت اسمه داخل الصالون . وقد ذكرته تلك الليلة . فمن هو ؟ "

" مصدر مشكلات للشركات المشابهة لشركتنا " .

" من الواضح أن زوجة بيلي بوليك كانت على اتصال به " .

قال بيك : " ولهذا حشد كل أسلحته . ويعبئ رجاله النقابيين لأجل أن يقنعوا عمالنا بالإضراب " .

" يحق له هذا " .

" ستزداد الأمور سوءاً يا ساير " .

" هي سيئة بالفعل " .

قال بسرعة قبل أن تهم بالكلام : " هناك أناس سيلحق بهم الأذى . . . . أعلم أنك ستقولين بأنك لن تصاب بما أصيب به بيلي ، فتلك كانت حادثة مأساوية . ربما كان من الممكن منع حدوثها ، إلا أنها غير مقصودة . أما الإضراب فهو إعلان للحرب " .

" أتمنى أن تخسروها " .

ضحك ضحكة أسف . " قد تتحقق أمنيتك " . أسند رأسه إلى وسادة المقعد ، وتطلع عبر أغصان الشجرة التي أوقفوا السيارة أسفلها . " إن توقيت الأحداث مريع . فقد مات داني منذ أسبوع ، وبدا أنه قتل ولم ينتحر . ثم يواجه ريد هاربر صعوبة في إلقاء القبض على من قد يكون قاتله . بينما هناك محقق يراهن على أن كريس هو المشتبه به الرئيسي .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أما أنتِ فلا تزالين تنبشين من حولنا وأنت داخل سيارتك الحمراء هذه ، تذكرين الناس بأن هذه ليست هي المرة الأولى التي يتهم فيها كريس بالقتل . فيزداد غضب هَف منك . كما تقفين في مواجهتنا وفي جانب هذا النزاع العمالي . إضافة إلى أمر آخر " .

" ما هو ؟ "

التفت إليها من دون أن يرفع رأسه : " إنني أعاني وأنا أحاول الابتعاد عنكِ " . نظر إلى ساقها اليمنى ، وكان رداؤها فوق ركبتيها " لا أدري ما هو الأسوأ بين خيارين . أن أبتعد عنكِ وأكتفي بأحلام أراك فيها بين ذراعي . أو أن أكون على القرب منكِ ، فأراك ، ومع هذا فهناك حاجز بيني وبينك " .

مر بنظراته على جسدها حتى توقف عند وجهها ، ظناً منه أنه أكثر أماكن جسدها أمانًا . لكن هذه الفكرة تبددت حينما رأى ما ارتسم عليه من هياج . " لقد تمت رشوة السيدة فوستر بجهاز تليفزيون ضخم يسعد به ولدها المعاق " ، وتابعت في صرامة : " أما ذلك الرجل فقد باع نفسه من أجل الفكاك من الديون " .

زفر بيك وهو يعدل من جلسته : " هل أنتِ متيقنة من كلامك ؟ هل يمكنك أن تثبتيه ؟ "

" كلا " .

" هل أنتِ متيقنة من أن هذين الشخصين كانا من بين الستة الذين صوتوا لصالح تبرئة كريس ؟ "

" كلا " .

فوجه لها نظرة لوم وهو يقول : " لنفترض جدلاً أن الأرملة والدة الولد المعاق والرجل الذي تفادى الإفلاس قد نالا رشوة لأجل تبرئة ساحة كريس . فهل تهدفين إلى مجرد تذكرتهما بما اقترفاه ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أشاحت بوجهها عنه وهى تهمس بالنفى .

" ما الذى سيغير من حياتهما عندما تواجهينهما بما فعلاه ؟ "

بادرته : " لا شىء ... لقد أوضحت قصدك بالفعل " .

" فلماذا تضايقينهما ؟ ما هدفك ؟ فمشكلتك هى هَف وكريس . فلماذا لا تواجهينهما مباشرة ؟ "

باغتته قائلة : " ولماذا لا تفعل ذلك أنت ؟ ... أم أنك لا ترغب فى معرفة حقيقة قضية كريس ؟ فربما لا ترغب فى أن تعرف أن هَف قد قام برشوة المحلفين حتى تتم تبرئة ساحة كريس من تهمة القتل . أليس هذا صحيحا ؟ " .

قال وهو يرد عليها بنفس الحدة : " لو كان هَف قد قام برشوة المحلفين ، فربما كان هذا لكى يتأكد من ألا يعاقب ابنه على جريمة لم يرتكبها . أما ثأرك الخاص ... " .

" إنه ليس ثأرا " .

" فما الذى تبحثين عنه إذن ؟ "

" النزاهة . وهما لا يتصفان بالنزاهة . وكنت أتمنى لو ... " .

" لو ماذا ؟ "

صمتت تلتقط أنفاسها ، ثم قالت فى فظاظة : " كنت أتمنى لو أنك تتصف بالنزاهة . ولهذا أحضرتك إلى هنا " . أشارت تجاه مجموعة من المنازل تطل على البحيرة . " يعيش كالفين مكجرو فى المنزل الثالث . وقد وافق على التحدث معى هذا الصباح . وقد دهشت فى الواقع لموافقته على أن يلقانى . وقد دهشت أكثر حينما رأيته ، فقد تقدمت به السن كثيرا منذ آخر مرة رأيته فيها " .

" عشر سنوات كافية لهذا " .

" لكننى أعتقد أن هذا سببه السنوات الثلاث الأخيرة ، أى منذ أن رأى كريس يهرب بفعلته . فالإحساس بالذنب يعذبه " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل اعترف لكِ بهذا ؟ "

" أجل يا بيك ، لقد قال هذا . فقد كانت هذه آخر خدمة يسديها لآل هويل . لقد تولى منصب المستشار القانونى بعد أن حل هَف محل جدى . وكان يقوم بنفس الدور الذى تقوم به أنت الآن . وكان هذا آخر ما قام به قبل أن يقيله هَف من منصبه ليحل محله شخص شاب و.... " .

" عديم المبادئ ؟ "

" كنت سأقول أكثر ذكاءً " .

أبدى سخطه ولكنه أومأ لها بأن تواصل كلامها .

" فبعد أن تم اختيار هيئة المحلفين ، أخذ ماكجرو يبحث عن نقاط الضعف فيهم " .

" من قبيل ذلك الولد المعاق " .

" بالضبط " . نظرت إلى ملاعب التنس ، حيث كان هناك زوجان يلعبان مباراة فاترة . " كان من المتوقع أن تسألنى ما إذا كان حديثى مع هؤلاء سيرضينى . ولكننى وبكل صدق قد أحسست بإحساس قمىء . وخاصة بعد زيارتى للسيدة فوستر " .

" أنا لا ألومها على انتهاز الفرصة لكى تحسن من حالها ، حتى بشىء تافه كجهاز تلفاز . فلو كنت فى موضعها لكنت قد تشبثت بها أيضاً . فلم يكن فيما فعلته أنانية . فقد كان هذا لأجل ابنها الذى تحبه " .

حينما التفتت إليه كان المقت يرتسم على وجهها . " لكن كالفين مكجرو قد قام بالمهمة القذرة نيابة عن هَف لأجل أسباب أنانية . فلم يكن فيما اقترفه أى نبل . وقد ترك هَف وهو مؤمن مالياً طوال حياته ، وقادر على أن يعيش فى منتجع كهذا . إلا أنه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لا يعيش أيامه فى راحة بال . فقد رحب بالفرصة التى جاءته كى يلقى بهذا العبء عن كاهله . ويعترف بكل شىء " .

حدق إليها بيك لفترة طويلة ، ثم مد يده إلى مقبض الباب . " حسناً . لنذهب ونستمع إلى ما سيقوله السيد مكجرو " .

سارا على ممشى مجاور لضفاف البحيرة . كان منزل مكجرو يتميز بقضبان حديدية رفيعة صنعت أمام نوافذ الطابق الثانى ، لتحاكى تلك الشرفات التى فى الركن الفرنسى . كانت ساير ترى فيها بعين الخبير رمزاً لحزن دفين .

قرعت جرس الباب وهى تنظر عبر ثقبه . فتحت الباب نفس الممرضة التى استقبلتها من قبل . كانت وقتها ترتدى زياً أنيقاً وعلى وجهها نفس الغظاظة . أما فى الصباح فكانت قد استقبلتها بابتسامة . ولم تجد ساير سبباً لهذا التغير فى مزاجها .

" مرحبا ، مرة أخرى " .

قالت الممرضة وهى تعاتبها : " لم تخبرينى بهويتك حينما أتيت هذا الصباح " .

" لقد ذكرت لكِ اسمى " .

كانت ساير تعى أن بيك متيقظ لكل كلمة ، فقالت فى رباطة جأش : " كما أخبرتك هذا الصباح حينما غادرت المنزل ، فإننى قد أحضرت معى شخصاً يريد مقابلة السيد مكجرو . فهل هو موجود ؟ "

" أجل سيدتى " . قالتها وهى تتنحى جانباً لكى يدلفا إلى المكان . " إنه موجود بالغرفة المشمسة التى قابلته فيها هذا الصباح " .

" أشكرك . هل هو بانتظارنا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أعتقد هذا " .

تغاضت ساير عن فظاظتها وهى تشكرها مجدداً ، ثم تشير إلى بيك أن يتبعها . سارا عبر ردهة تزدحم بالكثير من الأثاث ، وكان هذا حال كل الحجرات التى مرا عليها . كانت الغرفة المشمسة عند مؤخرة المنزل ، تطل على ملعب الجولف .

كان كالفين مكجرو جالساً على نفس المقعد الذى كان يجلس إليه فى الزيارة السابقة . فى قبالة الباب . فابتسمت له ساير وهى تناديه باسمه . نظر إليها من دون أن يبدو عليه أنه قد تعرف عليها ، فأحست بشىء ما ولكنها قالت : " لقد أحضرت معى السيد ميرشانت وهو يود أن يراك . هل أتينا فى وقت مناسب ؟ "

" أخشى من أن يكون الوقت غير مناسب ، يا ساير " . نهض كريس ، الذى كان يجلس إلى كرسى هزاز ذى ظهر عال أخفاه عنها حتى نطق عبارته ، والتفت إليها . " لقد أخبرنى بُيك بأنكما قادمان ، وهو الأمر الذى ذكرنى بأنى قد قصرت فى حق كالفين خلال الفترة الأخيرة . فقررت أن آتى لزيارته والاطمئنان عليه . وللأسف فإنه متوعك هذا اليوم . وعقله مشتت ، كما قد أدركت . وأعتقد أن هذه هى أعراض مرض الزهايمر " .

اقترب من العجوز وهو يربت بيده فى حنو على كتفه . لم يبد مكجرو أى رد فعل كان ولكنه واصل التحديق إلى الفراغ شارد الذهن .

" تمر به أيام لا يستطيع خلالها تذكر أولاده . وأحياناً ما يزعم أنه أب لأحد أولاد تلك الأرملة ذات الثمانية والسبعين عاماً التى تعيش بالمسكن المجاور . وفى الأسبوع الماضى وجدوه يسير عاريا إلى جوار البحيرة . ومن العجيب أنه لم يغرق . وفى اليوم التالى

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان في كامل لياقته الذهنية ، متمكناً من كل شيء . بل وهزم ممرضته في خمسة أدوار متتالية " .

قبض على كتف الرجل برفق مجدداً وهو يقول : " أليس هذا مأساوياً ؟ حينما نتذكر بلاغته وهو داخل قاعات المحاكم . كان متوقد الذهن " . هز رأسه في أسى : " أما الآن فقد تمر أيام من دون أن ينطق بكلمة واحدة . وفي أيام أخرى لا يمكنكم أن توقفوه عن الكلام . وحتى عندئذٍ فهو يهذي بثرثرة لا معنى لها . ولا يمكنكم أن تثقوا في كلمة يقولها " .

كانت أنفاسها تتلاحق سريعة ساخنة . وقد غلى الدم في دماغها . لم تكن على وشك الإغماء ، ولكنها أحست بأنها على وشك الانفجار . كان بوسعها أن تتجاهل كريس . وأن تتوقع منه هذا الغدر . إلا أن غدر بيك هو الذي جرح وجدانها . لقد نصب لها هذا الفخ ، وخدعها بكلامه معها حول الرغبات والأحلام . كانت تود لو أنها اقتلعت عينيه بسبب أنه خدعها فوثقت به ولو قليلاً ، ولأنه جعلها تظن لحظة ما أنه ليس على ما هم عليه من فساد .

فالتفتت إليه قائلة : " يا لك من سافل " ، كان هذا أتفه وصف ممكن قياساً على ما كان يعتمل بداخلها .

مرت من جواره ، مغادرة ذلك المنزل وهي تركض كل خطوة تخطوها حتى وصلت إلى السيارة . وعندما وصلت إليها ، وقفت تلتقط أنفاسها ، بسبب الحر وبسبب الغضب والمهانة أكثر .

أدخلت المفتاح لتدير المحرك فلاحظت أن يدها تنزف . فلقد كانت تقبض أصابعها على راحتها بشدة ، حتى خدش المفتاح بشرتها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الرابع والعشرون

غادر كلارك دالى منزله فى العاشرة وعشر دقائق . قبل نصف ساعة من الموعد المعتاد لانصرافه إلى العمل ، فالمصنع لا يبعد سوى أقل من خمس دقائق بالسيارة من منزله ووردیته ستبدأ فى الحادية عشرة .

لكن مناخ المنزل كان مشحوناً ، فتركه قاصداً المسبك . كانت لوسى تتشاجر معه حول ساير . كانت تعرف حينما تزوجته أنه كان على علاقة حب مع ساير هويل منذ أن كانا فى المدرسة الثانوية . فكانت على علم بكل صغيرة وكبيرة فى تلك العلاقة وقتها .

كانت تطلب منه توضيحات حولها وقت أن كانا يخرجان معاً قبل الزواج . ولم يكن يبوح بالكثير عن ساير . وفضل أن تعرف القصة منه بدلاً من أن تعرفها ممن يتسلون بأحزان الآخرين ويجدون المتعة فى الشماتة بهم .

بل إن لوسى قد نجحت فى أن تقتنص منه اعترافاً بأنه قد أحب ساير . لكنه أوضح لها أن تلك العلاقة قد أصبحت فى عداد الذكريات ، وذكرها بأن علاقتها به ليست الأولى فى حياتها هى

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الأخرى . وهكذا تناسى الاثنان الأمر . وما أن تزوجا حتى كانت هناك مشاكل أكثر إلحاحاً من تلك المسألة .

لكن أن تعرف بأمر علاقته مع ساير شيء ، وأن تكون ساير في البلدة فهو شيء آخر ، وأن تأتي إلى منزلهما وهي على هذا الرونق والبهاء فهو أمر لا يحتمل . لم ترض لوسي بهذا . فما أن ذهبت ساير حتى فاض بها الكيل معه .

" أنا لن أرضى بهذا ، يا كلارك " .

كانت نبرتها حادة وجادة . وحينما كانت تصرخ فيه ، كان يعرف أن هذا الشجار منبعه الغضب ، وأن الأمر لا يكون بهذه الخطورة على علاقتهما ، وسرعان ما سينسيان أمره . إلا أن هذه المرة لم تكن ككل مرة . فقد كانت خفيضة الصوت وهي تخبره بأن ينتبه لما ستقوله .

" بصرف النظر عما تتماطاه من شراب أو ما تعانيه من اكتئاب مزمن ، فإنني لن أسمح لك بعد الآن أن تخونني مع ساير هويل أو لينش أو أيا كان اسم تلك المرأة " .

" لا يمكن أن تعود علاقتنا إلى ما كانت عليه ، فنحن الآن أصدقاء فقط " .

" بل كنتما في حالة حب " .

" كنا . حينما كنا صغاراً . وهل تعتقدين أنها قد تكون راغبة فيّ الآن ؟ "

ربما كانت تلك العبارة أسوأ رد يمكن أن ينطق به . فقد فهمت منها لوسي أنه لو رغبت فيه ساير ، فستكون أمنية قد تحققت بالنسبة له . كما أنها فهمت منها أنه رجل لا يليق بـ " ساير " ولكنه يليق بامرأة مثلها هي ، أي أن ذلك يحط من شأنها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كانت تبكي وهي ذاهبة إلى عملها ذلك الصباح . وحينما عادت بعد الظهر ، كانت دموعها قد جفت ، لكن البرودة سادت المنزل ، وازدادت داخل غرفة النوم ، وبقيت على هذا الحال الآن وبعد أسبوع من زيارة ساير .

تبا لكل شيء ، فهو يحب لوسى . ورغم أنها ليست على الرقى والأناقة التى تتمتع بهما ساير ، إلا أنها تمتلك جمالها الخاص . كما أنها تحب أطفالها ووفرت لهم وحدها كل شيء عندما هجرها زوجها الأول . والأهم هو أنها تحبه ، وتلك وحدها معجزة . فلم يقدم لها ما يساوى كل هذا الحب .

كان غارقا فى أفكاره ، فلم يلحظ السيارة من خلفه إلا عندما لامست مؤخرة سيارته . فانحرف إلى الجانب الأيمن من الطريق ، متيحا المجال لمن خلفه كى يجتازه . إلا أن سائق السيارة ظل خلفه وهو يومض الأضواء العاكسة .

" ما هذا ؟ "

أعتقد أنها سيارة الدورية ، لكن لم يكن هناك ما يدل على أنها سيارة شرطة . تحير وهو يبحث أسفل المقعد عن الرافع الحديدى للإطارات الذى يحتفظ به فى هذا المكان . حينما يكون بصدد الذهاب إلى الحانات ، فإنه يقصد أماكن سيئة السمعة . وأحيانا ما يتشاجر مع بعض زبائنها . ولكنه لم ير سوى قائدها فقط . ولكن قد تكون هذه خدعة .

ومضت أضواء السيارة من جديد . فأوقف كلارك سيارته عند حافة الطريق . وبالمثل توقفت السيارة الأخرى وأطفأت أنوارها . فقبض كلارك على الرافع بشدة .

رأى السائق ينزل من السيارة ، ويقترب فى سرعة إلى الجانب الآخر من سيارته ، ليطرق على النافذة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كلارك ، إنه أنا " .

تعرف على الوجه أسفل قبعة البيسبول ، فترك الرافع ومال لكى يفتح الباب . دلفت ساير إلى الداخل وأغلقت الباب فى سرعة كى تنطفئ الأنوار الداخلية . كانت ترتدى الجينز وقميصاً قطنياً داكناً ، وقد لملمت شعرها أسفل القبعة .

قال فى دهشة : " ما الذى تفعلينه هنا بحق السماء ؟ "

" أعرف أن الأمر كان غامضاً بعض الشىء ، لكن كان علىّ أن أراك من دون أن يعرف بذلك أحد " .

" لدى هاتف يعمل كما أعتقد " .

" كان من الممكن أن ترد لوسى على المكالمة . كما أننى لاحظت أنها كانت فى غاية الاستياء وهى ترى زوجها أيام المدرسة وهى تقف فى ساحة منزلها " .

" نعم ، هذا ما حدث بالفعل " .

" أنا لا ألومها على هذا . فلو كنت مكانها لكان هذا هو شعورى كذلك . لكننى أقسم لك يا كلارك أننى لم أود أن أسبب لك المشاكل . فلا يمكن أن أفعل شيئاً يضر بعلاقتك مع زوجتك أو أن أفرض نفسى بينكما . ولو لم تكن تصدقنى فيمكننى أن أغادر الآن " .

تأمل وجهها لحظات ، فوجد أنه لا يزال محتفظاً ببهائه ولكن العينين قد فقدتا ذلك التوق إليه . فستظل المشاعر التى بينهما مبنية على ذكريات مريرة ، لكن ذلك الحب الذى كان بينهما ، قد دمره هَف . ولقد مات ذلك الحب على كل حال ، وكان يعلم أنها صادقة فى أنها لم تقصد إعادة إحياء حبهما .

" إننى أصدقك ، يا ساير " .

" جيد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" فما الأمر إذن ؟ "

استمع إليها طوال خمس دقائق كاملة ، ودهشته تزداد مع كل كلمة تقولها . وقد أنهت كلامها قائلة : " هل ستفعل هذا ؟ "

" هل تطلبين مني أن أتجسس على من أعمل معهم ؟ "

" لأنهم يتجسسون عليك ، يا كلارك " .

اعتدلت في جلستها حتى تواجهه . ومالت قليلاً وهي تتابع كلامها : " هل تعتقد أن هَف وكريس سيسمحان بهذا الإضراب من دون افتعال مشكلة ؟ لقد توقع بيك ميرشانت بأن تكون هناك مواجهة دموية . بل ووصفها بالحرب " .

" لقد سمعت بالتقرير الذي أعده تشارلز نيلسون . . . كان من المفترض أن يرسل رجال النقابة العامة إلى هنا ليتحدثوا معنا . وهناك موعد لاجتماعات سرية " .

" إذن ، فالعمال مشغولون بالأمر فعلاً ؟ "

قال معترفاً : " يكاد هذا يشغلهم عن أي شيء آخر " .

" بوسعك إذن أن تدرك أن لهَف جواسيس يبلغونه بكل ما يقال ، ومن قائله " .

" الجميع يعلم أن فريد ديكلويت هو رجل هَف . فقد كان متوتراً ليلة حادث بيلي . فقد كنت هناك ورأيت الأحداث كلها . كان هو أكثر من عمل على أن يصل بيلي إلى المستشفى قبل أن يزداد النزيف . والحقيقة أن فريد لديه ما يخاف عليه ، ستة أولاد يحتاجون المأكل والملبس والتعليم . وسيعمل على أن يحمي مصالحه ، حتى لو كان هذا أن يكون عبداً لهَف ، فلن يتردد عن فعل أي شيء . كما أن الآخرين سيفعلونها كذلك ، فالمعروف أن هَف يكافئ كل من يخون زملاءه لمصلحته هو " .

" أتعلم من هم هؤلاء الآخرون ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أعرف بعضهم لا جميعهم . إلا أن فريد هو أبرزهم " .

" بوسعك أن تعادل الكفة ، يا كلارك . وأن تكشف النقاب عن جواسيس هَف ، وتمدهم بمعلومات زائفة . وفي الوقت نفسه تبدأ في تنظيم مجموعة من الرجال تتيقن من قدرتهم على الوقوف في وجه هَف لو وصل الحد إلى المواجهة المكشوفة . بوسعك أن تقلب الأمور " .

تحدثت بثقة تامة فيه ، لدرجة أنه أشفق على سذاجتها . " إن التغيرات لن تحدث يا ساير إلا إذا سمح لها هَف بهذا " .

" ربما لن يدوم هذا " .

" تلك الأزمة القلبية .... " .

" كلا ، لم تكن بتلك الخطورة ولن تؤثر على حياته البتة . بل كنت أقصد الحكومة الفيدرالية . فسواء نجح الإضراب أم لا ، فإن هناك الكثير من الهيئات التي تستهدفه . ولو شهدنا تحسنات سريعة في الحال ، فمن الممكن أن تتوقف مصانعه " .

" لكن هذا لن يكون نصراً كاملاً ، أليس كذلك يا كلارك ؟ فما الذي يمكن أن يحل باقتصاد البلدة من دون المسبك ؟ فكر في التأثير الفظيع على كل العائلات التي تعتمد عليه لو حدث وأغلق أبوابه " . توقفت لتلتقط أنفاسها ، ثم قالت في صدق : " لابد من التغيير ، وبسرعة . وإلا فسوف يخسر الجميع " .

" يمكنك أن تعتمد على ما حدث لبيلي بوليك . أعلم أن ما أطلبه منك لن يكون سهلاً . فعليك أن تكون صارماً حاسماً . كما أن عليك أن تكتسب احترام وثقة الرجال " .

حك ذقنه الخشنة مفكراً . كان محرجاً لأنها رأته لثاني مرة وهو غير حليق الذقن . كما تبين له ما قد وصل إليه من انحطاط : " هذه مهمة صعبة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" إننى مدركة لأبعاد ما أطلبه منك " .

" أنا لست مقتنعاً بأنك متيقنة من أبعاد الموقف " .

" لقد دخلت أرض المصنع من قبل " .

" لقد عرفت بهذا " .

" كنت أعلم بمدى سوء الحال ، ولكننى فوجئت صراحةً بواقع الحال . فظروف العمل أشبه بما كان فى العصور الوسطى . كيف تحتملونها ؟ "

" ليس لدينا خيار " .

" الآن لديكم الخيار . فمن المحتم أن تحدث تغيرات جذرية " .

" أوافقك على هذا . لكننى لست الرجل المناسب لهذا ، يا ساير " .

" لقد كنت الزعيم " .

" لقد كان هذا منذ أمد بعيد . فهل أبدو لكِ زعيماً الآن ؟ "

باغتته قائلةً : " كلا . أنت لست كذلك . فأنت تبدو مثالاً للجبن . بالفعل " ، زادت من قوة نبرتها عندما لاحظت دهشته : " لقد أخبرتنى منذ يومين بأنك تريد هدفاً لحياتك ، وتود أن تعود إلى المسار السليم ، وأنك تريد أن يرى فيك ابنك قدوة . وها أنذا أمنحك الهدف ، وها أنت تجبن عن تحقيقه . لماذا ؟ ما الذى تخشاه ؟ "

" الفشل ، يا ساير ، الفشل . لن تفهمى ما أعنيه طالما امتلكت المال الوفير ، وما لم يتطلب منك الأمر إرادة قوية لمجرد النهوض من فراشك كل صباح .

لن يمكنك أن تدركى ما هو الفشل حتى تمشى فى نفس الشارع الذى اعتاد الناس فيه أن يحتفوا بكِ من قبل ، أما الآن فهم يهزون

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

رأسهم حسرةً على حالى ، هذا إن انتبهوا لى أصلاً " . توقف لكى تهدأ نفسه ، مدركاً أن غضبه ليس منها ، بل من نفسه . " أنت على حق فى كونى شخصاً جباناً . بل إننى أخاف حتى من الأمل " .

أحدث كلامه أثره فيها ، وحينما تحدثت انطلق صوتها هامساً : " أنت مخطئ ، يا كلارك . أنا أعرف ذلك الإحساس الذى ينتاب المرء حينما يحتاج إرادة قوية لكى ينهض فقط من فراشه " . ثم سحبت نفساً عميقاً اهتز له صدرها .

" إلا أنك الآن عند مفترق الطريق . فلو كنت غير قادر فأخبرنى وعُد لحياتك . لتنطوى على نفسك ، وتنغمس فى معاقرة الشراب ، محبطاً لا تدرك قيمة ذاتك ، وتجلب التعاسة إلى زوجتك ، حتى تموت كمجرد سكير وحيد حقير . أو أن تعود إلى شخصيتك وقت أن كنت مجرد صبى " .

أمسكت بيده ووضعتها بين راحتيها . " أنا لا أود أن تفعل لى هذا لكى تنال من هَف . فلن يعوضنى شىء مما اغتصبه منك ، يا كلارك . كما أنه ليس بالأهمية التى تستدعى منا كل هذا . كما أننى لا أود أن تفعل هذا من أجلى " . زادت تشبثاً بكفه وهى تقول : " بل أريد أن تفعل هذا من أجلك أنت . فماذا تقول الآن ؟ "

بينما كانت ساير تقود سيارتها عائدةً إلى الفندق وهى متفائلة بحذر من كون كلارك قادراً على اجتياز هذا الاختبار . كان وصفها له بالجبن قاسياً ، لكنه كان ضرورياً كى تحرك ما بداخله . فهى تراهن على قدرته على استعادة بعض كبريائه التى دفنت أسفل طيات من الهزيمة . فالكبرياء المجروحة أقوى دافع .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم تكن متيقنة من مدى نجاح خطتها هذه . وهى لا تدعى براعتها فى هذا . فهو لم يعدها بشىء حتى الآن . ولكنها تأمل فى أن يحسن هذا من حياته ، سواء استطاع أن يؤثر فى مستقبل شركات هويل أم لا . إنها تريد عند الرحيل إلى سان فرانسيسكو أن تشعر بأنها على الأقل قد نجحت فى مجهوداتها ، وأنها قد تركت بصمة واضحة .

دفعت المفتاح بباب غرفتها فى الفندق .

" لقد تأخرتِ " .

كاد قلبها ينخلع فزعاً وهى تستدير فى سرعة لتجد كريس واقفاً على القرب منها . بدا لها وكأنما ظهر من العدم .

" ما الذى تريد ، يا كريس ؟ "

" هل بوسعى الدخول ؟ "

" لماذا ؟ "

" أريد التحدث مع أختى " .

لم تؤثر فيها ابتسامته المسالمة : " نتحدث عن ماذا ؟ "

قدم لها زجاجة وهو يقول : " أدخلينى وبعدها سأخبرك .... لقد أحضرت لك بعض الشراب " .

هو لم يحضر لها الشراب عن حسن نية . كما أنه لم يأت كذلك لمجرد الدردشة معها . فلدى كريس دوماً دافع مغاير لدافعه الظاهرى . لكنها لم تكن تعرف دافعه هذه الليلة . كانت تمقت البقاء إلى جواره ، ورغم هذا فقد انتابها الفضول .

استدارت للباب ، ففتحته ثم تقدمته إلى داخل الغرفة كى تضىء أنوارها . دلف إلى الغرفة بعدها وهو يتطلع عبر أرجائها .

" لم أتواجد بمثل هذه الأماكن منذ الدراسة الثانوية ، حينما كنت

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أصطحب الفتيات إلى هنا . لم أكن لألتفت كثيراً إلى الديكور حينذاك . ولكنه ليس بالديكور الفاخر ، أليس كذلك ؟ "

" هذا صحيح " .

" فلماذا لا تمكثين بالمنزل إذن ؟ إن سيلما تحافظ على أناقة شرفتك طيلة السنوات العشر الماضية " .

خلعت قبعة البيسبول وهي تهز رأسها لينسدل شعرها . " لم يعد بمنزلي ، يا كريس " .

تنهد يأساً من عنادها : " أليس لديك هنا كئوس للشراب على الأقل ؟ "

أحضرت كوبين من البلاستيك من الحمام الصغير . نظر إليهما في سخرية وهو يفتح الزجاجة بمفتاح أحضره معه . " هذا صنف جيد من الشراب " .

" لقد زرت مزارع العنب هناك . وهي جميلة " .

صب لهما كوبين ، ثم لامس كوبه بكوبها وهو يقول : " نخبك ، يا ساير " .

" هل هذا هو نخب الانقلاب الذي نجحت أنت في إفشاله بمنزل كالفين مكجرو ؟ "

" آه . . ذلك الأمر . . أما زلتِ تتذكرينه رغم مرور ثمان وأربعين ساعة . . . أنا لا يمكنني أن ألومك . كان عليكِ أن ترى تحبير وجهك وقتها " .

" من المؤكد أنه قد أعجبك أنت وبيك " .

جلس إلى المقعد المتهرئ وأشار ناحية الفراش قائلاً : " هلا جلست وأصبحت أكثر تحضراً ؟ "

ترددت ، ثم اتجهت نحو الفراش وجلست على حافته .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال : " لقد كنت أنتظرك لأكثر من ساعة . أين كنتِ ؟ مع أن ديستيني لا تسمح بالكثير من الأنشطة الليلية ، كما أن ملابسك هذه ... " .

" ما الذي تريده ، يا كريس ؟ "

تنهد قائلاً : " ألا يمكن أن آتي إلى هنا للدردشة معكِ فقط ؟ أليس لديك استعداد للتلاطف معي بعض الشيء ؟ "

" أنت لست بالرجل اللطيف . ولم تكن أبداً كذلك " .

" أتدرين ما مشكلتك ، يا ساير ؟ مشكلتك أنك تتدخلين كثيراً فيما لا يعنيك . وكأنما هذه هوايتك المفضلة " .

" هل أتيت وبصحبتك زجاجة الشراب لتخبرني بهذا ؟ "

ابتسم في وجهها ولكنه تابع كلامه : " أنتِ لا تسعدين إلا بمضايقة الآخرين . لقد ظننت أنك قد تركت تلك العادة البغيضة ، ولكنني مخطئ . وأنتِ الآن تكنين الضغينة لأشياء فعلتها معكِ حينما كنا صغاراً . هكذا الأخوة ، يا ساير . تلك هي تصرفاتهم مع بعضهم البعض . الأولاد يغيظون البنات ويكيدون لهن " .

" لكن داني لم يكن يفعل هذا " .

" لهذا كنتِ تكرهينه . كانت سلبيته تغضبك . لقد كان الانقياد طبعاً في داني ، لكنكِ لم تكوني لتعترفي بهذا . لم تكوني لتقبلي بعدم اعتياده أو ربما عدم قدرته على أن يعبر عن نفسه ويفرض شخصيته " .

لم تجادله في ذلك ، فقد كان على حق .

" وأنت لا تزالين غاضبة من هَف بسبب كلارك دالي " .

نظرت إلى كوب شرابها ، وهي تأمل في ألا يكون قد انتبه إلى تعبير وجهها حينما ذكر اسم كلارك . وتمنت لو أنها كانت

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

مصادفة أن تكون زيارة كريس غير المتوقعة بعد دقائق من لقائهما السرى .

قال : " لا يمكنك أن تكرهى هَف بسبب إفشاله هذه العلاقة . بل كان عليكِ أن تشكريه . ومع هذا فقد كانت تلك مجرد زوبعة فى فنجان " . قالها وهو يعاود ملء كوبه .

" ما أود أن أتحدث فيه معك هو حزنك الحالى بسبب موت دانى . فقد أخذت على عاتقك القيام بالتحقيق فيما يظهر أنها جريمة قتل " .

" وأتيت أنت إلى هنا لتهددنى بأن أتراجع عن هذا وإلا " .

رد بهدوء : " إطلاقاً . فأنا مقدر لرغبتك فى معرفة الحقيقة بل وأشاركك فيها . ولكن ما يقلقنى هو الاتجاه الذى تتخذه خطواتك هذه . وعلى أن أوضح لكِ أمراً يختصر الكثير من الوقت والجهد ، يا ساير . ليس لمحاكمتى منذ ثلاث سنوات أية صلة إطلاقاً بما حدث لدانى " .

" فاهتمامك بنتيجة المحاكمة لا معنى له وجاء متأخراً ثلاث سنوات . ولم يكن هناك ما يمنعك من الحضور وقتذاك . لكى تحضرى جلسات تلك المحاكمة . بل وكنت سأعمل على أن تكونى فى الصف الأول بين الحضور . ولكن الأمر انتهى الآن ، يا ساير " . قال عبارته الأخيرة فى بطء شديد ومتعمد .

" لقد قتلته ، أليس كذلك ؟ كما قتل هَف سونى هولمز " .

" كلا ، وكلا " .

" هل هناك أحد سواى يعرف بأنك قد رأيت هَف يقتله ؟ "

زادت حدة نظراته وهو يرد : " ما الذى تتحدثين عنه ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد تسللت خارج المنزل ليلتها ، يا كريس . ولقد رأيتك ، أتتذكر ؟ وهددتنى بالقتل لو أننى أخبرت والدتى . قلت إنك تود مفاجأة هَف فى المسبك لتبقى معه إلى حين عودته إلى المنزل .

أتذكر أننى كنت أحسدك على شجاعتك لدرجة أن تقطع كل تلك المسافة وسط الظلام . بل واغتظت من أن هَف سيسعده ذلك . كنت أعلم بأنه سيراك بارعاً لإقدامك على هذه الفعلة ، وأنك لن تعاقب عليها " . ثم همست وهى تقول : " فما الذى رأيته خلسة ليلتها ، يا كريس ؟ "

" كم كان عمرك وقتها ؟ "

" خمس سنوات " .

" حسناً . كيف أمكنك أن تتذكرى كل هذا إذن ؟ فكثيراً ما كنت أتسلل خارج المنزل وأذهب إلى المصنع حتى أعود مع هَف . ويبدو أن الليالى قد اختلطت عليك " .

كان هذا غير صحيح . فبعض ذكريات الطفولة تكون من القوة بحيث لا ينساها المرء . ومن بينها تلك الأيام التى تلت اكتشاف جثة سونى هولسر مقطعة الأوصال . كما أن الذكرى كانت راسخة فى عقلها لكونها كانت المرة الوحيدة التى رأت فيها كريس يتصرف مفزوعاً .

قالت : " أعتقد أن هَف قد قتل ذلك الرجل . وأنك قتلت جين إيفيرسون بعدها بعقود للسبب نفسه . إلا أنك قد تعلمت من أخطاء هَف . فتخلصت من جثة إيفيرسون حتى لا يمكن لأحد أن يجدها " .

" لا أحد يعلم ما حل بإيفيرسون . ربما أخافه هَف ، فخشى وفر من مواجهته " .

" لدرجة أن يترك كل شىء يملكه وراءه ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال لها ساخراً وهو يوجه لها سبابته : " ربما اختطفته مخلوقات الفضاء . أنا أعرف هذا . فقد رآه الكولونيل موستارد ومعه البايب فى المكتبة " .

قالت فى غضب : " نحن لسنا فى لعبة أحاجى هنا . . . كيف يمكن لك أن تسخر من ميتة رجل ؟ "

" هذا ما يصل بنا إلى النقطة الثانية . فنحن حتى لم نتيقن من أن إيفيرسون قد مات ، دعك من كونه قتل . أنا عن نفسى أظن أنه مازال حيًا يرزق يلهو ويضحك ملء قلبه على الورطة التى أوقع فيها عائلة هويل . وأنا متأكد أننى لم أقتله " .

قالت سايبر فى تصميم : " لم تكن أنت وهف على ثقة بأن المحلفين سيبرئونك ، لذا قمت بضمان ذلك بنفسك . ولقد اعترف لى كالفين مكجرو بأنه قد قام برشوة أولئك المحلفين " .

تعجب كريس قائلاً : " إنه رجل مريض بالنسيان ! فلو أنك اتهمته بأنه هو من فجر جسر جولدن جيت لبادر بالاعتراف بذلك . إنه لم يعد يملك من أمر نفسه شيئاً . أرجوكِ يا سايبر أن تكونى منطقية . ما الذى يدعوكِ إلى تصديق رجل مصاب بالزهايمر محدود القدرات الذهنية ولا تصدقين أخاك ؟ "

نهضت من الفراش ووقفت عند الطاولة . وضعت عليها كوبها الذى لم تشرب منه شيئا وهى تنظر إلى المرآة فوقها ، وهى بالكاد لا ترى نفسها .

هل هذه هى خبيرة تصميمات ديكور منازل الأثرياء وصفوة المجتمع فى باى سيتى ؟ لقد استبدلت الملابس الفاخرة بالقمصان وسراويل الجينز ، وتخلت عن محاولة كى شعرها وتركته حرا حريته فى ظل هذا الطقس الرطب ، يتموج ويتجعد كما يحلو له .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

من هى تلك المرأة لتى تنظر إليها في المرآة ، وما الذى تفعله هى فى هذه الغرفة المتواضعة ، مرتدية هذه الثياب ، تخوض فى مشكلات لا طائل منها بسبب أمور تخصها هى وحدها ؟ ما شأنها هى فى أن كلارك دالى قد قتل نفسه بهبطه بالشراب واليأس ؟ وما همها بأمور إضراب العمال ومستقبل مصانع هويل ؟ بينما هناك من يعمل منذ عشرات السنين متحملا من دون شكوى كل الحوادث والموت وظروف العمل التى لا تطاق ؟

لو أن كريس قد قتل وأفلت بفعلته ، فلماذا لا تتركه وشيطانه ؟ فلا أحد يهتم بأنه قد لوى عنق العدالة سواها . ما الذى يدعوها إلى التصرف على هذا النحو ؟

أما بالنسبة لمكالمات دانى الهاتفية ، فقد يكون سببها مهمًا أو تافهًا . فمن المعروف أن من يفكرون فى الانتحار نادراً ما يصرحون لأحد باعتزامهم هذا . ولو أنها تلقت إحدى مكالمات دانى ، لربما تأجل إقدامه على فعلته ، وهذا كل شىء . فأنانيتها هى التى تدفعها إلى الظن بأنها هى القادرة على منع الشىء الذى لم تتمكن من منعه خطيبته .

عندها رأت كريس فى المرآة . كان يراقبها ، كما لو أنه يعلم بأنها قد وصلت إلى الشك ليس فى دوافعها فحسب ، بل وفى نفسها أيضا ، لذا التفتت إليه وهى تشد قامتها .

" لقد طرحت سؤالاً مباشراً ، وإليك إجابته ، يا كريس . ما الذى يدعونى إلى تصديق مصدر لا يعتد به أحد ولا أصدقك أنت ؟ هذا لأن هَف قد أفسدك وهذا واضح تماماً . فلقد أصبحت شديد الأنانية . كل تصرفاتك منبعها تلك الأنانية .

حينما كان أحدهم يضبطك مرتكبًا خطأ ما ، كنت تعتمد فوراً على تأثيرك على هَف حتى يعفيك هذا من أى عقاب . فأصبحت

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أنانياً متضخم الذات ، عديم الأخلاق . حتى أنك تكذب لمجرد الاستمتاع بالكذب ، ولكونك قادراً على الإفلات من العقاب . تنال ما تريد وقتما تريد . لم تحرم من شيء في حياتك على الإطلاق . ربما فيما عدا الطلاق ، ومع هذا فإني متأكدة من أنك وهف ستنجحان في إيجاد وسيلة ما للحصول عليه " .

" هل أعتقد أنك قتلت إيفيرسون ؟ أجل . وأفلت بفعلتك . أما لو كنت أنت قاتل داني ، فلن تنجو منها هذه المرة ، يا كريس . أقسم لك بأني لن أسمح بهذا " .

وضع كوبه على الطاولة الصغيرة وهو يقول : " اجلسي من فضلك ، يا ساير " .

لم يكن من المعتاد أن ينطق شيئاً بهذا التهذيب ، لدرجة أن ساير جلست من فورها إلى حافة الفراش ؛ وإن كانت مترددة بعض الشيء . مد يديه ليمسك بيدها ويقبض عليها في قوة ليمنعها من سحبها .

قال لها في هدوء : " أريدك أن تفكري في الطريقة التي مات بها داني . فلكي أقتله ، لكان عليّ أن أنزل تلك البندقية القديمة ، وأن أحشو ماسورتها ، وأدفع بها في فمه ، وأضغط الزناد " .

" والآن ، وبغض النظر عن كل مساوئي التي أحصيتها ، فهل تعتقدين حقاً بأني لأفعل كل هذا مع أخي ؟ " . وأضاف من دون انتظار لإجابة : " إنني لم أقتل داني . لم أقتله . وأنت باعتقادك في هذا تسيئين إلى نفسك بدرجة كبيرة " .

" وما الفارق بالنسبة لك ؟ "

" لا شيء . كل ما أريده هو ألا تضعي نفسك في موقف محرج " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كانت اللامبالاة واضحة فى رده ، وأدركت هى ذلك . " ليس هذا هو السبب يا كريس ، أليس كذلك ؟ . . بل لأنى أجعله يهتم بى ويتجاهلك أنت ، ألم أنجح فى هذا ؟ "

" ما الذى تتحدثين عنه ؟ "

" هَف . فأنا أصبحت بؤرة قلق ، ومع أن هذا يثير جنونه ، إلا أن تركيزه أصبح منصبًا علىّ ، لا عليك ، وأنت لا تحتمل هذا " .

انكسرت نظراته ، لتتبلج فى خياله صورة لها . والشفاه التى كانت تضحك فى استهتار منذ لحظات توترت وكانت تتحرك بالكاد وهو يرد : " عودى إلى سان فرانسيسكو من حيث جئتى ، يا سابر " .

" هذه هى أمنيتك بالطبع " .

" لا مصلحة لى فى ذلك ، بل هى مصلحتك أنت " .

ضحكت وهى تضع يدها على صدرها . " هل علىّ أن أصدق بأن مصلحتى تهمك ؟ "

" بل هذا صحيح . فقد قلتها أنتِ بنفسك ، فاهتمام هَف منصب عليك هذه الأيام . أتعرفين ما السبب ؟ أتودين أن تتعرفى على ما يخبئه لكِ فى جعبته ؟ "

عندها انفرجت شفتاه عن ابتسامة ، ولكنها كانت ابتسامة انتصار .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الخامس والعشرون

يقع مكتب تشارلز نيلسون فى بناية بنكية تطل على شارع كانال بوسط مدينة نيو أورليانز . يشاركه فى الطابق العشرين طبيب أسنان ، وشركة سمسرة فى الأوراق المالية ، وطبيب نفسى ، وشركة مجهولة النشاط لا يعرف عنها أحد سوى الأحرف الأولى التى تكون اسمها . وكان مكتبه آخر مكتب من اليسار عند نهاية الردهة المغطاة بالسجاد . وكان اسمه على الباب بأحرف سوداء بارزة .

غرفة الانتظار صغيرة مؤثثة بأثاث ما يجعلها غرفة انتظار ، زوج من المقاعد المتطابقة تفصل بينهما طاولة عليها مصباح . تجلس إلى مكتب الاستقبال سيدة جميلة متوسطة العمر .

كانت تتحدث مع سابر حينما دلف بيك إلى المكتب .

كان من الصعب تحديد من منهما كان أكثر دهشة لرؤية الآخر هنا وفى هذا الوقت .

نظرت نحوه السيدة وهى تحييه .

" مرحبا " .

" سأكون معك بعد لحظات . تفضل بالجلوس " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لكنه لم يجلس بل ظل واقفاً مكانه ، وهو فى غاية الفضول لسماع ما ستقوله ساير وهو موجود .

قالت لها الموظفة : " من الواضح أن هناك خطأ ما . فأحياناً ما يحدد السيد نيلسون مواعيد ثم ينسى أن يبلغنى بها حتى أضعها فى جدول مواعيده " .

" إنه لم ينس " . . قالتها ثم توقفت لتتنحنح ثم تواصل : " لم ينس أن يخبرك عن الموعد . فلم أحدد معه موعدًا " .

" أوه . . . حسناً ، ما طبيعة عملك معه إذن ؟ وسيسعدنى أن أوصله رسالتك " .

" اسمى ساير لينش . كان لقبى فى السابق هو هويل " .

خفتت ابتسامة الموظفة وهى تقول : " من شركات هويل ؟ آل هويل ؟ "

" أجل " .

" فهمت " .

" لا أعتقد أنك فهمت شيئاً . فأنا هنا لا أمثل عائلتى " .

فردت الموظفة يديها على سطح مكتبها فى انتظار التوضيح : " أنا متأكدة من أن السيد نيلسون سيكون مهتمًا بأن يعرف هذا " .

" لذا أرجو منكِ وأنت تتحدثين إليه أن تركزى على أننى مستعدة لأن أقدم له خدماتى " .

" حسناً . . . فالسيد نيلسون . . . " ، قاطعها رنين جرس الهاتف . فرفعت سبابتها تشير إلى ساير بأنها ستكون معها بعد أن تتلقى المكالمة . " مكتب تشارلز نيلسون . كلا ، آسفة . فهو غير موجود الآن . هل يمكننى أن أوصله رسالة ؟ " . مدت يدها تلتقط دفترا وبدأت تدوّن فى سرعة بعض المعلومات .

التفتت ساير ناحية بيك لتقول : " هل تعقبتنى إلى هنا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لا تخدعي نفسك . فأنا لست مثلك ، فلدى موعد معه " .

ما أن أنهت موظفة الاستقبال المكالمة ، حتى اقترب من المكتب ماراً إلى جوارها . كان يبتسم ابتسامة ماكرة وهو يقول : " لابد أنكِ بريندا " .

" هذا صحيح " .

" لقد تحدثت معك عبر الهاتف عدة مرات . أنا بيك ميرشانت " .

بدت متضايقة وهي تقول : " أوه ... يا إلهي ... ألم تتلق رسالتي ؟ "

" رسالة ؟ "

" لقد اضطر السيد نيلسون إلى مغادرة البلدة لأمر مهم . ولقد تركت رسالة صوتية على هاتفك الخلوي تبلغك بأنه لن يتمكن من مقابلتك هذه الظهيرة " .

سحب بيك هاتفه من جيب سترته وفحص بريده الصوتي .

" هذا صحيح . . . ومن الواضح أنني لم أستمع إليها في حينها " .

" كنت آملة في أن أتوصل إليك قبل أن تقطع كل هذه المسافة " .

" كنت آملاً أن يتفضل مديرك بمقابلتي قبل أن يهرع إلى خارج البلدة . متى سيعود ؟ "

" لم يبلغني بشيء " .

" هل يمكننا الاتصال به هاتفياً ؟ "

" يؤسفني أن أعطيك اسم الفندق . إنه في سينسيناتي " .

" أرى أن رقم الهاتف الخلوي ... " .

" ممنوع ... إلا لو أردتني أن أفقد وظيفتي " .

" لا أود أن أكون مسئولاً عن هذا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هل يمكننى أن أحدد لك موعداً جديداً عندما يتصل بى السيد نيلسون ؟ "

" أرجوك أن تفعلى . ولو لم أرد على مكالمتك فتأكدى من أن تتركى لى الساعة والتاريخ فى رسالتك الصوتية . وسوف أعدل مواعيدى وفقاً لذلك . كما أرجو أن تتصلى هذه المرة برقم مكتبى ومنزلى . فأود ألا يحدث سوء الفهم هذا مرة أخرى " .

" بالتأكيد ، يا سيد ميرشانت " .

" أشكرك " .

" آسفة لإزعاجكما " .

قالت ساير : " أود أنا الأخرى أن أحدد موعداً مناسباً مع السيد نيلسون " .

" سأعمل على ذلك ، يا آنسة هويل " .

" لينش " .

" بالطبع ، المعذرة " .

أعطت ساير للموظفة رقم هاتفها الخلوى ورقم التحويلة فى الفندق ، ثم همت بالانصراف .

كان بيك يقف عند الباب وفتحه لها وهو يقول : " وداعاً ، بريندا " .

" وداعاً ، يا سيد ميرشانت " .

سارا عبر الردهة متجاورين . وانتظرا معاً المصعد الذى كان يقترب فى بطء . واستقلاه إلى بهو البناية . وحينما نزلا عنه ، سار فى سرعة إلى الخارج ، أما ساير فقد اندفعت صوب حمام السيدات .

لم ينبس أى منهما ببنت شفة أثناء كل هذا .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وقف على الرصيف فى ظلال ناطحة السحاب يتحدث عبر هاتفه الخلوى حينما خرجت ساير من البناية بعده بخمس دقائق . لم تسعدها رؤيته ، بعد كل هذا الوقت الذى تخيلت بعده أنه قد انصرف .

الساعة الخامسة مساءً ، والأرصفة فى وسط المدينة مزدحمة بالموظفين المتلهفين على العودة إلى منازلهم . والشوارع قد توقفت بفعل الزحام . الرطوبة تسهم فى تكثيف بخار العوادم فتعلق فى الهواء ، مما يجعل التنفس عملية شاقة .

بدا بيك منهكاً . حتى أنه وضع إصبعه فى أذنه حتى يمنع عنه صخب المدينة . كان يحاول أن يركز على سماع ما يقال له عبر الهاتف . كان قد خلع عنه سترته وعلقها فوق ذراعه ، وخفف من رباط عنقه ، وشمر أكمام قميصه ، فبدا أشبه بأول مرة رأته فيها ساير عند المقبرة .

رآها ، فأنهى المكالمة وهو يهرع مخترقاً المشاة حتى اقترب منها وقال : " وفرى على نفسك الاتصال بالفندق . فلم يحجز به نيلسون " .

" سأحاول فيما بعد " .

قال : " لقد فوجئت بوجودك فى ذلك المكتب . ما الذى دفعك إلى المجىء ؟ "

" كما قلت لمساعدته . كنت أعرض خدماتى . وأنت ؟ "

رد بهدوء : " لكى أقابل نيلسون . . . أردت أن أبين له أنه لا أنا ولا عائلة هويل بالمخلوقات غريبة الأطوار ، وأننا نرحب بالنقاش والتوصل إلى اتفاق مرض يبعدنا عن ذلك الإضراب . كما أردت أن أجعله يرى مدى تصميمنا على حماية مصالح عمال يعتمدون علينا فى أجورهم الأسبوعية " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ردت في سخرية : " يا لرقة قلوبكم . . . كم ستدفعون ؟ "

" ندفع ماذا ؟ "

أومأت إلى حقيبته وهي تقول : " كم ستدفعون من رشوة . . . كم تحمله معك من نقود ؟ "

تغير لون إشارة المرور ، فسارعت بعبور الشارع . أوقفها بيك عند الجانب الآخر من الطريق منحياً إياها بعيداً عن المشاة . " معي ما يكفي لنتناول وجبة عشاء " .

" أتريد تناول العشاء ؟ "

" أنتِ معتادة على سداد ثمن وجبتك ، لكنني من سيدفع هذه المرة . هذا ما لم تفرطي في الطعام ، فعندها قد أحتاج إلى سلفة منك " .

كانت ابتسامته مستفزة ، وكانت عيناه الخضراوان ساحرتين . لكنها تمردت على ما انتابها من إحساس . بدلاً من أن تنساق إليه ، كانت تتساءل عن كل هذا التناقض في شخصيته . ومن الغريب أنها كانت حزينة لهذا .

" لقد أخبرني كريس بما ينتويه هَف لكلينا " .

اختفت ابتسامته الآسرة .

" أنا لا أود أن تضيع كل هذا السحر على محاولة إيقاعي في حبك ، فلا فرصة لديك لتنجح في ذلك . أرجوك أن تدعني أنصرف ، فلدي موعد آخر " . دارت من حوله وواصلت طريقها عبر الرصيف . لكنه لم يدعها تمضي .

" لا علاقة بطلبي العشاء معك وما يخطط له هَف " .

قالت له حينما سد الطريق عليها : " ابتعد عن طريقي ، يا بيك ... فسوف أتأخر " .

" على ماذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ساعات الزيارة . فسوف أزور بيلى بوليك " .

فوجئ بردها ، فانتهزت الفرصة لتمرق من جواره .

" انتظرى يا ساير . سوف أوصلك بالسيارة " .

" بل سأقود سيارتى . كما أننى لا أعتقد بأنه سيرحب بك " .

ربت على حقيبته قائلاً : " بل هو ينتظر أن أسلمه شيئاً . . . أين سيارتك ؟ " . أخبرته بمكانها ، فقال : " بل سيارتى أقرب " .

كان قد أوقف سيارته بمرآب سفلى أقرب من ذلك الذى تركت سيارتها به ، وكان موعد انتهاء الزيارة يقترب .

لم يكن المستشفى بعيداً ، لكن زحام ساعة الذروة وعدم توافر مكان لإيقاف السيارة قد ضيع عليهما نصف ساعة قبل أن يصلا إلى طابق العناية المركزة ، حيث لا يزال بيلى بوليك يتعافى من الجراحة . لم ينبسا ببنت شفة طيلة ذلك الوقت .

كانت زوجة بوليك بالردهة تتحدث مع شاب يرتدى معطفاً أبيض حينما خرج بيك مع ساير من المصعد . رأتهما وهما يقتربان ، فوجهت إلى بيك نظرة مقت وعداء شديد . " ما الذى تفعلانه هنا ؟ "

رد فى هدوء : " أتينا لنطمئن على بيلى ... أقدم لكِ ساير لينش " .

تطلعت مليا إلى ساير : " لينش ، أهكذا ؟ أنت ابنة هَف هويل . لكننى لا ألومك على هذا الاسم المستعار " .

" كيف حال زوجك ؟ "

أومأت إلى الطبيب الشاب قائلةً : " هذا هو طبيبه النفسى . اسألوه عن حاله " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قدم لهما الطبيب نفسه وهو يصافحهما : " لا يمكننى فى الواقع أن أفشى بما أفضى به بيلى خلال جلساتنا . ولكن يكفى أن أقول بإنه فى حالة اكتئاب شديد . إنه يحاول أن يتعافى جسدياً ، بينما يتكيف ذهنياً ووجدانياً مع فكرة أن يحيا من دون ذراعه . فهو يواجه تحدياً كبيراً حتى فى ظل وجود ذراع تعويضية . كما أنه قلق على مستقبل عائلته " .

تدخلت السيدة بوليك قائلة : " أخبرته بأننا سنكون بخير . بل وأحسن من ذى قبل . لأننى سأنال من شركتكم الفاسدة كل سنت من حقى الحصول عليه " . وجهت ذلك التهديد إلى كل من ساير وبيك ، من دون تفريق بينهما .

إلا أن الطبيب الشاب تابع كلامه : " جميع ردود أفعال بيلى مطابقة لما يبديه المرضى الذين يعانون من إصابات بماهات مستديمة . سيتطلب الأمر وقتاً حتى يتكيف مع تأثير ذلك عليه " .

قال له بيك : " واصل جلساتك معه لأطول فترة تراها مناسبة " .

رمق الطبيب زوجة بيلى فى عدم ارتياح : " قيل لى إن عدد الجلسات هو ثلاث فقط " .

" لقد غير السيد هويل رأيه ، عليك ان تتابع جلساتك . واتصل بى لو عندك أى استفسار " . أعطاه بطاقته ، فودعهم الطبيب لأجل الذهاب إلى مريض آخر .

التفت بيك إلى السيدة بوليك قائلاً : " هل لديك مانع من أن أدخل لرؤية بيلى ؟ "

" لماذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان يحمل المظروف الذى رأته ساير وهو يتناوله من حقيبته قبل أن يغادرا السيارة . " سأوصل له بعض الرسائل من زملائه . وأعدك ألا أبقى طويلاً " .

خطفت من يده المظروف وهى تقول : " سوف أوصلها أنا إليه . فمن المؤكد أن رؤيته لك أو لأى من عائلة هويل ستغضبه " .

" كما ترغبين ، يا سيدة بوليك " . قال لساير إنه سيستدعى المصعد ، ثم استدار وسار فى هدوء عبر الردهة ، تاركاً إياها مع أليشيا بوليك .

قالت ساير : " كيف حال أولادك ؟ "

" مفزوعين . ألن يكون هذا حالك لو كنتِ مكانهم ؟ "

قالت ساير متجاهلة نبرة صوتها المتحفزة : " بالطبع . فأتذكر حينما توفيت والدتى بأننى كنت فى حزن بالغ بل وكنت فى غاية الرعب من أن أموت أنا أيضاً . فمثل هذه الحوادث المروعة تخرج أضعف ما فينا ، والأمر أوضح ما يكون لدى الأطفال " .

تأملت السيدة بوليك فى كلامها ، ثم غمغمت : " يؤسفنى ما حدث لأخيك دانى " .

" أشكرك " .

" كان حسن الخلق " .

" أجل ، بالفعل " .

" هل ستمكثين على الدوام فى ديستينى ؟ "

" كلا ، فسرعان ما سأعود إلى سان فرانسيسكو " .

" كلما أسرعت كان هذا أفضل . لو كنت مكانك ، لسارعت بترك البلدة قبل أن تبدأ المشاكل . فلا أود أن أكون من عائلة هويل حينما يضيق نيلسون الخناق عليهم " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قبل أن تجد ساير رداً ، ناداها بيك عبر الردهة . " وصل المصعد " .

لامست ذراع أليشيا بوليك : " أعلم أنك لا تثقين فيّ ، وأنا متفهمة لهذا ، لكننى آسفة حقاً لما حدث " .

ثم تركتها واتجهت إلى بيك عند المصعد . قال لها : " كان على أن أتركه يذهب . . . فقد بدأ الناس بداخله فى التذمر " .

" آسفة لتعطيلك ، فقد أردت فقط أن . . . " .

قطعت كلامها صرخة بدت متناقضة تماماً مع هدوء المستشفى . فالتفتت لترى أليشيا بوليك واقفة عند النقطة التى تركتها عندها . لكن تناثرت عند قدميها البطاقات والرسائل . فقد بدا من الواضح أن محتوى تلك الرسائل والبطاقات التى تحملها فى يديها المرتجفتين كان من الصدمة لدرجة أن بقيتها قد سقط أرضاً .

عادت لتنظر إلى بيك فى حذر وهى تقول له : " ما الذى كان بذلك المظروف ؟ "

أتى مصعد آخر ، فأشار لها أن تتقدمه قائلاً : " لا أريد أن يفوتنى هذا المصعد أيضاً " .

لكن ساير كانت تبتعد عنه وعن المصعد ، لتعود وبسرعة إلى أليشيا بوليك ، التى كانت تحتضن بطاقة إلى صدرها وهى تنتحب بصوت عالٍ .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل السادس والعشرون

كان ينتظرها داخل سيارته خارج المدخل الرئيسى للمستشفى . مال نحو الباب المجاور له ففتحه حتى تركب . لم يأت على ذكر أليشيا بوليك أو يسألها عما حدث هناك بعدما ذهب . بل قال : " أنا جاد فى دعوتك لتناول العشاء . فأنا لم أتناول الغداء . هل ستأتى معى أم لا ؟ "

قبلت دعوته رغم فظاظة كلماته . فلقد كانت جائعة ، ولكنها كانت قادرة على إشباع هذا الجوع بالمرور على أى مطعم للوجبات السريعة . ولكنه الفضول . . . الفضول الذى لن تشبعه شطيرة سريعة . فالأسئلة حول ما حدث فى المستشفى إجاباتها عند بيك ، والعمل على نيلها منه سيتطلب وقتًا .

لم يتبادلا الكثير من الكلام وهو يقود السيارة عبر شارع كانال ومن ثم إلى شارع فرنش كورنر . أوقفها عند الموقف العام ، ومنها مشيا عبر شارع رويال .

بعد أن مرا على عدد من البنايات ، وبعض المطاعم التى تنبعث منها روائح تسيل اللعاب ، سألته سابر : " هل نحن نقصد مكانًا بعينه ؟ "

" أعرف مكانًا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كانت الشمس قد قاربت على الغروب بما يكفى لأن تلقى بظلال طويلة للبنايات على الرصيف ، إلا أن الشارع الضيق كان يشع حرارة امتصها طوال النهار . كما تعكسها جدران المبانى العتيقة والأفاريز الحجرية غير المنتظمة .

كان بيك قد ترك سترته بالسيارة . ولكنه لا يزال يرتدى رابطة عنقه ، وقد وسع رباطها فى إهمال فوق قميصه المفتوح حتى أول الصدر . أما ساير التى كانت ترتدى رداءً أسود هو نفسه الذى كانت ترتديه يوم عزاء دانى ، فقد كانت تئن ألماً من حذائها رفيع الكعب .

الحوار بينهما كان مقتضباً . وقد توقفا عند ناصية لبضع دقائق ، استمعا خلالها إلى عازف ساكس قبل أن يواصلا طريقهما . واقترب منهما مهرج يرتدى باروكة وردية كبيرة الحجم وحلة مبهرجة الألوان ولكنهما رفضا عرضه بأن يصبغ وجوههما بألوانه . بل والتف حولهما بعدها مجموعة من المخمورين . بلغت بأحدهم الشجاعة أن يحاول مضايقة ساير ، ولكنه سرعان ما انتبه لبيك وتصبيرات وجهه الصارمة ، فاختفت ابتسامته وشجاعته ولحق بصحبه فراراً .

كانت المحال والمعارض فى شارع رويال فخمة . تعرض تحفاً أوروبية ومجوهرات باهظة الثمن ولوحات وتماثيل يشغف بها هواة تلك الفنون . أحد المحال يبيع هدايا تذكارية ، ولكنها أرقى بعض الشىء من تلك التى تبيع الهدايا العادية فى شارع بوربون .

مر بيك مع ساير على المتجر ، فتوقف وهم بالدخول . قال لها : " سوف أعود سريعًا " .

أخذت ساير تتأمل المعروضات من الخارج والتى تعرض لأصناف من الأقنعة التذكارية . كانت مزخرفة بمجوهرات

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

صناعية ، وورق براق ، وخيوط وريش . كان بعضها عادياً والبقية فى غاية الجمال .

خرج بيك من المحل يحمل عقداً من الخرز اللؤلؤى الأبيض الذى تتخلله حبات خرز معدنية ملونة بالأخضر والذهبى والبنفسجى . " رداؤك هذا جميل ، لكنه يذكرنى بالجنازة . فرأيت أن هذا سيزيده جمالاً " . وضع العقد حول عنق ساير ، ثم فرد شعرها من فوقه ، بعدها عدله فوق ردائها . " هكذا . . . أحسن " .

قالت له : " إن الرجل لا يهدى المرأة عقداً إلا من أجل شىء قامت به لتستحقه " .

تعلقت أصابعه بالعقد لحظات قبل أن يسحب يديه فى بطء . قال : " لم تنته الليلة بعد " . ظلا ينظران إلى بعضهما البعض إلى أن اضطرا أن يفسحا الطريق لمجموعة من المشاة الضاحكين عبروا إلى جوارهما . بعدها عادا للمضى فى طريقهما .

لم تكن لتعرف هذا المكان أبداً وحدها ، ولن يأتى إليه سوى شخص يعرفه . فلم يكن الشارع الجانبى الذى يقع فيه المطعم سوى حارة يمر وسطها مجرى لمياه الصرف . ولم تكن هناك أية لافتة تشير إليه . توقف بيك عند بوابة حديدية يغطيها اللبلاب وبحث بيده عبر أغصانه حتى وجد الجرس .

أتاه صوت عبر مسماع خفى يقول بالفرنسية : " نعم ؟ "

" أنا بيك ميرشانت " .

انفتح الباب بصوت مسموع . فأشار لها بيك أن تدخل ، ثم أغلق الباب فى حرص خلفهما . سارا عبر ممر خارجى ضيق أفضى إلى باحة تحيط بها جدران حجرية تغطيها حشائش البحر . كانت

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أشجار البلوط تحيط بالمكان كله وتتدلى من أغصانها أحجام هائلة من نباتات السرخس تلتف حول سلاسل معدنية .

في الأرضية أنواع مختلفة من الأزهار والورود . وقد تسلق كرم العنب على جدران البناية لينتشر عبر الأفريز والسقف .

قادها بيك لأعلى عبر الدرج .

صعدت ساير مسلوبة العقل أمامه عبر درج دائري يقود إلى شرفة ذات سياج حديدي . كانت مراوح السقف تدور ، فترتعش الأنوار داخل مصابيح الغاز المثبتة إلى الجدران الخارجية . كانت هناك عبر مساحات من الأرضية قدور من الخزف الصيني تظهر منها نباتات ذات ألوان متباينة بأوراقها كبيرة الحجم .

كان في استقبالهما رجل خفيف الحركة يرتدي سترة سوداء لامعة . احتضن بيديه يد بيك . كان يتحدث الفرنسية بطلاقة وسرعة ، لكن ساير فهمت منها ما يكفي لتعرف أنه سعيد جداً لمجيء بيك . عرفه بيك على ساير . كانت عبارات مجاملته مفرطة حتى أنها شعرت بالخجل الشديد . وقد قبلها على وجنتيها .

قال له بيك : " من غير اللائق أن نأتي من دون حجز مسبق " .

منعه الرجل من الاعتذار وأكد له أن هناك دوماً مكاناً له .

سأله بيك عما إذا كان من الممكن أن يقدم لهما شراباً بالشرفة قبل أن يدلفا إلى الداخل للعشاء .

قال وهو يومئ بعينيه إلى ساير : " بالتأكيد . . . وسوف أعمل على أن تكون جلستكما هادئة . . . استمتعا بوقتكما " . طرقع بأصابعه فظهر نادل عبر مجموعة من الأبواب الفرنسية لكي يتلقى منه طلب إحضار الشراب .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قادها بيك نحو طاولة عند نهاية الشرفة . سحب لها أحد المقاعد الرقيقة ، ثم جلس إلى آخر قبالتها . " ربما كان علىّ أن أسألك أولاً قبل أن أطلب الجلوس هنا بالخارج " .

" بل أجد المكان مريحاً " .

" أليس الجو حاراً ؟ "

" أنا أحب الحرارة " .

" أتذكر هذا " .

خفق قلبها قليلاً بسبب شيء ما في نبرة كلماته أو في نظراته . فعلقت ، وهي تحاول أن تغير مجرى الحوار ، على مدى معرفته بالفرنسية .

" كانت دراستي تتطلب أن أتقن لغةً أجنبية " .

هو لم يكتسب هذه الطلاقة خلال الدراسة الجامعية ، لكن ردوده أنبأتها بأنه اعتاد التحدث باللغتين .

سرعان ما ظهر النادل ومعه صينية عليها الشراب . بينما وضع نادل آخر مبرداً للشراب بالقرب من الطاولة . صب من زجاجة الشراب المفتوحة ، ثم أعاد الزجاجة في الثلج وسرعان ما انصرف في خفة .

رفع بيك كأسه ونقرها في خفة بكأسها . سألته : " نخب ماذا ؟ "

" الرحيل " .

" أوه ؟ "

" ارحلي من هنا سريعاً ، يا ساير . عودي إلى حياتك في سان فرانسيسكو قبل أن يلحق بكِ الضرر " .

" لقد تضررت بالفعل " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد انفطر قلبك بسبب قصة حب منذ أيام الدراسة الثانوية . ذلك كان لهو أطفال مقارنة بما يمكن أن يحدث لكِ " .

" أنت لا تعرف سوى القليل ، يا بيك " .

" أخبرينى إنن " .

هزت رأسها : " ما حدث كان شيئاً بينى وبين هَف . فرحلت وأنا أقسم بألا أعود ثانية " .

" وها أنت هنا الآن " .

" بالفعل ، أنا هنا " .

" والسبب ؟ "

كانت تبحث عنه فى نفسها قرابة الثلاثين ثانية ، قبل أن تقول : " لقد اتصل بى دانى " .

بدت الدهشة عليه وهو يسألها : " متى ؟ "

" يوم الجمعة الذى سبق وفاته " . أخبرته بأمر مكالماته التى رفضت أن ترد عليها . " سوف أشعر بالذنب لبقية حياتى لرفضى الرد على اتصالاته " .

" يبدو أنه لم يترك أية رسالة " .

" كلا ، لكننى أشك فى أنه كان يرغب فقط فى الحديث معى بدافع الحنين . بل لقد كان يتصل لأجل أمر مهم ، ولن أهدأ حتى أعرف ولو جزءا من سبب مكالماته " .

قال لها فى رقة : " يمكن أن يكون السبب أى شىء ، يا ساير " .

" هذا ممكن . ولكن صدقنى ، لقد حاول ضميرى أن يقنعنى بأنها لم تكن بذات صلة بما حدث ، مجرد مكالمة للاطمئنان على . ولكن بعد معرفتى بظروف العمل داخل المصنع ، والغموض المحيط

باختفاء إيفيرسون ، وشجار كريس مع دانى ، أصبحت أكثر توقعاً لأهمية تلك المكالمات " .

نظرت إليه وهى تتنهد : " لقد أصبحت عائلتى فاسدة ، يا بيك . ولا يمكنها أن تستمر فى تدمير الحياة ومعيشة الناس من حولها . لابد أن يوقفها أحد . لقد كنت ساخطة عليك لإنزالى من تلك الطائرة ، لكننى أشكرك على هذا الآن . فلم يكن من الممكن أن أعود إلى نفس حياتى لو كنت قد عدت من دون أن أتوصل إلى إجابات شافية على أسئلة صعبة " .

حاول أن يجادلها فسألها : " وماذا عن عملك ؟ ألن يتأثر بغيابك ؟ "

" قد أفقد بعض العملاء المتعجلين ، إلا أن غالبية عملائى سيؤجلون مشاريعهم انتظاراً لى . وعلى كل حال ، فلن يمكن أن أعود إلى عملى وذهنى مشغول بعدم محاولتى إصلاح الحال هنا " .

قالت وهى تنظر شاردة إلى الفقاعات على سطح شرابها : " يريد كريس أن يخرجنى من الصورة . وأنا أتساءل عن السبب . فإصراره على رحيلى يثير ظنونى ويجعل رحيلى أمراً محالاً " .

نظرت إلى بيك مجدداً لتقول : " سأبقى " .

بدا مقتنعاً بأنه لن يستطيع أن يثنيها عن رأيها . فتنهد مستسلماً ، ثم أومأ إلى كأسها : " اشربى . لا تفوتى الاستمتاع بأفضل ما فى فرنسا " .

أخذت رشفة من الشراب ، ثم قالت : " هل الشراب جزء من مخططك لإغوائى ؟ "

ارتفع حاجباه وهو يرد : " هل تريدين أن أكون صريحاً معك إذن ؟ سوف يخصص لنا مضيفنا غرفة مميزة " . ثم أضاف هامساً : " سيشرفنى أن أستضيفك بها " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" وهكذا تهرع إلى هَف وقد أنجزت مهمتك ؟ "

" أقول لكِ يا ساير إنى قد عاتبته على ما أقترحه من عرض الزواج ذاك " .

ابتسمت ساير آسفة وهى تقول : " كان كريس سعيداً وهو يخبرنى بأن هَف يحاول أن يطردنى من البلدة . ويرى أن ثروة نجاحه ستكون فى رحيلى منها " .

أتى نادل ومعه مجموعة من أطباق المشهيات . فقال بيك : " أيمكن أن ننسى كل ذلك طوال استمتاعنا بالعشاء ؟ " وافقته بينما دعاها إلى تناول المشهيات . فتناولت لقيمة كادت تذوب فوق لسانها .

سألها : " ما كان حشوها ؟ "

" لا أدرى . لكنه لذيذ " .

فتناول مثيلتها ، وهو يومئ متلذذاً ، ثم قال : " جبن جروير ؟ سمانخ ؟ "

" بيك ، فى المستشفى ... " .

قاطعها وهو لا يزال يحلل ما قد يكون حشو اللقيمة : " بصل مفروم " .

" كانت أول بطاقة تناولتها أليشيا بوليك من المظروف مرسلة منك أنت . وقد سمعت رد فعلها " .

وضع ما تبقى منها فى فمه ثم فرك كفيه . " لذيذة . سوف أتناول أخرى " . وما أن مد يده إلى الصينية حتى منعته ساير وهى تجهره على النظر إليها .

" كان الشيك الذى أرسلته إليهم يحمل مبلغاً كبيراً جداً " .

" أليس هذا أمراً نسبياً ؟ فهناك الكبير والأكبر . لقد رأى هَف أن علينا أن نقدم لهم شيئاً حلواً كما قال " .

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

" ليس لـ " هَف " أية علاقة بهذه الهدية . فلم يكن الشيك صادراً من الشركة . بل هو من حسابك الشخصي " .

سحب الزجاجة من المبرد وصب لكل منهما المزيد من الشراب .

تابعت ساير كلامها قائلة : " لقد ذهلت السيدة بوليك من كرمك . لكنك أربكتها . لقد كانت غاضبة منك لأنك أحرجتها بأدبك وما فعلته معها بعد أن بصقت في وجهك . أما الآن فهي نادمة وتريد أن تعتذر لك " .

" هي ليست مدينة لي بالاعتذار " .

" إنها تدين لك بالامتنان " .

" ولا أريد هذا أيضاً " .

" فلماذا فعلت ما فعلت إذن ؟ "

" فكري بما عليك أن تتناوليه من هذا . وأنا أنصحك بالمحار ... بيانفال " .

" تباً لك ، يا بيك . رد عليّ " .

قال في جفاء : " حسناً . ربما كنت أحاول أن أريح ضميري . فهل هذا سيحسن صورتي لديك ؟ " أشار إلى النادل وتحدث إليه في هدوء بالفرنسية . فغاب النادل ليعود بسرعة ومعه قائمتا طعام داخل مغلفين جلديين ، كانت الكتابة بالداخل بخط اليد .

تركت ساير مغلفها الخاص على الطاولة من دون أن تفتحه .

" لماذا نبهت كريس ظهيرة الاثنين عن أمر كالفين مكجرو ؟ هل كنت تريد أن تتسلى برؤية ردة فعلي ؟ "

وضع قائمته ونظر إلى عينيها قائلاً : " كلا ، يا ساير . ولكنني أردت أن أتسلى برؤية ردة فعل كريس " .

" كريس ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

مد بيك ساعده على الطاولة وهو يميل إلى الأمام ، ليقترب منها وهو يقول : " لقد كان هَف وكريس ساخطين بسبب حديثك مع المحلفين السابقين . وكنت أنا أتساءل عن السبب في أنهما لم يتعجبا ويسخرا من محاولاتك ومن تصوراتك ؟ لماذا لم يستهينا بالأمر ؟ لماذا لا يتلاعبا بكِ حتى تيأسي وترحلي إلى سان فرانسيسكو ؟ هذا ما كان المرء ليتوقعه منهما " .

التقطت طرف الخيط وهي تقول : " ما لم يكن لديهما ما يخفيانه " .

" بالضبط . ما لم يكن لديهما ما يخفيانه " . نظر في قائمة الطعام وهو يتلاعب بأصابعه بالشارة التي ينتهي بها الخيط الحريري الفاصل بين الصفحات بالداخل . " سيدهشك أن تعرفي أني أردت أن أعرف ما سيقوم به كريس لو تمكن كالفين مكجرو من الاعتراف بما جرى خلال محاكمة كريس ، مثلما قلت لي إنه قد اعترف لك ذلك الصباح " .

" وأنت صدقتني ، أليس كذلك ؟ "

رفع رأسه لينظر فيما وراءها لفترة قبل أن يسألها : " كيف تفعلين هذا ؟ "

" ماذا ؟ "

" أن ترتدي عقداً من الخرز الرخيص ومع هذا تظلين في كامل روعتك . حينما تطلعت إليك الآن . . . وبغض النظر عن كل هذا السخف الذي نتحدث عنه ، وجدت نفسي مشدوهاً ببهائك " .

وجدت نفسها ومن وعي تتلمس عقد الخرز فوق صدرها : " أنت لم تجبني عن سؤالي . هل صدقت ما قلته لك بشأن كالفين مكجرو ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تنهد وهو يعود بظهره إلى الوراء : " لو أننى صدقت ، لكنت على وشك أن أصدق أن كريس هو من قتل جين إيفيرسون وتخلص من جثته فى مكان مجهول " .

قالت فى هدوء : " يبدو أنه قد تعلم من خطأ هَف " .

" أى خطأ ؟ " .

" لقد كان كريس شاهد عيان على مقتل سونى هولسر " .

نظر إليها فى حدة : " ماذا ؟ "

" لقد كان كريس بانتظارى عند الفندق حينما عدت الليلة الماضية . وتحدثنا عن الكثير بخلاف ما يخططه هَف لى ولك " . أخبرته بحوارهما ، وخاصة ما يخص مصرع هولسر . " قال بأننى كنت أصغر من أن أتذكر شيئاً . وأننى قد خلطت بين موقفين منفصلين . إلا أن هذا ليس صحيحاً ، يا بيك . فأنا واثقة من صحة كلامى . فقد تسلل كريس إلى خارج المنزل تلك الليلة حتى وصل إلى المصنع لأجل أن يفاجئ أباه .

سواء شاهد هَف وهو يدفع الرجل داخل الماكينة أو أنه رآه يترك هولسر ليلقى مصرعه بعد حادث تعرض له ، فإن هذا قد ترك عليه أثراً لم يُمح ، أن يمقت العنف طيلة حياته أو أن يتنبه إلى مزايا القوة والسطوة . وأرى أنه قد سار فى المسار الثانى . فقد أدرك قيمته الحقيقية حينما أفلت هَف بما فعله " .

كان كريس موكل بيك ؛ وسيكون أحمق لو رد على ما أخبرته به الآن ، وهو ليس بالأحمق . فهمت سبب صمته المطبق ، ومع هذا وجدت نفسها تحترمه لأجل ذلك .

شاهدت قطرات عرق تنساب من جبهته حتى تختفى عند ركن عينه . " أنا فى غاية الفضول لأن أعرف قدر قيمتى الحقيقية ، يا بيك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ماذا ؟ "

" سيكافئك هَف كثيراً عن زواجك منى وإنجاب حفيد له . هل اتفقتم على مبلغ بعينه ، أم أنك قد تركت هذا لكرمه ؟ هل منحك مقدم اتفاق ؟ "

" من أين تظنين إذن أننى سأدفع ثمن هذا العشاء ؟ " نهض ودار من حولها ليساعدها على النهوض . " ولكن أرجو أن تحصرى اختياراتك فى الجانب الأيسر من القائمة " .

كانت كل من الأطباق الثلاثة الرئيسية فاخرة ، ولكنها لم تضاه حلاوة طبق سوفليه الشوكولاتة اللذيذ الذى اشتركا فى تناوله . لم يكن فى حجرة الطعام أكثر من عشر طاولات ، مغطاة بفرش أبيض سميك فوقه البلور والخزف . فوق خشب الحجرة ، كانت الجدران مغطاة بقماش الحرير الوردى ، تتلاءم مع ستائر النافذة المنسدلة على الأرضية الخشبية اللامعة . تنير الحجرة بشموع مستدقة الأطراف على الموائد ومصباح بللورى يتدلى من تكوين جبسى فى قلب السقف .

قالت له ساير وهما يعودان إلى الخارج لتناول القهوة : " أنا ممتنة جداً للطاهى ، وكذلك لمصمم الديكور الداخلى " .

" سأعمل على تبليغهما بهذا الامتنان " .

" كيف عرفت بهذا المكان ؟ "

" لم أعرف به . بل هى والدتى . فقد أحضرتنى إلى هنا للاحتفال بتخرجى فى كلية الحقوق " .

" هل هى من نيو أورليانز ؟ "

" ولدت وعاشت بها " .

" هل هى من علمتك الفرنسية ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ابتسم قائلاً : " منذ أن كنت رضيعاً " .

صب النادل القهوة لهما ، ثم غادر المكان . أضاف بيك قليلاً من اللبن إلى قهوته وقدم لها قدحاً وطبقاً وهو يقول : " لا يمكن أن يضاهى مطعم النادى فى ديستينى ، لكنه قريب من ذلك " .

حملت قدحها والطبق وهى تبتسم لدعابته متجهة إلى الشرفة . كانت الموسيقى تصدح من مصدر مجهول أعلاهما . كانت الساحة بأسفل شبه منيرة ، ومعظمها مظلل ، لتخلق جواً من الغموض والسحر .

النافورة فى وسط المكان هادئة . كان تمثالها على شكل ملاك ناقص إحدى يديه ، وقدماه تغطيهما الطحالب . بينما نمت وازدهرت نبتة عبر شرخ فى قاعدتها كما هو متوقع من مثل هذه النباتات .

كانت ساير تميل إلى مثل هذا الديكور الواقعى . وقد أسهم طابع الذبول والإهمال عبر الركن الفرنسى بشكل كبير فى جماله وزاد من سحره .

قالت وسط هدوء الساحة : " لقد أخبرنى كريس الليلة الماضية بأنه لم يقتل دانى . وكان شديد الصدق فى كلامه " .

اقترب منها بيك وهو يقول : " ربما كنا نطارد سراباً . فربما كان دانى بارعاً فى انتحاره " .

أنهت قهوتها ، وأعادت القدح والطبق إلى الصينية الفضية على الطاولة ، ثم عادت إليه عند الشرفة . " ما هى أقرب شىء إلى قلبك ، يا بيك ؟ "

" لماذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أريد أن أخبرك بشيء ، ولكن عليك أن تقسم لى بأقرب شيء إلى قلبك بألا تفشى سره . لأننى عند إخبارك به سأكون قد حنثت بوعد قطعته " .

" فلا تخبرينى به إذن " .

" أرى أن من المهم أن تعرفه " .

" حسناً . عليك أن توكلينى كمحام لكِ . سآخذ منك خمسة دولارات لهذا . وعندها سيقتضى شرفُ المهنة ألا أكشف عن أى شيء تخبرينني به " .

" لقد فكرت فى هذا . لكننى وجدت أن هذا لن يصلح . فهناك تضارب فى المصالح " .

" فما تريدين أن تخبرينى به يتعلق بكريس إذن ؟ "

" ودانى بالأخص " .

نظرت إليه عن قرب ، وهى ترى أضواء مصابيح الغاز تنعكس متراقصة على وجهه . يوم أن التقته نعتته بخادم أبيها ، وهو لم يفعل الكثير مما يجعلها تعدل عن هذا الوصف . يزعم أنه قد خدعها عند منزل مكجرو كى يرى رد فعل كريس تجاه العجوز . ولكن ، أهذا صحيح ؟

لقد حذرها كلارك منه . وكانت تتساءل منذ ساعات فقط عن قدرته على أن يكون بهذا المكر . بل إنها تشك حتى فى كرمه مع عائلة بوليك . فهل كان يريد أن يقف فى صفها ؟

لكنه لم يكن ليعرف بأن ساير ستكون فى المستشفى حينما تفتح أليشيا بوليك المظروف . ولم يكن قد خطط لأن تكون بطاقته هى أول بطاقة تفتحها من بين كل البطاقات .

قالت له وهى تعول على الثقة به : " سوف أخبرك بشيء لا يعلمه أحد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال لها : " تذكرى أننى محامى كريس ، يا ساير . احذرى مما ستقولينه لى " .

قالت وهى واعية لخطورة كلامها : " لقد كان دانى مرتبطاً وعلى وشك الزواج " .

راقبت الصدمة تتبدى على وجهه : " مرتبط ؟ بمن ؟ "

" لن أخبرك باسمها " .

" كيف ... كيف عرفتِ أن ... " .

" لقد التقيتها بالصدفة عند المقبرة . كانت تزوره . . . كما عرفتنى بنفسها " .

استرخت أعصابه قليلاً وهو يقول : " تأتيك امرأة ، وأنت أخت دانى الثرية ، وتعرفك بنفسها بوصفها خطيبة الفقيد ، فتصدقينها ؟ ربما كانت تهدف إلى اقتناص بعض النقود و ... " .

" عليك أن تثق بى قليلاً ، يا بيك . فأنا أجيد الحكم على الشخصيات بأكثر مما تظن . فهى ليست نصابة . بل أحبت دانى حتى العشق . وأحبها هو كذلك . أعطاها خاتماً ماسياً " .

" والذى قد يكون ما غنمته من آخر شخص ابتزته " .

" لو كانت محتالة تنتهز فرصاً ، ألم تكن قد اتصلت بـ " هَف " ؟ ولكنه وكريس لم يعلما بأمر خطبتها من دانى فى حياته ، وهى لا ترغب فى أن يعرف أحد بهذا الآن " .

" لماذا ؟ "

" لأن رد فعلهما سيكون مماثلاً لرد فعلك الآن . سيظنان أنها تريد شيئاً منهما " .

حاول قدر جهده أن يبدو مهموماً .

" قالت لى بأن هذا سيسىء إلى علاقة الحب التى جمعت بينها وبين دانى ، والتى كانت فى غاية الجمال " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ربما كان هذا هو ما أراد داني أن يبلغك به وقت أن هاتفك " .

" أود لو كان هذا هو السبب . وربما تكون على حق . وعلى كل ، فإني مقتنعة بأنهما كانا في حالة عشق تام . وقد نوى أن يتزوجها ، وأن يخلق لهما مستقبلاً جديداً ، وهو ما جعلها متيقنة تماماً من أنه لم يكن يخطط للانتحار " .

" ربما كان ينوى الانفصال عنها و ... " .

" كلا . لقد سألتها عن هذا ، بألطف ما يمكن . فأنكرت أى احتمال لأن يكون ينوى هذا . لكنها هى من أخبرتنى بأن داني كان يمر بـ ... " . ترددت أن تنطق بكلمة " تغير روحانى " ، خائفة من أن تكون بهذا تبين له أن خطيبة داني من بين من يواظبون على الذهاب إلى دار عبادة داني . " كان يمر بأزمة شخصية لم يبح بها لها " .

" ضميره الذى كان يعذبه " .

" أجل . قالت إنها معاناة وجدانية شعر داني بأن من الضرورى الخلاص منها قبل أن يهب حياته لها " .

" قد يكون هذا أى شىء ، يا سايبر . ربما كانت لديه ديون قمار ، عادة سيئة أبقاها سراً ، صديقة حامل منه فى بلدة أخرى " .

" أو المعرفة بأمر لا يمكنه أن يعيش بسره " .

" من الواضح أنكِ قد فكرت فى الأمر وكونت فكرة عما يكون هذا السر " .

" حدسى يقول إنه أمر ما غير شرعى يدور داخل المسبك . ولكنى الآن أشك فى أن يكون داني قد توصل إلى حقيقة قضية جين إيفيرسون " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ذهب بيك فى تؤدة إلى الطاولة ، حيث وضع قدحه . اقترب منهما النادل ولكن بيك أشار برأسه له فى هدوء بأنهما قد اكتفيا . فعاد النادل من حيث أتى .

عاد بيك إلى الشرفة ذات السياج الحديدى ووضع يده عليه ، وهو يميل بجسده إلى الأمام مستندا عليها . كان قميصه مشدودا على امتداد ظهره ، مبينا قسمات جسده القوى .

قالت : " لقد صار دانى شديد التدين . أليس من المحتمل أن يكون قد عرف بشىء عن إيفيرسون ، مما أثقل كثيرا على ضميره ، فوصل إلى مرحلة لم يعد يستطيع معها أن يواصل حياته حتى يزيل هذا العبء عن نفسه ؟ "

التفت لها برأسه قائلا : " وهو سبب قوى ليقتل المرء نفسه " .

" بل هو مجرد سبب كاف لأن يرتكب أحدهم جريمة قتل . خاصة لو كان ذلك الاعتراف العلنى سيفتك به " .

نظر إلى الأمام مجددا ، وهو يسب عبر الظلام . " لقد أبلغتنى للتو بما كان ينقص واين سكوت لتكتمل قضيته ضد كريس " .

" الدافع " .

حدق إلى أسفل فى الساحة لبرهة من الوقت . ولكنه رفع جسده فى النهاية ملتفتا إليها : " علينا أن نذهب " .

" المسافة بعيدة بيننا وبين ديستينى " .

" أجل . وهى تزداد بعدا " .

شكرهما المضيف نو الحضور القوى بحرارة ، وهو يستحث بيك على أن يجىء بها إلى هنا فى القريب العاجل . نزلا فى هدوء إلى أسفل عبر السلم الحلزونى .

لكن بيك توقف فى منتصف الساحة بالخارج . فالتفتت إليه سايبر فى دهشة . لم يبتسم أو يفسر لها سبب توقفه . فلم يكن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

مضطراً لهذا . بدأ يعود بظهره إلى الخلف ، وهو يقود جسدها معه إلى ظلال نبات الوستاريا العالقة بالجدار . فتركت له نفسها .

شعرت بإحساس عذب ينساب عبر دمائها تماماً كذلك السائل البرتقالى الذى ذاب فى قهوتها . نعاس النشوة ، الممتزج بالحياة . جفناها متثاقلان ، لكن أعصابها شديدة الترقب واليقظة .

قربها بيك منه ، وهى ترى شرايين عنقه تبرز أسفل جلده . رغبت فى تحسس نبضه ولكنها قاومت توقها لأن تحتضنه .

مرر يده أسفل شعرها عند عنقها وهو يجذب وجهها إليه . كانت أنفاسه هادئة دافئة كضباب الصباح العالق فوق البحيرة .

وراح يؤكد لها أن مشاعره تجاهها ليس لها علاقة بالعرض الذى عرضه عليه هف ، وانما هى مشاعر خالصة يكنها لها لشخصها لا لشىء آخر .

استغل بيك الموقف أحسن استغلال للتعبير عن مشاعره المتأججة تجاهها ، تلك المشاعر التى لاقت كل القبول والترحاب من جانبها .

اقترب بيك منها وراح يهمس فى أذنها بكلمات توحى بحبه الصادق لها الذى لا تقف وراءه أية مبررات : " لن يدفعنى مال العالم كله إلى أن ارتبط بامرأة لا أريدها . عليك أن تعلمى هذا ، يا ساير . بحقا لهذا ... " . ثم التصق جسده فى قوة بجسدها وهو يقول : " وأنا أريدك أنتِ " .

كان بوسعه أن يفعل بها ما يشاء . فقد كانت فى هذه اللحظة ممتزجة به بكل حواسها الخمس . كانت تتجرعه ، وترغب فيه بنفس القدر المجنون ، ونفس العاطفة المحمومة العمياء التى يرغب هو بها الآن .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال بصوت ساخط لاهث : " تباً للمفارقة . . . إن موافقة هَف هي التي تمنعني عنكِ " . بدأ يبتعد عنها ببطء إلى أن انفصل جسداهما عن بعضهما . " أنا أريدكِ . لكن تباً لي لو كان هذا وسط شكوكك في نوافعي " .

الفصل السابع والعشرون

رأس هَف مطوق بالدخان . وهو يدخن بشكل آلى سيجارته القابعة عند ركن فمه . وقد باعد بين قدميه واقفاً على حوض التحميل ، ويداه على خاصرته ، ينظر فى امتعاض إلى اللافتات المعارضة .

كان هناك حوالى أربعين عاملاً يحملون لافتات تحمل كلمات ملتهبة ، وهم يسيرون ببطء وصمت فى مسار بيضاوى عند الطريق السريع خارج البوابة الرئيسية لمقر شركات هويل .

" كم مضى عليهم وهم على هذا الحال ؟ "

حول هَف حشد يضم كريس وبعض مشرفى العمال وموظفى الإدارة ، تم استدعاؤهم جميعاً من منازلهم ، وبعضهم كان لا يزال نائماً ، ليطلعوا على هذا التطور الجديد الخطير .

لسوء حظ فريد ديكلويت أنه كان من نبه الجميع إلى أمر هذه المظاهرة عند وصولها ، وهكذا كان عليه أن يجيب عن كل أسئلة هَف . " لقد بدأوا فى التجمع فى العاشرة واكتمل جمعهم بحلول وقت تغيير الوردية " .

قال هَف : " اطلب من ريد أن يأتى إلى هنا ليلقى القبض عليهم بتهمة التعدى " .

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

فرد كريس : " لن يستطيع هذا ، يا هَف . فهم في ملكية عامة طالما بقوا خارج السور . ولكن المؤسف أن كل عامل يأتي إلى العمل أو يغادره لابد وأن يمر من تلك البوابة ، وبالتالى فلن يفوت أحد رؤية هذا المشهد . بل وقد يسيرون وسطهم في طريق الدخول والخروج " .

أضاف جورج روبسون : " كما أن لديهم تصريحاً بالتظاهر . فهم قد أمنوا أنفسهم بهذا الإجراء " .

فتساءل هَف ساخطاً : " أما من أحد هنا قادر على أن يخبرني بشيء جيد ؟ "

فرد كريس : " الجيد هو أن تصريحهم صالح طالما بقيت المظاهرة سلمية . وأعتقد أن مهمتنا هي أن نعمل على ألا تكون كذلك " .

ندت ضحكات خافتة ساخرة من المجموعة . فنظر هَف إلى فريد : " هل رجالك مستعدون ؟ " . أومأ لرئيسه بالإيجاب ، لكن هَف أحس وراء إجابته تحفظاً . " ما الأمر يا فريد ؟ صارحني . هل على أن أنتزع المعلومات منك انتزاعاً ؟ "

تلفت فريد حوله في عدم ارتياح قائلاً : " قد نجد مقاومة من العاملين لدينا . . . كما أن هناك توجهات لدى البعض منهم بالانضمام إليهم " .

ألقى هَف سيجارته أرضاً وسحقها بحذائه : " سأتولى أنا هذا الأمر الآن " .

دخلت المجموعة المصنع وفي غضون خمس دقائق كانت تعاود تجمعها داخل مكتب هَف . انتظموا على امتداد جدار زجاجي يطل على أرضية المصنع . كان العمل متواصلاً كالمعتاد ، ولكن ليس بنفس السرعة والقوة المفترضة . فالمكان يسوده التوتر .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

سأل هَف : " هل الإذاعة الداخلية فى وضع التشغيل ؟ "

فقام كريس بالضغط على عدة أزرار فى لوحة التحكم الرئيسى ثم قال : " هى الآن جاهزة " .

التقط هَف الميكروفون ، وهو ينفخ فيه ليختبره ، ثم قال : " لينصت إلىّ الجميع " . تردد صوته عبر كل ركن فى المصنع ، ليصل إلى كل عامل فى هذه الوردية أينما كان . توقف بعضهم عما كان يقوم به وبقوا مطأطئ الرءوس ينصتون . والبعض وقف منتبها ، وقد أخفت نظارات الأمان تعبيرات وجوههم .

" جميعكم يعلم بأمر ما يجرى فى الخارج . ومن المؤكد أنكم قد عرفتم الآن باسم الرجل الذى أرسل بهؤلاء المهرجين لمضايقتنا ، وربما سألتم أنفسكم هذا السؤال ، من يكون تشارلز نيلسون هذا ؟ "

ها أنذا أخبركم عنه بنفسى . إنه مثير شغب ليس له صلة من أى نوع بشركاتنا . فتلك المظاهرات مجرد عبث ولن يكسب هؤلاء المتظاهرون سوى جلب السخرية على أنفسهم ، ولكنهم أحرار فى هذا .

فلو أننا اتحدنا وتجاهلناهم ، فسوف يستسلمون وينسحبون بخفى حنين . ألسنا أعلم بنوعية هؤلاء ؟ لقد مر بنا أمثالهم من قبل . هم يتطفلون على بلدتنا ، ويقحمون أنوفهم فى شئوننا ، بل ويحاولون أن يديروا لنا أعمالنا . وأنا عن نفسى ـ وأعتقد أننى بذلك أتحدث بلسان معظمكم ـ أمقت الشخص الذى يرى أنه يعرف مصلحتى أكثر منى .

وأنا أشمل بكلامى هذا الحكومة الفيدرالية والنقابات العمالية . إن هؤلاء لا يمكنهم حتى أن يجتمعوا على كلمة واحدة . . . فما الذى يدعونا إلى أن نترك لهم الساحة ليقرروا هم مجريات الأمور فى ديستينى ؟ لن أسمح لهم بهذا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

توقف ليلتقط أنفاسه ، ثم تابع بنبرة أكثر هدوءاً : " ما حدث لبيلي بوليك كان مأساة . لا جدال فى هذا . فلقد عانى وسيبقى يعانى لفترة طويلة . بوسعنا أن نمنحه كل أموال الدنيا ، إلا أن هذا لن يعوضه عما فقده ، أليس كذلك ؟ بل سنبذل كل ما يمكننا لأجله ولأجل عائلته ، ولكن مستقبل بيلى بيده هو وحده ، فلا أحد منا بوسعه أن يعيد الزمن للوراء لتفادى ما حدث .

الحقيقة أن عملنا خطر . وتحدث فيه حوادث . وهناك من أصيب وهناك من مات ، ولكننى أطلب من أولئك الموظفين القابعين فى العاصمة أن يبينوا لى كيف يمكنهم أن يذيبوا المعدن ويشكلوا مواسير الحديد من دون مخاطرة . هذا محال .

تأكدوا أن أمثالهم وهم فى الحمامات يفرغون فضلاتهم عبر أمثال هذه المواسير ، لن يفكروا لثانية واحدة فيمن يكون قد عانى وهو يصنعها " .

توقف حتى يرقب مدى فعالية كلماته . لم يتحرك أحد داخل أرضية المصنع . صاروا كالتماثيل . بوسعه أن يتخيل زملاءهم القابعين فى الكافيتيريا جالسين إلى الطاولات ، وهم يستمعون أثناء تناولهم شطائرهم وقطع الشوكولاتة وأقداح القهوة .

حسناً ، لقد نجح فى الاستحواذ على انتباههم . فمستقبلهم أصبح مرتبطاً بمستقبله ، على المحك . وهو الأمر الذى كان يريد أن يفهموه .

" هؤلاء الأغبياء بالخارج سيحثونكم على الإضراب . أتعرفون شيئاً ؟ إننى أتمنى الآن لو أنى لم أكن مضطرًا للعمل لكسب العيش . بل ألا يتطلب منى ذلك سوى التنقل من مكان لآخر مستثيراً موظفى كل مكان أن يتوقفوا عن أعمالهم ويتركوها . من دون اهتمام بأخلاقيات العمل أو انقطاع رواتبهم .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فلو أنى طلبت من عمال مجدين أن يتركوا أعمالهم ، لتوقعت أن ينعتونى بالبلاهة . فلدى كل منهم فواتير عليهم أن يدفعوها . وطعام يتوجب أن يكون معهم ثمنه . وعائلة تعتمد عليه فى توفير كل هذا . ألست محقا فى كلامى ؟ "

كانت هناك بعض الإيماءات المترددة توافقه الرأى . بينما نظر البعض حولهم فى حيرة وهم يريدون أن يروا ردود أفعال زملائهم .

" الآن أعرف أنه لا يزال أمامنا عمل كثير هنا . وقد وقعنا فى كثير من الأخطاء عبر السنين . وأنا وجورج روبسون نحقق الآن فى الحادث وأسباب وقوعه " .

رأى جورج يبدو مندهشاً من تلك الكذبة ، لكنه تمنى لو أن ردة فعله هذا قد غابت عن الباقين . " نحن نرى الحاجة إلى فترات تدريبية أطول وأكثر تفصيلاً قبل أن يتاح للعامل الجديد أن ينخرط فى العمل الجدى . كما أن الوقت قد حان لزيادة رواتبكم جميعا .

لكننى وبصراحة أمقت الشكوى . فأنا أتذكر زمنا كان الرجل فيه يمكن أن يستغنى عن طيب خاطر عن ذراعه اليمنى لأجل أن يحصل على وظيفة . لقد كنت واحداً منكم قبل أن أكون مالكا لكل هذا المكان . فلا تنسوا أنى قد بذلت الجهد والعرق على هذه الأرض ، لذا أعلم بما تعانونه من حرارة وإرهاق وخطر " .

شمر عن ذراعيه وفردهما أمامهم . " لدى جرح يذكرنى كل يوم بمدى قسوة وخطورة العمل هنا " . أعاد تغطية ذراعيه وهو يواصل بنبرة هادئة : " لكننى واقعى ، ومستعد لأن أستمع إلى متاعبكم ، فعليكم أن تعدوا قائمة بالأمور التى تودون تحقيقها ، وسنعمل نحن هنا على استعراضها " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لكن " . صمت لكى يحدث التأثير المطلوب ، ثم قال : " لو أن أيًا منكم يؤيد عصابة إثارة القلاقل بالخارج ، فعليه أن يخرج لينضم إليهم . هل سمعتمونى ؟ اذهبوا ! غادروا الآن . فلو كنتم ترون أن مناخ العمل هنا قد فسد ، فعليكم أن تفارقوه سريعاً .

يبقى أمر واحد ، وهو أنكم بانضمامكم إليهم ، تكونون قد فقدتم فرصة العمل لدى للأبد ، أو أى فرد من عائلاتكم ، وتكونون قد اكتسبتم عدائى طيلة حياتكم " . صمت ليستوعبوا كلماته ، ثم أضاف فى النهاية : " عليكم جميعاً أن تفكروا فى هذا . أما الآن فقد ضاع وقت ثمين من وقت الإنتاج فى هذا الكلام . فعودوا إلى أعمالكم " .

أغلق مفتاح الميكروفون وهو يستدير عائداً إلى الغرفة . فقال كريس : " أرى أننا بهذا قد تولينا أمر من كان يحاول تجاوز هذه الأسوار . كما أننى أتوقع أن تصمت أفواه المتعاطفين مع هؤلاء النقابيين إلى الأبد . فلن تكون لديهم الجرأة كى يتحدثوا عن هذا ثانية " .

لم تكن لدى هَف نفس ثقة ابنه ، فسأل فريد : " ما رأيك أنت ، يا فريد ؟ "

كان من الواضح أن وجوده هنا كمحور للاهتمام أمر يوتره ، فقال فى عصبية : " نعم . . . أنا متأكد من أنك قد قمت بخطوة موفقة ، يا هَف . لكن هذه هى وردية بيلى . فهؤلاء العمال كانوا قد رأوه ينزف ويصرخ . والحادثة لم تزل واضحة فى أذهانهم . كما أعلم بأنك تقوم بالكثير لأجل عائلته . فقد عرفت اليوم أن بيك قد ذهب لزيارته . فقد قالت أليشيا إن . . . " .

سأله كريس مقاطعاً : " بيك ذهب لزيارته ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فقال فريد وهو يتطلع حوله فى توتر : " هذا ما فهمته من أليشيا . لقد هاتفتنى منذ بضع ساعات لتقول لى إن بيك قد أتى إلى المستشفى ومنحها شيكاً بمبلغ كبير " .

نظر هَف إلى كريس ، فهز الأخير كتفيه مبيناً ألا علم له بحركة بيك هذه . فسأل هَف فريد : " ما الذى كنت على وشك أن تقوله قبل أن يقاطعك كريس ؟ "

" كنت أريد أن أقول إن الرجال الذين يعملون مع بيلى لن ينسوا سريعاً ما حدث له . لكن تلك الذكريات كانت تتلاشى بعض الشىء ، إلا أن الليلة هناك من عاد إلى التذكير بأشياء " .

" مثل ماذا ؟ "

" كرباط أصفر معقود على مقبض خزانة بيلى هنا . وكذلك اسمه المنقوش على ذلك الناقل . فهناك من يعمل على أن تبقى الذكريات قائمة فيستثير الكراهية من جديد " .

" من هو ؟ "

" لم أعرفه بعد . فالكثير من الحوارات تتوقف ما أن أقترب بما يكفى لسماعها " .

" عليك ان تعرف من المسئول عن ذلك " .

" أنا أحاول هذا " .

أشار هَف إليه بإصبعه قائلاً : " أنا لا أريدك أن تحاول هذا . بل أن تفعل هذا . عليك أن تبقى أذنيك وعينيك مفتوحتين وإلا فسأبحث عن شخص قادر على أن يأتينى بالأسماء التى أريدها " .

ازدرد فريد لعابه فى صعوبة : " أجل ، يا سيدى . ما الذى تريدنى أن أفعله بخصوص المظاهرة ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أشعل هَف سيجارة جديدة . لم يجب قبل أن يسحب منها أنفاساً . " أريدك أن تحضر مدفعًا رشاشًا إلى هنا . وهذا كفيل بإخلاء المنطقة بما يكفي " .

قال كريس في اقتضاب : " سوف أحشوه أنا بالذخيرة " .

ضحك هَف وهو يهز رأسه : " كلا ، دعونا لا نفعل شيئاً الليلة . دعوهم وشأنهم . فسوف يتعبون ويعطشون ، ويقرصهم البعوض ، وستؤلمهم ظهورهم من طول حمل تلك اللافتات . وقد لا نحتاج لاتخاذ أي تصرف حتى ينتهي أمرهم . فلنتركهم ليوم آخر أو يومين ، حتى نتبين الموقف ، وردود أفعال عمالنا . وكن مستعدا يا فريد لأن تقمع أية محاولة تمرد عند مبدئها " .

" نحن جاهزون ومستعدون ، يا سيد هويل . بانتظار إشارة منك فقط " .

" جيد . ولكن تذكروا أنه عند حدوث أي اقتتال فلابد أن يظهر على أنه بسبب تلك المظاهرات ونتيجة لها . فهم من بدأوا الهجوم ورجالنا من دافعوا عن أنفسهم . هذه هي خطتنا " .

" مفهوم " .

انصرف فريد . فقال هَف للباقين : " لا أعتقد أنه ستكون هناك أية أحداث الليلة . وسوف نستمر في أعمالنا في الغد كالمعتاد . ويجب ألا تستثيركم أي من تلك الهتافات ، أو أي مما هو مكتوب على اللافتات ، مهما كانت مستفزة . تجاهلوا هؤلاء الأوغاد " .

" قد يكون بيك في الوقت الحالي يحرز تقدماً مع نيلسون وسوف يوقف هؤلاء الأوغاد المأجورين قبل حدوث أي تطور للموقف . اتفقنا ؟ " وافقه الجميع على هذا . " عودوا إلى بيوتكم الآن " .

لكن جورج روبسون بقي ليسأله : " هَف ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ما الأمر ، يا جورج ؟ "

" ما قلته حول التحقيق في أسباب حادث بوليك . . . . " .

" كنت أود أن يستمعوا إلى ما يريدون سماعه ، يا جورج . لا تقلق من هذا الأمر " .

قال وعيناه تترددان بينه وبين كريس : " ما أفكر فيه هو أن من الأفضل أن نغلق الناقل حتى تتم عملية صيانة كاملة له . وعندها لن يمكن لأحد أن يوجه لنا اللوم " .

التفت هَف إلى كريس : " ظننت أنك قد انتهيت من هذا الأمر بالفعل " .

" بالفعل " .

قال جورج : " هذا صحيح ، بالفعل . ولكنني فكرت أن ... " .

فقال هَف : " توقف عن التفكير كثيرا إذن ، يا جورج . فكريس هو المسئول عن التشغيل ، وهو من يقرر أمر الناقل " .

" كانت هذه هي نصيحتك ، يا جورج ، ألا تذكر هذا ؟ "

أمن جورج على كلامه وهو يبدو متشككا منزعجا . " أجل . حسنا " .

استدار جورج لينصرف قائلاً : " حسناً . أراكما في الغد " .

قال كريس : " ارسل تحياتنا إلى زوجتك الجميلة " .

توقف جورج ليلتفت إليهما وهو ينظر إلى كريس نظرة فاحصة ، ثم انصرف .

نظر هَف إلى كريس قائلاً : " عبارتك هذه تعني أنك تلعب بالنار " .

ضحك كريس : " لا أعتقد أن جورج قادر على مواجهتي بشيء . فلو أن الظنون تنتابه بشأن خيانة زوجته له ، فذنبه أنه تزوج من عاهرة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

هنا دلف بيك وهو يقول : " لقد التقيت جورج بالردهة . وذكر لى أنه قد فاتنى الكثير " .

كان كريس قد هاتف بيك والأخير فى طريق عودته من نيو أورليانز ، وشرح له الموقف . فأخبره بيك بأنه سيصل إلى هنا بأسرع ما يمكنه هذا . لذا رمق هَف ساعة الحائط فتأكد من أنه قد حضر فى زمن قياسى .

وضع بيك حقيبته على الأرض وألقى بجسده المنهك على الأريكة : " ما أن أغادر البلدة لعدة ساعات حتى تعم الفوضى المكان " .

أشار هَف إلى كريس أن يذهب إلى البوفيه ، حيث توجد طاولة صغيرة هناك . " أحضر لنا الشراب يا بنى " .

قال بيك : " كان على أن أمر من خلال باب الزوار وأنا قادم " .

قال هَف من خلف مكتبه ، حيث جلس إلى مقعده عالى الظهر : " إنهم لم يختاروا موقعهم هذا اعتباطاً " .

قال بيك : " هل تيقنت من أن نيلسون هو من أرسلهم ؟ "

قال كريس وهو يناول بيك الشراب : " إنهم لا يخفون هذا . ولقد ذهبت إلى الرجل الذى يبدو أنه قائدهم . فوجدته مجرد شخص متحمس ولكنه كان من الذكاء الكافى لكى لا يقول أى شىء سوى أن لديه تصريحاً ، وقد أرانى إياه ، وطلب منى أن أطرح أسئلتى على السيد نيلسون " .

أخبرهم بيك بأمر زيارته غير المثمرة قائلاً : " إن السيد نيلسون يتفادى مقابلتنا . مكتبه ليس بالشىء الفخم . فأثاثه متواضع . وليس به سوى سكرتيرة واحدة . شديدة التهذيب والإخلاص . تبدو مستعدة لأن تصنع لك فطيرة تفاح أو أن تخيط زراً ساقطاً فى قميصك لو طلبت منها ذلك . ولكن من الصعب أن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تستخرج منها معلومة . ولم تكن مرحبة كثيراً بمجيئى لمقابلة رئيسها . فهى جيدة التدريب " .

قال هَف ساخطاً : " إن الجبان كان يعلم بمجيئك ، لذا تهرب منك . قد يكون فى سينسيناتى ، أو ربما كان ينتظر داخل ملهى فى الشارع المقابل إلى أن تذهب أنت " .

قال بيك : " هذا احتمال قوى . فلقد تحدثت إلى الفندق هناك عدة مرات . قالوا لى فى البداية بأنه لم يأت . أما الآن فكانوا يطلبون منى أن أبقى على الخط بالانتظار . وفى الحالتين أبدو لعبة فى يده " .

رد كريس : " لم يرغب فى مواجهتك فى نفس اليوم الذى يظهر فيه مأجوروه هنا " .

" ربما كنت على حق . كما أن لدى المزيد ، فأنا لم أصل إلى الجزء المهم من الموضوع بعد . أتعلمان من كان فى مكتب نيلسون وهى فى كامل بهائها واستعدادها للمواجهة مع الكل ، وأولهم أنا ؟ "

صاح كريس فى دهشة : " لابد أنك تمزح . . . ساير ؟ "

" بالضبط " .

سأله هَف : " ما الذى كانت تفعله هناك ؟ "

" نفس ما كنت أفعله ، تنتظر مقابلة نيلسون . وبالطبع لسبب يختلف تماماً عن هدفى أنا . فقد كانت هناك تعرض عليهم تقديم المساعدة " .

سأله كريس : " المساعدة بماذا ؟ "

" لم تحدثنى فى أية تفاصيل " .

" هل كانت بصحبتك حينما ذهبت إلى زيارة بيلى بوليك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ارتسمت الدهشة على ملامح بيك ، وهو ينظر إلى هَف أولاً ، ثم إلى كريس : " وكيف علمت بهذا ؟ "

" لقد اتصلت أليشيا بوليك بـ " فريد ديكلويت " " .

أوضح بيك قائلاً : " لم أكن أنا من أنتوى الزيارة ، بل هى . فذهبت معها مستغلاً البطاقات والرسائل التى كان بيلى يتلقاها من زملائه كسبب للزيارة . رأيت أن تسليمها بيدى سيحسن موقفنا مع السيدة بوليك . كما أننى أردت أن أعرف ما الذى كانت تنتويه ساير " .

سأله هَف : " وما الذى كانت تنتويه ؟ "

" لم يتبين لى شىء . بدت لى مجرد زيارة ودية " .

" حينما تحدثت السيدة بوليك مع فريد ذكرت له أمر شيك بمبلغ كبير . فكم كانت قيمة ذلك الشيك ؟ "

" لا بأس ، يا هَف . فقد قمت بهذا من دون تصريح منك . وليس عليك أن تدفع لى قيمته لو لم ترغب فى هذا " .

" تبا ، لقد كان ذلك اقتراحى أنا . وكنت على حق ، فالمرأة تضعف الآن . لقد احتفظت بالشيك ، أليس كذلك ؟ "

" على حد علمى " .

فقال رافعاً كأسه إلى كأسيهما : " نخبكما إننى " .

قال بيك : " قبل أن تشرباه لابد وأن تعلما بأنى قد أخبرت الطبيب النفسى بأن يواصل جلساته مع بيلى حسبما يراه هو " .

فرد كريس محتجا : " هل تبغى إفلاسنا ؟ "

" أنا أعترف بأن هذا كان قرارا جريئاً ووليد اللحظة . فلم يكن لدى وقت للرجوع إلى أى منكما . لكننى أرى أنه كان إيجابى الأثر مع السيدة بوليك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

غمز له هَف قائلاً : " قيمتك عندى تعود إلى قدرتك على اتخاذ مثل هذه القرارات وحدك . فأنا أثق فى حكمك على الأمور وإلا لما وصلت إلى ما وصلت إليه " .

رد كريس منبهاً : " ولكننا نضيع الكثير من المال سدى . لأجل أن يكون بيلى بوليك فى خير حال ، فما الذى سنستفيده من هذا ؟ "

" لا أتصور أن بيك كان يضع فى اعتباره مصلحة بيلى وهو يقوم بما قام به " .

" هذا صحيح ، يا هَف . فقد رأيت أنها بادرة حسن نية يمكن أن توفر علينا عناء دعوى قضائية تكلفنا الملايين . فعلينا بذل ما فى وسعنا لأجل تفادى المساءلة القانونية " .

" وأنا أوافقك على هذا " ، جرع كأسه ، وهو يستطعم مذاق الشراب فى حلقه وما نثره من حرارة فى بطنه . " وما الذى كانت ساير تفكر فيه حينما رأيتها ؟ "

هز بيك كتفيه ، ولكن هَف رأى أنه يحاول أن يتصنع اللامبالاة . " لقد تناولنا العشاء معاً . واشتريت لها عقداً رخيصاً . وتناولنا بعض الشراب " .

صفق هَف براحتيه فى سعادة قائلاً : " وكيف كان الحال بينكما ؟ "

رفع بيك حاجبه فى سخرية : " كان يمكن أن يصبح أفضل لو أن كريس لم يكن قد أخبرها بأمر محاولتك تزويجنا " .

فالتفت هَف إلى كريس : " هل أخبرتها ؟ "

" وما الفارق ؟ "

" كان عليك أن تسألنى ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال كريس : " قد تكون ساير قد شربت ما قدمه لها من شراب ، ولكن بيك ليس زوجها ، أليس كذلك ؟ وهي لن تقبل بذلك طالما ظل يعمل معنا " .

" قد تفعلها . والآن .... تباً . أنت تعرف أختك . فسوف يتملكها العناد " .

قال بيك : " كانت ستعاند في كل الأحوال ، يا هَف ... فهي أذكى وأكثر عناداً من أن تغويها زجاجة شراب . على أني كنت أتمنى لو أن الشراب والطعام الفرنسي كانا قادرين على حل عقدة لسانها " .

" حول مانا ؟ "

" نيلسون . فأنا غير مرتاح لفكرة أن الاثنين يمكن أن يتحدا معاً . وسوف يستفيد من تواجد شخص من عائلة هويل في صفه . فيمكنه على الأقل أن يستغلها من الناحية الإعلامية " . كان يرسم بيديه إطارًا خياليا لمانشيت صحفي وهو يضيف : " ابنة هَف هويل تقف في صف معارضيه . القصة الكاملة بالصور في صفحة ثلاثة " .

تجشأ هَف . فيبدو أن الشراب لا يكون مذاقه جيداً بعد هضمه . قال : " أفهم ما تقصده " .

تابع بيك في تردد واضح : " وبخلاف هذا . . . فهي ترى أن مكجرو كان بمثابة حبل المشنقة حول رقبتيكما ولكنها اكتشفت أن الحبل لم يكن بالقوة الكافية .

لكن هذا لم يفت في عضدها . فهي مقتنعة بأن كريس هو قاتل جين إيفيرسون ، وأنه قد أفلت بفعلته بعد أن رشا المحلفين ، وأنها لن تهدأ قبل أن يتحقق العدل . وعلى رغم ما حدث مع مكجرو فإنها لن تترك الأمر بلا مساءلة " .

نظر أولاً إلى كريس ، ثم التفت إلى هَف . " أنا لم أكن محاميكم وقتها ، يا هَف . ولكننى أفعل هذا الآن . فلا أود أن أكون غير مطلع على شيء يمكن لساير أن تتوصل إليه . فهل هناك أى شيء يتعلق بقضية إيفيربسون مما يتوجب أن أعرفه ؟ "

كان هَف خبيراً فى ألا يفصح وجهه عن انفعالاته . هذا منذ أن كان فى الثامنة من عمره . فنظر إلى بيك فى عينه مباشرة وهو يقول : " لو كان القضاء قد تمكن من توجيه تهمة أخرى ضد كريس ، لكانت هناك محاكمة أخرى . فساير لن تتمكن من الكشف عن شيء " .

" هل وصلكما شيء من ريد أثناء وجودى فى نيو أورليانز ؟ "

رد كريس : " لا شيء فيما عدا أنه لم يتم القبض على سلاب واتكينز . . . فلا أثر يوصل إليه حتى الآن " .

" هل فتشوا الأماكن التى مكث فيها خلال الفترة الأخيرة ؟ "

قال كريس : " بتصاريح تفتيش . وكان آخر مقر معروف له هو منزل به وكر بيع المخدرات . وتم القبض على الرجل وزوجته هناك ، ولكنهما ادعيا بأنهما لا يعرفان بمكان سلاب منذ أن طرداه من المكان . فقد ذكر ريد بأنهما قد قلبا المكان رأساً على عقب ولكنهما لم يجدا شيئاً يخص سلاب " .

قال بيك : " أتمنى أنهم يجدونه فى أسرع وقت ممكن . وأتمنى عندها أن يعترف بقتل دانى . هذا بسبب كل ما يجرى هنا " ، ثم أضاف وهو يومئ تجاه الجدار الزجاجى : " فنحن سنصبح تحت المجهر . وخاصة من قبل هيئة السلامة والأمان المهنى " .

غمغم هَف وهو يدخن سيجارة جديدة : " أوغاد " .

قال بيك : " لقد كنا نجيد التعامل معهم ، لكننا تراجعنا بعد حادثة بيلى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

سأله كريس : " ألا يمكن أن نعاود التفوق عليهم ؟ "

قال بيك : " تمنيت هذا . لقد حاولت عدة مرات أن أتصل بممثل إقليمي . ولكنه لم يرد على اتصالاتي . وهو ما قادني إلى الاعتقاد بأنه يخطط للقيام بتفتيش مفاجئ لهذا المكان " .

فقال هَف : " ظننت أنك قد قمت برشوة أحد موظفيه حتى ينبهنا مسبقاً إلى أية تفتيشات مفاجئة " .

" لقد علمت أن تلك الموظفة في إجازة وضع حالياً " .

فقال كريس ساخراً : " يا لحسن الحظ " .

تابع بيك كلامه متجاهلاً السخرية : " توقيت سيئ بالفعل . ولكن قصدي هو أن علينا أن نقدم صورة نظيفة تماماً . فيجب ألا نتيح لهم أية فرصة أخرى بعد فرصة حادث بيلي . فبوسعهم أن يدمرونا بترقب تفتيش شامل . وسيفعلونها " .

تنهد كريس وهو يقول : " عندها سأحتسي الشراب لأجل تلك المناسبة السعيدة " .

قال هَف : " كريس ... " .

بادر كريس قائلاً : " إنني أمزح . تباً ، بل سأكون سعيداً لفرحة الجميع من حولي . ألا يمكن أن ننظر إلى الجانب الجيد ولو لمرة واحدة ؟ فها هي زوجة بوليك تتراجع . والمظاهرات ؟ حينما تشرق الشمس غداً ويصبح الطقس جحيماً ، فسرعان ما سينفضون ليرحلوا .

وماذا عن هيئة السلامة والأمان ؟ سوف نتقدم بطلبات العفو ، مع وعد بتحسين الحال ، وندفع غراماتهم ، ثم نواصل مسيرتنا . أما بالنسبة لمارى بيث فأتمنى أن تثير غضب عشيقها عندما يذهبان إلى الشاطئ فيغرقها في البحر " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لن يكون من الصعب على أن أجد زوجةً ثانية . وسأعمل على أن أملأ الدنيا بذريتي وصدقاني بأني قادر على أن أكون الأب لأول أحفاد هَف . وأخيراً وليس آخراً ، أقول لكما بأني بريء من قتل أخي . أرأيتما ؟ أين تلك المشكلة المعضلة ؟ "

ضحك هَف وقال : " حسناً ، لقد بينت لنا أفكارك . فاخرج من هنا . وأنا سآتي بعدك " .

راقبه هَف مبتسماً وهو ينصرف . ولكنه حينما رمق بيك اختفت الابتسامة . فقد كان بيك يحدق إلى البوابة المفتوحة من حيث خرج كريس للتو .

قلق هَف كثيراً لما بدا على بيك من شرود .

مضى وقت طويل قبل أن تستطيع ساير النوم .

فبعد الرحلة الصاخبة إلى نيو أورليانز وطريق العودة الطويل ، ظنت أنها ستسقط نائمة فور أن تضع رأسها على الوسادة . ولكنها وجدت نفسها تسهد لساعات .

كانت وحدة التكييف تبعث الضجة في المكان . وحينما تدور تتحول الغرفة إلى ثلاجة . ولكن عند توقفها تتحول الغرفة إلى مكان يعبق بروائح كل من مكث فيها من قبل ، تفوح روائحهم من السجاد والستائر والأغطية .

لكن هذا لم يكن مبعث أرقها . فتواصلت حواراتها مع بيك وهي تتردد داخل رأسها . هل كانت مخطئة في الإفضاء بسر خطبة داني إليه ؟ ومع أنها تعرف بمخطط أبيها الأناني كي يزوجهما ، فلماذا سمحت لبيك بأن يقترب منها ؟ ولماذا رغبت في أن يكون بالقرب منها ؟

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم تنم إلا فى آخر ساعات الليل . ولهذا فقد تنهدت ساخطة حينما استيقظت قبل ضوء النهار . كانت ترقد على بطنها ، ووجهها نصف مدفون فى الوسادة غير المريحة . فتحت عينا وبقيت ساكنة ، وهى تستعد للنوم من جديد قبل أن تجد نفسها متيقظة جدا .

لاحظت أن وحدة التكييف صامتة ، كما أن الغرفة كانت حارة . فأزاحت الأغطية عن ساقيها ، وهى تظن أن الحرارة هى التى أيقظتها وأنها ستعاود النوم ما أن تحس براحة فى الجو من حولها .

لكن إزاحة الأغطية لم تساعدها .

ربما كانت هذه بوادر صداع بسبب الشراب . كانت تحس بالعطش من كثرة ما تناولته من شراب مع وجبتها . كانت تتوق إلى كوب من الماء . وحينما تذكرت هذا ، تذكرت أنها بحاجة إلى الذهاب إلى الحمام .

تمتمت ساخطة ، وهى تنقلب على ظهرها وتتخذ وضعية الجلوس على جانب الفراش . مدت يدها بشكل آلى إلى المصباح على الطاولة الصغيرة ثم قررت ألا تضيئه . فلو بقيت الغرفة مظلمة ، يمكنها أن تعود إلى النوم ثانية .

نهضت عن الفراش منحنية الجسد ، ودارت من حوله ، متجهة نحو الحمام . كانت قد اعتادت الآن على الأماكن بغرفتها ، فيمكن أن تصل إلى الحمام الآن من دون أن تصطدم بشىء . . . هذا لولا أنها لم تتعثر فى حذاء ثقيل كان فى طريقها .

أما ما أذهب النوم من عينيها فهو أن ذلك الحذاء الثقيل كان بداخله قدما شخص يقف فى سكون .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثامن والعشرون

كتمت صرختها يد قذرة بينما اليد الأخرى تقبض على شعرها وتدفع بوجهها في الفراش . سقط فوقها وهو يمسكن حركتها تماما . إلا أنها لم تتوقف عن المقاومة .

" لو قاومتني فسوف أقتلع شعرك من جذوره . أقسم أن أقتلعه وأتخذ منه تذكارا " . قالها وهو يجذب ما يمسكه من شعرها بقوة أدمعت عينها .

فتوقفت عن محاولة التملص منه وسكنت حركتها .

" هذا أفضل " . ثم ضغط بجسده على ظهرها وهو يتابع : " أليس هذا مثيراً ؟ ما رأيك في أن تتذوقي شيئاً من الأشياء التي تعلمتها في السجن ؟ "

كانت تصرخ من خلف يديه خوفاً وغضباً . ضحك من أصواتها المكتومة وهو يقول : " استرخي ، يا ذات الشعر الأحمر . فقوامك جذاب ، ولكن لا وقت لدي لهذا . بل أتيت للحديث ، ولكن هذا لا يعني أنني لست على استعداد لإيذائك . هل اتفقنا ؟ "

لم تكن تستطيع التنفس أسفل اليد التي تقبض على فمها وتدفن وجهها في الفراش . لم تصدق أنه تمكن من أن يتسلل إلى غرفتها

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لمجرد أن يتحدث معها ، لكنها هزت رأسها موافقةً إياه حتى تقى نفسها الأذى .

" حسناً إذن . سوف أبعد يدى عن فمك . ولو أنكِ صرخت ، فسوف يكون هذا آخر صوت تطلقينه فى حياتك " .

سحب يده تدريجياً . قاومت ساير رغبةً فى لعق شفتيها ، تحاشياً لأن تتنوق آثار يده القذرة . فانقلبت على ظهرها حينما ابتعد عنها ، ثم جلست فى الفراش . مسحت فمها بظهر يدها .

أتى الضوء فجأة . وبعد أن اعتادت عيناها على الضوء أبصرت أمامها سلاب واتكينز ، ويده لا تزال على مفتاح المصباح . كان يشع ضوءاً قوياً يسقط بشكل مخيف على وجهه . كانت ظلال وجهه على الحائط أشبه بكوابيس الأطفال .

لم يتغير شكله عما كان عليه فى المطعم . بل ربما أصبح أقبح . بدت أسنانه أطول ، وأشد اصفراراً . وذقنه الرفيعة شمطاء . وقد نحف وجهه لتتبدى فى قسماته كل عظمة من عظامه ، فأصبح كالجمجمة . أما عنقه النحيل فأشبه بعنق طائر ، وبدت أذناه الكبيرتان ملحقتين بجانبى وجهه بشكل فكاهى .

" مرحباً ، يا ذات الشعر الأحمر " .

كان قلبها يخفق فى عنف وقد جف فمها ، ولكنها حاولت ألا تبدى أى خوف منه . رمقت الباب . " لا تفكرى أبداً فى هذا " ، قالها وسط ضحكة قميئة . " لن تستطيعى الوصول إليه قبل أن أصل إليك أنا ، وهنا سأتخلى عن وعدى بألا أؤذيك " . ثم ابتسم وهو يسحب سكيناً من حذائه ثم يربت بسطحها على راحته .

" كيف دخلت إلى هنا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أنا مجرم كما تعرفين . ففتحت القفل فى غمضة عين . وفى صمت أيضاً . غلطتك أنكِ لم تستخدمى القفل المسلسل الداخلى . كان هذا أولى أن تفعله سيدة تمكث هنا وحدها " .

لم تكن ترغب فى أن تفكر بالمدة التى بقاها هنا فى الغرفة قبل أن تستيقظ . فهى ترتعد لمجرد تخيله وهو يجلس إلى المقعد قرب الفراش ، يراقبها وهى نائمة ، ويستمع إلى أنفاسها . ربما كانت رائحته هى التى أيقظتها . فيبدو أنه لم يستحم منذ أيام ، فرائحة جسده تثير الغثيان .

" هل هذا حقيقى ؟ " كانت قد تركت قرطيها المصنوعين من الماس على المنضدة جوار الفراش . كان يمسك بهما بالقرب من الضوء ، يقلبهما وهو يحاول تقدير قيمتهما .

" أجل . بوسعك الاحتفاظ بهما لو تركت المكان ورحلت " .

" أشكرك . أعتقد أنى سأفعل هذا " . وضع القرطين فى جيب قميص الجينز القديم . " لكننى لن أرحل قبل ان نتبادل حواراً قصيراً " .

" ما الذى يمكن أن نتحاور حوله أنا وأنت ؟ "

" أتعرفين بأن الشرطة تبحث عنى ؟ "

" لقد هاجمت أخى بسكين " .

" هذا هراء . كنت أخيفه به فقط . ولكنه دفعنى إلى أن أطعنه بها . فعلها عن عمد " .

مع أنها هى التى ذكرت هذه النظرية لبيك من قبل ، لكنها وجدت نفسها تسأله : " ولماذا يفعل كريس هذا ؟ "

" لأنه أراد لى أن أظهر بمظهر القاتل " .

" يعتقد كريس أنك قد قتلت أخاه ، فهل فعلتها ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قبل أن يجيبها فتح درج المنضدة ، وأخرج منه الكتاب المقدس ، وألقى به ناحيتها .

تركت الكتاب حيث سقط جوارها ، وهى تسأله فى برود :

" هل أنت على دراية بالكتاب المقدس ؟ "

" كنت فى السجن أواظب على الصلوات وأقرأ فى الكتب المقدسة . وهو الأمر الذى مثل نقطة حسنة فى ملفى بالسجن " .

" أعتقد أن هذا كان يتفق مع ممارسة اللواط " .

القمعت عيناه فى حدة وهو يقول : " تربيننى شاناً ؟ سأثبت لك العكس إذن " .

كانت سخريتها منه خطأ فظيعاً . فقد منحته الفرصة .

حاولت أن تتملص منه إلى الجانب الآخر من الفراش حينما اقترب منها ، ولكنه قبض على شعرها ليجذبها إليه . وضع حافة السكين على خدها وهو يضحك منها حينما قبعت ساكنة .

" أرى أن هذا سيكفى . فأنتِ لا تودين أن تعيشى بوجه مشوه ، أليس كذلك ؟ " ثم باعد فى خشونة بين ركبتيها ليقف بين ساقيها ، وهو يدفع بخصره نحو وجهها . " لديك فم جرىء بالفعل ، ولكن لدى الطريقة لإسكاته " .

" سيكون عليك أن تقتلنى أولاً " .

" قد تكون هذه فكرة طريفة ، أيضاً " .

عندها فقط دارت وحدة التكييف فجأة بضجيجها المألوف . القفت فى توتر نحو مصدر أصواتها والصدمة تتملكه . وحينما أدرك مصدر الضجيج ، عاوده الارتياح ، لكنه سرعان ما أحس بشىء خفى . فترك شعرها وابتعد عنها .

" كنت أود لو أننى بقيت فى هذا الوضع إلى النهاية ، ولكننى قضيت هنا وقتاً كافياً بالفعل " . التقط الكتاب المقدس وهو يهزه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أمام وجهها . " اطلبي من المأمور هاربر أن يقرأ كتابه . ذلك الجزء عن قابيل وهابيل . وعليك أن تكوني مقنعة وأنتِ تتحدثين إليه ، فلو أنني مطلوب بالفعل لقتلي أحداً من آل هويل ، لكان من الأفضل أن أقتل أحدهم الآن بالفعل " .

مر بحافة السكين على صدرها وهو يضيف : " فأنا تواق يوماً إلى حمراوات الشعر " .

• • •

كانت في انتظار المأمور هاربر والمساعد سكوت بمكتب المأمور حينما وصل بيك . كان مثلها ليس في أفضل هيئة .

كانت قد رأت تلك السيرة أثناء قيادتها السيارة بجوار المسبك ، رغم أنها لم تندهش لرؤيتها لكونها قد تحدثت مع كلارك دالي في الليلة الماضية . كان قد هاتفها بعد أن عادت من نيو أورليانز . كان يقضي ساعة الغداء في كافيتيريا المصنع ، وهو يشرح لها الأمر عبر هاتف استعاره من صديقه . كانت نبرة صوته تشع حماساً للتقدم الذي كانوا قد حققوه .

" لقد نجحت في عزل بعض رجال هَف عن جلساتنا وحذرت الرجال لكي يتنبهوا لأن كل ما يتبادلونه من كلام سيصل مباشرة إلى هَف " . كما أنه ومن يثق بهم من الرجال كانوا يقومون بكل ما في وسعهم لأجل ألا ينسى الجميع ما حدث لـ " بيلي بوليك " .

أردف قائلاً : " يعمل نيلسون على ألا تتوقف هذه المظاهرة . وقد ألقى هَف كلمة في مواجهتها ، إلا أنها لم تفت في عضدنا كما هو مأمول . الأمور مبشرة ، يا ساير . وسأوفيكِ بالتطورات ما أمكنني هذا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان متفائلاً . بصوته ثقةُ نبأتها بصحة قرارها بأن ينخرط فى أمر له هذه الأهمية . لم تتلق المزيد من الأخبار ، لكن من الواضح أن التذمر بين العمال قد تصاعد خلال الليل ، على رغم محاولات هَف لأن يسيطر عليه . فقد كانت مظاهرة اليوم تضم عدداً من عمال مصانع هويل .

هذا ما يفسر مظهر بيك المزرى هذا وهو يدلف إلى مكتب ريد ويلقى تحية الصباح فى وجوم .

تبادلا تحية الصباح ، بالرغم من أن كليهما لم يمر بصباح جيد . جلس بيك إلى المقعد الخالى جوارها ، مقابلاً مكتب ريد . بينما بقى واين سكوت واقفاً .

سأله المأمور : " كيف تجرى الأمور بالمصنع ؟ "

" ساخنة " .

علق سكوت قائلاً : " درجة الحرارة اليوم ستصل إلى المائة " . تساءلت ساير ما إذا كان يقصد حقا الربط بين حرارة الطقس وسخونة الأحداث .

تجاهله بيك وهو يتحدث موجهاً كلامه إلى ريد : " لقد ظهر عشرات آخرون من المحتجين هذا الصباح أثناء بدء الوردية فى السابعة صباحاً . أخذ بعض عمالنا من المنشورات التى كانوا يوزعونها ، بل وشاركوهم المسيرة بعض الوقت ، وهو ما أغضب الموالين لعائلة هويل .

" هناك توتر كبير . ولا أعلم إلى متى سيمكننا السيطرة عليهم . وأنا أحاول بكل الطرق أن أصل إلى نيلسون ، لنرَ كيف يمكن أن نتوصل إلى اتفاق فى هذا الشأن ، ولكنه لا يرد على اتصالاتى " ، ثم التفت فجأة إلى ساير ليسألها : " هل اتصلت به ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كانت هذه هى المرة الأولى التى ينظر إليها مباشرةً منذ أن وصل ، فبدت أشبه بالوخزة . " كلا " .

طالت نظرته إليها ، وكأنما يبحث عن أى دليل على أنها تكذب ، ثم عاد لينظر إلى ريد : " لا يمكننى أن أبتعد عن المصنع لفترة طويلة . لماذا طلبت لقائى ؟ "

أشار ريد نحوها وهو يقول : " لقد كان لدى ساير زائر هذا الصباح . وقد رأت أن عليك أن تستمع إلى ما تود أن تقوله " .

" زائر ؟ "

" لقد اقتحم سلاب واتكينز غرفتها بالفندق هذا الصباح " .

حدق إليها بيك مصدوماً ، ثم نظر إلى ريد وكأنما يبحث عن تأكيد لهذا الكلام .

" لقد تلقى المكتب الاتصال بعد الخامسة صباحاً بقليل . فهرع إلى هناك أحد رجالنا على الفور . ولكن واتكينز كان قد رحل حينما وصل هو إلى الفندق " .

التفت بيك إليها . يتأملها ملياً ، ثم عاد ليحدق إلى عينيها .

" هل أصابك أذى ؟ هل ... ؟ "

أحنت رأسها تهزها وكأنما تجيب عن سؤال بيك الذى لم يكمله بكل ما يوحى به . " لقد هدد بأن يؤذينى ، لكنه لم يفعل . وكان الضرر الوحيد الذى ألحقه بى هو هذا " . لامست بقعة على وجنتها ، حيث وخزتها السكين حينما دارت وحدة التكييف بغتة . " لقد فزع من الصوت المفاجئ . ولا أعتقد أنه قد قصدها " .

قال ريد : " لقد قرأت مع واين محضر أقوالها للمساعد الذى توجه إلى الفندق ، ولكننا لم نستمع إلى أقوالها منها مباشرةً . فقد طلبت أن تكون أنت هنا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أوما بيك برأسه في شرود : " ما الذى كان واتكينز يريده ، أخبريني ؟ هل اقتحم المكان عنوة ؟ "

" لقد كسر قفل الباب . لم أكن قد أغلقته من الداخل ، وكان هذا غباءً مني . فاستيقظت لأجده بالغرفة معى " .

" تبًا " .

قال سكوت : " لا أعتقد أنه قد أخبرك بوجهته " .

" كلا . لم يبح لى بشيء من هذا " .

" هل استطعت أن تتبيني الطريق الذى سلكه حينما غادر الفندق ؟ "

" كلا ، ولكنه غادر المكان مشياً على قدميه . فلم أسمع صوت أى محرك " .

قال سكوت : " وكيف علم بمكان إقامتك ؟ "

" لم يكن من الصعب عليه أن يحدد مكان إقامتى . فليس هناك سوى فندقين فى البلدة . فالخيارات أمامه محدودة " .

لاحظت أن صبر بيك يكاد ينفد بسبب أسئلة سكوت التى لا طائل منها . فقال وهو يلتفت إلى المساعد : " لماذا لا تكف عن هذه الأسئلة الغبية وتمنحها الفرصة لتقص لك ما حدث معها ؟ "

قبل أن يحاول المساعد الرد عليه قال ريد : " هذه فكرة جيدة . قصى الأمر يا ساير منذ البداية . ولن نقاطعك حتى تنتهى من حكايتك . ما الذى كان يريده ؟ "

" كان يريدنى أن أوصل لك رسالة " . قصت كل ما حدث معها ، ولكنها تجاهلت محاولة سلاب التهجم عليها جنسياً ، فقد رأت أن لا علاقة لها بالرسالة التى كان يريدها أن توصلها إلى المأمور . كان ريد يستمع إليها فى إنصات ، ولم يقاطعها أحد : " هذا هو كل شيء . كلمة بكلمة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

سألها سكوت ، بعد لحظة من الصمت : " ألم تحاولى الفرار منه ؟ "

" كنت أخشى أن يطعنى فى ظهرى لو أننى حاولت الفرار عبر الباب . كان ليصل إلى قبل أن أفتحه . إنه نحيل الجسد ، لكنه يتفوق على فى أى صراع جسدى " .

" ألم تصرخى ؟ "

" لم أستطع هذا ويده على فمى . ولم أفعل بعد أن أبعدها لأننى لم أشأ أن أستثيره حتى لا يستخدم السكين . كما أننى لم أجد فائدة من الصراخ " .

لم ينبس أحد ببنت شفة .

فرك ريد عينيه المجهدتين . كان لون جلده يميل إلى الرمادى ، وقد بدا أنه قد فقد الكثير من وزنه منذ آخر مرة رأته فيها ، ولم يكن هذا سوى منذ أيام قليلة . فتساءلت عما إذا كان عليلاً ، أو أنه يشعر بأن الخناق يضيق عليه .

كان بيك يوسع من رابطة عنقه ويفك الزر العلوى من قميصه . بدا كمن يصارع جاهداً شياطين من حوله .

وحده المحقق سكوت الذى كان متفاعلاً مع هذه التطورات . فقبض على حزام مسدسه وهو يقول : " علينا أن نلقى القبض عليه إذن " .

قال بيك : " آمل أن تكون قد قصدت بكلامك هذا سلاب واتكينز ... فأنت لا تعنى به كريس بالتأكيد " .

صاح سكوت : " بالطبع لا " .

رد المأمور : " ليس بهذه السرعة ، يا " واين " ، ثم التفت إلى بيك قائلاً : " ربما كان علينا أن نتحدث مع كريس من جديد " .

" اعتماداً على هذه الأقاويل ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نظرت إليه ساير في خيبة أمل : " هل تتهمني بالكذب ؟ "

" كلا . ولكن واتكينز غبي بما يكفي لأن يرتكب مثل هذه الحماقة . وحتى يتم إلقاء القبض عليه ، فلن يكون أمامنا سوى الشك فيما قلته " .

كبحت رغبة جامحة في أن تلطمه على وجهه وهي ترد : " تبا لك " .

بادرها ريد في صرامة : " ساير " .

التفتت إلى المأمور : " لقد ذكرت لكم محاورتي مع واتكينز بالتفصيل .

قال : " أنا أصدقك . وربما بيك كذلك . ولكن لا تنسى أنه يمثل كريس هنا " .

عادت لتنظر إلى عيني بيك قائلةً : " أنا لن أنسى هذا أبداً " .

تابع ريد كلامه قائلا : " وتذكري أن واتكينز قد خرج من السجن حديثاً . فهو على استعداد لأن يقول أي شيء لأجل أن ينأى بنفسه عن العودة إليه . فيريد أن يلقي بغشاوة على التحقيق من خلال قصته المختلقة من الكتاب المقدس ، حتى يثير فينا الشك في أن كريس هو من قتل أخاه ، فيبعد الأنظار عنه هو ، لفترة من الوقت تكفي للسماح له بالفرار إلى المكسيك " .

قال بيك : " هذا ما يود أن ينجح فيه تحديداً ... فهو مذعور . يائس ويشعر بالخناق يضيق عليه . فيريد أن يلقي بكل هذا على أكتاف غيره ، وجميعنا يعلم شعوره نحو عائلة هويل " .

قالت في غضب : " ألا تعتقد بأني قد فكرت في هذا ؟ لقد فكرت فيه بالطبع . فأنا لست بلهاء " .

قال بيك : " لم يتهمك أحد بالبله ، يا ساير " .

" تتهمني بالكذب فقط " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" إهدئى . فأنا لا أكذبك . بل أحاول أن أتبين المنطق فيه . فلنفترض أن واتكينز كان يتحدث بالصدق . ولنفترض أنه متيقن من أن كريس قد قتل دانى . فلماذا لم يبلغ السلطات بهذه المعلومات ؟ لماذا يخاطر بإلقاء القبض عليه لاقتحامه غرفتك وتهديده لك بالسلاح ؟ لماذا يخاطر بنفسه ليخبرك بذلك ؟ "

" لأنه يعلم بأنى لن أسكت على هذا الكلام " .

قال سكوت فى حزم : " ولا أحد سيسكت عليه هنا ، يا آنسة لينش . علينا أن نتصرف حيال هذا الأمر ، أيها المأمور هاربر . لقد تأكدنا من قبل من أن كريس كان فى مسرح الجريمة " .

رد بيك هازئا : " من خلال علبة ثقاب ؟ "

" كما تيقنا من أن الفرصة كانت متاحة أمامه خلال الساعتين اللتين لم يستطع أن يؤكد مكان تواجده خلالهما " .

" إلا إذا أمكنه هذا " .

قال سكوت : " ليس لديه حجة غياب " .

" بل لم يقدم حجة غيابه . وهو ما قد يشير إلى إمكانية وجودها " .

كان سكوت يتأمل فى هذا الرد ، بينما سأله ريد : " وأين الدافع ، يا واين ؟ إنك لم تتوصل إلى السبب الذى يدفع كريس إلى قتل دانى " .

كانت ساير تنطق بدافع كريس . كانت تريد هذا ، حتى ولو من أجل أن تسحب البساط من أسفل بيك ميرشانت فقط .

لكنها لم تكن لتخبرهم بأى شىء من دون أن تحنث بوعدها الذى قطعته لجيسيكا ديهلانس . لكن لو وصل الحد إلى أن تكون العدالة متوقفة على هذا السر ، فإنها سوف تكشف عما تعرفه من أمر تلك الخطبة . ولكنها ستظل تتفادى هذا الأمر ما استطاعت .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ظل سكوت على إصراره وهو يقول : " ما زلت أرى أن لدينا ما يكفي لأجل إجراء استجواب آخر معه على الأقل " .

تنهد ريد قائلاً : " أكره أن أقول لك يا بيك أن واين على حق . فلو أن الأمر يتعلق بشخص آخر لكان علينا كذلك أن نستدعيه لنرى ما يقوله بصدد هذه الادعاءات . فليس بوسعنا أن نستثني كريس لمجرد شخصه " .

فكر بيك في الأمر للحظات ، ثم قال : " لا تزال لدينا قنبلة موقوتة عند المسبك . ولا يعلم سوى الله ما يمكن أن يسفر عنه انفجارها عندما يرى الجميع كريس داخل سيارة شرطة . كما أنني لا أرى فائدة من هذا الإجراء ، بل قد يأتي بنتيجة مفزعة " .

فقال ريد : " إنني أعتبرك مسئولاً عن أن تحضره إلى هنا طواعية " .

" إنه لن يمانع في الحضور حسب علمي " .

لكن المأمور قال : " بل من الحتمي أن يأتي إلى هنا اليوم " .

" سوف أحضره إلى هنا بعد الغداء " .

" لا بأس بهذا " .

لم يبد واين سكوت مرتاحاً لهذا الحوار ، ولكن لم يكن أمامه سوى القبول بالأمر الواقع . قال موجهاً كلامه لساير : " هل أنتِ خائفة يا سيدتي ؟ "

نظرت ساير إليه قائلة : " خائفة ؟ "

" لقد هدد واتكينز بأن يقتلك " .

" كانت أمامه الفرصة لقتلي ، لكنه لم يفعل " .

" سأرسل بسيارة دورية لتبقى بالقرب من الفندق ، هذا للاحتياط " .

" كلا ، يا ريد . لا تفعل هذا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لو علم هَف بهذا الأمر ، فيمكن أن ... " .

قالت : " أنا متأكدة من أنك ستخبره . ولكننى لا أريد حراساً خارج باب غرفتى . لن أقبل بذلك . فلا تحاول أن ترسلهم " .

فقال فى استسلام : " خذى حذرك إذن " .

نهضت وهى تقول : " سأفعل . هل هذا هو كل شىء ؟ "

" حتى الآن " .

أومأت برأسها مودعة ريد والمحقق سكوت وهى تتجاهل بيك تماماً . خرجت من المبنى وكادت تصل إلى سيارتها الحمراء قبل أن تسمعه يناديها باسمها . سارت فى طريقها . ولكنه لحق بها وهى تفتح الباب .

التفتت إليه ما أن مست يده كتفها . وقبل أن تتح لها فرصة الكلام ، قال : " أعلم بأنك غاضبة " .

" بل هو شىء أكثر من الغضب " .

" وأنا أعرف السبب . ولكن عليكِ أن تستمعى إلى ، يا ساير . يجب ان توافقى على حماية ريد لكِ " .

أطلقت ضحكة مريرة وهى تقول : " هل تصدق قصتى إذن ؟ ألا تعتقد أن مواجهتى مع واتكينز كانت من اختلاق خيالى ؟ "

" بل أصدقك بالطبع " .

. " أنت تستمتع فقط بأن تجعلنى أبدو كالبلهاء أمام الآخرين . يبدو أن هذا الأمر قد تحول إلى هواية لديك " .

" أنا محامى كريس " .

" لقد أوضحت هذا بالفعل " .

فتحت باب السيارة ودلفت إليها ، ولكنه منعها من أن تغلق الباب . ومال إليها وهو يتحدث فى سرعة وغضب : " لقد وثق بى

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كريس في أن أتصرف بالنيابة عنه . ولا يمكننى أن أخون هذه الثقة تماما كما لا يمكنك أنتِ أن تخونى ثقة خطيبة دانى .

كانت لديك فرصة مثالية لأن تخبريهم بالدافع إلى القتل ، يا ساير . ولكنك لم تفعلى . لم يمكنك هذا . لأنكِ قد أقسمت لتلك المرأة بألا تبوحى بشىء . فلماذا لا تتقبلين منى مثل هذا الأمر ؟ "

كان على حق من الناحية المنطقية . فلو أنه لم يجادل دفاعا عن موكله لكان قد خان الأمانة المهنية . لكن كونه على حق لا يمنعها من أن تغضب منه كل هذا الغضب .

" دع الباب " .

" إلى أين ستذهبين ؟ "

" إلى أى مكان أرغبه " . جذبت الباب بكل قوتها ولكن من دون جدوى .

" إسمعينى ، يا ساير . انسى غضبك منى وتذكرى واتكينز . عليك أن تنتبهى إلى تهديداته . هو ليس بالذكى ، وهو ما يزيد من خطورته . ربما لم يكن ينتوى إيذاءك هذا الصباح ، ولكن الآن وبعد أن أوصلت رسالته إلى ريد ، تكون قد أنجزتى المطلوب منكِ . فربما يعود ليفعل بكِ ما يشاء . فهو يكره آل هويل . وأنت منهم ، يا ساير ، شئتى هذا أم أبيت ، و. . . . الجميع يعرفك " .

" هذا جيد . فسيسهل التعرف على وسط مسيرة المتظاهرين " .

للمرة الثانية هذا اليوم كان بيك يوقف سيارته أمام مكتب المأمور ، إلى جوار سيارة كريس البورش هذه المرة . كانا قد تواعدا على اللقاء هناك بعد أن عاد كريس مع هف لتناول الغداء .

ترك نوافذ سيارته مفتوحة وهو ينزل منها ، رغم أن هذا لن يفيد كثيرا فى تقليل سخونتها من الداخل حينما يعود إليها . لم

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

يكن هناك من مفر من هذا الحر المقيت . حتى مع وحدات التكييف بمكتب ذلك المأمور .

" هوبل فى آخر غرفة إلى اليسار " ، هكذا أخبره المناوب عند مكتب الدخول ، كان اسمه بات .

" أشكرك " .

طرق بيك الباب طرقةً واحدة ، ثم فتح باب الغرفة ، التى كانت كبيرة بما يكفى لأن تستوعب طاولة ومقعدين من الفايبر . كان كريس جالساً إلى أحدهما وهو يقول : " مرحبا " .

" مرحباً . ألم تلتق ريد بعد ؟ "

" كلا . ليس هناك سوى ذلك القرد الجالس إلى مكتبه . وقد أوصلنى إلى هنا . أخبرنى بأن كلاً من ريد وسكوت يتناول غداءه ، وأن علىّ أن أنتظرهما " .

أحس بيك بتغير فى سلوك صديقه . فقد خلت نبرته من السخرية المعتادة ، وهى من أهم ملامح شخصيته . جلس بيك إلى المقعد المقابل له . " ألا تريد أن تخبرنى بما يشغل بالك ؟ "

ابتسم كريس فى مرارة : " لو أنى أخبرتك لكان على أن أقتلك " .

خفق قلب بيك بشدة .

اتسعت ابتسامة كريس فى مكر : " كلا . لست على وشك الاعتراف بشىء . على الأقل بقتل أخى " .

" فماذا إذن ؟ "

مال إلى الأمام ، وهو يضع مرفقيه على الطاولة ويدلك جبهته بأصابع يديه . " أنا خائف . هذا هو ما أود أن أعترف لك به ، يا بيك . فهذه الغرفة تبدو لى كزنزانة السجن ، وهى تبعث فى نفسى الرعب " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

استرخت أعصاب بيك . " هذا أمر متوقع . ففرف الاستجواب هذه مصممة لهذا الغرض ، يا كريس . لكى تصيب بالرعب من يجلس بها . وتجعله يشك فى براءته .

لقد قضيت أثناء عملى بمكتب المدعى العام كثيراً من الأوقات فى مثل هذه الغرفة مع مجرمين ، وأفراد عصابات ، ومغتصبين ، وقتلة ، ولصوص . يتم تركهم فى غرفة الاستجواب مهما كانت تهمتهم ، لفترة تكفى لأن تصيبهم بالرعب " .

جاوبه كريس بابتسامة ، ولكنها لم تدم : " بدأت أخشى من أنهم لن يجدوا سواى ليتهموه بهذه الجريمة " .

قال بيك : " ليس لديهم سوى بعض الصلات والأدلة الوقتية . لا يوجد دليل قوى . وأنا أشك فى أن المدعى العام يمكن من الأصل أن يقدم ما لديهم إلى أية هيئة للمحلفين . وليس فى تلك المدينة " .

" بلى ، لكن هذه الأدلة الوقتية تزداد إلى درجة ... ما الذى تطلقونه على هذا ؟ "

" رُجحان التهمة ؟ "

" بالضبط . أحياناً ما يكفى رُجحان الأدلة . ومن ذلك سلاب واتكينز وقصته المقدسة " ، قالها فى سخرية وهو يضيف : " ربما كانت هذه هى القصة الوحيدة التى يعرفها فى الكتاب المقدس . بل إن أمثالى يعرفون بقصة قابيل وهابيل هذه . إن دانى ضحية جريمة قتل . وقد كان أخى . فلماذا ينقلب كل هذا على فأصبح أنا قاتله ؟ "

نهض وأخذ يدور حول نفسه . " ما الذى يدفع أختى إلى تصديق هراء مجرم محترف ، ثم تخبر به ذلك الشرطى الهمام والذى يبحث عن أى شىء يستخدمه ضدى ؟ "

لم يخبره بيك بأمر تلك الخطبة السرية التى لا يعلم عنها شيئاً سواه وساير ، أو حتى عن مهاتفات دانى لها . ولكلا الأمرين أثره

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

القوى فى هذا التحقيق . ولكن طالما لم يحن وقتهما ، فسوف يبقى الأمر سرا بداخله .

" لم تكن ساير على نفس ما هى عليه من زهو عندما رأيتها لآخر مرة ، يا كريس " ، أضاف وهو يفكر : " لا يعلم أحد ما يمكن أن يكون ذلك الوغد القمىء قد قاله لها أو فعله بها مما لم تخبرنا به " .

" أعلم بأنها قد تكون خائفة ، ولكن لماذا لم تبلغ عن سرقته لقرطيها إذن ؟ لماذا تضفى الصدق على واتكينز ؟ "

صاح بيك فى سخط : " لا أفهم الكثير مما تفعله ساير " .

توقف كريس ونظر إليه : " فالأمر صحيح إذن ؟ "

" هل سمعت به ؟ "

" لقد هاتف أحدهم المنزل أثناء تناولنا الغداء وأخبر هَف . فجن جنونه . هل انضمت حقاً إلى تلك المظاهرة ؟ "

" بل تقودها " .

عاد كريس إلى مقعده وهو ينظر إلى بيك منتظراً أن يخبره بالمزيد .

" لقد ظهرت حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف توزع شطائر اللحم والعصائر المثلجة ... وبعد أن تأكدت من أن الجميع قد تناول الطعام ، رفعت لافتة وبدأت فى المسير معهم . كانت لا تزال هناك حينما عبرت البوابة " .

أمسك كريس برأسه وهو يهزه فى عدم تصديق . " لم أكن أتصور أنى سأحيا إلى اليوم الذى يقف فيه فرد من عائلة هويل فى مواجهة باقى أفرادها . والبعض يعتقد بالتأكيد أنى قد قتلت أخى بالرصاص " . وأضاف وهو يدلك جبهته : " من قد يصدق أن بوسعى أن أفعل هذا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" مهلك ، يا كريس . فعليهم أن يبحثوا عن الدافع إلى هذه الجريمة . هذا ما لم تكن تخفى عنى شيئاً " .

رفع رأسه . " مثل ماذا ؟ "

" هل أخبرتنى بكل شىء حول مشاجرتك مع دانى ؟ "

" أخبرتك مائة مرة " .

" هل يحتفظ دانى بأية أسرار عنا ؟ "

" أسرار ؟ "

" لقد ظننت فقط أنه قد يكون هناك ما أخبرك به مما لا يعرفه غيركما " .

" كلا . لا شىء من هذا " .

حدق بيك إلى عينى كريس ، يبحث عن أية أسرار ، لكن عينيه ظلتا واثقتين . " كان مجرد خاطر . لا عليك . ماذا عن ليلى ؟ "

" لقد ذهبت إلى منزلها بالأمس حينما علمت أن جورج بالخارج . لكنها حتى لم تفتح لى الباب " .

" يا للروعة ، لقد ضاعت حجة الغياب إذن " . نهض بيك وتوجه نحو النافذة . لاحظ أنها مغلقة بالقضبان الحديدية . تطلع إلى السماء التى بدت زرقتها تتوهج بالسخونة . كان الشىء الذى يضاهى بياضها هو دخان المسبك . " لن أخدعك يا كريس . فعلينا أن نتوصل إلى أى عنصر دفاعى قوى " .

" أنا لم أقتل أخى " .

التفت بيك إليه : " شىء آخر إلى جانب هذا الإنكار " .

أطال كريس النظر إليه ، ثم قال فى هدوء : " بيك ، هذا قرار من أصعب القرارات التى سأتخذها ، إلا أننى قد قررت أن أستغنى عن خدماتك " .

ضحك بيك ضحكة قصيرة : " تستغنى عن خدماتى ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ليس لهذا صلة بقدراتك القانونية . فليس هذا ما أفكر فيه . فلقد أنقذت شركات هويل من الكثير من السقطات التى كانت لتكلفنا الكثير ، ليس فقط من الناحية المالية . فأنا وهف بحاجة إليك هناك . لتدبر المواجهة مع الوكالات الفيدرالية وكذلك مع عمالنا نحن ، هذا بفضل نيلسون " ، وابتسم بمكر وهو يضيف : " كما أننى بحاجة إلى محام متخصص فى جرائم القتل " .

عاد بيك إلى الطاولة حيث جلس وهو يقول : " لقد ارتحت الآن فى واقع الأمر " .

" ألست غاضباً منى ؟ "

" كريس ، إن جرائم القتل ليست من تخصصى . وقد كنت أول من اقترح عليك بأن توكل عنك أحد المتخصصين فيها . وكنت سأصر على هذا ، ولكننى كنت أخشى من أن تظن بأنى أتخلى عنك . كما أنى لم أكن متيقناً من رد فعل هَف " .

" لن يعجبه هذا . فلقد أقسم على أن تبقى مشاكل العائلة داخل العائلة ، ولكنى أتمنى أن تساعدنى فى إقناعه بأن هذا هو القرار السليم " .

" سوف أتحدث إليه . هل لديك أحد بعينه ؟ "

أخبره كريس بالاسم ، الذى لم يكن مألوفاً لدى بيك . " إنه من باتون روج وله سجله الحافل " .

" حظ طيب معه إذن " .

قال كريس : " هلا أقسمت لى بأنك لست غاضباً منى ؟ "

" أقسم لك بهذا . أين ذلك العبقرى القانونى إذن ؟ فأنت بحاجة إليه الآن " .

" هذه هى المشكلة . فهو لن يكون متفرغاً لى قبل يوم الاثنين . فما الذى علينا أن نفعله حيال هذا الاستجواب ؟ "

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

" سأحاول أن أعرف من ريد قدرته على تأجيله حتى وصول محاميك الجديد " .

" هل تعتقد بأنهم سيضعونى فى السجن طوال عطلة نهاية الأسبوع ؟ "

" لن نسمح بمجرد اقتراح هذا . فما يحدث هنا لا معنى له على كل حال . فأنا أعتقد أن ريد يود أن يستجوبك لكى يريح مساعده . فهو مثلك تماماً ، لا يصدق قصص الكتاب المقدس تلك " .

تصافحا ، ولكن حينما حاول بيك أن يسحب يده ، وجد كريس يتشبث بها قائلاً : " أنا لا أريد ان أتحمل تبعة شىء لم أرتكبه ، يا بيك . وأنا لم أقتل دانى " .

ضغط بيك على يد كريس وهو يطمئنه : " أنا أصدقك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل التاسع والعشرون

حينما عادت ساير إلى غرفة الفندق تلك الليلة ، فتحت الباب بمفتاح القفل الجديد ، والذى حل محل ذلك الذى كسره سلاب واتكينز .

وقفت عند مدخل الغرفة تمسحها بعينيها . زالت كل آثاره النتنة . وهى لم تثق فى أصحاب الفندق كى ينظفوا الغرفة بالدرجة التى تريدها ، بل ارتدت القفازات وقامت هى بتنظيفها كلية قبل أن تستعد للذهاب إلى المسبك . وأصرت على أن يحضر مدير الفندق مقعداً آخر يحل محل ذلك الذى جلس إليه واتكينز . كما تم تغيير جميع أغطية الفراش .

بعدما اطمأنت على أنه لا يوجد لا أثر باق له فى الغرفة ، دلفت وأغلقت الباب بإحكام ، وبعد أن أمنت القُفل من الداخل . اقتربت من المرآة فى تعب تنظر إلى وجهها . كانت بشرتها قد تأثرت من تعرضها للشمس ، كما كان جسدها متمرقاً جدا تلتصق به ملابسها . خلعت عنها حذاءها الرياضى وتفحصت تورمات أصابعها التى زين أظافرها الطلاء نو اللون البيج .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كانت متعبة لدرجة أنها لم تكن تقوى على تناول شطيرة الجبن التى اشترتها من المطعم ، ولكنها كانت تحس بجوع شديد . فما أن تناولت القضمة الأولى حتى التهمت البقية .

ظلت لفترة طويلة أسفل الماء فى الحمام ، كان هذا هو حمامها الثانى هذا اليوم . ففى المرة الأولى كانت تحاول أن تخلص نفسها من كل لمسة من لمسات واتكينز .

كانت تود أن يزيل رذاذ المياه كل هذا التعب من عضلاتها . وحينما خرجت من حوض الاستحمام ، بدا وكأنها استعادت إنسانيتها من جديد . جففت شعرها بالمنشفة وهى مجهدة لا تقوى على استخدام مجفف الشعر . فلم تقو إلا على أن تضع بعض الدهان المقاوم للشمس على أنفها . أما الخدش الموجود على خدها فسيختفى تماما بعد يوم أو يومين .

ارتدت سروالا داخليا ورداء نوم قطنيا قصيراً اشترته ليحل محل الملابس التى نامت بها الليلة الماضية . كانت قد ألقت بها فى سلة المهملات ذلك الصباح . فلم تكن لترتديها ثانيةً حتى ولو غسلتها عشرات المرات .

ألحت على ذهنها أن ينسى الواقعة . فلم يحدث شىء نو بال . كانت تفرض هذا على ذهنها فرضا .

مع هذا ، فما أن دلفت إلى الفراش حتى قررت أن تترك ضوء الحمام منيراً ، حتى لا تستيقظ وسط الظلام التام مرة ثانية فتعود إلى معايشة تلك الدقائق المرعبة حينما وجدته داخل الغرفة .

قطع عليها أفكارها طرق على الباب . " ساير ؟ افتحى الباب " .

كان بيك . كان يطرق الباب بهدوء حتى لا يخيفها ، لكن صوته كان حازماً .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ما الذى تريده ، يا بيك ؟ "

" أريدك أن تفتحى هذا الباب " .

فتحته بقدر ما تسمح سلسلة القفل ، وهى تنظر إليه عبر هذه الفرجة . " إننى غير مرتدية ملابسى كاملة " .

" أدخلينى " .

" لماذا ؟ "

كان مزاجه المتعكر منعكس على نبراته . ولم يكن ليحتمل حتى المجادلة ، وخاصة وهى لا تود أن ينتبه أحد لهذا الحوار . كان من الواضح أنها ليلة من ليالى دورى البولينج ، فموقف سيارات الفندق كان مزدحما ولديها العديد من الجيران .

فكت السلسلة ، فدلف إلى الغرفة ، وهو يغلق الباب فى عنف من خلفه . سقطت نظراته مباشرة عند نهاية ردائها القصير وساقيها العاريتين . عقدت ذراعيها أمامها ، بطريقة جعلته يبتعد بنظراته عنها .

" على خلفية ما حدث هذا الصباح . . . فإنى أفضل أن ترتدى بعضا من ملابسك حتى ترتاح أعصابك " .

" أنت لن تمكث هنا طويلا . ما الذى تريده ؟ "

" كلارك دالى فى المستشفى " .

" مانا ؟ "

" إنه فى غرفة الطوارئ " .

قبضت على عنقها بيدها . " هل هو حادث آخر وقع فى المصنع ؟ "

" كلا . بل لقد تعرض للضرب " .

" ضرب ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ضرب مبرح . وحالته خطرة . ومدى خطورتها لم يتحدد بعد . فلديه جروح غائرة . وقد فقد بعضًا من أسنانه ، مع جرح غائر فى شفته ، وكدمة فى عينه ، وفتح فى الحاجب ، وشج فى رأسه ، وربما كسر فى الجمجمة . كما أنهم يشكون فى أنه يعانى من أضلاع مكسورة . وربما هناك نزيف داخلى . لقد تم أخذ صور بالأشعة لكامل جسده لأجل تحديد هذا " .

غطت فمها بيدها ، وهى تتنفس فى بطء وتجلس إلى حافة الفراش . " مـ . . من ؟ "

نظر إليها وهو يقول : " لم يتم التعرف على أحد تحديداً ، ولكن تردد أنك أنت المسئولة عما حدث " .

ازدردت لعابها فى صعوبة وهى تسأل : " ما الذى حدث ؟ "

" كنت بالمصنع هذه الليلة . تحسباً لأى مشكلة تحدث ، وكنت أرغب فى المبيت به " .

فبعد أن أتى عمال الوردية الليلية شعر بأن هناك خطراً ما أردف قائلاً : " عمل المرء لفترة طويلة بالمكان أكسبه حاسة التنبؤ بالخطر ... فيشعر بوجود أى خطأ . فقد هبطت إلى أرض المصنع وبدأت أطمئن بنفسى . لم يكن هناك من يود التحدث إلى . وخاصة وسط الأجواء التى وصلنا إليها الآن " .

" أنت الساعد الأيمن لـ " هَف " على كل حال " .

توترت عضلات فكه فى غضب ، لكنه لم يعلق على ملاحظتها .

" إلا أننى عرفت فى النهاية من أحد العمال بأن كلارك لم يحضر للعمل . فاتصل أحد أصدقائه بزوجته ، ليجدها وقد فزعت من علمها بهذا الأمر . وذكرت له بأن زوجها قد غادر المنزل منذ فترة متوجهاً إلى المصنع . وهو الأمر الذى أصاب زملاءه بالقلق ، فرغبوا فى ترك العمل للبحث عنه . فأمرتهم بأن يبقوا فى محلهم ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ولكننى طلبت من عاملين أن يأتوا معى للبحث عنه . وجدنا سيارته على جانب الطريق على مقربة من منزله . كان كلارك راقداً على أرض الطريق ووجهه منبطح على الأرض ، فاقداً للوعى . كانت حالته سيئة " .

نهضت ساير وهى تسير متعثرة تجاه خزانة الملابس . " سأخرج معك " . التقطت سروالاً جينز من الخزانة ، قبل أن ينتزعه بيك من يدها ويلقى به جانباً فى عنف . " لن تحب السيدة دالى وجودك هناك ، يا ساير " .

" لا يهمنى ما ... " .

" استمعى إلى ! " قبض على كتفيها فى قوة . " حينما وصلت لوسى دالى إلى المستشفى رأتنى حتى كادت تفتك بى . بينت لى بأنى شخص غير مرغوب فى وجوده وصرخت فى وجهى أن أبقى بعيداً عن زوجها .

كنت لأتوقع منها هذا لو كان كلارك قد أصيب أثناء عمله . تماماً كما كان رد فعل أليشيا بوليك . ولكننى صدمت وخاصة أننى من وجده وهرع به إلى قسم الطوارئ .

على أنه سرعان ما تبين لى أنه لم يكن ضحية اعتداء عشوائى . لا شىء من هذا القبيل . فهو قد لاقى ما لاقاه لأنك قد طلبت منه أن يتعرف على جواسيس هَف وأن يقود ثورة العمال " .

كانت أنفاسه تتلاحق فى سرعة ، وبالكاد يحاول أن يحتفظ بهدوء نبرته ، ومعها هدوء أعصابه . وكأنما أدرك مدى القوة التى يقبض بها على كتفيها ، فإنه قد تركهما فجأة . استدار بعيداً عنها وهو يمرر أصابعه عبر خصلات شعره ، ثم عاد ليلتفت إليها قائلاً : " أود أن أسمع منك نفياً لما قالته السيدة دالى ، يا ساير . قولى لى بأن هذا كذب " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ولكنها رفعت رأسها فى إباء قائلة : " أنت الذى أسميت ما يحدث هنا بالحرب " .

" إنها ليست حربك أنت . ما الذى تحاربين لأجله ؟ "

" هناك من لابد أن يحارب . لأجل ما يتم ارتكابه من مخالفات داخل ذلك المسبك . لابد من أن يصحح أحد هذه الأوضاع " .

" هل تعتقدين حقاً بأنك من سيفعل هذا ؟ هل تعتقدين أن من مصلحة أحد أن تقودى أنت بالذات تلك المسيرات ؟ "

" أنا أعتقد هذا " .

" فأنتِ مخطئة إذن . مخطئة تماماً " .

" سوف ألقى كلمة أمام هؤلاء العمال " .

صاح فيها : " إنك حتى لا تتحدثين لغتهم التى يفهمونها ... كان هذا جلياً أمام عينيك وأنتِ تتفقدين ذلك المصنع . إن رفع لافتة احتجاج لا يمكن أن يجعلك تشعرين بما يشعر به من ينفق طوال شهر نفس ما تدفعينه أنتِ لأجل حذاء ترتدينه .

قد تكونين محقة فى تعاطفك معهم ، يا ساير ، ولكنك مخطئة فى تفكيرك . فأنتِ لم تحوزى ثقة العمال وعائلاتهم . ليس حتى الآن . ولكنك الآن مجرد مصدر للقلاقل . فبسببك كاد يموت كلارك داى هذه الليلة ، بل أنتِ محظوظة لأنكِ لست من وجدناه ملقى على الطريق بدلاً منه " .

صدمتها اتهاماته ، ولكنها صدمت بمنطقية هذه الاتهامات أكثر ، فاستدارت بعيداً عنه ، وهى تحس بوطأة ما حدث بسببها . " آخر ما كنت أوده هو أن أجلب المزيد من المتاعب لـ " كلارك " .

" كان عليكِ أن تتركيه لحاله إذن . وهذه هى الرسالة التى جئت لإبلاغك بها " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

رفعت رأسها وهى تنظر إليه عبر المرآة . " ممن هذه الرسالة ؟ "

" لوسى دالى . وهى سيدة ذكية جداً . أحست بالأمر كله . وتوقعت أن تهرعى إلى المستشفى ، فسبقتكِ هى إلى هذا . وهى لا تريد منك أن تقتربى من ذلك المكان . وقد أخبرتنى عن زياراتك له وأرسلتنى إليكِ كى أخبرك بأن تعودى من حيث جئتى وأن تدعى زوجها وشأنه " .

" إنه تفكير زوجة غيور . فلست واقعةً فى غرام كلارك ، كل ما أحاوله هو أن أساعده " .

" وقد أتت محاولتك بثمارها . لقد وصفتك زوجته بالوباء الذى طال زوجها منذ فترة طويلة لم يمكنه أن يبرأ خلالها منه " .

ربما كانت تمثل من وجهة نظر لوسى دالى وباءً عانى منه كلارك فترة طويلة . وهو وصف جارح صادم . كانت تود أن تدافع عن نفسها ولكن كبرياءها منعتها من هذا .

وجدت نفسها تسأل بيك بدلاً من ذلك : " أتعرف من فعلها ؟ "

" بوسعى أن أخمن " .

" ولكنك لن تلقى القبض عليهم ، أليس كذلك ؟ فهم أوغاد هَف . وأنت زعيمهم " .

" سأوجه إليكِ نصيحة يا ساير وأنا متأكد من أنكِ ستتجاهلينها . عليك بالابتعاد عن هذه المظاهرات . فسرعان ما سيشتعل الغضب حينما يعرف الكل بما حدث لـ " كلارك " . ستكون هناك مواجهة من نوع ما ، وستجدين نفسك وسطها " . رمق الباب وهو يضيف : " أرى أنكِ على الأقل قد بدأت فى استخدام القفل من الداخل " .

" لن أنسى هذا أبداً بعد ما حدث هذا الصباح " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

اقترب منها فى هدوء : " هل آذاكِ ، يا ساير ؟ "

" لقد أخبرتك بأ . . . " .

" أعلم أنكِ قد أخبرتنا . ولكنى أعلم كذلك بأنكِ أخفيت بعض الأشياء . هل لمس جسدك ؟ "

هزت رأسها نافية ، ولكنها لم تستطع أن تحتمل أكثر من هذا ، فاغرورقت عيناها بالدموع : " ليس كثيراً " .

" ما الذى يعنيه هذا ؟ "

" لقد . . . لقد تفوه ببعض الألفاظ القبيحة ، ولكنه لم ينفذ شيئاً منها " .

حاول أن يحتضنها ، لكنها أبعدته بيدها فى حزم وهى تهز رأسها : " إننى بخير . وعليكِ أن ترحل الآن " .

أومأ برأسه قائلاً : " حسناً . . . لقد أتيت فقط كى أعرفك بما حدث لـ " دالى " وأوصل إليكِ رغبات زوجته بأن تبتعدى عنه . ولكنى سأطرح عليكِ سؤالاً واحداً قبل أن أرحل ، يا ساير . ما الذى يقحمك فى كل هذا ؟ "

" لقد أخبرتك بأسبابى الليلة الماضية " .

" هذا لأن ضميرك يعذبك لعدم الرد على مكالمات دانى . وكذلك الغموض المحيط بـ " إيفيرسون " . ولأجل تحسين وضعية العمل داخل المسبك . أنا أعلم كل هذه الأسباب التى قلتها " .

سألته فى حزم : " فما الذى تريده إذن ؟ "

" هل تلك هى الأسباب الحقيقية ؟ أنا لا أرى هذا . فهناك سبب واحد فقط وراء كل قرار تتخذينه وكل تصرف تتصرفينه " .

فتح الباب وخطا خارجه ، ثم التفت إليها قائلاً : " هَف " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ساير ! هل أنتِ بمفردك ؟ يا إلهي ، ما الذى يدفعك يا ابنتى لأن تقودى سيارتك وحدك فى هذا الوقت من الليل ؟ "

" أتمنى ألا أكون قد أقلقتك يا سيلما " .

أدخلت ساير إلى المنزل وهى ترد : " ماذا لو كان ذلك القذر واتكينز فى أثرك ؟ "

" أعتقد بأنه قد وصل إلى تكساس الآن ، فى طريقه إلى المكسيك . هل كريس موجود ؟ "

" لقد غادر المنزل بعد العشاء ولم يعد بعد . هل تريدين منى أن أتصل به ؟ "

" بل لقد أتيت لأجل مقابلة هَف . هل لا يزال مستيقظاً ؟ "

" هو بغرفته ، ولكننى سمعت أصوات خطواته بأعلى ، فلا أعتقد أنه قد نام بعد " .

" كيف حاله ؟ هل تعافى الآن ؟ "

" لا يمكننى أن أجد فارقاً عما كان عليه قبل النوبة القلبية . ولكننى أحرص على أن يتناول دواء ضغط الدم . فمع كل ما حدث منذ وفاة دانى يبدو لى من العجب أن الدم لم ينفجر من عروقه " .

ربتت ساير على يدها : " لطالما أوليتنا رعايتك ، يا سيلما ، وأنا ممتنة لهذا . عليك بالعودة إلى غرفتك . وسوف أخرج بنفسى من هنا بعد أن ألتقيه " .

قطع الصمت صوت خطوات مديرة المنزل وهى تعود إلى جناحها بالقرب من المطبخ .

لقد قررت ساير بعد أن سمعت ما قاله بيك وهو يغادرها أن ترتدى ملابسها فى عجالة وتقود سيارتها سريعاً لتصل إلى هنا . ولكنها الآن تجد نفسها مترددة . تمنت لو أنها قد طلبت من سيلما أن تخبر هَف بوجودها ليحضر هو إليها . فلم يعد هذا بمنزلها ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

منزلها الذى عرفته . فوجودها هنا فى منتصف الليل ، وهى تصعد الدرج خلسة ، يجعلها تبدو أشبه باللص .

كان الصمت مقلقاً . فالدرج معتم لدرجة أنها لا ترى موضع قدمها عليه . وهى لم تصعده منذ عشر سنوات مضت . كانت آخر مرة وهى تهبطه حاملة حقيبتها ، وهى تغادر المكان للأبد ، أو هكذا ظنت وقتها . لم تكن تعى وقتها ما تخبئه لها الأقدار ولكنها قررت أن تمتلك زمام المبادرة .

وهى الآن على نفس هذا القدر من التردد وهى تضع قدمها على الدرج بثبات . سرعان ما صعدت الدرج فى سهولة ، ولكنها توقفت لتلقى نظرة على بورتريه والدتها ، شعرت بالحنين . أهذا الحنين لأجلها هى التى تبتسم إليها عبر هذه اللوحة ، أم أنها تفتقر إلى الأم ، إلى الحنان والنصيحة والحب غير المشروط ؟

كانت الردهة بأعلى مضاءة بمصباحين صغيرين على الجدار . تكتم أصوات خطواتها سجادة الممشى التى كانت تمد من بين القطع الغالية لدى لوريل . كانت قد ورثتها عن المنزل الريفى لجدتها الكبرى .

كان الباب المفضى إلى غرفة دانى مغلقاً . ترددت ولكنها تجاوزته من دون أن تفتحه ، وهى تشعر بأن الدخول إلى غرفته سيكون انتهاكا لشخصه ، أشبه بالولوج إلى داخل قبره . فقد كان من السابق لأوانه أن يدخل إلى هناك أحد .

أما باب غرفة كريس فكان مواربا . فقد أخبرتها سيلما بأنه قد عاد للعيش بالمنزل ، فى غرفته القديمة ، بعد أن استقرت مارى بيث فى المكسيك . كانت سيلما قد قالت : " لقد عدلنا فيها قليلا مقارنة بما كانت عليه قبل أن يتزوج " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ألقت ساير نظرة على الغرفة ، فوجدت نفسها تعجب بجمال ديكوراتها . كان الأثاث فخماً ولكنه ليس مبتذلاً . ألوانه محايدة . كان يوحي بأن صاحب الغرفة رجل ، تماماً كما كانت ستفعله لو أنها من تولت الديكور .

كان الضوء يتبدى من أسفل باب غرفة نوم هَف . وقبل أن تتراجع ، قامت بالطرق مرتين على الباب . فتح الباب على الفور ، ليقفا بغتةً في مواجهة بعضهما البعض .

أبعد السيجارة عن فمه وهو يتأمل ساير : " كنت أتوقع مجيء كريس أو بيك " .

" أريد التحدث معك " .

تجهم وجهه وهو يقول : " بل أنتِ تودين أن تفترسيني حياً " .

" هل أنت من أطلق كلابه على كلارك دالي ؟ "

أعاد سيجارته إلى فمه وهو يستدير إلى داخل الغرفة : " ادخلي . فهناك ما يتوجب أن نتحدث فيه آجلاً أو عاجلاً " .

تبعته إلى داخل الغرفة ، والتي كانت بدورها قد لاقت عناية مهندس ديكور . ففي أثناء حياة ساير هنا بقي الجناح الرئيسي كما هو وقت أن كانت والدتها لا تزال حية . ولكنها ترى الآن أن الستائر المزركشة التي فضلتها لوريل قد استبدلت بأخرى أحدث وذلك مع أغطية الفراش أيضاً .

أشار لها هَف نحو طاولة صغيرة قائلاً : " صبي لنفسكِ شراباً " .

" لست أريد شراباً ، بل أريد جواباً عن سؤالي . هل أنت من أمر بضرب كلارك ؟ "

" لم أكن أعلم أن ذلك الشخص هو كلارك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ولكنك سمحت لأوغادك بالاعتداء عليه " .

جلس إلى مقعد وثير وهو ينفث بعمق دخان سيجارته حتى تحولت مقدمتها إلى لهيب أحمر . " لدى من يدينون لى بالولاء . طلبت منهم أن يوقفوا أى أحاديث عن الإضراب ، ولم أحدد لهم الوسيلة " .

أشار نحوها بسيجارته وهو يضيف : " لن أسمح لرجال يتقاضون منى أجراً أن يقفوا ليعتصموا ضدى . فلو أرادوا الانضمام إلى من هم أمثال نيلسون فلا بأس . ولكن عليهم أولاً أن يتركوا العمل عندى " ، قال العبارة الأخيرة بصوتٍ عال .

" لقد كادوا يقتلونه " .

" لكن هذا لم يحدث ، وقد علمت بأنه سيتعافى " . أطفأ سيجارته وهو يتابع : " ولقد فوجئت صراحةً بأن كلارك دالى كان شجاعاً لدرجة أن يكون هو الشخص الذى يحث على الإضراب " .

" لم يكن ليصبح شجاعاً . . . . لولا أننى من قام بتشجيعه على هذا " .

بدا مصدوماً من هذه المعلومة . ولكنه سرعان ما بدأ يضحك ساخراً : " تبا لى . كان على أن أخمن هذا . فليست لدى كلارك دالى الشجاعة لأن يتولى مهمة كهذه من تلقاء نفسه . فلقد وصل إلى الهاوية منذ سنوات " .

" هذا ما ظننته ، يا هَف . إلا أنك كنت مخطئاً . فلقد كان كلارك زعيماً . ولكنك قهرته ، وحرمته من منحته الدراسية ، وبالتالى من أية فرصة للتعليم الجامعى . ففقد الأمل والثقة فى النفس " .

" أوه ... يا إلهى ... ألم تملى هذا الكلام حتى الآن ؟ فلقد جلب هذا الفتى كل ذلك إلى نفسه " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لم يعد فتى الآن ، يا هَف . بل أصبح رجلاً . وقد أثبت مجدداً بأن الزعامة طبع فيه " .

" بالفعل ، فقد كان بوسعه أن يقودك خلفه إلى كل ملهى فى هذه الناحية " .

" لقد أنصت العمال له ، يا هَف . لقد قال لى بيك إن الموالين لكلارك كانوا مستعدين لترك العمل هذه الليلة والبحث عنه . وهو ما لا يحدث سوى مع شخص يستمد منه الآخرون الثقة فى أنفسهم " .

نهض هَف عن مقعده فى غضب : " وما الذى ألهمك إياه كلارك دالى بخلاف أن تتمردى على ؟ "

" لقد كنت فى الثامنة عشرة وقتها . ولم نكن نحتاج إلى موافقتك كى نتزوج " .

توجه صوب المنضدة وصب لنفسه الشراب فى كأس ، ثم جرعه دفعة واحدة . " لحسن الحظ أنى قد علمت بأمر تخطيطك للفرار فأوقفتك عند حدك " .

" بالفعل . لقد تألقت فى هذا ، يا هَف . طاردتنا كالمجرمين ثم هددت بطرد والد كلارك من العمل لو أتممنا الزواج . لقد أرهبت والديه ، وأرهبتنى أنا وكلارك . كان هذا كرماً منك " .

قال بنبرة عالية : " هل كنت تفضلين أن أقتله ؟ كان من حقى أن أقتله " .

" حقك ؟ أى حق ؟ "

" لقد تحداني ذلك الفتى . وقد استحق الـ ... " .

" هذا لم يحدث ، يا هَف ! بل كان يحبنى فقط " .

" لم يكن مناسباً لك " .

" هذا هو رأيك الأنانى والذى يخدم مصلحتك أنت فقط " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أن يكون فتى أحلام الفتيات شيء ، وأن تتزوجى منه شيء آخر . فقد كنتى بحاجة إلى شخص ينتمى إلى عائلة تناظر عائلتنا " .

ضحكت ضحكة مريرة وهى تعود برأسها إلى الوراء : " لا توجد عائلة تناظر عائلتنا ، يا هَف " .

" لا تتلاعبى بالكلمات ، يا ساير . فأنت تعرفين جيداً ما أقصده ... كنت بحاجة إلى الزواج من عائلة ذات صيت وغنى ... لا من عائلة يعتمد أفرادها على رواتبهم الشهرية فى الحياة " .

" هذا هراء . كانت حجة كى تبعدنى عن كلارك ، وهى تبدو لى الآن مجرد هراء أيضاً . فلم تكن تنظر إلى المال ، يا هَف . فأنت لم ترغب فى كلارك لكونه لم يكن من اختيارك أنت " .

رد ساخطاً وهو يباعد بين ذراعيه : " لقد مللت من تلقى اللوم عن كل فعل أقوم به . . . فما الذى اقترفته سوى الحرص على مصلحة أولادى ؟ "

قالت بنفس نبرة صوته : " كلا . بل كنت تريد مصلحتك أنت . وبالطريقة التى تحددها أنت . ولم تكن لتسمح بأن يتمرد أحد على المسار الذى حددته له " . تنهدت وهى تضيف بعدها فى صوت خافت ملىء بالشجن : " عندها كنت لا تتوانى عن تدميره " .

رمقها فى غضب وهو يصب لنفسه كأساً أخرى . عاد بها إلى المقعد ، حيث أشعل سيجارة جديدة . كان يتنفس بصعوبة . كانت تشم عبق الشراب وهو ينفثه مع أنفاسه عبر المسافة التى تفصل بينهما .

" بوسعك أن تصيحى فى كما تشائين . تذمرى واعترضى كما يحلو لكِ ، ولكنك لن تنالى منى اعتذارا . حينما كنت صبيا ، بهذا الطول يا ساير " ، قالها وهو يرفع يده فوق الأرض بقليل . .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أقسمت بأن أكون أساساً لعائلة تعلى من شأن اسم هويل . حتى يأتى زمن لا يمكن فيه لأحد أن يستهين أو ينسى اسم هويل " . كان يهز يده بالسيجارة أمامها . " ولم يكن لعائلة كهذه أن لكون لها ابن لقيط من كلارك دالى " .

ردت فى غضب : " لذا قررت أن تنتزعه من رحمى " .

" بل فعلت ما كان سيفعله أى أب ذى ... " .

" كل أب ليس بداخله ذرة رحمة " .

" أب رأى ابنته تنهار . . . . " .

" هكذا قررت أن تجهضنى ! " قطعت مساحة الغرفة فى ثلاث خطوات ، لتلكمه بكل ما فى وسعها فى وجهه .

سقط جاثياً على قدميه . وسقطت الكأس من يده لتتدحرج على السجادة . ألقى بسيجارته وهو يكور قبضتيه ، رافعاً إياهما فى تهديد .

" هيا ، يا هَف ، رد اللكمة . لقد لطمتنى على وجهى فى تلك الليلة التى جزرتنى فيها من مكتبك ، وأنا أحاول التملص منك وأتوسل إليك ألا تفعلها . أتعلم بأن آثار تشبث كعب حذائى لا تزال ظاهرة على أرضية ذلك المكان ؟ اذهب لتراها . فهى دليل على مدى تغلغل الشر بداخلك .

" لما لم تستطع أن تدخلنى السيارة ، لكمتنى ففقدت الوعى . لأستيقظ داخل حجرة الدكتور كارو . قدماى مقيدتان ، وذراعاى مربوطتان إلى الطاولة " . مدت ذراعيها وهى تكاد تشعر من جديد بأثر ذلك القيد .

انتبهت إلى أن وجهها قد بللته الدموع . " فقام ذلك الوغد المفن بإخراج ابنى من أحشائى بمبضعه . فكم دفعت له لأجل قتل

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تلك الحياة الجميلة ، يا هَف ؟ كم كلفك أن تثبت تسيدك على حياتي ؟ "

كانت تنتحب الآن وسط كلماتها ، ولكنها تابعت : " لقد تم وضعه في جوال بلاستيكي وألقي به مع القمامة ... آه ... ولدي " . كانت تلطم بيديها على صدرها وهي تصرخ .

ساد الغرفة صمت القبور بعد كل هذا الصخب ، فيما عدا دقات الساعة على منضدة فراش يا هَف . مسحت الدموع عن وجهها وهي ترجع شعرها إلى الخلف .

" لقد لاحظت مؤخراً أنك الدافع وراء كل شيء أقوم به . وهذا صحيح . فلقد زادت كراهيتي لك خلال فترة الاكتئاب وزيجتين لم يكن لي يد فيهما . وأنا وإلى هذه اللحظة على نفس القدر من كراهيتي لك لما فعلته بي تلك الليلة " .

ضحكت ضحكة قصيرة وهي تضيف : " لكن ... لكن الدعابة تكمن فيك أنت ، هَف . أنت وطموحك اللعين هذا . أما عن رأيي فيما تخطط له لي لأجل الزواج من بيك ، فأنا أعتبرها دعابة . دعابة لاذعة . ولا جدوى منها . فعليك أن تعلم أن ما قام به صديقك الأخرق دكتور كارو حينما انتزع ولدي قد أدى إلى ضياع أية فرصة لأن أحظى بولد في المستقبل " .

تراجع في دهشة وهو يقول : " ماذا ؟ "

" هذا صحيح ، يا هَف . لن يكون بوسعي أن أخلد اسم هويل اللعين ، والفضل لك أنت " .

استدارت وخرجت من الغرفة في سرعة ، حينما وجدت بيك واقفاً في الردهة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثلاثون

تلجلجت ساير حينما رأته ، ولكنها مشت بهدوء بدون أن تنبس ببنت شفه عبر الردهة حتى اختفت فى ظلام مهبط الدرج . وبعد ثوان سمع بيك صوت باب المنزل الأمامى يغلق .

لم يحاول أن يتبعها . فلم تكن ستسعد بهذا . فهى تربط دوماً بينه وبين هَف ، وهو الآن قد فهم سبب هذه العداوة .

طرق باب غرفة النوم طرقة واحدة . " هذا أنا يا هَف " .

كان هَف جالساً ، ولكن بيك يعتقد بأنه قد جلس هناك من دون وعى منه . كان يجلس إلى حافة المقعد ، يحدق إلى الأرضية ، شارداً عن السيجارة التى كانت قد صنعت الآن ثقباً فى السجادة على بعد بوصات من قدميه .

التقطها بيك وأطفأها فى المطفأة على الطاولة قرب مقعد هَف .

انتبه له هَف للمرة الأولى . " بيك . منذ متى وأنت هنا ؟ "

" فترة لا بأس بها " .

" هل سمعت ما قالته ساير ؟ "

أومأ برأسه قائلاً : " هل أنت بخير ؟ فوجهك محمر " .

" أنا بخير . هى لم تقتلنى بعد " . قالها ساخطاً وهو ينظر إلى الشراب المسكوب ، " أحتاج إلى شراب آخر " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

صب بيك له كأساً من الماء وأحضره إليه . " اشرب الماء أولاً " .

كان هَف يحتاج إلى الشراب أكثر ولكنه أفرغ الكأس فى جوفه . ثم عاد بظهره إلى الوراء وهو يزفر زفرة حارة : " لقد كانت أربعاً وعشرين ساعة عصيبة . بدأت منذ الليلة الماضية بتلك المظاهرة أمام المسبك . إلى أن انتهت بعلمى الآن بأن ساير قد أصبحت عاقرًا " .

" أهذا ما يشغل بالك ؟ "

" ماذا ؟ "

جلس بيك إلى المقعد التركى الصغير قبالة هَف . " بالنظر إلى كل شىء تحدثتماه عنه . . . . أقصد ، وابنتك الوحيدة . . . . " .

نظر هَف إليه كأنما ينتظر منه أن يتوقف عن هذه اللعثمة ويتحدث بلا مواربة .

لو أن هَف لم يكن قد فهم مقصده الآن ، فإنه لن يفهمه أبداً .

" أنا لا أعلم ما أقوله . فالأمر شخصى بينك وبينها " .

" بالفعل . كان أمراً شخصياً بيننا منذ الليلة التى وقع فيها " .

" وقع فيها ؟ إنها لم تفقد وليدها بسبب حادث ما ، يا هَف . بل أنت من أجبرها على إجهاضه " .

رد فى فروغ صبر : " كانت مجرد صبية . . . لم أكن لأسمح لها أن تبنى عائلة مآلها الهلاك ، خاصة مع صبى مثل كلارك دالى . أنت تعلم سبب حرصها على أن تحمل منه ، أليس كذلك ؟ "

مع أن هَف لم يكن يتوقع منه رداً ، إلا أن بيك قال : " حتى تضمن أن تتزوج منه " .

" بالضبط . لذا فقد وضعت حداً لهذه اللعبة . وسرعان ما جبن والداه بعد أن وضعت وظيفة أبيه على المحك . أرسلا دالى لقضاء الصيف مع أقاربه فى تينيسى . وقد ظننت أن هذا البعد سينهى تلك العلاقة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لكن ساير تحدتنى . وفرت لتلتقى دالى فى إحدى عطلات نهاية الأسبوع ، ثم تبين بعد شهر من ذلك اللقاء أنها حامل ، بل وقد قالت لى إننى لن أستطيع الآن أن أمنع زواجها منه " .

" ولكنك استطعت " .

" بالفعل . لا طفل . ولا زواج " . طرقع أصابعه بقوة وهو يضيف : " تخلصت من المشكلتين فى ليلة واحدة " .

كانت عبارة مفزعة ، حتى أن بيك لم يستطع الرد عليها .

" ماذا عن دالى ؟ هل عرف بأمر ذلك الطفل ؟ "

" لا أعلم هذا . فأنا لم أسأل ساير ، وحتى ولو سألتها لما كانت ستجيبنى . فقد بقيت لأشهر دون أن تتحدث معى . كنت أظن أنها ستنسى الأمر مع الوقت " .

تذكر بيك ما ارتسم على وجهها من انكسار وهى تغادر غرفته . وبدا وكأن ما حدث لها قد حدث منذ أيام وليس سنوات .

قال فى هدوء : " لست أظن أنها ستنسى أبدا ، يا هَف " .

" ولا أنا أعتقد هذا الآن ، أليس كذلك ؟ فهى قد انضمت للمظاهرات الآن . تحمل لافتة تدينني . وهى التي حثت كلارك دالى على أن يفعل ما فعله . بل وأعلنتها هنا صراحة . وإن لم يتخل عن هذا ، فإننى سوف أنال منها ومنه " .

" سوف ينجو من هذه الحادثة . فلقد هاتفت المستشفى وأنا فى طريقى إلى هنا . لا توجد كسور فى الجمجمة ، ولكِنْ هناك أضلع مكسورة . كما أنهم ما زالوا غير متيقنين من وجود نزيف داخلى بعد ، ولكن هذا الشك يعد شيئا جيدا حتى الآن " .

مسح هَف بكفه على وجهه وهو يضحك فى كدر . " أعتقد أن هؤلاء الأولاد قد بالغوا هذه المرة " .

" بل كانت حركة حمقاء ، يا هَف " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

توقفت ضحكته بغتة . نظر إلى بيك نظرة نادراً ما يوجهها إليه ، فقد كانت حادة وغاضبة .

لكن بيك تابع فى هدوء : " لا تندهش منى . فأنت تدفع لى مقابل أن أقدم لك النصيحة . ولو كنت لا تقدر هذا النصح ، فعليك أن تستبدلنى بمحام آخر . أنا أريد أن أقول لك إن المبادرة بالعنف كانت خطوة سيئة . بل أنت من قلتها بنفسك الليلة الماضية " .

" لم أكن أعلم بأن الأمور سوف تخرج على نطاق السيطرة بهذه السرعة . ولم يكن من الممكن أن أقف مكتوف اليدين أمامها " .

" هجومك على أحد عمالك تصرف خاطىء . لم تجن منه سوى إثبات ما يقوله معارضوك وتمنحهم ما يمكن أن يستغلوه ضدك " .

تململ هَف فى مقعده فى سخط ونهض ليحضر لنفسه شراباً . " الجميع يريد أن ينال منى هذه الليلة " .

" أدرك أن وقت حضورى كان غير مناسب . هذا بعد أن تعرضت للتو لهجوم سافر ، فإن آخر ما تود سماعه منى هو أنك قد أسأت التعامل مع الموقف فى المصنع . ولكن هذا ما حدث ، يا هَف .

لقد حاولت أن أقنعك بأنك لن تستطيع حل مشاكل العمال الآن بالطريقة التى كنت تفعلها فى الماضى . فليس نيلسون بلين العريكة مثل إيفيرسون . وهو لن يتراجع " . توقف عمداً قبل أن يضيف : " كما أنك لن تستطيع إخفاءه من الوجود " .

استوعب هَف مقصده على الفور ، فالتفت إليه فى بطء ، وهو يحمل كأساً فارغة بيد وبعض مكعبات الثلج فى اليد الأخرى . بدا غير واعٍ لكونها تتحول إلى قطرات ماء تنساب من بين أصابعه على السجاد .

لم يجفل بيك من نظرات هَف . وقال : " أنا لن أطرح عليك أسئلة ، يا هَف ، لأننى لا أريد أن أعرف شيئاً . ولكننى سأكون

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

غبياً لو صدقت بأنك أنت وكريس لستما على صلة بأمر اختفاء جين إيفيرسون . فربما كان من الممكن أن تنهى تلك المشكلة مع عمالك بشيء من المكر أو الإقناع .

كما أن من الواضح أن كريس قد لعب دوراً ما . فلو لم تكن هناك أية صحة للاتهامات ضدكما من الناحية المنطقية ، لما كنتما قلقين من نتيجة تلك المحاكمة . ولما كنتما ستأمران مكجرو بأن يرشو أولئك المحلفين .

وبخلاف تلك الخدعة التى رسمتها مع كريس على ساير بمنزل مكجرو ، فإننا كلنا نعلم بأنه قد فعلها وأنه قد تلقى مكافأة كبيرة على فعلته تلك . وأياً كان مصير إيفيرسون ، فإنك وكريس قد أفلتما بفعلتكما . وكأنما التاريخ يعيد نفسه " .

" ما الذى تقصده ؟ "

" سونى هولمز " .

" هذا شيء مغاير تماماً " .

" أهو كذلك ، يا هَف ؟ إننى لم أعرف إلا مؤخراً بأن كريس كان بالمسبك ليلة مات هولمز " .

كتم هَف غيظه وهو يلقى قوالب الثلج فى النهاية داخل الكأس ، ثم عاد إلى طاولة الشراب لكى يصب الشراب . " لم يكن من المفترض أن يخبر أحداً بأنه قد كان هناك ليلتها . فلقد أقسم لى بأنه لن يقول شيئاً " .

لم يخبره بيك بأن ساير وليس كريس هى من أخبره بهذا . لكنه قال : " ما الذى رآه كريس تلك الليلة ؟ "

" جدال بينى وبين سونى " .

" ثم ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

رد هَف بصوتٍ عالٍ : " ثم لا شيء . هذا هو كل شيء . كانت مشاجرة بيني وبين الرجُل " .

" مشاجرة حادة " .

" كل المشاجرات حادة . وكلانا نال من الآخر . ولكنني عدت للمنزل مع كريس . وبعدها علمت بأن سوني قد لقي مصرعه في حادث " .

" يالها من مصادفة مروعة " .

" بالفعل كانت . ما الداعي إلى تذكر هذا الآن ؟ "

" كنت أريد أن أبين رأيًا ما " . نهض بيك ودار حول المقعد الصغير ليعود ليلتفت إلى هَف قائلاً : " فقد أصبح معروفاً عنك أنك تحل مشاكل عمالك بقوة ووحشية . بالعنف . وذلك أسلوب يشبه استخدام الطبيب للبتر لأجل علاج المريض " .

جرع هَف من كأسه . " حسنًا . ربما أكون قد لويت عنق القانون وتجاوزت بعض الحدود ، ولكنني لم أتردد أبداً عن فعل ما هو ضروري لأجل حماية نفسي ، وعائلتي ، وأعمالي . فلابد أن تكون قاسياً لو أردت أن تصل إلى القمة .

كريس يفهم هذا . أما داني فلم يفهمه أبداً ، وكذلك ساير . لقد حولت مسبكاً متواضعاً إلى كيان صناعي هائل " ، قالها وهو يقبض على أصابعه ، " هل تظن أن هذا كان يمكن أن يتحقق لو كنت لين العريكة ، مطيعاً لمطالب النقابات العمالية موافقاً عليها ؟ سحقاً !

بل كنت أضرب وقتما يكون هذا مطلوباً ، وسأظل أضرب بيد من حديد طالما كنت حياً . لن يستطيع أحد أن يوقفني . لا تشارلز نيلسون ، ولا حتى الهيئات الحكومية . فلن يتحول مصنعي إلى حلبة للنقابات إلا على جثتي " . أنهى كلامه وهو يصرخ بآخر ثلاث كلمات منه مؤكداً كل حرف فيها وهو يشير إليه بسبابته .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فقال بيك بهدوء : " دعنا نتحاش الجثث قدر ما استطعنا " .

هدأ هذا التعليق الساخر من توتر هَف . بل إنه ضحك وهو يقول : " بل سأفضل هذا . وبالأخص لو كانت جثتي أنا " .

" اجلس الآن وهدئ أعصابك " . ما أن جلس هَف مرة أخرى إلى مقعده وزال بعضاً من توتر أعصابه ، حتى قال بيك : " أرجوك يا هَف ألا ترتكب أية مبادرات عنيفة قبل حتى أن أحاول التفاوض حول حل سلمي لهذه الأزمة . ربما أمكن لعائلة بوليك أن يتراجعوا عن رفع الدعوى لو أننا قدمنا لهم تسوية مالية جيدة " .

" وما مدى هذه التسوية ؟ "

" بما يكفي لإقناعهما ، وليس للدرجة التي ستؤثر بحدة على وضعك المالي . كما أنني أستحثك بشدة على أن تغلق الناقل الذي تسبب في إصابة بيلي " .

" لقد تم إصلاحه وهو يعمل بشكل جيد الآن " .

" تم إصلاحه ، ولكن من دون الصيانة الشاملة التي يحتاج إليها ... فما هو إلا كارثة تنتظر أن تحدث . هل ترى أننا يمكن أن نحتمل حادثا آخر ؟ "

قال هَف : " لقد أعطى جورج الضوء الأخضر لتشغيل الناقل . وكذلك كريس . وهذا هو اختصاصهما ، يا بيك . عليك أنت أن تركز على أن نتفادى الدعوى القضائية " .

لم يشأ بيك أن يجادله أكثر على الرغم من امتعاضه . " من الأفضل أن أرحل قبل أن تأتي سيلما إلى هنا فتطردني بسبب سهرك حتى هذا الوقت " .

" هل ستعود إلى منزلك ؟ "

" في الحقيقة أنني سأبيت في مكتبي هذه الليلة . فيجب أن يبقى أحدنا هناك في حال حدوث مشكلة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أين كريس ؟ "

" ليس عليه أن يعتمد علىّ كثيراً بعد الآن . فلم أعد محاميه " .

" لقد تحدثت مع ريد كى يعفيه من الحبس طيلة عطلة نهاية الأسبوع " .

" كانت هذه هى آخر مهمة رسمية لى معه " .

" هكذا قيل لى . وأنا لست مرتاحاً لأمر ذلك المحامى الجديد " .

" أرى أن هذا هو التصرف السليم . فأنا مشغول الآن تماماً فى أزمة المصنع هذه " .

" هل ذلك المحامى الذى وكله كريس جيد ؟ "

" لقد سألت عنه اليوم عبر عدد من المكالمات . فعلمت أنه يتصف بحب الربا والطموح وتضخم الذات ومكروه من كثيرين . أى أنه محامى إجرام مثالى " .

ابتسم هَف بدهاء وقال فى سخرية : " نأمل ألا يحتاج إليه كريس . فذلك المحقق سكوت يحفر فى بئر جافة . بل إنه أصبح يعتمد على قصص الكتاب المقدس .... وعلى ما يقوله سلاب واتكينز ليس إلا " .

" لقد أخافها " . لم يدرك بيك أنه قد نطق أفكاره بصوت مسموع إلا بعد أن رأى هَف ينظر إليه باستغراب . " ساير " .

" بالفعل . فقد عرفت أن واتكينز قد اقتحم عليها غرفتها بالفندق . وهى من وضعت نفسها فى هذا المأزق ببقائها فى ذلك الفندق الحقير " .

" لقد أثر فيها ما حدث بشدة . وأنا لا أظن أنها قد أخبرتنا بكل ما قاله أو فعله " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لكن عقل هَف كان في وادٍ آخر ، فلم يكن يفكر في سلامة سايرِ . فقال في سخرية : " يبدو لي أنك قد أفلت من الارتباط بها ، يا بيك . هذا بعد أن تبين لي أنها عاقر . . . وها قد عاد الضغط على كريس كي يعمل على أن يكون أباً لحفيد لي . فهو رهاني الوحيد الآن " .

" استيقظ " .

فتح بيك إحدى عينيه ليرى وجه كريس يبتسم له وهو واقف جواره . نهض ليجلس رغم إرهاقه الشديد . " كم الساعة الآن ؟ "

قال كريس : " تقترب من السابعة . هل بت ليلتك هنا ؟ "

وضع بيك قدميه على الأرض ونهض في ألم . " معظم الليل " .

علق كريس : " تبدو لي كخرقة بالية . أيؤلمك ظهرك ؟ "

نظر في حمد إلى كريس وهو يجيبه : " لقد نمت فوق أريكة لا تصل إلى ثلثي طولي . كأن هناك قطيعاً من الجاموس مر من فوق ظهري . . هذا ما أشعر به الآن . . . بينما أنت . . . . نشيط كالحصان " .

" لقد أمرني هَف بالحضور إلى هنا مبكراً . فذكرته بأن اليوم هو السبت وأنني هكذا سأذهب إلى العمل يوم العطلة ، لكنه كان عنيداً في طلبه . كان يريدنا أن نكون معاً هنا وقت تبديل الوردية . فها أنذا . مصاب بصداع ولكني قد نلت حمامي وحلقت ذقني ، وهو ما تحتاج إليه أنت الآن " .

" أمهلني خمس دقائق إذن " . سحب بيك بعض الملابس ومنشفة من خزانة مكتبه . ثم أضاف : " لقد جلبت هذه من المنزل منذ بضعة أيام في حال تطلب الأمر المبيت هنا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

غادرا مكتبه معاً متجهين نحو حمام الرجال ، والذى كان مجهزا بحوض للاستحمام . سأله بيك : " أين كنت الليلة الماضية ؟ "

" عدت إلى النادى فى بروكس . المكان هناك ممتع . عليك أن تصاحبنى إلى هناك فى المرة القادمة " .

" لو أنك تفكر فى ارتياد النوادى الليلية فلابد أنك لست مشغول البال " .

" بمانا ؟ "

" بالكثير . . . ومن بين ذلك هذا الإضراب المحتمل . ولو لم يكفك هذا فهناك ذلك التحقيق الجنائى والذى تمثل أنت فيه المشتبه فيه رقم واحد " .

" أخبرنى هَف بأنك ستتفاوض لأجل الخروج من أزمة الإضراب هذه . أما بالنسبة للتحقيق ، فقد حادثت المحامى الجديد ظهيرة الأمس . طالت المكالمة لمدة ساعة . أخبرته بكل شىء ، منذ يوم اكتشافنا لجثة دانى وحتى الآن " .

" قال إنه ليس هناك ما يدعوننى إلى القلق . فليس لديهم دليل يربط بينى وبين مسرح الجريمة سوى علبة ثقاب ، والجميع يعلم أنها قد تخص أى أحد " .

" كان هذا رأيى فى البداية أيضاً " .

نظر كريس إليه فى حدة . " ها أنت ذا أصبحت شخصاً متشككاً ومتحذلقاً . لقد أصبحت مملاً فى الآونة الأخيرة . وعلى كل فإنى أرى أن هذا المحامى سيخلصنا من ملاحقة واين سكوت إلى الأبد . هل هناك من جديد بشأن سلاب ؟ "

" لم يصلنى جديد عنه " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ذكر لى المحامى أن تلك القصة حول قابيل وهابيل ليست سوى مجرد محاولة يائسة من هارب بائس " .

" وأنا متفق معه " .

دلفا إلى الحمام معاً . توجه كريس إلى المبولة ، بينما وقف بيك عند الحوض وهو يتأمل وجهه فى المرآة . كانت عيناه حمراوين لقلة النوم . شعره أشعث ورقبته متورمة ، ولكن وجهه سليم ، وهو الأمر الذى يجعله يرثى الآن لحال كلارك دالى . سأل كريس إن كان قد عرف بما حدث لكلارك .

" كان هَف لا يزال مستيقظاً حينما عدت ليلة أمس . وقد أخبرنى بالواقعة " .

دلف بيك إلى حوض الاستحمام ، وأغلق بابه ، وبدأ يخلع عنه ملابسه . " لقد كادوا يقتلون دالى " .

قال كريس : " أنا أرى أنه قد نال ما يستحق . فكم من مرة تعرض فيها للخصم بسبب الحضور المتأخر ، أو الغياب ، أو المجىء إلى العمل فى حالة سكر ؟ عشرات المرات . لكننا كنا نتسامح معه دوما .

" وانظر كيف كافأنا على تغاضينا عن طرده من العمل ، فقد زرع بالمكان بذور التمرد . إننى لا يمكن أن أتعاطف أبداً مع أى شخص يقف بجانب تلك المظاهرات ، بما فى ذلك أختى " .

أخرج بيك رأسه من أسفل المياه لكى ينظر إلى كريس ، الذى كان يغسل يديه عند الحوض . فأكد له كريس كلامه وقبل أن تسأله عينا بيك الحمراوان قال : " نعم ، فهى بالخارج بالفعل . توزع القهوة والكعك . رأيتها مع هَف ونحن ندخل بالسيارة " .

" تبا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

صاح كريس وهو يخرج من الحمام : " سأذهب أنا لإحضار القهوة " .

أنهى بيك حمامه . اضطر إلى أن يحلق ذقنه مستخدماً صابون الحمام ولكنه كان قد تذكر أن يحضر فرشاة ومعجون أسنانه فى حقيبته الصغيرة . ارتدى ملابسه فى عجالة وما أن وصل إلى مكتبه حتى كانت صافرة الساعة السابعة تنطلق .

وقف بيك عند نافذة مكتبه يرقب المكان فى تحفز . سرعان ما انصرف العمال الذين انتهت ورديتهم . ولكن بضعة عمال فقط هم من جاءوا ليحلوا محلهم بعد مرور خمس دقائق من الموعد المفترض لبدء الوردية الجديدة . " تبا " . هكذا تمتم وهو يعلم دلالة هذا الذى يحدث .

التفت وهم بالخروج من المكتب حينما ظهر كريس عند مدخله . كان يحمل جهازاً لاسلكيا ، يحدث ضوضاءه المعتادة المزعجة . " لدينا مشكلة بالخارج " .

" هذا ما رأيته وتوقعته " .

" أخبرنى فريد ديكلويت أن بعض عمال الوردية قد انضموا إلى التجمع بالخارج ما أن خرجوا من ورديتهم " ، قال له كريس هذا وهما يهرعان عبر الردهة نحو مكتب هَف . " إنهم يستميلون العمال القادمين إلى الوردية الجديدة . وقد أصبح كلارك دالى رمزهم الآن " .

رغب بيك أن يسأله عن سايرِ ، لكنهما كانا قد وصلا إلى مكتب هَف . ما أن دلفا إلى المكان حتى التفت إليهم بعيداً عن وقفته عند الجدار الزجاجى المطل على أرضية المصنع ، كان صوته ساخطاً وهو يسألهما : " أين الجميع بحق الجحيم ؟ "

أوجز له كريس الموقف فى بضع جمل .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قال هَف : " عليكما أن تخرجا الآن . أريد أن ينتهي هذا الأمر . وأنا الآن سأتصل بريد ، وبعدها سألحق بكما بنفسي " .

رد كريس : " كلا . بل عليك أن تبقى هنا . فلقد أصبت بنوبة قلبية الأسبوع الماضي . والتوتر غير مطلوب الآن " .

صاح فيه : " تبًا لكل هذا . هذا مسبكي ومصنعي . فلن أمكث هنا كالعاجز وهناك من يهدد هذا المكان " .

قال كريس : " بوسعي أن أتولى هذا الأمر ، يا هَف " .

هنا قال بيك : " أنا أوافق كريس . ليس لأني أراك غير قادر على وضع حد لكل هذا ، ولكن لو تعاملت مع الأزمة بنفسك فسيتبين للجميع أن الأمر يقلقك . فعليك أن تنأى بنفسك عن هذا حتى لا تكسبه أهمية " .

ظلت الشراسة على وجه هَف ، ولكنه انصاع لرأيهما وقال : " تبا . فأنت على حق يا بيك . حسناً ، سأبقى لأدبر الأمور من هنا . أما أنتما فاذهبا ، ولكن أبلغاني بما يحدث أولاً بأول " .

غادرا في عجالة ، مفضلين الهبوط على الدرج بدلاً من انتظار المصعد . قال كريس وهو يلهث أثناء هبوط آخر مجموعة من الدرج : " من حسن الحظ أنه قد اقتنع بكلامك " .

رمقه بيك وهو يرد : " كان علي أن أقول شيئاً يبقيه بمكتبه " .

كانت بوابة الخروج المعدنية ساخنةً كالمقلاة . دفعها بيك بكل ثقله . سقطت أشعة الشمس المشرقة على عينيه مباشرة ككشاف قوي . وما كادت عيناه تعتادان على الضوء بالخارج حتى رأى زجاجة شراب في طريقها نحو رأسه مباشرة .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الحادى والثلاثون

كانت ساير تقف عند الغطاء المتحرك لسيارتها المستأجرة ، حيث إن بوابة الخروج من هذه النقطة تبدو واضحة تماماً للعيان ، حيث تمكنت من رؤية بيك ومن بعده كريس وهما يهرعان خارجها .

من الواضح أن الآخرين كانوا يتوقعون ظهورهما ، فما أن خرجا من البوابة حتى كانت زجاجة شراب تلقى عليهما . رآها بيك تقذف نحوهما فتحاشاها . وسرعان ما أختبأ هو وكريس خلف حاوية القمامة ، حيث كان فريد ديكلويت يتحدث عبر مكبر للصوت .

" نريد إخلاء هذه المنطقة فوراً . أى عامل بمصانع هويل لا يوقع بالحضور بتمام الساعة السابعة والنصف سيلقى خصماً لكامل أجر ورديته " .

لم يلق هذا الإنذار سوى الزمجرة من المتظاهرين الذين أرسلهم نيلسون وأولئك العمال وأهل البلدة الذين انضموا إليهم فى المنطقة خارج السور المحاط بالسلاسل . كانت أغلبية عمال المصانع ، وهم ما بين منضم إلى التظاهرة أو من يريد اللحاق بموعد الوردية ، محتجزين بين المعسكرين ، كانوا يحاولون أن يحسموا قرارهم .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان أحد رجال نيلسون يتحدث كذلك عبر مكبر للصوت ، وهو يستحث العمال على ألا يعودوا إلى العمل إلا بعد الموافقة على مطالبهم وبعد أن يتم توفيق أوضاع العمل بالداخل حسب تعليمات هيئة الأمن والسلامة المهنية .

" هل توفير معدات السلامة بالطلب المبالغ فيه ؟ "

انطلق زئير من يؤيدونه من حوله : " كلا ! "

قال فريد : " لقد أجرت مصانع هويل إصلاحات فى ... " .

لم يسمع أحد بقية هذه العبارة التى نطق بها فريد لتضيع وسط صيحات الاستهجان من المعترضين . فجذب أحدهم الميكروفون ليصرخ عبره : " إسألوا بيلى بوليك عن تلك الإصلاحات العقيمة " .

كان هذا كفيلاً لإطلاق العنان لمزيد من الصيحات والسباب . وما أن هدأت الموجة ، حتى تناول كريس مكبر الصوت من فريد ليقول عبره : " اسمعوا ، أيها الرجال ، إننا نقوم الآن بمنح تعويضات لعائلة بوليك " .

" تبا لأموالكم الملوثة بالدماء ! "

تابع كريس كلماته رغم صيحات السخرية منه : " كما أننا مستعدون لأن نصلح من بعض الأمور ، وأن ننصت إلى ... " .

صاح فيه أحد المتظاهرين : " تماما كما حدث مع كلارك دالى ؟ ... لا تتعبوا أنفسكم إنن " .

صاح كريس عبر مكبر الصوت : " ليس لنا أية علاقة بما حدث لكلارك دالى الليلة الماضية " .

" أنت كاذب ، يا هويل . تماماً كأبيك المجوز " .

راقبت ساير المحتج الذى يحمل مكبر الصوت وهو يستدير ليفتح باب سيارة ، ويمد يده لمن يجلس داخلها . كانت لوسى دالى .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تمتمت سايرز : " أوه ، يا إلهى " .

إن اندلاع العنف لم يكن حتى الآن سوى خطر محتمل ، ولم يتعد إلقاء تلك الزجاجة ناحية كريس وبيك . لكن حضور لوسى دالى وأى كان ما ستقوله كفيل بإيقاد شرارة العنف والدم . فنهضت سايرز فوق مؤخرة سيارتها وبدأت تخترق الحشد ، وهى تأمل فى أن تصل إلى زوجة كلارك لتثنيها عن المشاركة فيما يحدث .

لكنها للأسف رأت لوسى وهى تتناول مكبر الصوت الذى ناولها أحدهم إياه . لم يكن بمكبر صوت غالى الثمن ، بل ربما مجرد لعبة أطفال ، أو جزء ملحق بجهاز كاروكى ، لكنه كان كفيلا بتوصيل صوتها إلى الجميع .

" أنا هنا لأتحدث بالنيابة عن زوجى . فهو قد عجز عن الحديث هذا الصباح بعد أن امتلأ فمه بالفرز . لكنه مع هذا قد دون قائمة بأسماء يريد منى أن ألقيها على مسامعكم " .

بدأت تقرأ من قائمة معها ، وسط غضب يزداد من حولها . أخذ رجل يخف إلى جوار سايرز فى إطلاق صيحات الاستهجان بملء فمه .

صاحت سايرز تسأله بصوت تريد له أن يعلو فوق هذا الهرج من حولها : " من هم هؤلاء ؟ "

رد عليها بأعلى صوته : " إنهم كلاب هَف هويل " .

لقد عرف كلارك الجميع الآن بأسماء من قاموا بالاعتداء عليه . كانوا هم أغلب الرجال المختبئين خلف حاوية النفايات مع بيك وكريس وفريد . قام أحدهم بخطف المكبر من يد كريس ليصرخ عبره : " إنها عاهرة كاذبة ! "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

واصلت ساير اختراق الحشد كى تصل إلى لوسى دالى ، والتى كانت تعاود قراءة الأسماء ، ولكن بعد أن حسم العمال ترددهم وانضموا إلى المتظاهرين .

كانت كتلتهم تتنامى وتتخذ إرادتها من تلقاء نفسها ، مما صعب من مهمة ساير فى مجرد الوقوف وسطها ، دعك من محاولة اختراقها . كان حماس الحشد يضغط عليها من كل جانب .

سمعت أحدهم يصرخ قائلاً : " سوف تنال نصيبك أنت أيضاً ، يا ميرشانت " .

وقفت على أطراف أصابعها ، فرأت بيك يجتاز البوابة المسلسلة والتى كانت بمثابة الحد الفاصل بين الجمعين . كان قاصداً لوسى ، التى واصلت تكرار الأسماء بنبرة تصميم .

ما أن وصل بيك إلى القرب من المتظاهرين ، حتى توقف ، وهو ينظر مباشرة فى أعين الرجال الذين كانوا يشكلون حاجزاً بشريا . حل الصمت المطبق بغتة محل الصيحات ، فبدا جاثماً على الآذان مع حرارة الجو .

وقف بيك فى ثبات . وبدأ الرجال شيئاً فشيئاً يفسحون له طريقاً بينهم . بعضهم كان مترددا فى هذا ، لكنه وجد فى النهاية ممراً بينهم . ما أن كان يمر خطوات حتى يعود من مر عليهم إلى الوقوف فى أماكنهم السابقة ، هكذا حتى وجد لنفسه طريقا وسطهم .

ما أن وصل إلى لوسى دالى حتى أبعدت الميكروفون عن فمها وهى تنظر إليه فى عداء .

" إننى متفهم لأسباب غضبك " . كان يتحدث فى هدوء ولكن وقع كلماته كان قويا وسط صمت الحشد ورطوبة الجو من حوله . " ولو أن كلارك قد نجح فى التعرف على هؤلاء الذين اعتدوا عليه

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الليلة الماضية ، فسوف يتم توجيه الاتهام إليهم والتعامل معهم بشكل قانونى " .

" ما الذى يدعونى إلى تصديق هذا الكلام ؟ "

" أنا أعدك بهذا " .

صاح صوت من بين الحشد : " وعدك هذا لا يساوى شيئاً " .

صاح آخر وقد استمد الشجاعة ممن سبقه : " ما أنت إلا خادم لهف هويل ! "

" أجل ، فأنت لا تتحرك إلا بأمره " .

سرعان ما تزايدت الصيحات من حوله ، وقبل أن يحاول الرد عليها ، ألقى أحدهم بحجر وجد طريقه إلى وجهه . وهجم عليه رجل من الخلف ليلوى ذراعه خلف ظهره . بينما لكمه آخر فى معدته .

كانت ساير تعرف أن نجدته لن تتم سوى عن طريق واحد ، فنظرت ناحية حاوية النفايات لترى كريس والرجال معه يخرجون من ورائها .

صاحت وهى تحاول أن تعلوا بصوتها فوق هذه الضجة ولكن من دون جدوى : " كريس ! " صاحت مراراً وتكراراً ، وهى تلوح بيديها .

ثم رأت فريد ديكلويت يقترب ، وهو يتأهب للهرع على نجدة بيك .

لكن ذراع كريس أوقفته فى حزم . رأته ساير يهز رأسه وهو ينطق بشىء . فنظر فريد فى قلق ناحية البقعة التى التف فيها الرجال الغاضبون حول بيك ، ثم عاد فى تردد إلى مكانه جوار كريس .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

اندفعت إلى الأمام وهى تصرخ ساخطة من تصرف أخيها ، وهى تدفع كل من يقف فى طريقها جانبا . كانت هناك حلقة من الفضوليين قد تحلقت حول الرجال الذين كانوا قد ألقوا ببيك أرضا ، وهم يتناوبون على ركله .

" دعوه ! " جذبت قميص أقرب رجل إليها وهى تدفعه إلى الوراء . فالتفت إليها وهو يكور قبضتيه فى تحفز ، ولكنه سرعان ما تسمر فى مكانه حينما رآها .

جاهدت لتجد لنفسها طريقا حتى وصلت إلى رجلين يقفان أمام بيك المنبطح أرضا . صرخت وأحدهم يتأهب لتوجيه ركلة إليه : " توقف ! " . فتوقف الرجل وهو يلتفت إليها . فانتهزت الفرصة لتدفعه بعيدا وتنحنى نحو بيك .

كان وجهه غارقا بالدم والعرق ، ولكنه لم يفقد الوعى . نظرت نحو لوسى دالى قائلة : " أبعديهم . فهذا لن يحقق لهم شيئا " .

" لقد شفى هذا غليلى " .

استفزتها كلماتها ، فنهضت سريعا لتقف وجها لوجه أمامها : " هل سيشفى هذا غليل كلارك ؟ " ما أن لمحت التردد على وجه لوسى حتى بادرتها قائلة : " إن بيك هو من حمله إلى المستشفى الليلة الماضية " .

" لكنه واحد منهم " .

" أنا لست واحدة منهم " .

فردت لوسى ساخرة : " بالطبع " .

" ليس بوسعى أن أتبرأ من علاقة الدم ، يا لوسى . لكننى لست منهم ، كما أننى لا أظن أنك تعتقدين فعلا بأنى واحدة منهم " . تابعت كلامها حينما لم تجد اعتراضا منها : " إننى أعلم

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

سبب كراهيتك لى . بل وأتفهمه . لكننى أقسم لكِ بأننى لست نداً لكِ . كلارك زوجك . وهو يحبك ، وأنا أعلم أنكِ تحبينه .

يجب أن تجعلى لمحاولة الاعتداء عليه تأثيراً أكبر من مجرد رد على ما حدث فى الليلة الماضية . شىء أكبر من الرد على أمر حدث منذ زمن طويل ، يسبق حتى معرفته بكِ " .

ظلتا تحدقان فى بعضهما البعض ، ولاحظت ساير بوادر إذعان فى عينى المرأة . إلى أن قالت لوسى فى النهاية : " بالنسبة لهؤلاء الذين اعتدوا على كلارك ، هل علىّ أن أصدق ميرشانت فى وعده بأن يلقوا جزاءهم ؟ "

" ليس عليكِ أن تصدقيه هو . فأنا أعدك أيضاً بهذا " .

حدقت إليها لوسى لدقيقة ، ثم التفتت إلى الرجل الذى أعطاها الميكروفون . أومأت له فى خشونة . فابتعد الرجال من حول بيك بإشارة منه .

انحنت ساير إليه ثانيةً وهى تحاول أن ترفعه من تحت ذراعيه . " هل يمكنك النهوض ؟ "

" نعم . ولكن ببطء " .

لم تنجح فى إقناعه بالذهاب إلى المستشفى حيث قال لها : " لقد زرت غرفة الطوارئ تلك فى الآونة الأخيرة مرات أكثر من أن تحصى " . كان يجاهد من أجل أن يتكلم .

" من المؤكد أنه لديك أضلع مكسورة " .

" كلا ، فلو كنت مصاباً لأدركت هذا . فلقد كسر لى ضلعان من قبل ، بسبب كرة القدم . ليس الأمر بهذا السوء . أعيدينى إلى المنزل " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان يصر على أسنانه ويمسك بجانبه وهى تنعطف عن الطريق الرئيسى إلى طريق ضيق يقود إلى منزله . قال لها : " أرجو أن تغلقى البوابة الخارجية حينما ترحلين . . . حتى لا يتطفل أحد من وسائل الإعلام " .

لم تخطر إمكانية اهتمام وسائل الإعلام بأحداث هذا الصباح على بالها ، ولكنها بالفعل كفيلة بجذب أنظارهم . وسرعان ما سيلاحقون أيًا ممن لهم صلة بشركات هويل لأجل الظفر بأى تصريح . وبالطبع سيلاحقون نيلسون أيضاً .

لم توقف السيارة أمام المنزل ولكنها قادتها حتى المدخل الخلفى .

" ما الذى تفعلينه ؟ "

" لن يرى أحد سيارتى هنا " .

" أنزليني عند الباب ، يا ساير . ليس عليك أن تساعدينى على الدخول " .

" ربما ، ولكننى سأحملك إلى الداخل " ، قالتها وهى تخرج وتدور فى سرعة حول السيارة .

ساعدته على الخروج ، وصحبته فى بطء عبر الدرج الخلفى . سألها : " بما أنك هنا معى فأرجو أن تطعمى فريتو قبل أن تنصرفى " .

" بالطبع " .

رحب بهما الكلب بحماس شديد كان لابد أن تقمعه ساير فى هذه المرة . قالت فى حزم وهى تتذكر الأمر الذى صاح به بيك حتى يمسكته فى ذلك المطعم : " تلطف " . أطاعها الكلب ، ولكنه كان مطأطىء الرأس .

قال بيك : " آسف ... سوف ألهو معك فيما بعد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قالت وهى تساعد بيك للوصول إلى غرفة نومه : " سوف ألاعبه بعد أن أطمئن عليك " .

" ليس عليكِ أن تفعلى هذا " .

" بل على هذا . فقد كان ما حدث خطئى أنا " .

التفتت إليها قائلاً : " ولكنك لم تلقى بذلك الحجر فى وجهى ... أليس كذلك ؟ "

" كلا ، ولكننى كنت إلى جوار من فعلها . فأنت من حذرنى بأن المظاهرة ستنقلب إلى العنف وأن هناك من سيلحق بهم الأذى . ولم أستمع إلى تحذيرك " .

" لقد لاحظت فيك الإصرار على عادات سيئة " .

" أأنت متأكد من أن هذه الأضلاع ليست مكسورة ؟ "

" أجل " .

" بوسعى أن أضمدها " .

تأوه فى ألم . " أرجوك . لا تجعلينى أضحك " .

حينما وصلا إلى غرفة النوم ، أسندته حتى الفراش وسارعت بإبعاد الأغطية . ثم عادت لتساعده على الجلوس على حافة الفراش .

" هل بوسعك الجلوس حتى أضع بعض المطهر على جراح وجهك ؟ "

من الواضح أنه كان يتألم . كان العرق يتصبب على وجهه ، وشفتاه شاحبتان . " هناك علبة إسعافات أولية فى الحمام " .

بحثت فى العديد من الأدراج والخزانات الصغيرة حتى وجدت ضمادات طبية ولفافات قطنية ومطهراً وأقراص الإبوبروفين . وحينما عادت إلى غرفة النوم ، كان فريتو جالساً عند قدمى بيك ،

وهو يعوى فى تعاطف معه . كان بيك يربت على رأسه . " إنه قلق علىّ " .

" إنه أذكى منك . هل تلقيت أية لطمة على رأسك بخلاف الحجر ؟ "

" كلا " .

" هل حدث وأن فقدت الوعى ؟ هل أنت مصاب بدوخة الآن ؟ ما الذى تناولته على الإفطار ؟ "

" لم أتناول إفطارا " .

" والعشاء بالأمس ؟ "

" لست أعانى من ارتجاج بالمخ ، يا سايرز " .

" وكيف عرفت هذا ؟ "

" لأننى كنت أعانى يوماً من هذا من قبل " .

" كرة القدم ؟ "

" بل البيسبول . تلقيت ضربة على رأسى " .

" هل هذا هو ما تسبب فى صلابة رأسك هذه ؟ "

" اسمعى ، إننى لست أعانى من دوار . كما أننى لست أعانى من غثيان . كما أننى لم أفقد وعيى ... " . شعر برجفة مفاجئة فى جسده وهى تضع المطهر على خده .

قالت : " هذا الجرح يحتاج إلى خياطة " .

" كلا " .

مسحت الدم لتتبين أنه جرح طويل ولكنه ليس بالعميق .

" ولكننى أرى أنه يحتاج غرزا " .

" اطمئنى . كل ما أحتاج إليه هو أن أرقد لأريح جسدى قليلا " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فك أزرار قميصه ، ولكنه شعر بألم حينما حاول أن يخلعه عن جسده .

" دعنى أساعدك " . خلعت القميص فى حذر عن كتفيه . وساعدته فى بطء أن يسحب ذراعيه من الكمين ، ثم وقفت تدقق النظر لتتبين أية إصابات . كانت الكدمات من أثر الركل ظاهرة على بطنه . ولم يكن ظهره بأفضل حال .

همست : " حسناً ، يا بيك . لابد من إجراء فحص بأشعة إكس " .

قال وهو يتأوه محاولاً الحركة : " لأجل هذا ؟ " رقد وهو يسند رأسه على الوسادة : " إنها إصابات لا تذكر " .

" أرجوك دعنى أتصل بالإسعاف . سنتصل إلى المستشفى فى غضون خمس عشرة دقيقة " .

" يوسعى أن أنام فى غضون خمس عشرة ثانية لو أنكِ خرجتى من هنا . ولكن هل يمكنك أن تناوليني بعضاً من هذه الأقراص قبل أن ترحلى ؟ "

فتحت العبوة وأخرجت ثلاثة أقراص فى يدها . طلب منها قرصاً رابعاً فأخرجته . أسندت رأسه وهو يبتلع الأقراص بكأس من الماء أحضرته له .

أعاد رأسه إلى الوسادة وأغلق عينيه : " أرجو أن ترفعى سماعة الهاتف قبل أن ترحلى " .

" حسنا " .

" وضعى بعض الطعام الجاف فى وعاء فريتو وتأكدى من وضع الماء له . وأخرجيه ليقضى حاجته " .

" لا تقلق " .

" والبوابة . . . . " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لن أنساها " .

أغلقت الستائر حتى تعتم الغرفة وأدارت مروحة السقف . ثم انتظرت حتى تأكدت من أنه قد استغرق فى نوم عميق . فتوجهت نحو الباب وهى تشير إلى فريتو أن يتبعها .

لكنه ظل راقداً على الأرض أسفل الفراش ، وهو يسند رأسه على ساقيه ، ناظراً إليها بعينين منكسرتين .

خرجت من الغرفة وحدها فى هدوء .

عند الظهر ، استيقظ بيك من نوم متقلب فى نصف الساعة الأخيرة . حاول أن يركز أنظاره عليها وهو يقول : " ساير ؟ "

" لقد كنت تتأوه ألماً . أعتقد أن أثر المسكن قد زال " .

نظر إلى الساعة على منضدة الفراش " لماذا بقيت هنا ؟ "

" تناول ثلاثة أقراص أخرى " . أدخلتها فى فمه وناولته كأس الماء .

ابتلع الأقراص ثم سألها : " هل أتى أحد من وسائل الإعلام ؟ "

" لقد أتت عند الساعة الواحدة سيارة تابعة لقناة إخبارية من نيو أورليانز وتوقفت عند البوابة وخرج منها رجلان . ظلا يراقبان المنزل لبرهة من الوقت ، ثم عادا إلى السيارة وانصرفا " .

أغلق عينيه مجدداً ، وهو يومئ برأسه .

" لقد ورد ذكر ما حدث فى نشرة أخبار الظهيرة ، مع وعد بمزيد من التفاصيل لاحقاً . كما أصدر مكتب نيلسون بياناً . بين فيه أسفه على ما حدث من عنف ، مدعياً أن من ألحقوا بك الأذى كانوا من عمال هويل وليسوا من أتباعه " .

" إنه على حق . فقد تعرفت عليهم " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كما رن جرس هاتفك الخلوى عدة مرات . لم أرد على المكالمات ، ولكننى تعرفت على رقم هاتف مكتب نيلسون مرتين " .

" اتصلى بهم . وتعرفى على سبب اتصالهم بي . من فضلك " .

" حسنًا . كنت أعرف أن هَف سيكون قلقا عليك ، لذا فقد اتصلت به . وأخبرته بأنك بخير ، وأنك فى المنزل تتعافى ، وأننى سأطلق الرصاص على أى شخص يحاول أن يقترب من منزلك ، بمن فيهم هو " .

ابتسم وهو يقول : " أنا لا أشك فى قدرتك على فعل هذا . هل أتتك أية أخبار عن كريس ؟ "

" أود أن أقول لك يا بيك أن كريس ليس بصديقك " .

فتح عينيه فى تساؤل .

هزت رأسها فى بطء وهى تضيف فى هدوء : " ليس بصديقك " .

ظل ينظر إليها لبضع ثوانٍ ، قبل أن يسقط مرة أخرى فى نوم عميق .

اتصلت مرة أخرى بـ " هَف " عند السادسة والربع . وبعد رده الساخط ، قالت : " أنا ساير . لقد رأيت الأحداث فى نشرة أنباء السادسة " .

كانت أنفاسه مسموعة . تتخيله الآن يقبض على سماعة الهاتف بشدة . يدخن سيجارة فى غضب ، وعيناه سوداوان من الغيظ . " هل تتصلين الآن لأجل الشماتة ؟ "

" بل اتصلت لأجل بيك . فهو سيرغب فى معرفة رد فعلك حينما يستيقظ ليسألنى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

لم تصدق فى البداية ما كان يقوله مدير النشرة ، ولم تكن لتصدقه أبدا لو لم تكن لقطات الفيديو تصاحب هذا الكلام . فقد توجهت هيئة الأمان والسلامة المهنية لتدخل مصانع هويل بعد الظهر وتأمر بغلقها ، وتوقيف جميع الأعمال بالداخل ، حتى أعمال الشحن .

قال لها هَف مزمجراً : " أتعس يوم هو الذى يضطر فيه المرء إلى أن يرى أعماله وهى تتوقف بسبب حفنة من الموظفين الذين لم يبذلوا قطرة عرق طيلة حياتهم . . . . هل أنت المحرضة لحدوث ذلك ؟ "

" كلا . بل أنت . أنت من جلب هذا على نفسه ، يا هَف . لقد تلقيت الكثير من التحذيرات . فلو أنك قد أطعت الـ ... " .

" تقصدين لو أننى قد خنعت لهم " .

كانت تعلم أن الجدال معه لن يأتى بنتيجة . فهو لن يعترف بخطئه . كما أن مصانع هويل لن تعود إلى العمل حتى يتم تنفيذ تفتيش شامل لجميع أرجائها . كانت الهيئة تطالب بالاتباع الكامل لاشتراطاتها وما سينتج من توصيات بعد التفتيش ، بالإضافة إلى دفع كامل الغرامات الناتجة عن المخالفات . وهى كثيرة وباهظة .

سألته : " ما الذى تنتوى أن تفعله ؟ "

" أنا لن أخضع لهؤلاء الأوغاد . يجب أن يعلموا بأنى لا يمكن أن أسلم لهم مصنعى ليفعلوا به ما يشاءون " .

لقد ذكر متحدث باسم الهيئة أن " ما يشاءونه " يشتمل على تركيب فورى لفاتيح غلق أوتوماتيكى على كل ماكينة ، وأسوار حول الممرات ، وحماية كاملة للعمال ، ونظام تهوية يساعد على تحسين نقاء الهواء بالداخل .

" ما الذى تريدينى أن أبلغه لبيك حينما يستيقظ ؟ "

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

أبلغها بما يريد ، ثم أخذ يشهر برجال تلك الهيئة الفيدرالية . " إن أوغاد العاصمة ... هؤلاء الشماليين ... لا يدركون من يواجهون " .

" نعم ، أنا متأكدة من أنهم يعرفون من يواجهون ، يا هَف . لهذا السبب لا يلقون بالاً " .

" يبدو أنكِ تستمتعين بهذا ، أليس كذلك ؟ تجدين فيه نوعاً من الثأر " .

" ليس الثأر هو ما أبتغيه ، يا هَف " .

" لقد رفعت لافتة احتجاج فى وجه والدك . إن لم يكن هذا ثأراً ، فبماذا تسميه ؟ "

" لن يمكننى أن أصفك بالأب أبداً " .

أغلقت الخط قبل أن يرد على عبارتها .

" مرحباً ؟ "

ابتسم كريس وهو يتحدث إلى ليلى روبسون عبر الهاتف :

" لقد أجبرتكِ على الأقل أن تتحدثى معى عبر الهاتف " .

" مرحباً ، يا كريس " . كانت نبرة صوتها باردة كما كانت وقت أن تركته بسيارتها فى تلك النزهة الخلوية .

" هل أنت مشتاقة إلى ؟ " صمتت لفترة لم يسعها بعدها أن تجيبه بالنفى . قال : " لقد قلت لنفسى هذا بالفعل . لماذا لا آتى إليكِ لأسليك فى وحدتك هذه ؟ "

" أنا لا أريد أن أراك ثانيةً إلى أن تنتهى تحقيقات موت أخيك . هل تفهمنى ؟ فأنا لن أتورط فى هذا الأمر . وأنا مصممة على هذا ، يا كريس . ولو أنك أخبرت عمى ريد بأنى كنت معك تلك الظهيرة فـ ... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" فسوف يتم فصل جورج من عمله " .

كان بوسعه أن يسمع صوت أنفاسها المشدوهة عبر الهاتف . بل لقد ظن أنها تزدرد لعابها فى صعوبة وهى تسأله : " ماذا ؟ "

" مفتشو هيئة السلامة والأمان المهنى يبحثون عن المسئول . ومدير الأمان بالمصنع هو أول شخص يتبادر إلى أذهانهم ، ألا تتفقين معى فى هذا ؟ فلو أن جورج كان قد أتقن عمله ، لكان قد علم مسبقاً بأن ذلك الناقل بحاجة إلى إصلاح . كان من الممكن أن يضع لافتة تحذير حتى يتم إصلاح السير من قبل فنى الصيانة . وما كان بيلى بوليك سيفقد ذراعه ، وما كان نيلسون سيجمع رجاله ليحتجوا أمام المصنع ، وكان العمل سيستمر بدلاً مما قد تم من إغلاق وتوقيف للنشاط " .

صاحت فى دهشة : " لا يمكنك أن تلوم جورج . فأنتم لم ترغبوا أبداً فى أن يتم إغلاق أية ماكينة . وهو لا يفعل سوى ما يرضيكم أنتم " .

" أنت تقولين إذن بأنه شخص لا لزوم له . فلن نخسر الكثير برحيله " .

" كريس ، أرجوك " .

ابتسم وهو يستمع إلى نبرة التوسل فى صوتها فمدح ذكاءه الذى دفعه إلى هذه اللعبة : " سيكون فصل جورج من العمل خيارى الأخير ، يا ليلى . أما خيارى الأول فهو مساندته حينما يبدأ هؤلاء المفتشون فى التحقيق معه . فأنا أود أن أستبقيه فى منصبه . وبوسعك أن تضمنى له هذا " .

" كيف ؟ "

" بأن تأتى إلىّ صباح الاثنين ، فأنا أريدك أن تأتى إلى مكتب المأمور وتخبرى عمك ريد بأننى كنت معك ظهيرة الأحد الذى لقى

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فيه دانى مصرعه . سوف تضربين بهذا عصفورين بحجر واحد ، يا ليلى . سوف تؤدين واجبك كمواطنة تحترم القانون بأن تقولى الصدق لمثل القانون وتنقذى بريئاً من تهمة بالقتل . كما أنكِ ستحفظين لزوجك وظيفته .

فكما ترين ، لقد كنت أفكر فى المبلغ الذى كنت سأدفعه لذلك المحامى الجديد لكى أتفادى تهمة ليس لى يد فيها . فسألت نفسى لماذا يتوجب على أن أضيع الوقت والمال ، بينما كل ما على أن أفعله لكى أوقف كل هذا هو أن أقدم لهم حجة غيابى " .

صمت ، قبل أن يتابع : " أنا لن أسألكِ ثانية ، لأنى أعلم بأنكِ ستنفذين طلبى . وبالمناسبة ، وحتى أمل منكِ ، فإنى أود أن أنبه عليكِ بأن تأتى إلى وقتما أطلب منكِ ذلك ، وأنت فى كامل بهائك وتلهفك على مطارحتى الغرام . هل تفهمين هذا ؟ " . قالها وهو يحاول أن يذكرها بما كانت قد أنذرته به من قبل . " أنا من يحدد وقت انتهاء هذه العلاقة ، يا ليلى ، وليس أنتِ " .

راقب جورج ليلى وهى تغلق خط الهاتف اللاسلكى . ألقت به على منضدة المطبخ وهى تغطى فمها بيدها ، والحزن بادٍ عليها .

" ليلى ؟ "

استدارت إليه وعيناها متسعتان فى جزع . وضعت يدها على صدرها وهى تقول : " لم أشعر بك وأنت تدخل . فلقد ظننت أنك لن تأتى من المصنع الآن . هل هناك من تطورات جديدة ؟ "

" أخبرينى أنت " .

" ماذا ؟ "

أومأ تجاه الهاتف وهو يسأل : " كنتِ تتحدثين مع كريس ، أليس كذلك ؟ "

همت بالكلام ولكنها صمتت من دون أن تقول أى شىء . ثم أحنت رأسها وانقلب وجهها وهى تنخرط فى البكاء . " أوه ، يا جورج ، لقد تورطت فى بعض الأمور " .

هرع إليها جورج بأسرع ما تتيح له خطواته القصيرة ليحتضنها قائلا : " لا بأس يا حبيبتى ، لا بأس . ما الأمر ؟ "

أخبرته بكل شىء ، بدءا من المرة الأولى التى التقت فيها كريس . " كانت أول مرة داخل حمام السيدات بحجرة خلع الملابس فى النادى . أعتقد أن الإثارة كانت تكمن فى الخوف من الفضيحة . يبدو أنى قد فقدت عقلى ، هل تفهمنى ؟ "

كان بوسعه أن يفهمها . فهو يفقد عقله كلما نظر إليها .

لم تخف ليلى عنه شيئا . بل إن بعضه كان مؤلما لدرجه أن جورج قد تأوه ألما لسماعه ، لكنه استحثها على أن تواصل الحكى ، حتى وصل بها الطاف إلى المكالمة التى سمعها للتو .

" لو أننى لم أطاوعه فسوف تفقد منصبك . وقد عرفت من الأخبار بأن هناك تهما جنائية ستوجه إلى بعض مسئولى المصنع . وبالأخص أنت ، لو أن هويل ألقى باللوم عليك . عندها ستسجن " . عادت للبكاء ثانية . " أنا آسفة ، يا جورج . فهذا خطئى . أنا آسفة . . . هل سيبقى حبك لى ؟ "

حبها ؟ إنه يعشقها . فهى شمسه وقمره ، والهواء الذى يتنفسه . " أنا لا ألومك ، يا حبيبتى " ، كررها كثيرا وهو يحتضنها ويقبل شفتيها ، وعينيها الدامعتين ، ووجنتيها المبللتين بالدموع .

على أنها لن تذهب إلى مكتب المأمور يوم الاثنين . فهو لا يريد للبلدة كلها أن تعلم بأن كريس هويل على علاقة بزوجته . فلن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

يسعه أن يتحمل مهانة أن يعرف الكل بهذا ، فهناك بالفعل من ينظر إليه بازدراء شكاً فى وجود مثل تلك العلاقة .

كما أنه لا يلوم ليلى على هذه الخيانة . فقد كان عليها أن تعيش معه ، وهى معيشة لن تشبع أو ترضى امرأة مثلها ، مفعمة بالحيوية والإثارة . فقد وفر لها كريس المتعة التى يعجز هو عن توفيرها لها .

لكن اللوم يقع على كريس . وكريس وحده الذى سيلقى الجزاء الذى يستحقه .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثانى والثلاثون

استيقظت سايرا من إغفاءة خفيفة على صوت المياه فى حمام بيك . كانت راقدة على أريكة حجرة المعيشة ، لتريح جسدها ، وكان من الواضح أن النوم قد غلبها . نهضت حينما علمت بأنه قد استيقظ ، وتحسست طريقها عبر الظلام حتى المطبخ .

عندما وصلت إلى غرفة نومه حاملة صينية الطعام ، وجدته خارجاً من الحمام ، وقد لف منشفة حول وسطه ، وشعره مبلل .

سألته فى دهشة : " هل أخذت حماما ؟ "

" لقد استيقظت وسط بحر من العرق " .

نظرت إلى مروحة السقف ، التى كانت لا تزال تلف : " كان على أن أهدئ المروحة " .

" لم يكن لها علاقة بذلك . فقد كنت أحلم " .

وضعت الصينية على المقعد الصغير أمام الأريكة القابعة فى ركن الغرفة . " بماذا حلمت ؟ " التفتت ترمقه حينما لم يرد عليها .

" أنا لا أتذكره الآن " .

" ها أنت تقف على قدميك ، كيف حالك ؟ "

" لقد سكن الحمام الساخن الكثير من الآلام . لماذا لم تضيئى الأنوار ؟ "

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

" لقد أغلقت كل الستائر عند الغروب واستخدمت الشموع . فلن يلحظ أحد من الخارج أن هناك أحداً بالمنزل " .

أغلق أنوار الحمام وهو يقول : " تفكير صائب " .

أضاءت سايرِ الشمعة على الصينية التى كانت تحملها . " لقد أعددت لك العشاء ، حساء الطماطم ، مع الجبن والمقرمشات " .

" ما كان عليك أن تتعبى نفسك من أجلى ، ولكننى جائع بالفعل " .

أشارت له أن يجلس إلى الأريكة الصغيرة ، فجلس ، وهو يلملم المنشفة بين فخذيه ، ثم يضع الصينية على حجره . جلست إلى المقعد الصغير قبالته . التقط الملعقة وغمسها فى وعاء الحساء ، ولكنه توقف ليسألها : " هل تناولت طعاماً ؟ "

" منذ قليل " .

أخذ رشفة من الحساء وتناول قطعة من الجبن . " كيف حال فريتو ؟ "

" لقد تناول طعامه من اللحم والبيض ونام " .

" لحم ؟ أشكرك كثيراً . لن يرضيه بعد الآن البيض وحده إذن " .

" لقد رأيت أنه يستحق مكافأة . لقد ظل قلقاً عليك طيلة الظهيرة " .

توقف عن الأكل ونظر إليها : " من الواضح أنك كنتِ كذلك أيضاً " .

شعرت فجأة بأن العتمة قد زادت فى الغرفة ، وأن الصمت خيم على المكان ، وأن عرى بيك زائد على اللازم . فنهضت مسرعة وهى تصر على أن تغير أغطية الفراش على الرغم من اعتراضاته ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

وفرشت محلها أخرى جديدة . ما أن انتهت حتى كان يشرب كوب الحليب بعد أن انتهى من طعامه .

أعادت الصينية إلى المطبخ وعادت ومعها بعض الحلوى . " قد ترغب فى تناول البعض منها " .

" أشكرك " . تناول إحدى قطع الشيكولاتة ونزع عنها غلافها قبل أن يذيبها داخل فمه . " ما الذى كنتِ تقصدينه حينما قلت لى إن كريس ليس بصديقى ؟ أم أن هذا كلام تخيلته ؟ "

عادت لتجلس إلى المقعد الصغير . " كلا ، بل لقد قلت بالفعل هذا الكلام . فقد وقف يراقب ما يحدث لك ولم يرد أن يتدخل لإنقاذك " .

" لم يكن بوسعه أن يفعل شيئاً ، يا ساير " .

قالت فى مقت : " أنا لا أصدق هذا . فحتى لو لم يكن يرغب فى الشجار ، فإنه قد منع فريد ديكلويت من الذهاب لمساعدتك . لقد رأيته يمنعه " .

" أنا من تطوع للذهاب والحديث مع لوسى دالى . وكان كريس لا يرغب فى هذا . طلب منى أن أنتظر حتى وصول ريد مع قوات الشرطة . فأعتقد أنه رأى أننى من ورط نفسه فى هذا . فقد كنت أحاول أن أبدو بطلاً " .

لم يثنها كلامه عن رأيها . فقد رأت أن وراءه أسباباً . لكنها هى من رأت تلك النظرة على وجه كريس ، فلم تكن نظرة رجل يرى صديقه وقد سقط فى أيدى الغوغاء .

سألته : " هل كنت ستقف مكتوف الأيدى لو أنك كنت فى محله ؟ ألم تكن ستهرع للدفاع عن كريس ؟ "

" لا أعرف " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" بل كنت ستفعل هذا . فقد فعلتها معه ودانى فى رازوربـاك منذ ثلاث سنوات " .

" كان هذا تهوراً منى . كما أننا لم نكن وسط الفوضاء ، فلم يكن هناك سوى سلاب واتكينز " .

أصيبت بالقشعريرة ما أن ذكر لها اسمه .

قال : " أنا آسف . ما كان على أن أذكرك به " .

" لا يهم " .

" لا أعتقد أنه قد تم إلقاء القبض عليه أثناء نومى " .

" لم تصلنى أية معلومات عنه " . لاحظت كيف غير الموضوع بسلاسة بعيداً عن كريس ، ولكنها لم تعلق . " ولكننى أتخيل أن مكتب المأمور مشغول للغاية بالوضع فى المسبك " .

" هل اتصلت بـ " نيلسون " ؟ "

" لقد تحدثت مع سكرتيرته . شكرتنى للاتصال . وقد عرفت بما حدث هذا الصباح . وقد أبدت أسفها لما حدث ، وأخبرتنى بأن نيلسون لا يلجأ أبدًا إلى العنف ، واطمأنت على حالتك " .

" ربما سيأسف لأجلى فيحافظ على موعدنا القادم " .

" ربما . ولكن . . . . " .

" نعم . . . . أهناك لكن ؟ "

كانت تتذوق إحدى قطع الشيكولاتة وهى تقول : " لم يعد نيلسون الآن هو مصدر الخطر الرئيسى " .

" منذ متى ؟ "

لم تكن متيقنة من رد فعله على ما ستخبره به ، لذا فقد أخبرته به بألطف نبرة ممكنة . " لقد قامت هيئة الأمان والسلامة المهنية بإغلاق مصانع هويل اليوم " . أنبأته بما سمعته من أخبار ومن هَف .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تنهدت ثم أضافت : " و . . . . قد ألمح المتحدث باسم الهيئة إلى أنه بالإضافة إلى الغرامات التى سيتم فرضها ، وهى بالملايين ، فإن وزارة العدل ستقوم بتحقيق مستقل . وقد يواجه هويل تهما جنائية " .

" على أن أذهب إلى هناك " .

حاول أن ينهض ، ولكنها وضعت يدها على كتفه وأعادته إلى مكانه على الأريكة . " إن هَف لا يريدك هناك " .

" لا يريدنى هناك ؟ "

" بعدما سمعت الأخبار عبر التلفاز ، هاتفته . كانت حالته فظيعة ، وقد شل الغضب تفكيره . ولكنه كان متشدداً تجاه نقطة أو نقطتين فى الواقع . فهو يرغب منك أن تبتعد عن الأنظار حتى تهدأ الأمور " .

" والسبب ؟ "

كانت تنظر إلى يديها وهى تكور غلاف الشيكولاتة . " قال إن وجودك سيجلب المزيد من الضرر . وأنك تعرف الكثير و ... أن من الأفضل أن تتحجج بما أصبت به اليوم من إصابات تعوقك عن إجابة أسئلة هؤلاء الأوغاد ، كما وصفهم هو " .

فكر بيك فيما قالته لبضع دقائق ، ثم قال : " إنه محق ، يا ساير . فتدخلى إما أن يجرمه أو يجرمنى لو أننى أخفيت شيئاً عن هؤلاء الفيدراليين " .

لم تعلق ساير بشىء ، ولكنها شعرت بخيبة أمل لكونه قد أدان نفسه .

" ما النقطة الثانية التى شدد هَف عليها ؟ "

" إننى لابد وأن أخجل من تظاهرى ضد عائلتى ، وأننى شامتة بلا شك بسبب إغلاق المصنع " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تناول قطعة حلوى أخرى ووضعها فى فمه . " وهل أنتِ شامتة ؟ "

" كلا . ولكننى سعيدة لأن هذ مجبر الآن على القيام بتحسينات . سواءً كان هذا بضغط من الحكومة ، أو من نيلسون والنقابات العمالية ، أو منى أنا ، فإنها مطلوبة ، يا بيك . فلابد من فرض هذا التغيير " .

ابتسمت فى أسى وهى تضيف : " لكننى أتمنى لو أن هذا قد تحقق من دون أن يتأذى أحد . فأنا مسئولة عما حدث لكلارك ، وعما حدث لك ولو بشكل غير مباشر . لقد رفضت أن أنصت لتحذيراتك ، وكلاكما قد عانى من إصابات بسببى " .

" إن التغيير الجذرى لا يتم من دون صراع ، يا ساير . لابد من دفع الثمن من أجل التقدم . قد لا يستوجب هذا حدوث إصابات جسدية ، ولكن معاناة من نوع ما " .

" ولكنك عانيت من إصابات جسدية . هل لا تزال تؤلمك ؟ "

كانت هناك كدمة كبيرة أسفل قلبه مباشرة ، واضحة رغم ضوء الشمعة الخافت . مدت يدها تلمسها بأصابعها .

كانت تريد أن تتحسس الكدمة فى سرعة ولكنها وجدت نفسها تبقى أصابعها على جسده الدافئ . كان الجلد ناعماً فى هذه المنطقة ، رغم أن الشعر يغطى بقية أنحاء صدره وبطنه .

تحركت أصابعها وهى بالكاد تلامس جسده إلى كدمة أخرى على الجانب الآخر . أسفلها ببوصات أخرى عند عظمة الحوض ، وقد غطت المنشفة معظمها . لامستها فى رقة ، ثم عادت يدها إلى الكدمة الأولى فى أيسر صدره .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بقيت يدها هناك ، وهى ترقب أصابعها تدلك الكدمة فى حنو . وراحت وهى تضمد جراحه والكدمات التى ألمت بمناطق مختلفة من جسمه تفعل ما يعبر عن حبها له وتعاطفها معه ، وراح هو الآخر يبادلها نفس الأحاسيس والمشاعر المتأججة ، حيث تنافس كلاهما فى إظهار شغفه بالآخر .

ثم همست إليه قائلة : " لقد كنت تعلم أننى أتوق لهذا منذ زمن أليس كذلك ؟ "

سكت برهة ثم أجاب : " أظن هذا " .

" هل كنت تعلم منذ البداية ؟ "

" منذ أن كنا على منضدة البيانو " .

نظرت إليه مليًا : " حينما كنا عند البيانو كنت أرى أنك أوقح وغد شاء لى حظى العثر أن أقابله " . ثم أضافت وهى تداعب خده بإصبعها : " وكذلك أحد أكثرهم وسامة " .

" أما أنا فقد كنت أتساءل ما إذا كان فى وسعى أن أمنع نفسى عن الإمساك بكِ حتى أتيقن من أنكِ بشر حقا . فقد كنت أكثر من رأيت جاذبية وإثارة . كما أنكِ أكثرهن تكبراً " .

ضحكت فى جذل : " كنت أتوق إلى أن أكرهك " . ثم سرعان ما تغيرت نبرة صوتها إلى الجدية وهى تقول : " وأنا أتمنى لو أنى كرهتك الآن " .

" تودين كراهيتى لأجل ما أقوم به من أعمال قذرة لصالح هَف " .

" بالفعل " .

" أنا معجب بنزاهتك " .

" أأنت صادق فى هذا ، يا بيك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أجل . ولكن هلا نحينا هذا الكلام جانباً ولو قليلاً ؟ " ، ثم همس مضيفاً : " ولو حتى الصباح " .

" أتود أن أبقى معك ؟ "

احتضنها قائلاً : " جربى أن ترحلى " .

تباعدا فنظر إليها قائلاً : " أنتِ جميلة ، يا ساير " .

" أشكرك " .

" من دون أية عيوب " .

ما أن سمعت تعليقه حتى خفتت ابتسامتها . شعر بهذا حتى قبل أن تنهض جالسةً وهى تضم ركبتيها إلى صدرها ، وتسند وجهها عليهما .

" إننى مليئة بالعيوب ، يا بيك . كان من الأفضل لك ألا تعرفنى " .

" هذا ليس صحيحاً " .

" بل هو كذلك . فأنا أفسد من حولى فى كل خطوة أخطوها . نحن آل هويل قد عُرفنا بذلك . فهذا طبع فينا . لا نترك أى شخص يعرفنا إلا بعد أن يصير حطاماً " .

ربت ظهرها وأخذ يفكر بينه وبين نفسه فى سر توقه الشديد لهذه المرأة ورغبته فى امتلاكها .

سألها : " وما ذلك الشىء المدمر الذى فعلته ، يا ساير ؟ "

" لقد تزوجت رجلين لم أحبهما . فأنفقت أموالهما . ونمت فى فراشهما . ومع هذا فلا أكاد أتذكر ملامحهما " .

التفتت إليه لتتعرف على رد فعله ، ولكن وجهه لم ينبئها بشىء . كان يرغب فى أن تخبره بالمزيد عن تلك الفترة فى حياتها . يريد أن يعرف كل شىء عنها .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أشاحت بوجهها عنه ، وقالت فى بطء وبصعوبة واضحة : " لقد دمرت حياتهما . عن عمد وتصميم . لم يكن بينى وبينهما أية ضغائن شخصية ، ولكننى لم أرفق بهما أبدا . كنت أحاول معاقبة هَف بسبب ما فعله بـ " كلارك " وبطفلى " .

" لم تعد حياتى تهمنى ، طالما كان هذا سيسبب التعاسة لـ " هَف " . فحينما أمرنى بالزواج تزوجت ، وأنا أنوى أن أفعل كل ما يؤثر فى سمعته بالسلب . لقد كان هذان الرجلان ضحيتين لعائلة هويل وما عُرِفَ عنها من تخريب لحياة الناس من حولهم " .

قال فى مرارة : " أنا لا أشعر بأى تعاطف مع هذين الزوجين . . . فقد تزوجاك وهما يدركان أنكِ لا تحبينهما . فكل منهما سعى لمصيره هذا . فقد تحملا هذا مقابل أن تكونى فى فراشهما . كم كان عمرك وقتها ؟ "

" كنت فى التاسعة عشرة حينما تزوجت الأول . وفى بداية الحادية والعشرين حينما تزوجت الثانى " .

" وكم كان عمرهما ؟ "

" كانا أكبر منى بكثير . أقرب إلى سن هَف " .

أى مجرد صديقين متصابيين لـ " هَف " ، متلهفين على الاستمتاع بها . فقد تشبثا بفرصة الزواج من ساير ، حتى وهما يعرفان بأنها ستكون زيجة مؤقتة .

قال : " كانا يريان أنهما سيقضيان كل ليلة مع هذه الفتاة الشابة الجميلة . هذا ما لم تكونى . . . . " .

قاطعته بصوت خافت يكاد يكون مسموعاً : " كلا . كنت أتمنى لو كان بوسعى أن أقول لك العكس . . . ولكن جسدى كان جزءاً من هذا الاتفاق " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" فأنت بدورك كنت ضحية ، أليس كذلك ؟ "

أسندت جبهتها إلى ركبتيها وهى تقول : " لم يكن بالماضى الجميل ، أرأيت ؟ "

اعتدل في رقدته حتى يحتضنها بذراعيه ، رغم أن هذا قد سبب له ألما كبيراً فى أضلاعه . أزاح شعرها عن وجهها وهو يجبرها أن تنظر إليه : " من يمكنه أن يلومك على أى شىء تفعلينه بعد كل ما تعرضت له ؟ "

" يبدو أنك قد سمعت حوارى مع هَف الليلة الماضية . هل سمعت كل شىء ؟ "

" سمعت ما يكفى لأن أفهم سبب كراهيتك الشديدة له " .

دفنت وجهها فى عنقه . " ما فعلاه بى بقى طى الكتمان . بل إن أخواى لم يعرفا به . ولا حتى سيلما . لا أحد . لم أجد من أبوح له بما حدث ، أو أن يشاركنى حزنى " .

" وكلارك ؟ "

" إنه حتى لم يعرف بأنى كنت حاملاً . لقد أخطأت بأن أبلغت هَف بذلك شامتة قبل أن أخبر كلارك . أما بعد الإجهاض ، فلم أجد فائدة من أن أخبره بهذا . فلقد ذهب الطفل . ولن تسهم معرفته بذلك سوى فى زيادة تعاسته " .

" لقد منعك حبك له من أن تخبريه " .

" قد يكون هذا صحيحاً . وأنا لا أزال أراه شخصاً عزيزاً على . وستبقى علاقتنا تمثل ذكريات حلوة ، كحب أول . ولكننى أتعذب شوقاً ... " ، توقفت عن الكلام ، ولم تستطع أن تتابع إلا بعد ثوان : " أتعذب شوقاً إلى طفلى . لقد كان الشىء الوحيد البرىء فى حياتى ، وفى حياة كل عائلة هويل . كان نقيًا . وقد دمر هَف ذلك النقاء " .

وضع يده أسفل ذقنها ، رافعاً وجهها إليه ، ناظرًا إلى دموعها التى كانت تنساب على خدها .

قالت بصوت مبحوح : " لن يمكننى أن أتحمل شفقتك على " .

" لا بأس إنن . أشفقى علىّ أنتِ " .

بعد حوار طويل وبعد أن تبادلا مشاعر حبهما ، رقدت نائمةً على ذراعه ، ويدها ساكنة على صدره ، وأنفاسها دافئةً على جلده . بينما وضع هو ذقنه فوق رأسها وهو يحدق إلى السقف .

كان يود أن ينسيها كل ذلك الحزن المتمثل فى : هَف ، والإجهاض ، وكلارك دالى . كان يريد أن يمحو كل هذا ، حتى تحظى بلحظات من السكينة وراحة البال ، بل وربما السعادة . كان يتوق إلى أن يمنحها لحظة حياة من دون غضب أو ندم .

ربما كانت هى تلك اللحظات التى تبادلا فيها مشاعر الحب معاً .

لكنه وهو راقد يحدق إلى تلك المروحة المتحركة فى السقف ، كان يتساءل عن أيهما الذى منح السعادة للآخر .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الثالث والثلاثون

كان هَف يجلس فى الرواق الخارجى للمنزل يتناول قهوة الصباح حينما قدم إليه ريد هاربر فى سيارة الشرطة . نزل منها ، ووضع تحت إبطه كيساً من الورق وهو يقترب من المنزل فى مشية متئدة .

علق هَف قائلاً : " لقد أتيت مبكراً بالنسبة لصباح يوم أحد " .

لاقى ريد صعوبة وهو يصعد الدرج . كان وجهه شاحباً أسفل قبعته الرسمية ، والتى خلعها ما أن وصل إلى الرواق . " مثلنا لا يعرف الراحة ، يا هَف " .

" ناد على سيلما حتى تأتى لك ببعض القهوة " .

" كلا ، أشكرك . فلن أمكث طويلاً . فلقد أتيت لأبلغك ببعض الأخبار " .

" آمل أن تكون أخباراً جيدة . كتغيير على الأقل " .

" الكلمات تعجز عن التعبير عن أسفى لتلك الأحداث الدائرة فى المصنع " .

" أحب أن أخبرك بأنه لم تعد هناك أحداث . هذا بفضل أوغاد الحكومة " .

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

كان مزاج هَف متعكراً . فقد كان نومه متقطعاً ، يستيقظ منه بين الحين والآخر ليجد نفسه في بحر من العرق . فقد كان يعمد إلى أن يبدو متماسكاً أمام الجميع والأحداث تتحول من سيئ إلى أسوأ . فلو أنه قد أظهر ولو بادرة من اهتزاز الثقة أمام مفتشي هيئة الأمان والسلامة ، أو كان قد بدا لأحد أي ضعف في إرادته ، لكان في هذا خطر محدق بمستقبل شركات هويل . فقد كان يبدو للكل واثقاً من نفسه ، متفائلاً ، وسيظل هكذا أبداً .

إلا أن هذا كان يدمر أعصابه تدميراً .

ففي أعماق نفسه تصارعه المخاوف ، وتقتله الشكوك التي لم يشعر بها منذ أن لقي والده مصرعه أمام عينيه . فقد أصبح الخوف عدوه منذ تلك الليلة . وقد عمد طيلة عقود إلى إقناع من حوله بأنه شخص لا يجرؤ الخوف على اقتحام نفسه .

لكنه وهو يراقب ريد هاربر وهو يجلس إلى الكرسي الهزاز أمامه ، تساءل ما إذا كان قد خدع نفسه بأن الخوف لا يعرف طريقه إليه . فهل معالم ذلك واضحة على محياه تماماً كما هو الحال مع مرض ريد البادي في ملامحه ؟ هل أصبح الكل ينظر إليه في داخله على أنه ليس سوى شخص عجوز ، متداعٍ ، بلغ نهايته ؟

لقد كان حتى وقت قريب يكفيه أن ينطق بكلمة واحدة ، أو ينظر نظرة صارمة حتى يثير الرعب في قلب أجرأ الناس . فمن دون هذه القدرة على بث الخوف ، يفقد اسمه وشخصيته . ومن دون قدرته على الإرهاب ، فلن يكون سوى مجرد رجل عجوز ، عقيم لا كرامة له .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تطلع إلى الأفق حيث اعتاد أن يرى الدخان وهو يتصاعد من مداخنه . كان ينظر إلى ذلك الدخان كتوقيعه الذى يدونه على سماء البلدة .

أما اليوم فلا دخان هناك ، فتساءل ما إذا كان هو نفسه سيختفى بنفس هذه السرعة . كادت الفكرة تصيبه بالفزع ، فحاول أن يخفى هذا وراء ستار من التذمر : " ما الأخبار التى بجعبتك ، يا ريد ؟ "

جفل المأمور كأنما يتألم ، وربما كان بالفعل متألماً . " هى أخبار ليست بالجيدة ولا بالسيئة " .

" لا تبقنى على أعصابى . ما الذى أتيت به ؟ "

" دليل . لا يمكننى أن أطلعك عليه عياناً الآن خوفاً من إفساده ، لكنه دليل كاف للإيقاع بقاتل دانى " .

" حسناً ؟ "

" إنه سلاب واتكينز " .

صاح هَف وهو يصفق بيديه : " هذه أخبار طيبة . بل عظيمة . لقد كنت متيقنا من أن فأر المستنقعات هذا هو القاتل " . ثم أشار إلى الكيس الذى معه قائلا : " ما الذى وجدته ؟ "

" لقد هاتفنى أحد أصدقائه من سائقى الدراجات البخارية فجر هذا اليوم . كان قد سمح لواتكينز بأن يمكث فى منزله هذه العطلة أثناء ذهابه هو إلى أركانساس لأجل سباق دراجات . وحينما عاد إلى المنزل الليلة الماضية ، وجد أن واتكينز قد غادر . ولكنه ترك وراءه حذاءً ثقيلاً . لما رأى الشاب أن الحذاء ملوث بالدماء سارع بالاتصال بى " .

" هل هو دم دانى ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لست متيقناً من هذا بعد ، ولكننى أميل إلى هذا الرأى . فسوف أرسله إلى المعمل الجنائى فى أورليانز بباريش لأجل إجراء الفحوصات . لقد كان ذلك الشاب مستعداً لإبقاء واتكينز لديه ظناً منه أنه مطلوب للاستجواب فقط . ولكنه حينما وجد هذا " ، قالها وهو يرفع الكيس ، " رغب فى ألا يزج به فى هذه القضية ، كونه قد قدم المساعدة والمأوى لشخص قاتل ، فبادر بمعاونتنا . فبحثنا فى المنزل بالكامل ، فلم نجد سوى هذا من متعلقات واتكينز . فيبدو لى أنه قد نسى ذلك الحذاء وهو فى طريقه لمغادرة المكان .

هنا أصل إلى الجانب السيئ من هذه الأخبار . فنحن لم نتوصل إلى مكانه بعد . وسرعان ما سيدرك أنه قد نسى حذاءه وأنه الآن قد أصبح شخصاً مطارداً ليس لديه ما يخسره لو أنه قرر أن يقتل شخصاً آخر من عائلة هويل " .

قال هَف : " كان قد أوشك على قتل كريس تلك الليلة على الطريق " .

" كلا . بل كان يريد أن يتشاجر معه أولاً . فهذا هو أسلوبه . فأعتقد أن أحد إخوته غير الأشقاء قد قام من قبل بمطاردة صديقته السابقة لأشهر ، مهدداً إياها بالقتل ، هذا قبل أن يقتلها بالفعل .

كما أن سلاب لم يكن ليفعل أى شىء وبيك موجود كشاهد عليه . أما بالنسبة لاقتحامه لغرفة سابر . . . لنقل فقط إننى سعيد لأننا قد وجدنا هذا الدليل بعد أن قام بتلك الفعلة وليس قبلها ، وإلا فقد كان من الممكن أن يؤذيها " .

" سوف يلقى عقابه لقتله دانى . وهو قد يدرك أنه لن يعدم مرتين ، فلن يجد مانعاً من أن يرتكب جريمة قتل أخرى . لذا فأنا أود أن أطلب منك أن نفرض حراسة على هذا المنزل " .

" بوسعى أن أحمى نفسى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كنت أخشى من أنك بالفعل لن توافق " .

" بل إننى أتمنى أن يحضر . فكم أود أن يقع فى يدى " .

" أخشى من هذا كذلك ، ولهذا كنت أريد أن أضع حراسة هنا . هذا لأجل حماية واتكينز وحمايتك أنت أيضاً . عليك أن تحاذر ، يا هَف . فنحن لا نتعامل مع مجرد شخص عنيد . فقد كان سلاب عنيفاً حتى من قبل أن يدخل السجن ، وقد خرج منه أسوأ طباعاً . على أنه ليس بهذا الذكاء . فلا يمكننى أن أتبين السبب الذى منعه من التخلص من جميع ملابسه التى كان يرتديها ذلك الأحد " .

" لم يتصف أحد من عائلة واتكينز بالذكاء " .

" هذا الغباء هو الذى سيوقع به . وأرى أنه كفيل بأن يوقع بنفسه وحده " . ثم أضاف : " لكننى آسف بالفعل لما حدث بالمسبك ، يا هَف " .

كان هذا الأسلوب فى تغيير الحوار هو الذى دفع هَف إلى التساؤل عن السبب فى توقف ريد عن الحديث عن سلاب واتكينز ليشير إليه هو مباشرة . هل لم يعد هذا العجوز المريض يثق به هو الآخر ؟

قال له : " سرعان ما سيعود المسبك إلى العمل . لا يمكن لشىء أن يوقفنى ، يا ريد . يجب عليك أن تثق فى هذا " .

تطلع ريد عبر المرج الأخضر وهو يقول : " إننى سعيد لحصولى على هذا الدليل ضد واتكينز ... فلو تبين أن هذا هو دم دانى ، فهذا معناه أنه هو القاتل . وبوسعى أن أقول لك الآن يا هَف إننى كنت أشك قليلاً فى أن يكون كريس هو ... فى الواقع ... " .

تبادل الاثنان نظرة طويلة . وفى النهاية قال المأمور فى هدوء : " كما أن هناك هذا " . أخرج من جيب قميصه مظروفاً ووضعه على الطاولة الصغيرة بينهما .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ما هذا ؟ "

" هذه هى المعلومات التى طلبتها منى عن تشارلز نيلسون " .

" ما الذى عرفته ؟ "

" كل المعلومات به " .

" هل هى معلومات جيدة ؟ كم ستكلفنى ؟ "

" لا شىء . فهذه على حسابى " .

" هذه هى أول مرة يحدث هذا " .

" بل هو آخر تعاون بيننا فى الواقع " . استند ريد على ذراعى الكرسى حتى يستطيع النهوض . " لقد خضنا معاً مشواراً طويلاً . ظللنا ولفترة طويلة نؤمن أن الأمور تسير على ما يرام . إلا أن المشوار ينتهى هنا . لقد انتهى دورى الآن . هل تفهمنى ؟ إننى لن أخونك أبداً ، ولكننى لن أساعدك فيما أنت عازم عليه " . أشار إلى المظروف . " فأنت وحدك فيما ستقوم به من الآن " .

بدا ريد غير قادر على الوصول إلى سيارته ، أن يقوم بأداء مهام عمله فى المكتب ، أو أن ينفذ ما يطلبه هَف منه . لقد أدرك على الأقل نقطة ضعفه والفطنة التى تجعله يتوقف الآن عن التعاون معه . فهو يعلم أن هَف هويل لا يجد فائدة من التعامل مع شخص مريض أو متردد يؤنبه ضميره .

" اعتن بنفسك " .

" لقد فات أوان هذا " . ثم أومأ نحو المنزل وهو يقول : " من الأفضل أن تنبه كريس إلى أن واتكينز لا يزال هارباً وربما أصبح أكثر شراسة من ذى قبل . ونبه ساير أيضاً . قل لهما أن يتوخيا الحذر " .

" بالتأكيد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ارتدى ريد قبعته وهو يهبط الدرج . لم يلتفت خلفه . ولم يشر بيده مودعا وهو يقود سيارته مغادرا المكان .

تناول المظروف الذى تركه المأمور على الطاولة ودلف إلى المنزل ، وهو ينادى على سيلما .

أتت من المطبخ ، وهى تمسح يديها على مريلة المطبخ . " هل تريد المزيد من القهوة ؟ "

قال لها وهو يفتح المظروف : " بل سوف أحضرها بنفسى ... اصعدى لتوقظى كريس . أخبريه بأنى أريد التحدث معه " .

" إنه ليس هنا " .

توقف هَف عما كان يقوم به ، وقد تذكر الآن أنه لم يجد سيارة كريس أمام المنزل . " أين ذهب فى هذا الوقت المبكر ؟ "

" إنه لم يبت ليلته هنا ، يا سيد هويل . لكنه اتصل فى وقت متأخر ، وأخبرنى ألا أزعجك ، لكنه أراد أن يعرفك بأنه سيقضى ليلته فى معسكر الصيد . ولقد نسيت أن أذكر هذا لك . . . " .

ترك هَف سيلما وهى تعتذر له عن عدم إبلاغه بهذا واتجه مسرعا إلى أقرب هاتف ، فى مكتبه . اتصل بهاتف كريس المحمول . رن الجرس أربع مرات قبل أن يجيبه البريد الصوتى . " هيا يا بنى ، أجبنى " .

ارتجفت أصابعه . تقلصت عضلات صدره حول قلبه ، والذى كان ينبض فى جنون ، كما لو أنه قد أصيب بالفعل بنوبة قلبية . ضغط زر إعادة الاتصال ، لكن من دون جدوى .

لكنه لم يضع المزيد من الوقت ، فترك الهاتف واتجه إلى كابينة السلاح .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

توقفت وحدة التكييف القديمة فى وقت ما بالليل لم تعد إلى وضع التشغيل بعدها . استلقى كريس على الفراش الصغير الضيق وسط المفارش الرطبة التى تفوح برائحة العفن . كان لا يرتدى سوى سرواله القصير ، ولكنه مع هذا كان يشعر بالضيق وسط هذا الحر الخانق .

لقد كان الجو حاراً هذا الصباح تماماً كما كان فى ذلك الأحد منذ أسبوعين حينما لقى دانى مصرعه فى هذه الغرفة بالذات .

أهما أسبوعان حقاً ؟ فلقد بدا له وكأنما عشر سنوات قد مرت منذ الحادث .

لقد امتصت الأرضية الخشبية العتيقة دم دانى كالأسفنجة . كان كريس يشك فى أن يعود هذا الخشب إلى لونه ، مهما استخدم من مواد كيماوية .

لقد أتى إلى هنا لكى يهرب من ضغوط الأمس . لم يظفر خلاله سوى بشىء واحد : أن حسم أمره مع ليلى . فسرعان ما ستبرأ ساحته من جريمة قتل دانى ما أن تتحدث هى مع ريد ، وهو الأمر الذى لن تتردد عن القيام به لأجل الحفاظ على منصب جورج .

لكن العمل فى المصنع قد توقف . وهو الأمر الذى أثار جنون هَف .

لم يكن فى حالة مزاجية تتيح له تحمل غضبة هَف ، هذا بالإضافة إلى الصحفيين الذين لم يتوقفوا عن الاتصال به لأجل التعليق على الأحداث ، لذا قرر أن يعتزل الجميع داخل معسكر الصيد ، وهو آخر مكان يمكن أن يخطر على بال أحد أنه سيكون به .

لقد وفر له المكان قدراً من السرية ، وهو يحتاج لهذا ، لكن المكان كان قد فقد سحره . كان قد اعتاد أن يقضى أوقاتاً طيبة مع

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الأصدقاء به ، يشربون ، ويصطادون ويلعبون مباريات فى الشطرنج تدوم لأسابيع ، وهم يستمتعون ببساطة المعسكر .

لكن كلاهما ـ هو والمعسكر ـ قد تقدم فى السن . لقد نضج ؛ بينما أصبحت هذه الكابينة مهجورة . ربما كان هذا هو الوقت المناسب لبيعها . فكيف له وهف أن يستمتعا بها مجدداً وبقع الدم تلك باقية على أرضيتها ؟

بوسعهما أن يبتاعا قارباً بدلاً منه . أو منزلاً على الشاطئ . ربما فى مدينة بيلوكسى . فرغم أن هف يمقت الميسيسيبى لأسباب لم يكشف عنها أبدا . فإنه . . .

لقد شعر كريس بوجوده حتى من قبل أن يسمع صوت الأرضية الخشبية بالخارج وهى تئن تحت وطء أقدامه . وما هى إلا ثوان حتى كان يندفع عبر الباب .

نهض كريس من فوره .

" لا تتحرك ، يا هويل . لن أرتاح لقتلك بهذه السرعة . فلدى ما أقوله لك قبل أن أمزقك إرباً " .

أخرج واتكينز سكينه بحركة واحدة من يده . وفى يده الأخرى حفنة من الملابس ، ألقى بها نحو كريس . سقطت فى حجره . نظر إليها نظرة واحدة ، ثم سرعان ما ألقى بها بعيداً وهو يتراجع إلى الوراء .

ضحك واتكينز . " هذا صحيح . هذه هى آثار ما خرج من رأس أخيك الصغير . لقد انفجر كثمرة قرع سقطت على الأرض من فوق شاحنة " .

حدق إليه كريس مشدوهاً .

" ما الأمر ، يا هويل ؟ هل أنت مشمئز من سماع هذا ؟ ياللأسى ، هذا لأنى سأخبرك بما حدث على أى حال " . أسند

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

قدمه على طرف الفراش وكأنهما صديقان على وشك التحاور مع بعضهما البعض .

" لقد أخبرني داني بأنه يتوقع لقاءك هنا . حذرني من أنك ستأتي بين لحظة وأخرى ، وأن بوسعي أن آخذ ما أريد وأنصرف قبل أن تأتي إلى هنا فتستدعي الشرطة .

أرأيت هذا ؟ لقد ظن بأنني قد حضرت لأجل سرقة المكان " .

نظر فيما حوله في سخرية وهو يقول : " كما لو أنني أريد فعلاً شيئاً من هذا المكان . إن السجن يعد قصراً مقارنة بهذا المكان " .

اقترب كريس من حافة الفراش .

نبهه سلاب قائلاً : " لا تقترب . بل ستجلس في مكانك تستمع إلي ، ولو ندت عنك أية حركة ولو رمشة عين فسوف أقتلع عينك بطرف سكيني وبعدها لن ترمش عينك أبداً ، أفهمت ؟ "

صمت حتى يستوعب كريس تهديده هذا ويطمئن هو إلى أن كريس سينصاع له ، ثم قال : " أين توقفت ؟ . . . أجل . عند أخيك داني . حينما تناولت البندقية من فوق الباب ، اتجه إلى الصلاة . زاد صوته ارتفاعا وأنا أحشو البندقية بالذخيرة . على أن أقول لك بأنني قد ارتحت بإطلاق تلك الطلقة عبر فمه " . توقف سلاب عن الكلام لثانية ، قبل أن يميل إلى الأمام ليهمس بشكل مسرحي : " بانج ! " .

ضحك سلاب مجدداً . " سببت الطلقة الكثير من الفوضى ، ولكن الأمر كان يسيراً . بل إنه لم يحاول مقاومتي بجدية . لم يقم سوى ببعض الحركات التي كان من الهين التغلب عليها ، وبسرعة " .

قال كريس : " من الحماقة أن تحتفظ بتلك الملابس . لماذا لم تتخلص منها ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كنت أريدك أن ترى شكل محتويات مخ ودم فرد من عائلة هويل . وقد فوجئت بأنها لا تختلف عما يخص غيركم من البشر " .

" لماذا اقتحمت غرفة ساير ؟ "

" رأيت أن هذا سيربك الجميع " ، ثم قال وهو يلعق شفتيه : " كنت أود لو أنني استفدت من وجودى معها ، أنت تعلم ما أقصده بالطبع ، هاه ؟ "

" هذه براعة منك ، وخاصة قصة الكتاب المقدس تلك " .

" لقد فكرت فى ذلك . فكرت فى ذلك بنفسى " . ثم قال ساخطاً : " ها أنت ذا تتحدث معى حول هذا الأمر حتى تنسينى ما جئت هنا لأجله . لكن هذا لن يحدث . للأسف " . ثم مال إليه أكثر وهو يقول : " سوف أقتل فرداً آخر من عائلة هويل . أأنا محظوظ لهذه الدرجة ؟ "

كان بيك واقفاً عند الباب الخلفى ، يراقب فريتو وهو يطارد سنجاباً ، حينما دخلت ساير المطبخ . كان لا يرتدى سوى سروال قصير . ظهره ملىء بالكدمات . أتت من خلفه ولفت خصره بذراعيها وهى تقبل كدمة زرقاء داكنة على كتفه .

" صباح الخير " .

" جيد وحالتى تتحسن " . استدار وهو يجذبها إليه ، مقبلاً شفتيها برقة . وحينما ابتعد الجسدان ، نظر إلى ما كانت ترتديه وابتسم .

كانت قد ارتدت أحد قمصانه القطنية القديمة ، التى عانت من كثرة الاستخدام حتى أن شعار الكلية عليها لم يعد مقروءاً . قال : " رداء غاية فى الإغراء " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

- أترى هذا ؟ -

- هممم - . داعب بأصابعه خصلات شعرها ثم قربها إليه وتلامست جبهتاهما وهما يضحكان .

لكن فريتو لم يكن مرتاحاً لهذا . سرعان ما وعيا له وهو يحك جسده بالباب وهو يعوي اعتراضاً على تجاهلهما له .

نظر إليها بيك مقوساً حاجبيه : - ما رأيك ؟ -

- ضميري سيعذبني - .

- كذلك أنا ، تباً - . تركها ليفتح الباب للكلب ، الذي قفز للداخل ، ليلتقط كرة تنس ويجلبها إليهما .

ترك الكرة مبللة عند قدمي ساير الحافيتين . بدت ممتعضة ولكنها ربتت على رأسه تشكره لأجل هديته .

صب بيك لكليهما قدحين من القهوة وجلس إلى طاولة المطبخ . جلست ساير قبالته وهي تداعب مؤخرة رأس فريتو .

علق بيك قائلاً : - إنه متيم بك - .

- أهو من أخبرك بذلك ؟ -

- ليس عليه أن يبوح بذلك . انظري إلى وجهه . إنه مغرم بك - .

كان الكلب بالفعل يتطلع إليها بإعجاب ظاهر . تناولت رشفة من القهوة . ثم قالت وهي تضع القدح على الطاولة في هدوء :

- سرعان ما سوف أكره نفسي - .

- لما حدث الليلة الماضية ؟ -

- كلا ، فلن أندم أبداً على ذلك - .

- أما أنا فنادم لأنها لم تدم . وأنني أضعت ساعات منها في النوم - .

- أنت لم تنم سوى ساعة - .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" كانت طويلة بما يكفي " .

" وحتى خلال تلك الساعة كنت ... " .

قال بصوت مبحوح : " بالفعل . كنت ... وأنتِ كذلك .... " .

تبادلا نظرة حميمية طويلة ، ثم سألها عما ستكره نفسها لأجله .

" لأني سأطرح عليك سؤالاً حول ما حدث ليلة أمس " .

" تعنين إلى أى مدى ستصل بنا هذه العلاقة ؟ "

" يبدو أن هناك من سألكِ هذا السؤال من قبل " .

" لقد سمعته من قبل فعلاً ، إلا أننى لم أجب عنه من قبل " .

" أما أنا فلم أسأله من قبل " .

تردد ، ثم نهض وتوجه نحو الباب الخلفى من جديد . التقط فريتو كرته واتجه نحوه ، وهو يعتقد أن وقت اللهو قد حان . لكن بيك لم يتحرك ، بل اكتفى بالتحديق عبر أسلاك الباب .

قالت وهى تزيح مقعدها كى تنهض : " لو أنك تفكر فى ذلك طويلاً ، فإن هذا وحده إجابة كافية " .

التفت إليها فى سرعة : " سايرِ " .

" أنت لا تدين لى بتوضيح ، يا بيك . ولا بأية وعود . فأنا لست صبية بلهاء مبهورة . فلقد تجاوبنا معاً فى الليلة الماضية مع عاطفة تملكتنا ، ومع انجذاب متبادل . فعلنا ما أردنا معاً وكان لهذا سحره وسط الظلام . ولكن ضوء النهار ... " .

" هل يمكنكِ ولو للحظة واحدة أن تشكى فى أنى أتوق إليكِ ؟ " فوجئت بأن نبرة صوته كانت أقرب إلى الغضب ، فنسيت ما كانت تريد قوله . " لقد رغبت فيكِ منذ رأيتك ، يا سايرِ . وفى كل مرة كنت على القرب منكِ منذئذٍ . وفى الليلة الماضية ، والآن ، فى هذه اللحظة . وسوف أرغب فيكِ غداً ، وإلى الأبد . ولكن ... " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ولكن لو خيرت بيني وبين هَف فسوف تختار هَف " .

" ليس الأمر بهذه البساطة " .

" أليس بهذه البساطة ؟ "

" كلا " .

" أنا أراه كذلك " .

" هناك أمور لا تعلمين عنها شيئاً ، ولن يسعني أن أخبرك بها ... فعليَّ أن أنهي ما بدأته " .

" ألن تكون هناك نهايةٌ أبداً لمهمة حمايتك لهَف وكريس هذه ؟ إلى أى مدى يمكن أن تصل لأجلهما ، يا بيك ؟ لقد تلقيت الضرب عنهما بالأمس . وهناك من يحق عليك بسببهما . والناس يحتقرونك ولا يثقون بك بسببهما . أنت تحتمل كل هذا لأجلهما . ألم تمل من كل هذا ؟ "

تفحصها بنظراته قائلاً : " ليتك تعلمين " .

" اتركهما إذن ! " .

" لا أستطيع هذا " .

" وما الذى يمنعك ؟ "

" لقد قطعت وعداً على نفسي . فأصبحت حياتي مرتبطةً بحياتهما . لم أعد راغباً فى ذلك ، وخاصةً بعد الليلة التى قضيتها معك . ولكن هذا ليس بيدى " .

تجهم وجهه وتقلص فكه ، وتحولت نظراته التى كانت منذ قليل تشع رغبةً إلى أخرى متحفزة باردة .

همست قائلة : " هكذا الأمر إذن ... ليكن الله فى عونك " .

هنا رن جرس هاتفه . ظلت تنظر إلى عينيه حتى الرنة الثانية لهاتفه ، عندها تمتم ساخطاً وهو يرد على المكالمة . " مرحبا ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

سرعان ما تبدلت ملامح وجهه وهو يستمع إلى الطرف الآخر . " متى هذا ؟ وأين ؟ " . كان من الواضح أنه قد اغتم بسبب ما سمعه ، فقد وضع يده على وجهه وهو يغمغم : " أوه يا ربى ... أكانت إصابة مميتة ؟ هل لقى مصرعه ؟ "

الفصل الرابع والثلاثون

حينما وصل بيك وساير إلى معسكر الصيد ، وجد صعوبة فى إيجاد مكان لسيارته وسط سيارات الشرطة والإسعاف التى تجمعت عند المكان . كانت المنطقة بين الكابينة وضفة البحيرة مزدحمة برجال الشرطة والمسعفين والمصورين الصحفيين .

بينما كان أحد المصورين يستعد لالتقاط صورة للكابينة من الخارج تعثر فى التمساح المحنط فى باحة الكابينة فقفز هلعاً ، وسط دهشة من كانوا حوله .

أما الجو داخل الكابينة نفسها فكان متجهماً ، حيث كان الطبيب الشرعى يشرف على نقل جثة سلاب واتكينز .

تنحى بيك وساير جانبًا والرجال يحملون الجثة داخل جراب بلاستيكى ويضعونه على الناقلة تمهيداً لإخراجه إلى سيارة الإسعاف بالخارج . وبعد أن أغلقوا بابها عليها ، انضما إلى الحشد المتجمع حول عتبات الكابينة .

كان هناك ريد هاربر وواين سكوت وهف مع كريس ، والذى كان يجلس إلى إحدى المشايات على الأرض . لم يكن يرتدى سوى سروال خفيف ، وقد بدت آثار الدماء على الأجزاء العارية من

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

جسده . وكانت هناك سيجارة فى يده وقد دخن منها حتى منتصفها .

نظر إلى ساير ، ثم حيا بيك بابتسامة واهنة : " أشكرك لسرعة مجيئك إلى هنا " .

" هل أنت بخير ؟ "

" جسدى يرتجف " . رفع له يده المسكة بالسيجارة . كانت ترتجف .

" ما الذى حدث ؟ "

طرح بيك السؤال على الجميع ، لكن المساعد سكوت كان أول من أجابه . " حسبما يقول السيد هويل فإن واتكينز قد اقتحم المكان عليه ، ثم أخذ يسخر منه بالملابس التى كان قد ارتداها وقت قتله لدانى فى تلك الغرفة بالتحديد ، ثم هدده هو أيضاً بالقتل " .

قال كريس لبيك : " إننى لم أكن خائفاً منه فى تلك الليلة على الطريق ، ربما لكونك إلى جوارى . كنت أراه مجرد وغد أحمق . ولكنه كان هذا الصباح . . . . لا أعرف ماذا أقول ، لكنه كان مجنوناً . كان سيقتلنى ، ولحسن حظى أنه لم يتمكن منى " .

ضغط هَف على كتف كريس مطمئناً . بينما تساءل بيك ما إذا كان هو الوحيد الذى لاحظ ذلك المسدس فى حزام هَف .

سألته ساير : " هل كان مع واتكينز ملابسه التى ارتداها وقت قتله لدانى ؟ ... هل أحضرها إلى هنا ؟ "

أشار لها ريد هاربر نحو كيس ورقى بنى اللون ، أدرك بيك أنه مخصص لجمع الأدلة وحفظ آثار الحمض النووى . " لقد وجدنا هذا الصباح حذاءً ثقيلاً بخصه . . . لقد حذرت هَف من أن واتكينز سرعان ما سيدرك توصلنا إلى هذا الدليل ، وعندها سيصبح خطرا

على الجميع . وطلبت منه أن أضع حراسة . ولكننا لم نستطع أن نحذر كريس وقتها " .

رد كريس موضحاً : " لم يكن هاتفي المحمول معي . فقد مللت مطاردة الصحفيين لي لأخذ أي تصريح مني حول غلق المصنع . فأغلقت هاتفي حينما وصلت هنا في الليلة الماضية . لم أكن أعلم بأن سلاب يبحث عني أنا " .

سأله بيك : " وكيف علم سلاب واتكينز بأنك هنا ؟ "

" من الواضح أنه كان يراقبنا . فقد حدث وقاد دراجته جوار منزلك . وقطع علينا الطريق . واقتحم على ساير غرفتها بالفندق . فلو أنه كان يراقب هذا المكان ، فسيسهل عليه تبين وجود سيارتي " . أومأ نحو البورش وهو يضيف : " وربما كان قد أتى ليترك هذه الملابس لمجرد أن يسخر منا . فهي ملوثة بـ . . . . " ، رمق هَف قبل أن يكمل كلامه : " من له أن يعرف بأسباب تصرفاته ؟ فهو لا يفكر كشخص طبيعي . فقد كان مصاباً بالجنون هذا الصباح " .

" وكيف دافعت عن نفسك ؟ "

" بالطريقة القديمة . فقد كان من الغباء بحيث يضع قدماً على الفراش ، مما جعلني أنتهز الفرصة وأركله فيما بين قدميه بأقصى ما وسعني من قوة . ولكن يبدو أن الركلة لم تكن في المكان المناسب تماماً فلم تؤثر فيه بالكامل . فقد سقط أرضاً ولكنه نجح في التشبث بسكينه .

حينما حاولت أن أخلصها من يده ، سدد إلي طعنة ولكنها لم تصبني ، ثم حاول مجدداً ، ولكنني نجحت هذه المرة في القبض على معصمه . تصارعنا حول السكين . ولكنه سقط لتخترق السكين جسده . ويبدو أنها قد أصابت عدة شرايين رئيسية في أحشائه ،

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فقد كان الدم ينزف منه بغزارة . وقد حاولت أن أوقف النزيف ولكنه مات في غضون دقائق " .

نظر بيك إلى المساعد سكوت قائلاً : " من الواضح أنها كانت محاولة دفاع عن النفس " .

قال سكوت وهو يمد يده إلى كريس : " هي بالتأكيد تبدو كذلك ... وأنا مدين لك بالاعتذار ، يا سيد هويل ، لما أكون قد سببته لك من مشاكل وإحراج . كما أنني وقبل كل هذا آسف لشكي فيك " .

صافحه كريس : " لقد كنت تؤدي عملك . ونحن آل هويل سنكون بحاجة إلى رجل مثلك كي يحافظ على أمن هذه البلدة ، أليس كذلك ، يا هَف ؟ " .

" بالتأكيد " .

تحرج الضابط من هذا الثناء ، فتناول حرز الدليل قائلاً لزيد : " سوف أعيد هذا إلى المكتب لتحريزه . . . بوسعي أن أوصلك إلى نيو أورليانز لو رغبت " .

" أشكرك . ولكنني سأعود إلى المكتب حتى أحرر محضراً كي يوقع عليه كريس " .

لامس المساعد حافة قبعته وهو يومئ إلى ساير : " أستأذنك سيدتي " . وغادر المكان وبجعبته حرز الدليل .

تناول كريس نفساً أخيراً من السيجارة ، قبل أن يلقي بها على الدرج داهسًا إياها . " سيسعدني أن ألقي بكل ما حدث خلف ظهري . فلم يكن من السهل على أن أكون متهماً في جريمة قتل . كما أن هذا قد شغلني عن المصنع ومشكلاته " . وجه نظرة مقت إلى ساير ولكنه لم يعلق على مشاركتها في الأحداث التي انتهت بغلق المصنع .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كانت سيارة الإسعاف التى حملت الجثة قد غادرت المكان . وبدأ الآخرون فى الرحيل تدريجياً . وكان ريد هاربر آخر من غادر منهم المكان . فعلق كريس عليه قائلاً : " يبدو لى أسوأ حالاً من سلاب " .

" إنه مريض بالسرطان " .

التفتوا جميعاً فى دهشة إلى هَف .

سأله كريس : " هل حالته خطيرة ؟ "

" لنقل إن من حسن حظنا أن واين سكوت قد أصبح إلى جوارنا الآن " .

علق كريس : " ولكنه لم يفصح لنا عن نواياه بعد " .

" إن الندم كفيل بأن يلين قلبه تجاهنا . وأرى أن الوقت مناسب الآن كى ترسل له بخطاب شكر مع هدية صغيرة " .

تبادل كريس مع هَف ابتسامة ماكرة وهو يقول : " هذا أول ما سأفعله فى الغد " .

بينما قالت ساير فى جفاء : " سأذهب لأجلس قليلاً قرب المياه . . . . نادنى حينما تهم بالرحيل ، يا بيك " .

بدا التعجب على كريس وهو يراقبها تبتعد : " يبدو لى أننا قد جرحنا مشاعر ساير . أم أنها مفتاظة لتبينها أنى برىء من تلك التهمة ؟ "

لم يجب بيك ، بينما كان هَف شارداً قليلاً . فقد كان يتأمل واجهة الكابينة المتهالكة قال : " على أن أبيع هذا المعسكر " .

قال كريس : " لقد كنت أفكر فى هذا صباحاً ، من قبل أن يأتى سلاب . فلن يرغب أحد منا فى المجىء إلى هنا بعد كل ما حدث " .

قال هَف : " هلا قمت بعملية البيع هذه ، يا بيك ؟ فأنا أريد أن أنهى صلتى بهذا المكان " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" سوف أتولى هذا الأمر " ، ثم أشار إلى المسدس قائلاً : " ما الذى كنت تنوى أن تفعله بهذا المسدس ؟ "

" لم أتمكن من الوصول إلى كريس كى أحذره من واتكينز . وأعتقد أنى كنت متوتراً بعض الشىء . وقد ثبت لى الآن أنى كنت على حق فى مخاوفى . فحينما وصلت إلى هنا ورأيت كل سيارات الشرطة هذه وقد تجمعت عند المكان ، أصبت بجزع حقيقى ، وكنت أعتقد أن الأوان قد فات " . وضع يده من جديد على كتف كريس وهو يتابع : " وحينما أفكر الآن فيما كان يمكن أن يحدث . . . . " .

لامه كريس قائلاً : " على رسلك ، يا هَف " .

" ونحى هذا المسدس جانباً قبل أن تؤذى أحداً أو تنطلق رصاصة إلى جسدك " .

ضحك هَف : " حسناً ، يا بيك " . ثم أشار نحو الطريق خلف الكابينة : " كان على أن أوقف السيارة هناك . وأنا ذاهب الآن إلى المصنع . علينا أن نتناقش حول الأسلوب الأمثل للتعامل مع هؤلاء المفتشين " .

سأله بيك : " التعامل معهم ؟ "

غمز له هَف : " قد يكونون أكثر مرونة لو أننا ألقينا لهم بكبش فداء " .

بادره كريس : " لقد سبقتك فى هذا " . ثم أخبرهما عن الصفقة التى عقدها مع ليلى . " وها نحن ذا لم نعد بحاجة إليها لتخليصى من هذه الجريمة . ولكن هذا لا يعنى أن جورج بعيد عن أن يتحمل مسئولياته " .

قال هَف : " حسناً . . . فهذه هى خطتنا إذن . هل ستلحق بى ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نظر كريس إلى الدماء المتناثرة على صدره فى اشمئزاز : " سألحق بك ما أن أستحم " .

بينما قال بيك : " سأبقى مع كريس حتى يرحل " .

ودعهم هَف بيده ، ثم سرعان ما اختفى وراء الكابينة .

دخل كريس حتى يجلب قميصه وحذاءه . " لقد وضعت ملابسى بالخزانة حينما خلعتها الليلة الماضية . . . يبدو لى أن هذا من حسن حظى أيضاً . فالمكان بالداخل أشبه بسوق اللحم " .

تبعه بيك حتى حافة رصيف الصيد ، حيث كان هناك صنبور وخرطوم مياه كانوا يستخدمونهما عند تنظيف السمك . هناك أيضا حوض غسيل وبعض قطع الصابون .

التفتت ساير نحو صوت خطواتهما على الرصيف . قال لها كريس : " من الأفضل أن تديرى ظهرك لأنى سأخلع ملابسى ، هذا ما لم تكونى ترغبين فى مشاهدة هذا الجسد المثالى " .

" يبدو لى أنك فى مزاج لا يليق بمن طعن للتو شخصاً حتى الموت " .

" هل كنتِ تفضلين أن يقتلنى هو ؟ ليس عليكِ أن تجيبينى . فقد يجرح هذا شعورى " .

" كيف يمكنك أن تكون على هذا القدر من اللامبالاة ، يا كريس ؟ ألا يؤثر فيك شىء ؟ "

فكر فى كلامها للحظات ، قبل أن يهز كتفيه قائلاً : " كلا . ليس كل شىء " .

نظرت إليه فى امتعاض وهى تقول : " كم أنت وغد ، يا كريس ! لطالما كنت كذلك " .

" بل أنا الطفل المدلل لهف هويل . ولطالما كنت كذلك . وسأظل كذلك . وهو الأمر الذى يمثل لكِ عقدة على الدوام " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" أنا متيقنة من أن هذا يشبع أنانيتك ، ولكنك مخطئ " .

رأى بيك ألا طائل من وراء هذا الشجار ، فحاول أن يهدئ الأجواء بينهما . فقال لساير : " استقلى سيارتى . . . أما أنا فسأذهب إلى المصنع مع كريس وهف ، وسوف ألحق بكِ لاحقاً . أين ستكونين ؟ "

حينما نظرت إليه ، أدرك أنه على الرغم من أن هاتف كريس قد قطع عليهما نقاشهما حول مستقبل علاقتهما ، إلا أن ذلك النقاش قد انتهى من الناحية العملية . فقد تبين فى عينيها تحررها من ذلك الأمل الخادع . وربما شىء من خيبة الأمل . والمؤكد أنهما كانتا تحملان الاحتقار . " ستجدنى فى سان فرانسيسكو " .

تجاوزته وهى تسير عبر الرصيف . شاهدها بيك وهى تدلف إلى سيارته ، وتديرها وتستدير بها ثم تنطلق بها من دون أية نظرة أخرى تجاههما . كان من الصعب عليه أن يجد نفسه يراقبها ترحل من دون أن يحرك ساكناً .

كان يود أن يهرع خلفها ، ولكن حتى ولو توقفت وهو الأمر الذى كان يشك فيه ، فما الذى يمكنه أن يقوله مما لم يقله من قبل ؟

علق كريس ساخراً : " من المؤكد أن هذا . . . مؤلم . فلو كنت بحاجة إلى لحظات تقضيها مع نفسك فـ . . . . "

" اصمت ، يا كريس " .

خلع عنه سرواله وهو يكتم ضحكة . لاحظ بيك أن سرواله الداخلى غارقٍ فى الدماء . وبعد أن خلعه كريس ، أدار الصنبور واغتسل طويلا بقطعة الصابون ، غسل كل أنحاء جسده حتى شعر رأسه .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

حينما فرغ ، نفض عن جسده الماء وهز رأسه لينفضه عن شعره ، ثم ارتدى ملابسه ، تاركاً سرواله الداخلي . سارا معاً نحو سيارته وتوجها إلى المسبك . كانا قد اقتربا منه حينما لاحظ كريس أن بيك يربت في شرود على ذلك الجرح في خده .

علق قائلاً : " كان يمكن أن يكون أسوأ ... تذكر ما حدث لكلارك دالي " .

رد في شرود : " لقد تذكرت " .

دخلا المصنع ، والذي كان الآن ساكناً وفارغاً إلا من موظفي الأمن ، فشعرا وكأنهما داخل عالم سريالي . صعدا إلى حيث مكاتب الإدارة . كانت جميعها خاوية ، حتى مكتب هَف .

قال كريس : " لابد أنه قد توقف في الطريق . لننتظره هنا . فأنا بحاجة إلى الشراب . أتريد شراباً ؟ "

" إنها العاشرة صباحاً " .

" لكنه ليس ككل صباح " .

بينما كان كريس يصب لنفسه شراباً ، اقترب بيك من النافذة ونظر نحو أرض المصنع . سوف يبدأ التفتيش الحكومي يوم الاثنين . أما الآن فالمكان خال . كان مظلماً ، متسخاً ، ساخناً رغم أن المصاهر قد أغلقت .

ما الذي تفعله ساير الآن ؟ هل هي الآن بالفندق ، تعد حقيبتها وتجري اتصالاتها للسفر إلى كاليفورنيا ؟ هل يمكنه أن يلتقيها ثانية ؟

حمل كريس الشراب وتوجه نحو الأريكة . غاص فيها ، وهو يرفع وجهه نحو السقف مغلقاً عينيه . " بالهما من أسبوعين ، أليس كذلك ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" بالفعل . ومن المفارقات أن الأحداث بدأت وانتهت عند معسكر الصيد ، وفي يوم أحد ؟ "

" ربما كان هذا ما فكر فيه واتكينز " .

" لا أعتقد أنه قد فكر في أن تستقر سكينه في بطنه " .

" كلا ، ولكنه كان ينتوى أن يستقر بها في بطني أنا " . ثم أضاف بعد برهة من الصمت : " هل قضت ساير الليلة بمنزلك ؟ "

" نعم " .

" لن تنجح خطة زواجكما إذن " .

التفت بيك وهو ينظر إليه في صرامة .

" لقد أخبرني هَف . قال بأن ساير قد أصبحت عقيماً . وهو ما أنهى مخططه بأن يزوجكما كي تنجبا له الحفيد " .

" لم تكن لتوافق على الزواج مني على أية حال " . عبر بيك الغرفة واستند إلى حافة مكتب هَف ، وهو أشد توتراً من أن يستطيع الجلوس .

" من المؤسف أن هذا لن يحدث . كان من الجميل أن تحتوى العائلة على محام . لكنني سعيد لعدم اكتمال مخطط هَف . هل تريد أن تستمع إلى كلام أود أن أبوح به إليك ، يا بيك ؟ "

أنهى كريس شرابه في جرعة واحدة ووضع الكأس على حافة الطاولة . " لقد أصبحت في الآونة الأخيرة أغار منك . هذا صحيح " ، شعر بدهشة بيك ، فتابع : " فلم يكن هَف ينصت لأحد سواك . لقد أولى إليك صلاحيات لم يولها لأحد من أفراد العائلة . فلو أنك بعد كل هذا كنت قد تمكنت من أن تنجب له الحفيد من أختي ، لما كنت سأرضى عن هذا " .

كانت الابتسامة لا تزال على وجه كريس ، ولكن بيك سمع لحظتها صدى تحذير ساير له : كريس ليس بصديقك .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لا يمكن لأحد أن يحتل مكانتك فى قلب هَف ، يا كريس . وأنا لن أكون سعيداً عند حدوث هذا " .

" يسعدنى أن أسمع منك هذا الكلام ، يا بيك " . تنهد كريس وهو يميل بظهره إلى الوراء مسنداً رأسه على يديه . " ولكنك تعلم معنى هذا الكلام ، أليس كذلك ؟ فقد أصبحت مسئولية إنجاب حفيد لهف ملقاة على عاتقى أنا فى نهاية المطاف . فلو كان على أن أصبح أباً حتى تمتد عائلة هويل . لكان من غير المكن أن يكون هناك سبيل سوى ذلك . فهذا هو المنطق .

فقد تخلت ساير عن العائلة . وسيكون من الظلم أن تعود لكى تكون هى من ينجب حفيد هَف المنتظر . أما دانى فلم يكن ليترك صلواته حتى ينجب طفلاً من تلك التى كان على وشك أن يتزوجها . فلم يبق سواى . وهكذا سيضغط هَف على لأجل أن ... " .

هنا بادره بيك قائلاً بكل ما فيه من تحفز : " ماذا ؟ " . كان يشعر بنبضات قلبه تدوى وهو يسأله : " ما الذى قلته ؟ "

نظر كريس إليه فى حيرة : " ما هو ؟ "

" عن دانى . عن تلك المرأة التى كان ينتوى الزواج منها " .

لم يبد على وجه كريس أى انفعال للحظات ، ثم سرعان ما ارتسمت على وجهه ابتسامة ماكرة ، حتى ضحك وهو يقول : " يا لى من أحمق . كان لسانى سيزل بهذا عدة مرات من قبل ، ولكننى كنت أمسك نفسى فى كل مرة ، سوى هذه المرة " .

" أكنت تعلم أن دانى مرتبط ؟ "

نظر إلى بيك نظرة هازئة : " كان لابد لدانى أن يعلم بأن هَف سيعرف بأمره ، مهما ظن أنه ماهر فى التخفى لأجل أن يقابلها " .

" أو كان هَف يعلم أيضاً ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" ومن الواضح أنك أيضاً تعلم بهذا . متى أخبرك داني بذلك ؟ "

" هو لم يفعل . بل كانت ساير " .

" وكيف عرفت ؟ "

" لقد التقت خطيبته عند المقبرة " .

" وهل كانت تنشد ؟ "

" تنشد ؟ "

" هذا هو عملها ، فهي تنشد بدار العبادة . فهي من أثر في داني وأقنعه بالانضمام إلى تلك الطائفة . وأن يصير متدينا .

تركناه أنا وهف وشأنه لفترة من الوقت ، ونحن نظن أنها مجرد نزوة سرعان ما ستزول . ولكننا ما أن أدركنا مدى جديته ، وقيامه بالخطبة ، ضيقنا الخناق عليه .

قلنا له بأننا سعداء لأنه قد فكر في النهاية في الحب والزواج ، ولكننا نعترض على اختياره . أمره هَف أن يفسخ هذه الخطبة ، وألا يحاول لقاءها ثانية ، وألا يعود مرة أخرى إلى دار العبادة " .

قال بيك : " إن خطيبته لا تعرف بأنكما كنتما تعلمان بأمر هذه الخطبة " .

" أعتقد أن داني لم يرد أن يخبرها بهذا . فقد كان يأمل في أن نوافق . لقد تعرض الفتى لعملية غسيل مخ كاملة ، يا بيك . فقد أخذ يصلي لأجل أن نهتدي . هل يمكنك أن تصدق هذا ؟ لقد جثا على ركبتيه هنا أمام مقعد هَف وبدأ يتلو الصلاة بصوت عال لأجلنا . واصل الصلاة طيلة عشر دقائق وهو يبين حاجتنا إلى أن نغتسل ونتوب من ذنوبنا . لقد أحسست وقتها أن هَف سيصاب بأزمة قلبية " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان قلب بيك يخفق في عنف : " كان يريد أن يتطهر من جريمة إيفيرسون ، أليس كذلك ؟ "

" مانا ؟ "

" كانت هذه هي العقبة ، سبب اضطرابه الوجداني . فلم يكن دانى ليتزوج من الفتاة التى أحبها إلا بعد أن يطهر ضميره ويعترف بإثمه تجاه جين إيفيرسون . ولكنه قد عجز عن أن يفعل هذا من دون أن يشير بإصبع الاتهام إليك أنت وهف . فقد كان دانى يعلم أن هَف قد قتل إيفيرسون و ... " .

نهض كريس وصب لنفسه كأساً أخرى وهو يقول : " هَف لم يقترف شيئاً من هذا . . . ولو أننى ظللت أشرب هكذا ، فسوف أفقد عقلى بحلول موعد الغداء . على أن لا شيء يهم الآن " . ثم أضاف وهو يشير إلى النافذة : " فاليوم ليس بيوم عمل " .

عاد للجلوس وهو ينظر إلى بيك . كان بيك يحدق إليه . وفى النهاية ابتسم كريس وهو يقول : " أنت متلهف لأن تعرف الحقيقة ، أليس كذلك ؟ سأخبرك إنن . فقد كان . . . " ، أتم كلامه وهو يضغط على كل حرف منه : " ..... حادثاً " .

" هل أنت السبب ؟ "

أشاح كريس بيده : " لقد تبعت إيفيرسون بعد الاجتماع فى تلك الليلة . واجهته فى موقف السيارات المخصص للموظفين . كانت معى مطرقة ، كى أهدده بألا يفتح فمه بأى حديث عن النقابة وأن يتوقف عن إثارة القلاقل " .

لكن الأحمق هاجمنى كالثور ، مما أجبرنى على الدخول فى عراك معه . كنت أحاول أن أدافع عن نفسى . ولا أتذكر أننى قد لطمته بالمطرقة بهذه القوة ، ولكننى فوجئت بأننى أحمل بيدى مطرقة مخضبة بالدماء بينما سقط هو أرضاً وقد شج رأسه .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أصابنى الفزع . فهرعت عائداً إلى المصنع والتقيت هَف . كنت خائفاً من أن يأتى أحد ليكتشف جثة إيفيرسون ، ولكننا كنا فى وقت بين وردبيتين ، فلم يكن هناك أحد بموقف السيارات .

تعامل هَف مع الموقف فى هدوء . صدقنى حينما أخبرته بأن الحادث كان دفاعًا عن النفس ، لكنه لم يكن يرغب فى استدعاء الشرطة وإجراء تحقيق رسمى . وقرر أن أسرع حل لهذه المشكلة هو أن تختفى الجثة . وقد كان قراراً حكيماً . فلو أن المحقق كان قد رأى ذلك الشج فى رأس إيفيرسون ، لكان قد وجه اتهاماً قوياً ضدى .

وعلى كل ، فقد أخبرنى هَف بالمكان الذى أدفن به الجثة ، وكيفية القيام بهذا ، واستدعى دانى كى يساعدنى . بينما قام هو وريد هاربر بإخفاء معالم ما حدث فى موقف السيارات وتوليا أمر سيارة إيفيرسون . حينما أتذكر الآن ما حدث ، أجد أننى لم أسألهما أبداً عن مصير تلك السيارة " .

" وأين دفنته ؟ "

رد كريس فى سخرية : " أنت محامى الخاص ، يا بيك . ليس بوسعك أن تبوح بأى سر أفضى إليك به . لكننى غير مرتاح تماماً لإخبارك بهذا السر " . حدق إلى بيك بمزيج من الدهشة والضيق : " توقف عن النظر إلى هكذا . فأنا لم أقصد قتله . وقد مات ولن يغير أى شىء من هذه الحقيقة . وقد واصلت حياتى . وبالطبع كان على أن أخوض غمار تلك المحاكمة ، وقد كانت تجربة مؤلمة ، ولكن الأمور مرت على ما يرام " .

" ألم تخش من أية تبعات ، يا كريس ؟ أهذا لأنك رأيت هَف يفلت بفعلته إزاء سونى هولمز " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

غمغم في سخط وكأنما يحاول أن يتذكر الاسم : " هولسر ؟ ... لقد كنت صغيراً وقتها . وبالكاد أتذكر ذلك " .

" بل أنت تكذب ، يا كريس . فقد كنت هناك . وقد رأيت ما حدث ، وترك هذا انطباعًا قويًا فيك " .

عاد بظهره إلى الوراء وهو يسند ذراعه على الأريكة وكأنما يدعو بيك إلى متابعة كلامه .

نهض بيك وأخذ يخطو عبر الغرفة : " وقتها كان العمال يعملون لورديتين مدة كل منهما عشر ساعات ، يفصل بينهما أربع ساعات مخصصة للصيانة وخلافه . وكان هَف قد قرر أن يغير هذا النظام . ويحوله إلى ثلاث ورديات مدة كل منها ثماني ساعات ، وبالتالي يلغي ذلك الفاصل المخصص للفحص والصيانة . وكان هذا هو محور خلافه مع سوني هولسر " .

قال كريس : " كان هو المتحدث باسم العمال . كان شخصاً محبوباً من الجميع ، حتى من هَف . ولكن مشكلته أنه قد تعامل مع دوره كممثل للعمال بجدية مبالغ فيها . وكان على وشك أن يكشف عن نواياه المؤيدة للإجراءات النقابية . وأظن أنه كان جاسوساً للنقابة " .

قال بيك وكأنما يفكر بصوت مسموع : " كان هَف قد قرر أن يفرض ذلك النظام ولم يكن بوسع أحد أن يناقشه في ذلك . . . لم يكن هناك أحد بأرض المصنع سوى هولسر ، والذي كان يعمل على تلك الماكينة عند الحوض الرملي . فواجهه هَف . وتشاجرا . فدفعه هَف في تلك الماكينة وأدارها ، وقد شاهدت أنت هذا . لقد تحطم جسد ذلك الرجل بل وتمزق أشلاءً . وقد رأيت أنت هذا أيضاً ، أليس كذلك يا كريس ؟ "

" كيف يمكنني أن أرى هذا ، بينما لم أكن هناك من الأصل ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لقد أخبرنى هف بأنك كنت هناك " .

بوغت كريس بهذا الرد : " حقاً ؟ حسناً . . . حتى ولو كنت هناك ، فإننى لم أر شيئاً " . رفع رأسه وهو يحدج بيك بنظراته : " ما الذى يدفعنا إلى الحديث فى هذا الأمر ؟ ولماذا أنت غاضب هكذا ؟ "

" يريد كل محام لموكله أن يكون بريئاً " .

" أوه ... أنا أشك فى هذا . فلو كان الكل بريئاً لما وجد المحامى عملاً . بل إننى مرتاح لأنك قد عرفت الآن بحقيقة ما حدث لإيفيرسون . فليس من الواجب أن يخبئ أحدنا سراً على الآخر . وإلا فمن أين ستنبت الثقة بيننا ؟ "

" أنت لم تثق فى وتخبرنى بسر خطبة دانى " .

" هذا صحيح . فلم أكن أود أن أفصح عن هذا " .

" هذا لأن مشكلتك أنت وهف لم تكن تكمن فقط فى تدين تلك الفتاة . بل فى تصميم دانى على الاعتراف بخطيئته " .

غمغم كريس بالسباب قبل أن يقول : " كان سيبوح للعالم كله بما حدث لإيفيرسون " .

" أتعلم ما الذى كان يعنيه هذا لمسار القضية ؟ "

" القضية ؟ أية قضية ؟ لم تعد هناك قضية ، يا بيك . ألا تتذكر ذلك الاعتذار الذى قدمه لى واين سكوت لشكه فى ؟ بل إنه لم يكن ليتردد عن أن يُقبِّل يدى " .

" لقد كان لديك الدافع لقتل أخيك " .

هز كريس رأسه وهو يضحك فى استخفاف : " هل تعتقد أنى قد قتلت أخى ؟ "

" ألم تقتله ؟ "

" لدى حجة غياب كما تعلم . ليلى العزيزة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

صرخ بيك فيه : " ألم تقتله ؟ "

" كلا ، يا بيك . أنا لم أقتله " .

كانت الابتسامة على وجه كريس حينما رن جرس هاتفه المحمول . أجاب الهاتف فانقلبت ابتسامته إلى سخط : " ما الأمر ، يا جورج ؟ " أنصت إليه . ثم قال في تردد : " الآن ؟ كم سيستغرق هذا ؟ حسنا . سوف أحضر " .

أغلق كريس الخط . " إنه قلق بشأن التفتيش يوم الاثنين ويرغب أن نفحص سير ذلك الناقل أثناء تشغيله ، لنتحقق من أن المفتشين لن يعلقوا على الماكينة . إنه مرعوب لكونه قد وقع على أمر إصلاحها . خائف من أن يصبح هو كبش الفداء ، وهو على حق في هذا . ولكنني أود ان أداعبه قليلا قبل أن أصدر قرارا بفصله . أنا الوحيد الذى معه مفتاح تلك الماكينة ، وأنا الوحيد القادر على إعادة تشغيلها . أنا أعلم أن توقيف التشغيل هذا كان أمرا مؤلما " .

قال له بيك : " كنا نتحدث عن دافعك إلى القتل " .

" بل أنت من كان يتحدث عنه . القاتل هو سلاب واتكينز . لقد انتهى هذا الموضوع . فعليك أن تنساه الآن ، يا بيك " .

غادر كريس المكان وسط شرود وتجهم بيك .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الفصل الخامس والثلاثون

بعد أن كان قد أوقف سيارته عند متجر دايرى كوين ، وتناول طبقاً من الحلوى المثلجة مع حبوب الفول السودانى بالشيكولاتة . ضحك هَف ساخراً من نفسه وهو يسحب المسدس عيار ٣٥٧ من حزامه ويضعه فى حرص على المقعد المجاور داخل السيارة .

كان يعتقد أن حمله لهذا المسدس قد جعله مصدراً للسخرية ، ولكنه لم يكن ليندم على إطلاق النار على رأس سلاب واتكينز . فقد كان من المحتم له أن يموت .

هو الآن فى المشرحة ، وقد انتهى الأمر كله .

رأى هَف أن من المناسب أن يقوم بزيارة قبر دانى . فهو لم يذهب إلى هناك منذ الجنازة . نعم ، سيذهب اليوم ويصطحب معه الزهور .

أحزنه أن خطر له أنه لن يمر وقت طويل قبل أن يكون بين حاضرى جنازة ريد .

هنا تذكر المظروف الذى تركه له ريد هذا الصباح . كان قد وضعه فى جيب سرواله حينما أبلغته سيلما بأن كريس فى معسكر الصيد . ففى خلال تلهفه لأن ينبه كريس ، وما تلى ذلك من أحداث ، كان قد نسى أمر ذلك المظروف .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بعد أن انتهى أمر سلاب واتكينز ، وتمت تبرئة ساحة كريس ، أصبح بوسعه الآن أن يواجه تلك المشاكل فى شركات هويل بكل تركيزه وبطاقة متجددة . ورغم أن همه الرئيسى الآن هو ذلك التفتيش الذى ستقوم به هيئة الأمان والسلامة المهنية ، إلا أن مشكلة نيلسون لا تزال لها دورها القائم ، ولسوف يجعله يندم على ما تسبب فيه من إغلاق لمصنعه .

أخرج هَف المظروف من جيبه . كانت به ورقة واحدة ، وقد تم طبعها كورقة رسمية . حينما سأل ريد عما عرفه عن نيلسون لم يجبه سوى بقوله : " كل شىء موجود فى هذه الورقة " .

لكن لو أن هذه هى كل المعلومات التى نجح ريد ومن يعرفهم فى نيو أورليانز فى التحصل عليها ، فلابد أن لهذه الورقة الوحيدة قيمتها . لكن سرعان ما خاب أمل هَف بعد أن تبين له أنها لا تحوى سوى بضعة أسطر مكتوبة بالآلة الكاتبة .

" تبا " . يبدو أن ريد قد كبر فى السن ولم يعد ذا فائدة بالفعل .

كان هَف يأمل فى التحصل على معلومات مفيدة ، من قبيل نقطة ضعف أو عادة سيئة يسهل من خلالها الهجوم على نيلسون . أهو مقامر ، أو متهرب من الضرائب ، أم متعاطى للمخدرات ؟ هل هو زير نساء ؟ كان هَف يسعى وراء شىء ما خفى فى حياة الرجل ، كفيل بتحطيم سمعته ما أن يتم الكشف عنه .

ارتدى هَف نظارة القراءة ، والتى لا يستخدمها أمام أحد ، وقرأ ما أتى به ريد هاربر .

بعدها بثوان كانت سيارة هَف هويل تطيح بشاحنة عائلية بعيداً عن الطريق وهى تندفع بكل سرعة محركه . سقط منه الكوب

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بما تبقى من الحلوى المثلجة على أرضية السيارة . فانسكب ما فيها شيئاً فشيئاً مع حركة السيارة الجنونية على فرش الأرضية .

ما أن وصل هَف إلى مقر الصنع ، حتى كانت الحلوى المثلجة قد تحولت إلى سائل كالحليب . لم يلفت هذا نظر هَف الذى حرص على تناول مسدسه وهو ينزل من السيارة .

• • •

كانت ساير تحزم حقيبة سفرها حينما طرق أحدهم باب غرفة الفندق . أزاحت ستارة النافذة وتطلعت إلى الخارج . قالت لنفسها فى دهشة : " ريد ؟ " فتحت الباب وهى تقول : " ما الذى حدث الآن ؟ "

خلع قبعته وهو يقول : " لم أقصد إخافتك ، يا ساير . لكن لم يحدث شىء . حسب علمى . . . هل يمكننى الدخول ؟ "

أشارت له بأن يدخل وهى تشير إلى الحقيبة قائلة : " لقد لحقت بى . فقد حجزت رحلة طيران إلى نيو أورليانز ستقلع بعد الظهر " .

" هل ستعودين إلى سان فرانسيسكو ؟ "

" ذلك هو المكان الذى أعيش فيه الآن " .

" لقد ظننت أنك وبيك قد ... " .

" كلا " .

لقد خطت هذا الصباح حداً فاصلاً بينهما . وقد بقى هو وكريس وهف فى الجانب الآخر منه . كانت وهى تعد حقيبتها مترددة بين أن تلقى بذلك العقد الذى اشتراه لها فى أقرب سلة مهملات ، أو أن تأخذه معها . وفى النهاية لفته داخل قميص قطنى وألقت به داخل الحقيبة .

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

" لن يمكننى أن أرى بيك ثانيةً قبل الرحيل " .

" أوه . حسناً " . تطلع ريد عبر أرجاء الغرفة وكأنما لا يعرف ما يتوجب أن يقوله . وحينما عاد مرة أخرى لينظر إليها ، لاحظت أن بعينيه نظرة ألم . سألها : " هل تحدثت مع هَف هذا الصباح ؟ "

ها هى تجده يطرح أسئلة مبهمة ، بدلاً من أن يفسر لها سبب مجيئه إليها الآن . " هناك عند معسكر الصيد ، فقط " . مضت عدة دقائق أخرى من الحيرة . قبل أن تقول له فى النهاية : " ليس لدى الكثير من الوقت ، يا ريد . ما سبب حضورك إلى هنا ؟ هل للأمر علاقة بدانى ؟ أم واتكينز ؟ "

" كلا ، فقد انتهى ذلك الأمر تماماً " .

" لهذا السبب قررت الرحيل . فقد كنت أقسمت ألا أرحل حتى أعلم بما حدث لدانى . أما الآن فبوسعى أن أعود إلى حياتى " .

أومأ برأسه ، ولكنه بدا شاردا ، كما لو أنه لم يسمعها بوضوح ولا يهمه أن يعرف بما تنتويه . تنحنح قبل أن يقول : " ساير ، إننى أتحمل المسئولية الكاملة عن أفعالى ولن ألقى بتبعاتها على الآخرين . كما أننى لن أخون هَف أبداً . وأريد منك أن تتفهمى هذا " .

أومأت برأسها أنها تتفهم هذا ، بينما هى لا تزال لا تدرى ما الذى يود أن يقوله لها .

" لقد تعاونا فى الكثير من الأمور التى لا أفخر بها . بدا لى فى البداية ألا بأس من أن نتحايل على بعض القوانين ، ولكنى سرعان ما وجدت نفسى غارقاً حتى الثمالة فى هذا . هى كشبكة العنكبوت . فلم أستطع الفكاك منها " . رفع يديه فى تسليم وكأنما

يرجوها أن تتفهمه وتصفح عنه . " لكن ما حدث قد حدث . وليس بوسعي أن أعيد الزمن إلى الوراء .

لكن المستقبل شيء آخر . إنني أبوح لك بهذا لأني أريد لشخص آخر أن يعلم حقيقة الأمور في حال أن . . . . في حال حدوث شيء ما ولم أكن أنا موجود للإدلاء بما لدى من حقائق " .

" حقائق حول ماذا ؟ أخبرني ؟ "

" إن بيك ميرشانت هو نفسه تشارلز نيلسون " .

كانت العبارة كفيلة بأن تفقدها اتزانها ، بدت لها كالزلزال .

" ماذا ؟ "

" لدى من أعرفهم في نيو أورليانز لنقل إنهم من رجال التحري الخاص وكنت قد طلبت منهم أن يجمعوا معلومات عن تشارلز نيلسون لصالح هَف . لكنهم توصلوا إلى أنه لا وجود لمن يدعى تشارلز نيلسون ، بل هو شخص وهمي من صنع بيك " .

وجدت نفسها تجلس إلى ذراع المقعد ، كان أقرب مكان يمكن أن تجلس إليه .

قال ريد : " أما الآن فليس لي علم بالسبب الذي دفعه إلى التخطيط لكل هذا . كما أنني لا أود حقيقة أن أعلم . لكن آخر مهمة قمت بها لأجل هَف كانت أن أبلغه بتلك المعلومات هذا الصباح " .

" يا إلهي " .

" لم يبد لي أن هَف قد عرف بالمعلومة حينما رأيته عند معسكر الصيد . لكنه قد يكون قد فتح المظروف الآن وقرأ محتواه . وحينها لا أدري ما الذي يمكن أن يقوم به " .

نهضت بغتة وهي تقول : " بالطبع لن تعلم . . . أيها الوغد العجوز " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

أزاحته عن طريقها وهى تهرع نحو الباب . انطلقت سيارتها كالصاروخ على الأسفلت الساخن عبر الطريق السريع . كانت تطلق بوق السيارة باستمرار حتى لا يجرؤ أحد على أن يعيق طريقها وهى تنطلق بأقصى سرعة إلى منزلها القديم ، وهى تعتقد أنها ستجد كريس هناك بعد أن غادر معسكر الصيد .

لم يسعها أن تتخيل تبعات أن ينكشف للكل أن بيك هو نفسه نيلسون الوهمى هذا ، أو الأسباب التى دفعته إلى خداع الجميع هكذا . لم تكن تفكر سوى فى أن تمنع هَف من أن يكتشف هذا قبل أن تحذر بيك .

بعثرت محتويات حقيبة يدها على المقعد المجاور وهى تبحث فى عجل عن هاتفها الخلوى ، قبل أن تتذكر أنها قد تركته متصلاً بالشاحن فى الغرفة بعد أن هاتفت مكتبها لتبلغ سكرتيرتها بعودتها .

ضغطت بقدمها أكثر على دواسة السرعة . كادت السيارة تنزلق فوق الحصباء وهى تنعطف فى سرعة شديدة ، وكادت تدهس سربا من الصقور حط لينقر جيفة ميتة على الطريق ، وأصرت على أسنانها وهى تمرق فوق خط السكة الحديدى بسرعة خمسة وثمانين ميلاً .

رغم هذا فقد بدا لها أن الوصول إلى هناك سيستغرق دهراً ، ولكنها ما أن وصلت إلى هناك حتى صاحت فى غيظ حينما لم تجد أية سيارة أمام المنزل . أوقفت السيارة بغتة حتى أنها شمت رائحة المطاط المحترق فوق الأسفلت . نزلت من السيارة فى سرعة دون أن توقف المحرك أو تغلق الباب خلفها .

بينما كانت تقفز الدرج نحو مدخل المنزل ، تعثر حذاؤها وسقطت ، شعرت بألم شديد فى كفيها عند السقوط . ولكنها

أسرعت وأكملت الدرج سريعاً وهى تندفع داخل المنزل . كان الباب السلكى مفتوحاً وكذلك الباب الأمامى . دلفت عبرهما . كانت سيلما قادمة من أعلى وهى تحمل سلة الغسيل .

" ألم تر بيك ؟ أين هَف ؟ "

" لا أدرى مكانهما ، آخر ما أعرفه أن هَف كان فى طريقه إلى معسكر الصيد . ولكننى لم أر بيك أبداً . ما الذى حدث ؟ "

" هل تعتقدين أنهما فى المصنع ؟ "

" أنا ... " .

صاحت فيها وهى تهرع إلى الخارج : " اتصلى ببيك على هاتفه الخلوى ... أخبريه بأن هَف يعلم كل شىء عن تشارلز نيلسون . هل فهمت ، يا سيلما ؟ هَف يعرف حقيقة تشارلز نيلسون " .

" فهمت ، ولكن ... " .

" أخبريه فقط يا سيلما " .

خرجت من جديد ، وهى تقود سيارتها بأقصى سرعة نحو المصنع .

تجاهل بيك جرس هاتفه وهو يهبط إلى أرض المصنع .

لقد تطلب منه الأمر بعض الوقت حتى يربط كل شىء ببعضه البعض . وحينما نجح فى هذا ، تكونت أمامه الصورة واضحة .

فقد كان كريس صادقًا فى أنه لم يقتل أخاه . فهو لم يقم بتعبئة البندقية بالذخيرة وإقحامها فى فم دانى ، أو بضغط الزناد .

لكن هذا لا يعنى أنه برىء من دمه .

حينما وصل بيك إلى الناقل ، كان جورج يقف هناك خلف كريس ، والذى كان ينظر داخل الماكينة ، ليفحص السير المعطل

أثناء دورانها . لم يكن أى منهما يرتدى خوذة أو نظارة واقية . يبدو أن كليهما لم يتعلم شيئاً مما حدث . لا يزال كريس على ظنه بأنه محصن ضد الخطر .

كان على بيك أن يصيح حتى يسمعه أحد : " كريس ! " .

قفز جورج فى مكانه فزعاً وكأنما أطلق أحدهم عليه النار . سقط فكه من أثر الصدمة . بدا وكأنه قد رأى شبحاً .

اعتدل كريس وهو ينفض يديه . كانت عيناه على بيك ، ولكنه كان يتحدث إلى جورج . " بوسعنا أن نلوم فنى الصيانة على عدم إتقانه لعمله ، يا جورج . وعلى كل فليس هناك ما يمكن القيام به اليوم . فعليك بالعودة إلى منزلك " .

بدا جورج وكأنما قد عجز عن التنفس . كان العرق يتصبب على وجهه ويبلل راحتيه ، فدار على عقبيه وانصرف من دون أية كلمة . راقبه بيك وهو يصعد السلم المعدنى ليصل إلى حيث الكافيتيريا ثم يخرج من الباب .

ضغط كريس زر إيقاف الماكينة وهو يقول : " يا لجورج المسكين . لقد كان متوتر الأعصاب جداً . فقد رأى تلك الكتابة على الجدار " .

بادره بيك قائلاً : " لقد أمرت سلاب واتكينز بأن يقتل دانى ... فبينما كنت أنت مع ليلى ، لتتوافر لديك حجة غياب ، ذهب واتكينز إلى معسكر الصيد ، حيث أخبرته بأن دانى سيكون هناك ، وقام بقتله . فأنت لم تكن تكذب حينما قلت بأنك لم تقتله . فقد أمرت غيرك بأن يفعل ذلك " .

توجه هف إلى مكتب بيك أولاً . المخلص دوماً بيك . المجتهد دوماً بيك . الباحث دوماً عن مصلحة شركاته بيك .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الوغد بيك . المخادع بيك . الكاذب بيك .

كان مكتب بيك خاويا . وكذلك مكتب كريس . لكنه سمع صوت ماكينة تدور وسط ذلك الصمت المخيم على المصنع . فتوجه هَف صوب النوافذ المطلة على أرض المصنع . رآهما يتحاوران ، ابنه وذلك الذى خانه ، ولم يكن يفكر سوى فى تدمير الشخص الذى بذل جهده لأجل تدميره هو .

غادر المكتب وقد تثاقل المسدس فى يده متوجهاً إلى السلم الخلفى ، ولكنه ما أن هبط إلى أرض المصنع ، حتى تنبه إلى أن عليه ألا ينساق وراء اندفاعه هذا ، وألا يذهب إليه مشهراً مسدسه .

كان قد أخبر بيك منذ أسبوع مضى بأن نيلسون ليس سوى متآمر حقير . لذا فإن أنسب هجوم هو الهجوم المباغت .

ضحك كريس فى استخفاف . " لقد كان سلاب غاضباً جداً بسبب عدم تعيين دانى له فى المصنع ، وأنت تعلم هذا . وقد أتانى ليتحدث معى حول هذا الأمر ذات ليلة عند موقف السيارات خارج رازوروباك " .

قال بيك : " حيث أخبرته بأن هناك مهمة يتوجب عليه أن ينفذها لأجلك " .

نظر إليه كريس فى لامبالاة .

" طلبت من سلاب أن يبدو الأمر وكأنه انتحار . وقد كاد يقنع الجميع بذلك ، لولا أنه قد نسى أن يخلع حذاء دانى . هذا الخطأ الذى دفع المساعد سكوت إلى أن يشك فى الأمر . حاولت ـ وأنت لم تعتقد أنك ستتورط فى الأمر ـ جاهداً أن تصلح الخطأ ، لذا طرحت فكرة أن سلاب واتكينز هو الجانى وأنه يحاول أن يورطك فى الجريمة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كان عقل بيك يمر الآن على جميع الأحداث التى مضت خلال أسبوعين باسرع ما يمكنه . " ما لم أفهمه هو السبب الذى يدفع واتكينز إلى عدم الهرب من البلدة منذ أن اقترف فعلته . ما الذى يدفعه إلى أن يحوم حول مسرح الجريمة ؟ لماذا أجبرك على مواجهته فى الطريق ، وفى تلك الليلة بالمطعم . . . " .

نظر إلى كريس منتظراً إياه أن يبرر له كل هذا ، لكن عينىّ كريس الخاويتين لم تنبئاه بشىء .

أردف بيك قائلا : " ولكن مهلاً . . . لقد تذكرت للتو شيئاً ما . فأنا أتذكر أنه حينما أتى واتكينز إلى المطعم ارتبك ما أن رآنا . ولكنه كان مرتبكاً لرؤيتى أنا ، أليس كذلك ؟ لقد ذكر أنه قد جاء هنا لأجل اجتماع عمل ... أوه " ، عندها التمعت عيناه بغتة : " إنه موعد تلقيه أتعابه . لقد جاء ليلتقاك ويحصل على المال .

كانت تلك ليلة الحادث الذى وقع لبيلى . وكنت قد أتيت للتو من المستشفى . وهكذا فقد كان لقاؤنا غير المتوقع فى المطعم سبباً منعك من إتمام الصفقة مع واتكينز . فلا عجب أنه كان غاضباً جداً فى تلك الليلة على الطريق . فلم يكن قد تلقى أتعابه بعد . وبدأ صبره ينفد . وكنت قد انقلبت عليه . وهكذا توجه يائساً إلى ساير كى يلفت نظر سكوت عبر الرسالة التى نقلها وهى أن الأخ قد قتل أخاه . وهو الأمر الذى وضعك على المحك ، وهكذا رتبت للقاء مع واتكينز عند المعسكر هذا الصباح " .

ابتسم كريس قائلاً : " أراهن على أنك كنت أول دفعتك فى كلية الحقوق ، أليس كذلك ؟ فأنت ذكى جداً . لكننى أقسم لك يا بيك أن سلاب واتكينز قد اقتحم على الكابينة ، وهو يلوح بسكينه مهدداً إياى بأنه سيقتل ثانى فرد من عائلة هويل وأن شيئاً لم يعد يهمه الآن " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" لا شك عندى فى أن هذا ما حدث ، يا كريس . فهو قد وصل أسرع مما توقعت أنت . كان يريد أن يباغتك لأنه لم يكن يثق بك . وهو معذور فى ذلك . فحتى واتكينز كان ذكياً بما يكفى لأن يدرك أنك لم تكن تنوى أن تمنحه مالاً وتتركه يمضى لحاله . فهو قد استخرج شهادة وفاته ما أن وافق على أن يقتل دانى " .

" أرجوك يا بيك . دعنا لا نقع فى خطأ التعاطف مع سلاب . فهو قد خطط للغدر بى منذ البداية . فما السبب الذى دفعه إلى أن يترك علبة الثقاب فى مسرح الجريمة ؟ "

كان بيك يفكر فى الخيارات التى بقيت متاحةً أمامه . بوسعه أن يرحل الآن . يترك المكان بما فيه . وأن يلحق بساير . ليحيا بقية حياته فى عشقها . وليذهب كريس وهف إلى الجحيم ، بكل ما فيهما من غدر وفساد ، وليذهب هذا المسبك القمىء الميت إلى الجحيم .

لقد تعب من كثرة الصراعات وتمثيل الأدوار . كان يتوق إلى أن يلقى كل تلك المسئوليات عن عاتقه ، وأن ينسى أنه قد عرف هذه العائلة ويتركها لمصيرها المحتوم . هذا ما كان يريد أن يفعله .

أو أن بوسعه أن يبقى ليتم ما ألزم نفسه بأن يتمه .

لقد كان ميالاً إلى الخيار الأول ، لكنه وجد أن خياره الثانى هو قدره المحتوم .

" لم يكن سلاب واتكينز هو الذى ترك علبة الثقاب فى الكابينة ، يا كريس " ، صمت لحظات حدق خلالها إلى عينى كريس قبل أن يقول : " بل أنا من وضعها " .

كلت عينا جورج روبسون من كثرة الدموع التى يود لو أنه يستطع أن يذرفها . لقد كان يريد أن يبكى من الغيظ والخوف فى آن

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

واحد . ما إن غادر المبنى حتى صفع الحر وجهه ، ليزيد من إحساسه بالضعف والدوار . كان يرتجف ، حتى أنه ما أن وصل إلى السور الخارجي حتى تقيأ فوق العشب الجاف الملاصق للجدار . كان يرتعش بينما سقطت أشعة الشمس الحارقة على ظهره الذى يتصبب عرقاً .

حينما أدرك أنه كان على وشك أن يرتكب جريمة قتل ، وتيقن من خيبة الأمل التى يشعر بها لفشله فى ذلك ، حتى انتابه الدوار الشديد .

خوت معدته فى النهاية ، وتوقف جسده عن الارتعاش . مسح فمه بمنديل رطب تناوله من جيبه الخلفى . جفف راحتيه المبتلتين بالعرق وكذلك رقبته .

لقد خطط لقتل كريس . رسم الخطة فى عقله ، وكيف سيجعل الأمر يبدو وكأنه حادث . كان قد خفف من سير الماكينة حتى ينقطع ما أن تدور ، وهو الأمر الكفيل بقتل كل من يحاول فحص الماكينة أثناء دورانها . لكن السير لم يخرج من مكانه .

لكنه يشكر الله الآن لأن هذا لم يحدث . شكر الله لأنه كان أحمق حتى فى هذه المهمة .

فلو أنه نجح ، واكتشفوا أمره كانوا سيرسلون به إلى كرسى الإعدام ، ولكان قد فقد ليلى . فهو لديه الآن على الأقل فرصة لكى يسعدها . لديه المزيد من الوقت الذى سيقضيه معها . فلو أنها هجرته لأجل كريس ، أو لأجل شاب وسيم غيره ، بعد شهر أو سنة من الآن ، فإن هذا لا يهمه الآن . فهى ملكه الآن ولحين إشعار آخر .

أجل ، شكراً لله لأنه لم يقع فى هذه الكارثة .

" سيد روبسون ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

ابتعد سريعاً عن جدار السور والتفت ليجد ساير هويل أمامه ، وقد كانت تلهث وترتجف . " ألم تقابل بيك ميرشانت ؟ "

" أوه ... أجل ... هو هنا " .

" فى مكتبه ؟ "

" بل فى أرض المصنع مع كريس " .

هرعت إلى الداخل من دون حتى أن تشكره .

أما جورج فقد سارع نحو سيارته . كان متلهفاً للعودة إلى منزله ، حيث تنتظره ليلى .

كرر بيك كلامه : " أنا من وضع علبة الثقاب فى الكابينة " .

نظر إليه كريس وكأنما ينتظر منه أن يتمم هذه الدعابة . وحينما تبين له أنها ليست بدعابة ، حتى انقلبت تعبيرات وجهه . قست ملامحه وكأنها قدت من الصخر . " آه . . . . يا لها من قنبلة مباغتة . وما الذى دفعك إلى تلك الفعلة ، يا بيك ؟ "

" لأننى كنت أعلم أنك القاتل " .

" ولكننى لست القاتل " .

" توقف عن المراوغة . فلولاك لكان دانى حياً الآن . كنت أخشى أن تفلت بفعلتك لو لم أقم أنا بتوجيه المحققين إلى الاتجاه السليم . فما أن بدأ المحقق سكوت يتساءل عمن قد يكون هو الذى ضغط الزناد ، حتى أصبحت متيقناً بنسبة تسعة وتسعين بالمائة أنك أنت من قتله . وزادت هذه النسبة نصف بالمائة حينما بدأت تتحدث عن مكيدة يرسمها لك سلاب واتكينز .

بقى لدى الدافع . فأنت لم تكن تكره دانى . بل أقول إنك لم تكن تبالى به . أما عن حب هف ، فلم يكن هناك جدال فى أنك أنت ابنه المحبب إلى قلبه ، ومن سيئول إليه المسبك حينما يموت هو .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فما هو ذلك التهديد الذى يمثله دانى بالنسبة لك ؟ ما الذى يستوجب أن يلقى دانى مصرعه بسببه ؟

لم أتوصل إلى إجابة إلا حينما عرفت بأمر خطبته . فقد أخبرت خطيبته ساير بأن دانى كان يعانى من عذاب الضمير . وهنا تبين لى كل شىء . فقد كان الدافع لديك هو قضية إيفيرسون . فقد كان دانى يعرف وبشكل يقينى مكان دفن تلك الجثة . وكان سيعترف بذلك " .

تنهد كريس ببطء ثم قال : " كان دانى ولأول مرة فى حياته قد قرر ألا يتراجع عن شىء انتوى القيام به . كان مصرا على أن يتقدم باعتراف رسمى ، ولم نكن لنسمح بحدوث ذلك . وهكذا طلب منى هَف أن أتصرف " .

" وهكذا تصرفت أنت " .

باعد كريس بين ذراعيه مسلماً برد بيك . " فلو تم الكشف عن جثة إيفيرسون ، لكان هذا كفيلاً بإثارة كل الأسئلة المؤرقة لتضاف إلى التهم ، وأهمها تضليل العدالة . أى أن هذا كان سيفتح علينا أبواب جهنم " .

" لكنك لن تفلت من العدالة هذه المرة " .

ابتسم فى سخرية وهو يقول : " أنت ترى يا بيك أنى قد أفلت بالفعل " .

" ليس بعد " .

" هل قررت أن تبلغ عنى ؟ لماذا ؟ أمن أجل إيفيرسون ؟ "

ضحك بيك وقال : " أوه ... كريس ، ها قد آن أوان أن تعرف الحقيقة . إن وقاحتكم يا آل هويل هى التى تجعل من السهل على أى شخص أن يخدعكم . فأنتم لم تسألوا ولو مرة واحدة عن سبب ظهورى فى تلك الليلة التى انتهت فيها محاكمتك لصالحك .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

فرحبتم بى ، وأوليتم إلى منصباً مرموقاً داخل شركتكم ، بل وأصبحت واحداً من العائلة . وكان هذا هو هدفى منذ البداية . أن أزرع نفسى فى قلب العائلة ، كحليف مخلص وموثوق به " .

ضاقت عينا كريس وهو يسأله فى هدوء : " من أنت ؟ "

ابتسم بيك وهو يرد : " أنت تعلم من أنا . أنت تعرفنى منذ أيام الجامعة ... فلم ألتحق بجامعة لويزيانا إلا لأنك قد التحقت بها . وتقربت إليك عامداً . فقد وضعت نفسى فى طريقك ، ولفت انتباهك ، حتى إذا جاء الوقت المناسب للالتحاق بشركات هويل ، فإن هذا سيتم بسلاسة . وقد نجحت فى هذا . بل وبصورة أفضل مما توقعتها . فقد اكتسبت مصداقيتك على الفور . واحتويتنى فى غمضة عين ، وكذلك كان الحال مع هَف " .

" أنت نقابى ، أليس كذلك ؟ "

" كلا " .

" مُنَبِّغ حكومى ؟ ربما من المباحث الفيدرالية " .

" لا شئ من هذا " .

" فمن أنت بحق ... ؟ "

" اسمى بيك ميرشانت . ولكن ميرشانت هو اسم ابى بالتبنى . فلقد تبنانى حينما تزوج أمى الأرملة . وقد حملت اسمه لأننى حتى وأنا صبى فى العاشرة أو الحادية عشرة كنت أخطط للنيل منكم ، وكنت أعلم أن اسمى الحقيقى سيقف فى طريقى نحو هذا الهدف " .

قال له كريس فى تسلط : " لقد بدأ صبرى ينفد . ما اسمك الحقيقى ؟ "

" هولمز " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

نالت الصدمة من كريس ، ثم سرعان ما أومأ برأسه معجباً ببراعته . " هذا يوضح كل شيء بالتأكيد " .

" لقد كان سوني هولمز والدي " .

" إذن فقد كنت تبحث عن الانتقام من هَف وليس مني " .

" الأمر أكبر من مجرد الانتقام ، يا كريس . فأنا أريد أن أدمركم وأدمر كل ما يمثله اسمكم " .

هز كريس رأسه ، ثم قال بنبرة تنم عن الشفقة أكثر من أي شيء : " هذا لن يحدث " .

" بل نحن في بداية النهاية بالفعل . فلقد أغلقت مصانع هويل " .

" هل أنت متحالف مع تشارلز نيلسون ؟ "

" ليس هناك تشارلز نيلسون ، فأنا تشارلز نيلسون . إنه ليس سوى اسم على الورق ، نشرت باسمه عدة نشرات وزعتها على وسائل الإعلام . بل إن اسمه مأخوذ من الاسم الثلاثي لوالدي " .

" أنت بارع بالفعل " .

" لقد انتظرت هذا اليوم طيلة سنوات ، يا كريس . فلقد قتلتم والدي وهو في شبابه . والسبب ؟ لمجرد أنه وقف في طريق هَف ، لذا فقد أزاحه هَف من الحياة بأكملها . الكل يعرف هذا . لكنه أفلت بفعلته . تماماً كما أفلت أنت من جريمة قتلك لإيفيرسون . أما الآن يا كريس " ، سكت ثم قال هامساً في صرامة : " فقد انتهى كل شيء " .

" وما الذي تنوي القيام به ، يا بيك ؟ هل ستبلغ عني ؟ لا تنسى أنك محامي الخاص . ولن يكون بوسعك أن تشي بي من دون أن يتم منعك من ممارسة المحاماة " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" هذا ذكاء منك ، ولكن الحقيقة هى أن هذا لن يهمنى . فأنا لم أرغب أبداً فى ممارسة المحاماة ولم ألتحق بهذه المهنة سوى لكى أتقرب منك وأطلع على أسرارك القذرة . فلن يهمنى أن أنعت بأفظع الصفات ، أو أن أوصم بالخيانة . فأنا بالفعل معتاد على هذا منذ أن أصبحت أمثلك أنت وهف . فلن يتغير شىء من نظرة الناس لى بالفعل " .

" لقد عملت حساباً لكل شىء إذن " .

" بالفعل " .

" وهل على أن أفقد الوعى فزعاً أم ماذا ؟ "

كان بيك يعرف شخصية كريس بما يكفى لأن يدرك أنه يرتعد رعباً فى داخل نفسه ، بل إنه بالفعل يتصبب عرقاً . " سيدفع هَف ثمن ما فعله بأبى . وقد تعلمت أنت منه ، بل وتفوقت عليه فى الحقارة . فأنت قد قتلت أخاك . فألقيت بنفسك فى التهلكة ، يا كريس " ..

نظر كريس إلى ما خلف بيك . " لقد جئتنا فى الوقت المناسب ، يا هَف " .

التفت بيك فى بطء حتى يواجه الرجل الذى أصبح عدوه منذ أن وعى هذه الدنيا . وكلما كانت توهن عزيمته كان يذكر نفسه بأن الفرصة لم تتح له حتى ليلقى النظرة الأخيرة على أبيه . لا هو ولا والدته أمكنهما هذا . لم يكونا ليتحملا المنظر ، كما أخبرهما بذلك المشرف على الجنازة .

لقد أدى طمع هذا الرجل إلى أن تتحول والدته إلى أرملة ، وأن يتيتم هو ، ويموت والده . كانت العداوة تزداد وتعتمل بداخل بيك وهو يواجهه الآن .

قال كريس : " لقد كنت أنا وبيك فى خضم حوار شيق " .

تنسيق:علامة تعجب www.ibtesama.com

" لقد سمعته " .

كان من الواضح أنه قد سمعه . فقد كان وجهه محمراً . وعيناه كجمرتين . كانت يده تقبض على المسدس فى قوة . صوته كسكين من الصلب تشحذ على المسن .

" لقد سمعته " ، كرر كلمته وهو يرفع مسدسه مصوباً إياه إليه مباشرة .

رفع بيك يديه بشكل غريزى وهو يصيح : " هَف ... كلا ! " .

لكن هَف كان قد ضغط على الزناد بالفعل .

دوى صوت الرصاصة كدانة مدفع وسط ذلك الصمت المخيم . واستمر صداه لثوان ، وأدرك بيك أن هناك صوتاً آخر تلاه ، صوت كصوت الرحى ، إنها الماكينة وقد عادت للعمل .

ألقى هَف بمسدسه أرضاً . سقط على الأرض الخرسانية بصوت مدو . ثم نحى بيك جانبا ، وهو يطلق عويلا وحشيا . استدار بيك ليجد كريس وهو مسجى على الأرض أمام الناقل . وقد اخترقت قطعة معدنية مدببة عنقه . كان الدم ينزف منه بغزارة .

جثا هَف على ركبتيه أمام كريس مباشرة ، وهو يحاول أن يوقف الدماء النازفة بيده . سرعان ما شحب وجه كريس ، وهو يحدق إلى هَف فى دهشة وحيرة .

نزع بيك قميصه عنه فى سرعة وهو يكوره بين يديه ، ثم أزاح يدى هَف الملتماتين بعيداً عن الجرح وهو يحاول عبثاً أن يوقف نافورة الدماء .

ظهرت ساير لتهرع إلى جانبه وهى تصرخ : " أوه ... يا إلهى ! " .

قال لها بيك فى اقتضاب : " اتصلى بالنجدة " ، فسارعت بسحب هاتفه من حزامه .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

احتضن هَف رأس كريس بين يديه وهو يهزها فى قوة : " لماذا فعلتها ؟ أنت من قتل دانى ؟ لماذ يا بنى ؟ لماذا ؟ "

" وأنت تطلق علىَّ النار ؟ " ، خرج صوته متحشرجاً عبر حنجرته ومعه خرجت دفقة دماء انبثقت فى وجه أبيه . " لقد أخبرتنى بأن من الضرورى أن نوقف دانى عند حده . وطلبت منى . . . . أن أتصرف " .

ألقى هَف برأسه إلى الوراء وهو يعوى كحيوان جريح . جذب رأس كريس نحو صدره ، وهو يحيط جسده بذراعيه ، وكأنما يحميه . " لقد كان دانى أخاك . أخاك " . كان ينتحب ، وجسده يترنح للأمام وللخلف ، وذراع كريس ترتمى متراخية على أرض المصنع ، وكأنها ذراع دمية لا حياة فيها . " كيف أمكنك أن تفعلها يا بنى ؟ كيف ؟ "

رد كريس وسط صفير أنفاسه : " أنت من طلب منى أن أتصرف " . كان صوته مسموعاً بالكاد الآن ، ليس سوى بقايا كلام ، ولكنه كان يحمل معه الحيرة والدهشة من موقف هَف منه .

مال إليه هَف ووضع شفتيه على جبين كريس . واختلطت دماء كريس بدموع هَف . " كنت الأقرب إلى قلبى . وأنت تعلم هذا . ولكن دانى كان ابنى هو الآخر " . تأوه فى حزن شديد : " كان من لحمى ودمى . وأنت قد قتلته . فلماذا يا كريس ؟ لماذا ؟ "

نظر بيك إلى ساير والتى كانت قد أجرت مكالمة النجدة ، كان كلاهما يشعر بانعدام الحيلة . حينما تلاقت عيناهما ، رأى فى عينيها انعكاساً لأفكاره هو . فلم يفعل كريس سوى ما وجد أباه يفعله .

بقى هَف مستغرقاً فى نحيبه الذى يمزق الفؤاد لمدة بدت لبيك وكأنها ساعات ، بينما سال الدم من كريس صانعاً بقعة حمراء

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

كبيرة من حولهم . كان هَف يحتضن ولده إلى صدره وهو يهدهده كالطفل . كان يداعب شعره ويقبل وجنتيه ، وسط مزيج من الدماء والدموع فوق وجه كريس الذى سكن . أخبره مراراً وتكراراً بأنه قد أحبه بأكثر من حبه للحياة ذاتها وردد آلاف المرات سؤالاً واحداً لم يجد له جواباً : " كيف وسعك يا بنى أن تقتل أخاك ؟ "

وصلت سيارة الإسعاف فى النهاية . وحينما حاول المسعفون أن يباعدوا بين هَف وجسد كريس ، انتابه الجنون وهو يبعدهم عنهما . كان وجهه مغطى بدم كريس الجاف والعرق الذى تصبب عليه وهو يصرخ إلى أن بح صوته بأن لا أحد سيأخذ منه ابنه البكر ... والذى لم يعد حيّاً يسمع صرخاته .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

الخاتمة

" تبدو مرهقاً " .

قال لها بيك وهو يصعد عتبات مدخل منزله ، حيث كانت ساير بانتظاره بصحبة فريتو : " أنت محقة فى ذلك . فقد كانت ست ساعات مضنية " .

كانت هذه هى المدة التى مضت منذ أن أعلنت وفاة كريس فى مستشفى المدينة ، وتم إلقاء القبض على هَف . وجهت إليه تهمة القتل الخطأ ، حيث إن إطلاقه النار على كريس قد تسبب فى الحادث الذى أدى لمصرعه .

لم يكن هَف بقادر على الكلام بشكل مفهوم ، وهكذا قام بيك بتمثيله قانونياً ، وقد هاتف على الفور ذلك المحامى الجنائى الذى كان قد وكله كريس . وقد وافق على أن ينوب عن هَف ووصل إلى ديستينى بأقصى سرعة سمحت بها سيارته الليكزس .

كما تم استدعاء معاون للمدعى العام من قبل واين سكوت حتى يستجوب ساير وبيك . وقد أدليا بأقوالهما عدة مرات . وكان بيك هو من أماط اللثام عن كل شىء . لم يخف شيئاً ، وقد حكى بالتفصيل كيف أدى سماع هَف لحواره مع كريس إلى ما حدث لكريس .

www.ibtesama.com
تنسيق:علامة تعجب

فقد قال لمعاون المدعى العام : " لم يكن لدى شك فى أن هَف كان قادماً لكى يطلق النار على بسبب خداعى له . . . وكنت أعلم أن هزيمتى له تعنى أن أفكر مثلما كانا يفكران ، وأن أتصرف مثلما كانا يتصرفان . كان على أن أصبح واحداً منهم " .

كانت ساير تستمع إليه وأسفها يزداد . فقد أدت محبة بيك لوالده وإحساسه بالواجب تجاهه إلى أن يصبح الآن المحامى عن آل هويل .

أردف بيك قائلاً : " ولكنه ما أن سمع كريس وهو يقر بالتآمر على قتل دانى جن جنونه . فقد أطلق النار بدافع الغضب . طاشت رصاصته . ولكن تراجع كريس مندهشاً وهو يلوح بذراعيه . فاصطدمت يده بمفتاح الماكينة وأدارت الناقل . عندها تطاير السير المعطوب . ومعه شظايا معدنية حادة ، لتستقر إحداها فى عنق كريس " .

عند هذا الحد تم إعفاء ساير من مواصلة التحقيق ، ولكن طُلب من بيك البقاء كى يسرد أقواله مرة أخيرة . كان المحقق يذكره بأنه ينتهك واجباته كمحام وأن هذا قد يعنى انتهاء مستقبله القانونى . ولكن هذا لم يمنعه من الكلام .

ما أن سمح لها بالانصراف ، حتى أصيبت ساير بالحيرة مما يتوجب عليها أن تفعله . لم تكن راغبة فى العودة إلى المنزل ، والذى لم يعد بمنزلها بعد الآن ، أو إلى ذلك الفندق القمىء ، فانساقت وراء غريزتها التى قادتها إلى هنا كى تنتظر عودة بيك .

هو الآن جالس على الكرسى الهزاز وهو يداعب ظهر فريتو السعيد بعودته . علق قائلاً : " ليتنا نحيا حياته . فكل يوم بالنسبة له ليس سوى يوم جديد . يطل عليه وقد نسى كل شىء مما حدث بالأمس ، كما أنه لا يقلق من مجىء الغد " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" وما الذى يمكن أن يحدث فى الغد ؟ "

" سوف يتم استحضار هَف إلى المحكمة للرد على التهمة الموجهة إليه . أما أنا وأنتِ فسنكون الشاهدين طيلة جلسات المحاكمة " .

" أنا أفهم هذا " .

" هذا ما لم يعترف بأنه مذنب " .

" أتعتقد أنه سيفعل هذا ؟ "

" لن يدهشنى ذلك . فقد اعترف لهم بمكان رفات إيفيرسون . وقد أقر ريد هاربر بالتواطؤ معه . ويبدو أنه سيخوض هو الآخر استجوابا مطولا . هذا إن عاش حتى ينهيه " .

مال إلى الأمام وهو يستند بمرفقيه على ركبتيه ، وهو يدلك عينيه بأصابعه فى إجهاد . " لقد انكسر هَف يا ساير . فقد ذهبت لإلقاء نظرة عليه داخل الزنزانة قبل أن أغادر " .

" وكيف كان رد فعله عند رؤيتك ؟ "

" لم يرنى . كان راقداً على الفراش فى وضع جنينى ، وهو ينتحب . هذا هو كل ما تبقى من هَف هويل " . كان يتحدث بأسف وهدوء وهو يتابع كلامه : " أرى أنه كان سيغفر لكريس أى شىء إلا أن يقتل ابنه . فحتى لو أن كريس قد قتل الرئيس نفسه ، لكان هَف قد حماه بحياته . ولكن أن يقتل أخاه هذا ما لم يكن هَف ليغفره أبداً . فذلك يمثل انتهاكا لإحساسه المتعاظم بأهمية العائلة " .

قالت ساير : " إننى لأتساءل عن مصدر ذلك الإحساس . فهو لم يكبر وسط عائلة كبيرة . كما أنه لم يذكر لنا أبداً شيئاً عن أبويه سوى أن كليهما قد مات وهو بعد صغير " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

تأمل بيك كلامها لبرهة من الوقت ، ثم قال : " ذات ليلة كنت أنا وهف وحدنا حتى ساعة متأخرة ، وكان كريس بالخارج ، وكان هَف قد شرب حتى الثمالة . كان يغمغم بكلام وسط سكره ، ولكنه ذكر شيئاً عن موت أبيه . وكان يصيح : لقد أخطأ الأوغاد في تسجيل اسمه " .

" من هؤلاء الذين كان يتحدث عنهم ؟ "

" لم يتضح من كلامه شيء . وكان هذا هو كل ما قاله . فقد لا تكون لعبارته هذه أية صلة بالواقع . أو أنها قد تعني الكثير " .

كانت تنظر عبر المرج الأخضر وهي تتنهد ، ثم قالت : " حينما أفكر في الثمن الذي دفعه عندما ضغط زناد مسدسه . . . أجده كان يحاول أن يدمر أكثر شيء أحبه " .

" لقد كان كريس آخر أمل له في أن يرى حفيداً يحمل اسمه . وقد أنهى أية فرصة لحدوث هذا . ولكنني لا أشفق عليه ، يا ساير ؛ فهو من أودى بكريس إلى مصيره المحتوم . فقد صنع من كريس نسخة منه " .

" كما أنه قد قتل ابني . لم ير فيه امتدادا له " .

مد بيك يده إلى يدها واعتصرها بين أصابعه .

سألته : " ألست جائعاً ؟ "

دلفا إلى الداخل . وأثناء هذا التقطت وجبة دجاج مشوى كانت قد طلبتها عبر الهاتف . بدآ يضعان الطعام على المائدة معًا ، وهما يراوغان فريتو ، الذي كان يتبع خطواتهما وكأنما يخشى أن يرحلا ويتركاه وحيدًا مرة أخرى .

قالت : " لقد تحدثت مع لوسي دالي . سوف يخرج كلارك من المستشفى في الغد أو بعد الغد . لقد طلب منه زملاؤه أن يمثلهم أمام مفتشي هيئة الأمان والسلامة المهنية . ولن يسعه أن يفعل الكثير

حتى يتعافى كلية ، إلا أن هذه الثقة سوف تسهم بالتأكيد فى تعافيه سريعا . كما أن روحه المعنوية قد ارتفعت حينما علم بأن من اعتدوا عليه يقبعون الآن فى السجن . ولوسى تشكرك لأجل وفائك بوعدك فى هذا الصدد " .

" كان إبلاغ واين سكوت عنهم أقل ما يمكننى أن أفعله " .

" كما هاتفت جيسيكا ديبلانس وأخبرتها بما حدث اليوم . سبقت نشرة الأخبار بنصف الساعة فقط ، وقد شكرتنى على إبلاغى لها ذلك قبل أن تعرفه من وسائل الإعلام . إنها لطيفة جدا ، بيك . حينما أخبرتها بأن ضميرى يعذبنى لعدم ردى على مكالمات دانى طلبت منى ألا أفكر فى هذا كثيرا . قالت إن دانى لم يكن ليرغب فى أن أعيش بعقدة الذنب هذه . كما أخبرتنى بأنها تصلى لأجلنا جميعا ، بما فى ذلك كريس . وأنا سعيدة لأن دانى قد ذاق طعم هذا النوع من الحب ، حتى وإن لم يطل به الوقت " .

" وأنا أيضا " .

" أعتقد أنك ستسعد بلقاء جيسيكا " .

" أما هى فقد لا يسعدها لقائى . فلم أزل ذلك العدو فى نظر أغلب الناس هنا " .

" بوسعك أن تقابلها بشخصية تشارلز نيلسون " .

" كلا ، فهذه الشخصية يجب أن تختفى كما ظهرت . وفى غضون أشهر لن يتذكر الرأى العام عنه شيئا " .

" وماذا عمن تظاهر من رجال ونساء ؟ وماذا عن عائلة بوليك ؟ "

" سوف يحيلهم نيلسون إلى محامٍ آخر . محامٍ أفضل " .

" وما الذى أنت فاعله ؟ "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" تقصدين خططي للمستقبل ؟ هذا ما ستحددينه أنت ، يا ساير . فأنت الآن مالكة شركات هويل بشكل رسمي . وأنا موظف لديك . فما الذى تودين أن أقوم به لأجلك ؟ "

" هل بوسعك أن تستخرج لى تفويضاً رسمياً بهذا ؟ "

" لن تكون هذه مشكلة ، بالنظر إلى حالة هَف الآن " .

" ما أن يتم هذا وأتولى دفة الأمور ، فإننى أود منك أن تعرض شركات هويل للبيع . فأنا لا أريدها ، ولكن ليس بوسعى أن أغلق المصانع وأحرم هذه البلدة من مصدر مواردها المالية . فما أن نستوفى متطلبات هيئة الأمان والسلامة ، فإن عليك أن تبيعها لشركة تتحمل مسئوليتها . شركة تحرص على سلامة عمالها وعلى علاقتها بهم ، وإلا فلا تبعها " .

" أنا أفهم هذا وأوافق عليه . ولدى العديد من المشترين المتازين . فهناك شركات كانت قد قدمت لى عروضاً . وكنت أخبرهم دوماً بأن هَف لن يفكر أبداً فى البيع . فسوف يسعدون الآن بالأخبار الجديدة " .

قالت : " كما أننى أود ان نواصل صرف أجور العمال طيلة فترة إغلاق المصانع للتفتيش " .

" حسنًا ... سوف أتولى جميع الأمور حتى تتم تسويتها بشكل نهائى " .

" وبعدها ؟ "

" ربما أمارس دوراً استشاريًا . فبوسعى أن أكون حلقة اتصال بين العمال والإدارة خاصة مع حجم أعمال كبير كالذى تديره شركات هويل . فأنا لدى الخبرة ، وخبرة التعامل مع الطرفين " .

كانا يعتقدان أنهما جائعان ، ولكنهما ما أن هما بتناول الطعام حتى وجدا أن ليس لديهما شهية للطعام . تناولت ساير قطعة

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

بسكويت بالزبد وهى تقول : " لقد أخبرتنى من قبل بأن والدتك لا تزال حية ، أهى كذلك ؟ "

" بالتأكيد " .

" كم أود أن ألقاها " .

" لقد التقيتها بالفعل . داخل مكتب تشارلز نيلسون " .

صاحت فى دهشة : " بريندا ؟ "

" لقد أصابتنى الدهشة تماماً حينما دلفت إلى المكتب لأجدك هناك ، لكن والدتى لم يجفل لها طرف " .

" بالتأكيد . ما كان لى أن أتبين شيئاً " .

" وهى تراك رائعة . وذكية . أوه ... لست أذكر كم الصفات التى سردتها على ، إلا أنها كانت تكيل المديح حول شخصك . أتتذكرين حينما خرجت من المبنى بينما كنت أتظاهر بالبحث هاتفياً عن نيلسون فى دايتون ؟ "

" بل سينسيناتى " .

" لا يهم ، المهم هو أننى كنت أتحدث معها هى . كانت تسبنى للطريقة الوقحة التى كنت أتعامل معك بها " .

" لابد أنها قد أصيبت بالفزع خوفاً عليك بالأمس . ولا عجب فى أنها قد اتصلت هنا كى تسأل عنك بالنيابة عن السيد نيلسون " .

" لقد تحدثت معها وأنا فى طريقى إلى هنا الآن . أخبرتها بما حدث اليوم . لقد شغلتنا عائلة هويل طيلة عقدين من الزمان . شعرت بأنها قد ارتاحت الآن بعد أن انتهى كل شىء . ولأننى قد خرجت من هذا الصراع من دون سوء . كانت تخشى يوماً من أن يكتشف كريس أو هَف حقيقتى فأختفى من الحياة كما اختفى جين إيفيرسون أو أن أقتل عن طريق الخطأ كما كان مصير والدى " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" وماذا عن السيد ميرشانت زوج والدتك ؟ "

" لقد توفي منذ عدة سنوات . كان رجلاً محترماً . كان بدوره أرمل من دون أطفال . وقد شغف حباً بوالدتي وربانى كابن له . فقد كنت محظوظاً بوجودهما من حولي " .

نهضت لكي تنظف المائدة وهي تقول : " بالفعل . أما أنا فلم أنعم بهذا " . وضعت ما كانت تحمله على طاولة المطبخ وعادت إلى المائدة كي ترفع المزيد .

أحتضنها بيك من خاصرتها وهو يجذبها إليه : " بعد أن انتهي من تسوية الأمور ، وبعد أن أتقدم باستقالتي ، سوف يكون على أن أبحث عن مكان أنتقل إليه ، كي أنشيء شركتي الاستشارية الخاصة " .

" ألديك أية خطط بالنسبة لذلك المكان ؟ "

نظر في عينيها ملياً وهو يقول : " كنت أتمنى أن يكون لديك أنتِ أية اقتراحات " .

قالت : " أنا أعرف مدينة جميلة ، بها متنزهات كبرى ، وطعام جيد ، وطقس لطيف ، وأنا لا أظن أن فريتو سيمانع في وجود بعض الضباب في الجو ، أليس كذلك ؟ "

" بل أعتقد أنه سيحب هذا . أنا متيقن من ذلك . هذا طالما كان من الممكن أن آتي إلى هنا بين الحين والآخر لتناول قدح أو قدحين من حساء البامية " .

" أتود أن أخبرك بسر ؟ لقد كنت أبعث بطلبها لتأتي إلى هنا مجمدة " .

" أنت تمزحين ! "

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

" بل هذا هو سرى الصغير " . انسلت أصابعها عبر شعره ، لكن ابتسامتها تلعثمت وهى تقول : " لم نعرف بعضنا البعض إلا منذ أسبوعين ، يا بيك . وبالهما من أسبوعين " .

" لا يمكن لوصف أن يحيط بأحداثهما " .

" بالفعل . أليس الوقت مبكراً بالنسبة لنا حتى نقرر مستقبلاً دائماً يجمعنا سوياً ؟ "

" ربما كنت على حق . ربما كان من الأفضل أن نمنح أنفسنا وقتاً كافياً ، لنتبين كل الأمور على حقيقتها ، قبل أن يلتزم أى منا بشىء " .

" هذا ما أراه أنا أيضاً " .

" وكم من الوقت ترغبين ؟ "

ابتسمت ، ثم ضحكت فى جذل ، وهى تقول : " أتكفى نصف ساعة ؟ "

ابتسم ثم ضحك بدوره : " أما أنا فلا أحتاج إلى كل هذا الوقت " ثم تنهد فى قوة وقال : " لقد كان أملى فى الحياة هو أن أدمر عائلة هويل ، وصرفنى هذا عن كل شىء آخر . فمنذ مقتل والدى وأنا لم أتخذ أى قرار لا صلة له بهدفى الذى أعيش لأجله . والآن وقد حققته . . . فإنى أجدنى قد مللت كل هذا ، يا سايرس " .

" أما أنا فقد مللت من إحساسى بالغضب . بل إننى لم أشعر بالقدر الكافى من الرضا عن كسر شوكة هَف . أنا سعيدة لأنه قد دفع فى النهاية ثمن جرائمه ، ولكننى أجده الآن شخصية مأساوية . فلا فرحة أحسها تجاه ما حل به ، أليس كذلك ؟ "

" كلا . هى ليست بالفرحة . ولكن ربما هى راحة البال " .

" ربما " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

داعبها في رقة وهو يقول : " أكثر ما كرهته من أفعاله هو ما فعله بك أنتِ " .

وضعت يدها فوق يده وهي توقفها قائلة : " لا تنس أنني من عائلة هويل أيضاً . فلا يمكنك أن تثق في كل كلمة نقولها ، بل ونحن لا نتورع عن التلاعب بالكلمات أيضا " .

رفع رأسه ينظر إليها .

" لقد كذبت على هَف . وأنا أقر بأنها كانت كذبة رخيصة ، ولكنني كنت غاضبة وكنت أود أن أنال منه بأى شكل " ، ثم أضافت هامسة إليه : " إن الدكتور كارو لم يلحق برحمى أى ضرر " .

سقط نظره على بطنها ، ثم عاد ينظر إلى وجهها . " أتعنين أن بوسعكِ أن تلدى طفلا ؟ "

" ليس هناك من سبب طبى يمنعنى من هذا . وأنا أفكر في ... أفكر في أن أخبر هَف بذلك " .

نهض ببطء وهو يحتضنها قائلاً : " أترين ... هذا هو ما ميزك عنهما ، يا ساير . فلم تكن لديهما رحمة . أما أنتِ فتتصفين بها . هذا ما وجدته فيك ، وأحببتك لأجله " .

قالت وهي تريح وجنتها على صدره : " كلا يا بيك ... بل هذا ما وجدته أنا فيك " .

www.ibtesama.com تنسيق:علامة تعجب

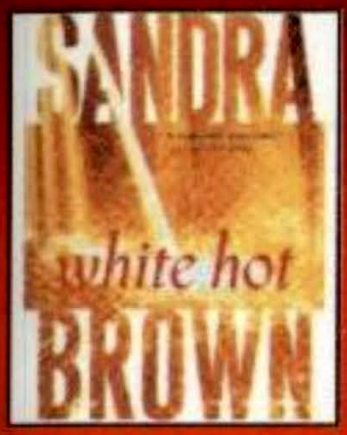

لهيب الانتقام

www.ibtesama.com

«ساندرا براون» هي أحد أفضل مؤلفي الكتب الأكثر مبيعاً على مستوى العالم، وصاحبة أفضل روايات الإثارة والتشويق، وهي تقدم لنا هذه الرواية الجديدة الشيّقة الزاخرة بالمكائد والأسرار المثيرة والعواطف المشبوبة والشخصيات التي لا تُنسى. إنها رواية ساخنة مثل صيف لويزيانا، وهي واحدة من روائع «ساندرا براون».

لهيب الانتقام

عندما تعلم بنبأ انتحار أخيها الأصغر داني، تهرع ساير عائدة إلى مسقط رأسها، مدينة ديستيني الصغيرة في ولاية لويزيانا، والتي كانت أقسمت على عدم العودة إليها مرة أخرى. وهناك تقع فريسة في الشبكة التي يحيكها والدها الطاغية. وكما كانت تتوقع، وجدت أباها وأخاها الأكبر ـ واللذين يديران المصنع الوحيد لمدينة ديستيني، وهو عبارة عن مسبك للحديد ـ وجدت أنهما مازالا على فسادهما، بل وقد ازدادا طغياناً عن ذي قبل. والأسوأ من ذلك أنها وجدت لهما شريكاً جديداً في جرائمهما، وهو بيك ميرشانت، المحامي الضليع والماكر. وعندما تكشف الشرطة عن وجود شبهة جنائية في وفاة داني، ينزاح النقاب عن عداوات وجرائم سابقة وخطط للانتقام، وتجد ساير نفسها في موقف يضطرها إلى الوقوف ضد عائلتها والصراع مع مشاعرها المتناقضة بين الحب والكراهية تجاه بيك... هذا الرجل الغامض.

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة

6 281072 055677
282204198